

صيد الأعماق

النسخة الإلكترونية خاصة بالموقع

saaaid.net



المِسْكُ الْوَرْدِي

فِي

ترجمة أبي إسحاق الحويني

إعداد

محمد حامد محمد

المسك الوردي

في

سيرة أبي إسحاق الحويني

إعداد

محمد حامد محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته ، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

ثم أما بعد .

ما كنت يوماً من الأيام أعتقد أن أكتبُ عن فضيلة الشيخ العلامة المحدث أبي إسحاق الحويني !!

الشيخ الحبيب إلى قلبي ... والأقرب إلى فكري ، واعتقادي !

عرفتُ الشيخ - حفظه الله تعالى - منذ ما يقرب من إحدى وعشرين عامًا ، وكان ذلك في أواخر عام ١٩٩٠ وأوائل عام ١٩٩١ ميلادية ، وذلك بعد عودته من رحلته لمحدث الديار الشامية محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - ، وكان أن حظ رحاله في مدينة " كفر الشيخ " ، وبالتحديد في مشروع الـ " ٤٧ عمارة " حيث استأجر الشيخ - حفظه الله - شقة جعلها مكتبًا ومكتبة له .

وفي مسجد " الحسينية " حيث كنتُ أصلي فيه باستمرار ، فوجئتُ بمجموعة من الشباب ملتفون ، متجمعون حول رجلٍ ذا لحية كثة ، وله جُمّة طويلة ، وثوب قصير ، وعلى وجهه علامات الصلاح ، والبشاشة - أظنها نور الإيمان ، وحب السنة - اقتربت من ، وعرفته بنفسه ، وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث ، وعندها تعرفنا عليه ، وما أن قال أنه تَوَّأ راجع من عند علامة الشام ، فأذنا الانبهار أكثر وأكثر ، ومَن يستمع للشيخ - حفظه الله - يُؤثره عذب حديثه ، وتسلسل أفكاره ، ونباهة عقله ، ورجحان فكره لكن !

لكن ... الإنسان عدو ما يجهل !

فكل مرة نقف مع الشيخ ، يحدثنا ، ونحدثه ، نشعر بنوع من الجهالة كنا عليها ، فتسرب إلى قلبي عدم الميل كليةً إلى كل ما يطرحه الشيخ ، من مسائل وآراء فقهية ، لا سيما وأني كنتُ في بداية الطلب حنبليًا !

فاصطدم كثيراً مع ما يلقيه الشيخ علينا من آراء ، ومسائل ، ما كنا نسمع عنها من قبل ، خاصة مع حجج الشيخ ، وقوة أدلة !

حتى إنني تجرأت ذات يوم على الشيخ في إحدى محاضراته ، وكانت بمناسبة افتتاح مسجد " البخاري " !

ووقفت وعارضته وكانت مسألة النزول باليدين أم الركبتين ، والمعروف أن الشيخ ينتصر لمذهب النزول باليدين ، حتى أن له رسالة في ذلك !

ودافعتُ دفاعاً مستميتاً عن المذهب الثاني ، وأخذت أسرد له الأدلة ، وما رجحه ابن القيم في الزاد ، وابن تيمية وغيرهما ...

فكانت جرأة لم أسبق عليها من قبل !

وتوالت المجالس الخاصة مع الشيخ - حفظه الله - ، وفي كل مرة لابد أن اخالفه ، وأعارضه ، حتى أنني غيبت يوماً عن بعض هذه الجلسات ، وبعدها قابلتُ الشيخ بعد خروجنا من المسجد فقال لي : أين كنت ايها المشاغب المشاكس !

ومع مرور الوقت ، توطدت العلاقة بيني وبين الشيخ - حفظه الله - ، ويوم أن خرج لي أول كتاب للنور ، كنت حريصاً جداً على هدايته للشيخ ، فتبسم مسروراً ، فرحاً به ، وأخذ يداعيني قائلاً : إيه والناشر عامل معاك إيه ؟ خدت فلوس كلها ولا لأ ؟

ولما ظهر للشيخ كتابه " تنبيه الهاجد " وكنت زائراً له ، مستفتياً في بعض المسائل ، مستشيراً في تحقيق كتاب " الزهد لأحمد " ، ولما هممتُ بالانصراف سألني : هل أخذت نسختك من كتاب " تنبيه الهاجد " ؟

فتبسمتُ قائلاً : منين يا مولانا ؟!!

فنادى على " حاتم " ابنه وأمره بإحضار نسخة من الكتاب ، وأعطانيها إياها . والحمد لله على دوام الود والمحبة بيني وبين الشيخ - حفظه الله - حتى قبل أن أفتن وأجبر على الرحيل من بلدي - والحمد لله على كل حال - والاستقرار بي في القاهرة المعز !

ومن أيام راودتني فكرة جمع كتاب في سيرة الشيخ - حفظه الله - يحوي بين دفتيه ، تعريفاً به ، مع بعض ملامح فكر وآراء وفتاوي للشيخ ، أضعه عرفاناً بفضلته عليّ ، وتقديراً لشخصه الكريم ، ومجهوداته العلمية والعملية في خدمة الدعوة الإسلامية على مدار أكثر من ثلاثين عاماً .

أسأل الله العلي القدير أن يتقبله ، ويجعله خالصاً لوجهه ، هو ولي ذلك والقادر
عليه .

وكتبه

محمد حامد محمد

في غرة المحرم ١٤٣٣ هـ

Mohamed-hamed-mohamed@hotmail.com

ترجمة الشيخ أبي إسحاق الحويني

اسمه ومولده

هو: أبو إسحاق حجازي بن محمد بن يوسف بن شريف الحويني المصري (وإسحاق هذا ليس بولده، إنما تكلّى الشيخ به تيمناً بكنية الصحابي سعد بن أبي وقاص t وكنية الإمام أبي إسحاق الشاطبي - رحمه الله-).

وُلدَ يومَ الخميس غرة ذي القعدة لعام ١٣٧٥هـ، الموافق ٠٦ / ١٩٥٦م بقرية حوين بمركز الرياض من أعمال محافظة كفر الشيخ بمصر.

عائلته

وُلدَ الشيخُ في أسرةٍ ريفيةٍ بسيطةٍ لا تعرفُ إلا الزراعة، وما كانت فقيرةً ولا غنيةً، ولكنها كانت متوسطة الغنى، لها وجاهتها في القرية واحترامها، بسبب معاملتها الطيبة للناس وما اشتهرَ عن الأبِّ من حُسن خلقه، وقد كان متزوجاً بثلاث (كان الشيخ من الأخيرة وكان الأوسط -الثالث- بين الأبناء الذكور الخمسة) وكان متديناً بالفطرة -كحال عامة القرويين إذ ذاك- يحبُّ الدين. يُذكرُ أن سرقة محصول القطن كانت مشهورةً في ذلك الحين، وكان الأبُّ يمشي مرةً بجانب حقله فرأى شخصاً يأخذ قطناً منه، فما كان منه إلا أن اختبأ حتى لا يراه هذا الشخص، ولم يروعه حتى أخذ ما أراد وانصرف!

لَمْ يَذْهَبْ قَطُّ إِلَى طَبِيبٍ، إِلَّا فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ حَيْثُ أُجْبِرَ عَلَى الدَّهَابِ. تَوَقَّى -
رَحْمَةُ اللَّهِ- يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ٢٨ / ٠٢ / ١٩٧٢م.

دراسته النظامية

أَدْخَلَ الشَّيْخُ الْمَدْرَسَةَ الْإِبْتَدَائِيَّةَ الْحُكُومِيَّةَ غَيْرَ الْأَزْهَرِيَّةِ بَقَرِيَّةٍ مُجَاوِرَةٍ
(الْوَزَارِيَّةِ)، تَبَعْدُ حَوَالِي ٢ كَمٍ عَنْ حَوِينٍ، مَضَى فِيهَا سِتَّ سَنَوَاتٍ، وَانْتَقَلَ إِلَى
الْمَرَحَلَةِ الْإِعْدَادِيَّةِ فِي مَدِينَةِ كَفَرِ الشَّيْخِ (تَبَعْدُ عَنْ حَوِينٍ رُبْعَ السَّاعَةِ بِالسَّيَّارَةِ)
بِمَدْرَسَةِ الشَّهِيدِ حَمْدِيِّ الْإِعْدَادِيَّةِ، بَدَأَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنْهَا كِتَابَةَ الشَّعْرِ، وَمِنْهَا إِلَى
الْمَرَحَلَةِ الثَّانَوِيَّةِ بِالْقِسْمِ الْعِلْمِيِّ بِمَدْرَسَةِ الشَّهِيدِ رِيَاضِ الثَّانَوِيَّةِ. وَلِبُعْدِ الْمَسَافَةِ، أُجْرُوا
(الشَّيْخُ وَإِخْوَتُهُ) شَقَّةً فِي الْمَدِينَةِ، يَذْهَبُونَ إِلَيْهَا فِي بَدَايَةِ الْأُسْبُوعِ وَمَعَهُمْ مَا زَوَدَتْهُمْ بِهِ
أُمُّهُمْ -حَفِظَهَا اللَّهُ وَرَعَاهَا- (الزُّوَادَةُ) وَنَصَفُ جَنِيهِ مِنْ أُخْيِهِمِ الْأَكْبَرِ.

وَبَعْدَ إِنْهَاءِ الدَّرَاسَةِ الثَّانَوِيَّةِ حَدَثَ جِدَالٌ حَوْلَ أَيِّ الْكُلِّيَّاتِ يَدْخُلُ الشَّيْخُ، فَتَرَدَّدَ بَيْنَ
كُلِّيَّاتٍ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي قِسْمِ اللُّغَةِ الْأَسْبَانِيَّةِ (وَأِنَّمَا كَانَتْ الْأَسْبَانِيَّةُ، حَتَّى يَتَسَاوَى
بِالطَّلَابِ فَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَفَوَّقَ عَلَيْهِمْ) بِكُلِّيَّةِ الْأَلْسِنِ بِجَامِعَةِ عَيْنِ شَمْسٍ بِالْقَاهِرَةِ، وَالتِّي
لَمْ يَخْرُجْ عَنْ الثَّلَاثَةِ الْأَوَّلِ فِي السَّنِينَ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى وَفِي الرَّابِعَةِ نَزَلَ عَنْهُمْ، وَتَخَرَّجَ
فِيهَا بِتَقْدِيرِ عَامٍ امْتِيَازٍ. وَكَانَ يَرِيدُ أَنْ يَصْبَحَ عَضْوًا فِي مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْأَسْبَانِيَّةِ، وَسَافَرَ
بِالْفِعْلِ إِلَى أُسْبَانِيَا بِمَنْحَةٍ مِنَ الْكُلِّيَّةِ، وَلَكِنَّهُ رَجَعَ لِعَدَمِ حُبِّهِ الْبَلَدَ هُنَاكَ.

الرحلة العلمية

فِي حَيَاتِهِ فِي الْقَرْيَةِ وَالْمَدِينَةِ (مَرَا حَلَّ مَا قَبْلَ الْجَامِعَةِ)، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ اهْتِمَامٌ مِنْهُ
وَلَا مِنْ أَحَدٍ بِالْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، إِنَّمَا كَانُوا يَعْرِفُونَ كَيْفَ الصَّلَاةِ وَمِثْلَهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ
الْبَسِيطَةِ، حَتَّى سَافَرَ الشَّيْخُ فِي أَوَاخِرِ الْعَامِ الْأَخِيرِ مِنَ الدَّرَاسَةِ الثَّانَوِيَّةِ (سَنَةِ
١٣٩٥ هـ / ٧٤-١٩٧٥ م) إِلَى الْقَاهِرَةِ لِيَذَاكِرَ عِنْدَ أُخْيِهِ، وَكَانَ يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ لِلشَّيْخِ
عَبْدِ الْحَمِيدِ كِشْكٍ -رَحْمَةُ اللَّهِ- فِي مَسْجِدِ 'عَيْنِ الْحَيَاةِ'. وَمَرَّةً، وَجَدَ بَعْدَ الصَّلَاةِ كِتَابًا
يَبَاغُ عَلَى الرَّصِيفِ لِلشَّيْخِ الْأَلْبَانِيِّ -رَحْمَةُ اللَّهِ- كِتَابَ "صِفَةِ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ التَّكْبِيرِ

إلى التسليم كأنك تراها"، فتصقحه ولكنه وجده غالياً (١٥ قرشاً) فتركه ومضى، حتى وقع على التلخيص فاشتراه، فقرأه ولما أنهى القراءة، وجد أن كثيراً مما يفعله الناس في الصلاة وما ورثوه عن الآباء - متضمناً نفسه، خطأ ويصادم السنة الصحيحة، فصمم على شراء الكتاب الأصلي، فلما اشتراه أعجب بطريقة الشيخ في العرض وبالذات مقدمة الكتاب، وهي التي أوقفته على الطريق الصحيح والمنهج القويم منهج السلف، والتي بسط فيها الشيخ الكلام على وجوب اتباع السنة ونبذ ما يخالفها ونقل أيضاً كلاماً عن الأئمة المتبوعين - رحمهم الله - إذ تبرؤوا من مخالفة السنة أحياء وأمواتاً. وقد لفتت انتباهه جداً حواشي الكتاب - مع جهله التام في هذا الوقت بهذه المصطلحات المعقدة بل لقد ظل فترة من الزمن - كما يقول - يظن أن البخاري صحابي لكثرة ترضي الناس عليه -، فهو، وإن لم يكن يفهمها، إلا أنه شعر بضخامة وجزالة الكتاب ومؤلفه، وصمم بعدها على أن يتعلم هذا العلم علم الحديث.

وتوالت الأيام، ودخل الجامعة، وبدأ يبحث عن كتب في هذا العلم، فكان أول كتاب وقع عليه كتاب "الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية" للإمام الشوكاني، فهال الشيخ ما رأى، لقد رأى أن كثيراً من الأحاديث التي يتناولها الناس في حياتهم لا تثبت عن النبي ﷺ، فعكّر ذلك، أي معرفته أن هناك أحاديث لم تثبت، عكّر ذلك عليه استمتاعه بخطب الشيخ عبد الحميد كشك - رحمه الله -، فأصبح لا يمر به حديث إلا ويتشكك في ثبوته. حتى كان يوم، وكانت جمعة عند الشيخ كشك - رحمه الله - فذكر حديثاً تشكك الشيخ فيه، فبحثه فوجد أن ابن القيم - رحمه الله - ضعّفه، فأخبر الشيخ كشكاً بذلك، فردّ وقال بأن ابن القيم أخطأ، ثم قال كلمة كانت من المحفزات الكبار له لتعلم الحديث والعلم الشرعي، قال: يا بني! تعلم قبل أن تعترض. يقول الشيخ: فمشيت من أمامه مستخزياً، كأنما ديكٌ نقرني! وخرجت من عنده ولدي من الرغبة في دراسة علم الحديث ما يجلُّ عن تسطير وصفه بناني. اهـ.

وأخذ الشيخ يسأل كلَّ أحدٍ عن أحدٍ من المشايخ يُعلِّمه هذا العلم أو يدلُّه عليه، فدلّوه على الشيخ محمد نجيب المطيعي - رحمه الله -.

وأخذ يبحث أكثر عن كتب أكثر، فوقع على المئة حديث الأولى من كتاب "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة" للشيخ الألباني -رحمه الله-، فوجد أن الشيخ كان يركز على الأحاديث المنتشرة بين الناس والتي لا تصح.

ولاحظ الشيخ أن أحكام الشيخ على الأحاديث ليست واحدة، فمرة يقول منكر ومرة يقول ضعيف ومرة باطل، فأخذ يبحث ويُقَبُّ كي يفهم هذه المصطلحات ويفرق بين أحكام الشيخ على الأحاديث، وسأل الشيخ المطيعي -رحمه الله-، فدلّه على كتابه "تحت راية السنة: تبسيط علوم الحديث"، فأخذهُ الشيخ وعرفَ من حواشيه أسماء كتب السنة وأمهات الكتب التي كان ينقلُ منها الشيخ، ومعاني المصطلحات.

يقول الشيخ: مكثتُ مع الكتاب (كتاب الشيخ الألباني -رحمه الله-) نحو سنتين كانت من أفيد السنين في التحصيل. اهـ.

وكان الشيخ في مراحل طلبه المتقدمة، في الجامعة، يعملُ نهاراً في محلّ بقالةٍ بمدينة نصر بالقاهرة ليعولَ نفسه، ويطلبُ ليلاً، لذا، كانت ساعات نومِهِ قد تصلُ إلى ثلاث ساعاتٍ في اليوم!.

وكانَ لحاجته، لا يستطيعُ شراءَ ما يبتغيهِ من كتب العلم، فكانَ يذهبُ إلى مكتبة المتنبّي، يذهبُ فقط ليتحسَّسَ الكتبَ بيده أو يرفعها لأنفه فيشمّها ويخرجُ بسرعة كي لا يظنَّ صاحبها به جنوناً فيطرده منها!، وكانَ ربما نسخَ منها.

مَنْ أَخَذَ عَنْهُمْ

*ذهبَ الشيخُ لمجالس الشيخ المطيعي في بيتِ طلبة ماليزيا بالقرب من ميدان عبده باشا بالعبّاسية. فأخذَ عليه شروحَ كلِّ من: صحيح الإمام البخاري، المجموع للإمام النووي، الأشباه والنظائر للإمام السيوطي، وإحياء علوم الدين للإمام أبي

حامد الغزالي - رحمه الله-. ولزم الشيخ الشيخ المطيعي نحواً من أربع سنوات حتى توقفت دروسه بسبب الاعتقالات الجماعية التي أمر بها السادات، فرحل الشيخ المطيعي إلى السودان، ثم المدينة النبوية وتوفي هناك ودُفن بالبقيع، -رحمه الله-.

*وأخذ على الشيخ سيد سابق -رحمه الله- بالمعادي.

*وأخذ على بعض 'شيوخ الأعمدة' في الجامع الأزهر، في أصول الفقه واللغة والقراءات، ولكن ليس كثيراً.

*وأخذ بعض قراءة ورش على خاله (وكان مدرس قراءات).

*وفي سنة ١٣٩٦ هـ قدم الشيخ الألباني -رحمه الله- لمصر، وألقى محاضرة في المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بعبدين، ولكنه رحل ولم يقابله الشيخ.

وكان قد نُشر للشيخ كتاب "فصل الخطاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب"، وكان الشيخ الألباني يقول: ليس لي تلميذ (أي: على طريقته في التخريج والنقد)، فلما قرأ الكتاب قال: نعم (أي: هذا تلميذه).

وسافر الشيخ إلى الشيخ الألباني في الأردن أوائل المحرم سنة ١٤٠٧ هـ وكان معه لمدة شهر تقريباً كان -كما يقول- من أحسن أيامه.

وقد قابله مرة أخرى في موسم الحج في الأراضي المقدسة سنة ١٤١٠ هـ، وكانت أول حجة للشيخ وآخر حجة للشيخ الألباني -رحمه الله-، وآخر مرة رآه الشيخ فيها.

فعلى هذا، فإن الشيخ لم يلق الشيخ الألباني -رحمه الله- إلا مرتين سجل لقاءاته وأسئلته فيهما على 'أشرطة كاسيت' ونشرت هذه اللقاءات باسم "مسائل أبي إسحاق

الحويني"، وهاتفه بضع مرات. فأخذ علمه عن الشيخ من كتبه ومحاضراته المسموعة، ومن هاتين المرتين.

وذهب الشيخ إلى المملكة العربية السعودية، فأخذ عن:

* الشيخ عبد الله بن قاعود - رحمه الله-. حضر بعض مجالس في شرح كتاب "الكافية في الجدل" للإمام الجويني، وكان يقرأ عليه آنذاك الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله-.

* الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله-. حضر بعض مجالس في مسجده المسجد الكبير في شروح لكتب: "سنن الإمام النسائي"، "مجموع الفتاوى" للإمام ابن تيمية، و"كتاب التوحيد" للإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله-.

* كما قابل الشيخ الشيخ ابن العثيمين - رحمه الله- في الحرم، ودخل غرفته الخاصة وسأله عن بعض مسائل.

الثناء عليه

* قد قدمنا وصف الشيخ الألباني - رحمه الله- للشيخ أنه: تلميذه.

* وقد قال له - في لقاءه به في عمان -: قد صح لك ما لم يصح لغيرك. اهـ.

* وقال (الصحيحة ج ٥ ح ٢٤٥٧) مختصاً المشتغلين الأقوياء في علم الحديث: فعسى أن يقوم بذلك بعض إخواننا الأقوياء في هذا العلم كالأخ علي الحلبي، وسمير الزهيري، وأبي إسحاق الحويني، ونحوهم جزاهم الله خيراً. اهـ.

*وأيضاً (الصحيحة ج ٧ ح ٣٩٥٣ والذي نُشرَ بعد وفاته): هذا، ولقد كان من دواعي تخريج حديث الترجمة بهذا التحقيق الذي رأيته؛ أن أخانا الفاضل أبا إسحاق الحويني سئل في فصله الخاص الذي تنشره مجلة التوحيد الغراء في كلِّ عددٍ من أعدادها، فسئل -حفظه الله وزاده علماً وفضلاً- عن هذا الحديث في العدد الثالث (ربيع الأول ١٤١٩ هـ) فضعفه، وبين ذلك ملتزماً علم الحديث وما قاله العلماء في رواة إسناده، فأحسن في ذلك أحسن البيان، جزاه الله خيراً، لكنني كنت أودُّ وأتمنى أن يُتبع ذلك ببيان أن الحديث بأطرافه الثلاثة صحيح؛ حتى لا يتوهم أحدٌ من قراء فصله أن الحديث ضعيفٌ مطلقاً، سنداً ومتناً، كما يشعر ذلك سكوته عن البيان المشار إليه. أقولُ هذا، مع أنني أعترفُ له بالفضل في هذا العلم، وبأنه يفعلُ هذا الذي تمنّيته له في كثير من الأحاديث التي يتكلم على أسانيدِها، ويبينُ ضعفها، فيتبع ذلك ببيان الشواهد التي تُقوي الحديث، لكن الأمر -كما قيل-: كفى بالمرء ثبلاً أن تعدَّ معاييه. اهـ.

*وقال الشيخ عبد الله بن آدم الألباني -حفظه الله- ابن أخي الشيخ (في رسالة خطية بعث بها لأبي عمرو أحمد الوكيل والذي بدوره نشر صورته في كتابه "المعجم المفهرس للأحاديث النبوية والآثار السلفية التي خرَّجها فضيلة الشيخ أبو إسحاق الحويني" ص ١٧٥٩): في شتاء عام ١٤١٠ هـ زارنا الشيخ الألباني -رحمه الله- في دارنا، وعرضتُ عليه جملة من الأسئلة، أذكرُ منها السؤال التالي: يا شيخ! من ترى له الأهلية من المشايخ لسؤاله في علم الحديث بعد رحيلكم، وإن شاء الله بعد عمرٍ طويل؟ فقال: فيه شيخٌ مصري اسمه أبو إسحاق الحويني، جاءنا إلى عمان منذ فترة ولمستُ معه أنه معاً على الخط في هذا العلم. فقلت: ثم من؟ قال: الشيخ شعيب الأرنؤوط. قلت: ثم من؟ قال: الشيخ مقبل بن هادي الوادعي. اهـ.

*وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد -حفظه الله- في مقدمة كتابه "التحديث بما لا يصحُّ فيه حديث" (ط ١ ص ٩-١٠) وذكر من أفرَد كتباً لهذا النوع من التأليف، فذكر أربعة، كان الثالث والرابع منها كتابي الشيخ "فصل الخطاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب"، و"جنة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب". قال: والأول

أَخْصَرُ مَنْ الثَّانِي، لَكِنَّ فِيهِ مَا لَيْسَ فِي الْآخِرِ، وَكِلَاهُمَا لِأَبِي إِسْحَاقَ الْحَوِينِيِّ
حَازِي بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ شَرِيفٍ. اهـ.

*وَقَالَ أَيْضاً فِي الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ (ط ١ ص ٢١): "جَنَّةُ الْمُرْتَابِ" أَوْعَبُ كِتَابٍ
رَأَيْتُهُ لَتَخْرِيجٍ وَنَقْدٍ هَذِهِ الْأَبْوَابِ، وَهُوَ فِي ٦٠٠ صَفْحَةٍ. اهـ.

مَشْرُوعَاتُهُ الْعِلْمِيَّةُ

لِلشَّيْخِ مَا يَرَبُّو عَلَى الْمَنَّةِ مَشْرُوعٍ، مِنْهَا مَا قَدْ اكْتَمَلَ، وَمِنْهَا مَا لَمْ يَكْتَمَلْ، تَتَرَاوَحُ
مَا بَيْنَ التَّحْقِيقَاتِ وَالتَّخْرِيجَاتِ وَالِاسْتِدْرَاكَاتِ وَالنَّقْدِ وَالتَّأْلِيفِ الْخَالِصِ. فَمِنْهَا:

** "تَنْبِيهُ الْهَاجِدِ إِلَى مَا وَقَعَ مِنَ النَّظَرِ فِي كُتُبِ الْأُمَاجِدِ".
تَأْلِيفٌ/اسْتِدْرَاكٌ

** "تَسْلِيَةُ الْكُظَيْمِ بِتَخْرِيجِ أَحَادِيثِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ" لِلْإِمَامِ ابْنِ كَثِيرٍ.
تَأْلِيفٌ/تَحْقِيقٌ وَتَخْرِيجٌ

** "تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ" لِلْإِمَامِ ابْنِ كَثِيرٍ. (هُوَ اخْتِصَارٌ لِلْكِتَابِ السَّابِقِ)

** "نَاسِخُ الْحَدِيثِ وَمَنْسُوخُهُ" لِلْإِمَامِ ابْنِ شَاهِينَ. تَحْقِيقٌ

** "بُرْءُ الْكَلَمِ بِشَرْحِ حَدِيثِ قَبْضِ الْعِلْمِ". تَأْلِيفٌ (شَرْحُ حَدِيثٍ: إِنَّ اللَّهَ لَا
يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً...)

** "الْفَوَائِدُ" لِلْإِمَامِ ابْنِ بَشْرَانَ. تَحْقِيقٌ

** "الْمُنْتَقَى" لِلْإِمَامِ ابْنِ الْجَارُودِ. تَحْقِيقٌ

**** "تعلّة المفنود شرح منتقى ابن الجارود". تأليف/تحقيق حديثي مع**

بحوث فقهية

**** "الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج" للسيوطي. تحقيق وتخریج**

**** "مسامرة الفادّ بمعنى الحديث الشاذّ". تأليف**

**** "النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة". تأليف**

**** "المعجم" للإمام ابن جُمع. تحقيق**

**** "نبع الأمانی في ترجمة الشيخ الألبانی". تأليف**

**** "الثمر الدانی في الذبّ عن الألبانی". تأليف**

.....وغيرها.

خطبه ومحاضراته

للشيخ خطبتان في كلّ شهر عربيّ، الجمعة الأولى والثالثة، ومحاضرة كلّ يوم اثنين، بين المغرب والعشاء، وكلّهم في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية بمدينة كفر الشيخ.

رحلة الشيخ العلمية

يقول الشيخ – حفظه الله - :

كان أول ما فتحت عيني على العلوم الشرعية سنة (١٩٧٤م) أو (١٩٧٥) مع مطلع ازدهار الدعوة السلفية في مصر، وقد كنت أصلي في مسجد العين الحياة الذي كان خطيبه الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله، فكان تجار الكتب يعرضون هناك أصنافاً شتى من الكتب، وبعد أن نهي الصلاة ننظر في هذه الأرففة، فلفت نظري كتاب اسمه (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم) للشيخ الألباني بالحجم الصغير، الطبعة الثانية، فتناولت الكتاب وقرأت في مقدمته شيئاً وأنا واقف، فأعجبني أسلوبه، ونظرت إلى حواشي الكتاب فأحسست بفخامة الكتاب، ولكن لا أفهم شيئاً، فسألت عن سعر الكتاب، فكان وقتها أظن بـ (١٥) قرشاً، ولم أكن أقدر على ذلك الثمن آنذاك، فقلت: أوْجله للأسبوع القادم، فدرت أيضاً أبحث، فوجدت (تلخيص صفة صلاة النبي) للشيخ الألباني، فتناولته وكان بقرشين أو ثلاثة تقريباً، فلما قرأت هذا الكتاب وجدته يزلزل ما ورثته من الصلاة عن آبائي، أشياء جديدة جداً ومختلفة، فجعلت أحلم باقتناء الأصل، وأنا ما زلت خائفاً أنني إذا رجعت إلى المسجد مرة أخرى ألا أجده، فقد يشتريه أحدهم، فعندما اشتريت الأصل -كما يقال- ألقيت الألواح ولاح لي المصباح ونور الصباح، وقرأت المقدمة التي -أحمد الله عز وجل- أوقفنتي على الطريق من البداية.

إن الإنسان الذي يتردد ما بين الأفكار لا يكون منهجه سليماً أبداً، مرة يكون على الفكر الفلاني، فيكتشف أنه أخطأ ثم يحول إلى الفكر الآخر فيكتشف أنه أخطأ مرة أخرى، لكن إذا فتح الله عز وجل عينه على المنهج الصحيح من أول أمره فهذا يكون له فاتحة خير.

فمقدمة الشيخ الألباني على كتاب صفة الصلاة من أمتع ما قرأت في حياتي حتى الآن، لأنها لخصت القسم الثاني من الشهادة (وأشهد أن محمداً رسول الله) أي: لا متبوع بحق سوى النبي عليه الصلاة والسلام.

فالله تبارك وتعالى لا شريك له في العبادة، والنبي عليه الصلاة والسلام لا شريك له في الاتباع، فهذه المقدمة كانت مقدمة نفيسة، بدأت أشعر بها أن علم الحديث هو العلم الذي بدونه تبقى العلوم كلها مغلقة، لا تشعر بطعمها ولا حلاوتها؛ لأن علم الحديث علم خادم، وبقية العلوم مخدومة.

ولك أن تتصور منزلاً فيه أمير، ولكنه لا يستطيع أن يصنع لنفسه كوباً من الشاي! فهو لا يستغني عن الخادم، فبقاء الخادم هو بقاء حياته، كذلك علم الحديث بالنسبة لبقية العلوم الأخرى، علم الحديث يحتاج إليه المتكلم في التوحيد والتفسير والفقه؛ لأن أكثر الأدلة التفصيلية جاءت من السنة، فلو لم يكن الفقيه عالماً بتصحيح الآثار، فمن السهل جداً أن يقصر، بل قد وجدنا هذا في كتب الفقه، وكم من واجب صرفوه إلى مستحب بدليل وإيهام ضعيف أو العكس، ولذلك تجد الفقيه المعظم للدليل العالم بصحيحه من سقيمه؛ تجد لفقه حلاوة لا تجدها للفقيه الصرف.

وخذ مثلاً بشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، عندما يتحدثون في الفقه تشعر أن الفقه مثل الحكاية، تقرأ ولا تمل، لكن اقرأ بعض كتب المعاصرين لشيخ الإسلام ابن تيمية ممن بلغ رتبة الاجتهاد في المذهب، كـ علي بن عبد الكافي المعروف بـ تقي الدين السبكي، وقد كان في نظر البلقيني وولي الدين العراقي -ابن الحافظ زين الدين العراقي - قد وصل إلى رتبة الاجتهاد، وقد وقعت محاورة بين ولي الدين العراقي وبين شيخه البلقيني، يقول ولي الدين لشيخه البلقيني: لماذا تقي الدين السبكي إذا أفتى يفتي بخلاف الدليل، مع أنه بلغ رتبة الاجتهاد؟ فسكت البلقيني ولم يجبه، فقال ولي الدين العراقي: أظن ذلك لأجل الوظيفة، فقد كانت هناك مدارس في تلك الفترة، فمدرسة تدرس الفقه الشافعي، ومدرسة تدرس الفقه الحنفي، وأخرى الحنبلي إلخ، فلم يكونوا يسمحون لـ تقي الدين السبكي أن يخالف المذهب الشافعي، ولما فعل ذلك ابن رجب الحنبلي مع نباهته اعتزله الحنابلة؛ لأنه خالف ابن تيمية، فـ ابن رجب أراد أن يقول: إن ابن تيمية مع جلالته ليس نبياً معصوماً، ومن ذلك أنه خالفه في مسألة الطلاق ثلاثاً، فقد كان ابن تيمية يوقعها واحدة وابن رجب يوقعها ثلاثاً كبقية المذاهب.

فكذلك جماهير العوام من الشافعية لا يتحملون مخالفة تقي الدين السبكي للمذهب الشافعي، فولي الدين قال: أرى أن ذلك لأنه كان يشغل منصب قاضي القضاة، وله فضائل على الشافعي.

قال: فتبسم البلقيني.

وكانه أقره على مثل هذا، فأنت عندما تقرأ لـ تقي الدين السبكي في أي مسألة فقهية تشعر أن أمامك عقبات لا بد أن تتجاوزها، ألفاظاً من صعوبتها- تحتاج أن تفتح القاموس لكي تفهمها، بخلاف شيخ الإسلام ابن تيمية، عندما تقرأ له تشعر بالحلاوة، حلاوة الفقه والعرض، وتشعر معه أن المسألة هبة من الله سبحانه وتعالى.

فكانت مقدمة الشيخ الألباني في وجوب اتباع النبي عليه الصلاة والسلام مع تشديد نقل ما قاله الأئمة المجتهدون في تعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام، وأنه لا ينبغي لأحد أن يوضع في مقابل النبي عليه الصلاة والسلام، وجدد لنا الكلام الذي لم نكن نعرفه عن علماء (إذا صح الحديث فهو مذهبي) ونحو هذه العبارات.

فعندما قرأت هذه المقدمة وجدت أن علم الحديث ينبغي أن يكون هو أولى العلوم الأكاديمية التي أدرسها، وأقول: (الأكاديمية) حتى لا يُستدرك علي بعلم التوحيد، أقول: أول العلوم الأكاديمية علوم الآلات، طالما دخلنا في الدراسة بعد اعتقادنا أنه لا بد من دراسة العلم العيني، الذي لا تصح عبادة المرء إلا به، وإذا كان هناك جهد إضافي فيكون في علم الحديث.

حضور دروس الشيخ المطيعي رحمه الله

في تلك الفترة كان الشيخ المطيعي رحمه الله صاحب تكملة المجموع في شرح المذهب للنووي، يعطي في ذلك الوقت أربعة دروس في بيت طلبة ماليزيا، فكان يشرح صحيح البخاري والمجموع للنووي وكتاب الأشباه والنظائر للسيوطي.

فبدأت أواظب على حضور دروس الشيخ المطيعي رحمه الله، ولكنني تكاسلت عن حضور هذه الدروس في أواخر حياة الشيخ المطيعي في مصر بسبب كلمة قالها في الشيخ الألباني، والألباني هو الذي فتح عيني على الحق فأواليه، وهذه طبيعة الإنسان، ولذلك استأذنت أن أقول: من المفروض أن الإنسان عندما يدرس الفقه

يدرسه بالدليل؛ لأنك بهذا تجعل الطالب يوالي صاحب الكلام، الذي هو الرسول عليه الصلاة والسلام.

وكان من ضمن المسائل التي تكلم فيها المطيعي رحمه الله مسألة قضاء الفوائت، والمعلوم أن الجماهير يقولون بوجوب القضاء حتى على المتعمد، خلافاً لـ ابن حزم ومن نحا نحوه كـ ابن القيم مثلاً، واختار هذا القول الشيخ الألباني. فأنا عندما قرأت على الشيخ المطيعي ووصل إلى هذا الموضوع في تدريس الفقه، قال: إن الصواب الإعادة.

- فقلت: يا شيخ! هناك من العلماء من يقول: إنه لا يستطيع أن يقضيها ولو أراد؛ لأن الصلاة فاتته من عشر سنوات فكيف يقضيها الآن، والله عز وجل يقول: {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} [النساء: ١٠٣] (موقوتاً) أي: لها وقت أول ووقت آخر، فكما لا يجوز أن يصلي المرء قبل الوقت لا يجوز أن يصلي بعد الوقت. - فقال لي: من قال بهذا؟ - فأنا كنت حديث عهد، ما قرأت في المحلى ولا أعرف أن هذا مذهب ابن حزم، فقلت له الشيخ: الألباني.

- قال: من الألباني؟ - قلت: هذا عالم.

- قال لي: من أصحابنا -أي: الشافعية-؟ - فقلت له: لا، هو عالم معاصر.

- قال لي: دعك من المعاصرين.

بعد ذلك جئت أكلّم الشيخ المطيعي على مختصر البخاري للشيخ الألباني، وقال لي: إن البخاري لو أحياه الله لقال: لا أعرف هذا الكتاب، وإن مثل هذا المختصر كمثّل رجل كتب حديثاً ثم مزقه -أي: الأوراق- وبدأ يجمع الأوراق مرة أخرى.

فالحقيقة بعدما سمعت هذا الكلام غضبت قليلاً وقلت: طالما أنه يقع على الشيخ الألباني فأنا لا أحضر الدرس، وتقاعست عن حضور الدروس مدة شهر أو شهرين، لكنني شعرت بحاجتي الشديدة لهذه الدروس، فما استطعت أن أتركها، وتبين لي مقدار الخسارة في ترك مثل هذه الدروس، خاصة لما قرأت تراجم العلماء وأنه لا يجوز للطالب أن يهجر أستاذه إذا وجد في خلقه شدة أو نحو ذلك، ولقد تأثرت بما قرأته في ترجمة الطيماني الحنفي عندما قال: كنت أقرأ سنن الدارقطني عليه، فوقع الدارقطني في أبي حنيفة فتركت مجالسته، فمات الدارقطني وما قرأت عليه السنن، قال: ما ضر الدارقطني أنني لم أقرأ، وندم كثيراً؛ لأنه تغيب عن هذه المجالس وفاته الخير الكثير.

وهذا خلق مذموم من الطالب أن يهجر شيخه لمجرد أنه آنس منه شيئاً يخالف هواه، كان الأعمش رحمه الله يشتد على طلبته، لدرجة أنه كان يهينهم أحياناً، جاءه راو مشهور فقال: يا أبا محمد! اكتريت حماراً بنصف دينار وجئت لأسمع منك حديثاً.

فقال له: اكتر بالنصف الآخر وارجع، وأبى أن يحدثه. وجاءه طالب آخر، فقال له: يا أبا محمد! حديث كذا وكذا ما إسناده؟ فأخذ بحلقه فألصقه بالحائط وقال: هذا إسناده، ولم يجبه، ولم يعطه الحديث. والمشهور أن الأعمش ربي له كلباً، كان إذا سمع همهمتهم ودببة أرجلهم كان يطلق عليهم الكلب، وكان شعبة بن الحجاج وسفيان الثوري لما يرجعون إليه مرة أخرى، فكان الأعمش يقول لهم: لو تركتم ما عندي لسوء خلقي خسرتم. فالحقيقة أن كلام الشيخ المطيعي في الألباني هون قليلاً من الاستفادة الكبرى والمواظبة التي كنت أواظبها على الشيخ المطيعي؛ لأن الألباني أول من فتح عيني على المنهج الحق، فصرت أواليه وأحبه، حتى إنه كان في فترة من الفترات في بداية الدعوة السلفية في مصر كان يوالى ويعادى على شخص الشيخ الألباني، وكنا نرى أن هذا مشروع، بدليل قول العلماء: إذا رأيت الرجل يبغض أحمد؛ فاتهمه على الإسلام، أي: لا يجتمع بغض أحمد مع السنة؛ لأن الإمام أحمد علم مشهور عندما يصفونه يقولون: إمام الحديث والسنة، مما يشعرك أن الرجل قد يكون إماماً في الحديث وليس إماماً في السنة، فكنا نأتي بمثل هذه الأقوال، ونقول: الألباني في زماننا مثل الإمام أحمد في زمانه، فنحن نوالي ونعادي عليه، فكانت هذه لها بعض السلبات.

رحلتي مع علم الحديث

لما أردت أن أقرأ في علم الحديث لم أكن أعرف إطلاقاً اسم كتاب من كتب المصطلح، فبدأت أذهب إلى المكتبات أبحث في الأرفف عن أي كتب في الحديث، فأول كتاب تناولته -وهو الذي فتح عيني- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني، فأخذت هذا الكتاب، وبدأت أعرف أن هناك أحاديث مكذوبة، وبدأ هذا الكتاب يعكر علي المتعة العظيمة التي كنت أعيشها مع الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله، لقد كنت أذهب إلى خطبة الجمعة متعجلاً في الأسبوع كله، أتمتع بالإلقاءات

والأحاديث، ولكن اكتشفت فيما بعد أن الشيخ رحمه الله كأنه كان يحضر خطبة الجمعة من الفوائد المجموعة، من كثرة الأحاديث الموجودة فيه.

فأول حديث وقفت عليه في الكتاب وسمعته من الشيخ عبد الحميد رحمه الله كان حديث: (إن الله يتجلى للناس عامة، ويتجلى لـ أبي بكر خاصة) كان الشيخ -رحمه الله- له درس بعد صلاة المغرب، وكان الناس يأتون يقبلون يده بكثرة، فما استطاع أن يمنعهم، فصار يتركها، يجلس على الكرسي ويمد يده، فمن مقبل ومن مصافح، ونحو ذلك.

فأنا وقفت في الطابور من أجل أن أنتظر دوري في السلام فسلمت عليه، وهمست في أذنه، وقلت: يا شيخ! هناك حديث قرأته لـ ابن القيم رحمه الله قال فيه: الحديث مكذوب وموضوع، وهو حديث كذا وكذا، قال لي: لا، هذا الحديث صحيح. فما راجعته.

لكن هذا الكتاب فتح عيني على أن هناك أحاديث موضوعة ومكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهناك أحاديث نسمعها من الواعظين ومن هم في نظرنا من العلماء؛ لأننا لم نكن نفرق آنذاك بين العالم والواعظ، فوجدت كثيراً من الأحاديث التي يحتج بها هؤلاء موجودة ضمن هذه المجموعة، فشدني هذا أكثر إلى ضرورة دراسة علم الحديث؛ حتى أميز بين الأحاديث الصحيحة من الأحاديث الموضوعة والمنكرة والشاذة.

وبعد اقتناء هذا الكتاب صار عندي قناعة كاملة في ضرورة دراسة هذا العلم الشريف، وبينما أنا أطوف أيضاً على الكتب وجدت أول مائة حديث من سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ الألباني، لما تناولت السلسلة الضعيفة ووجدت أن الشيخ كان حريصاً على أن يحقق أشهر الأحاديث على السنة الناس، فأصبحت بشيء من الإحباط، وظننت أنه لا يوجد حديث صحيح؛ من كثرة الأحاديث المشهورة على ألسنتنا التي أوردها الشيخ في السلسلة الضعيفة.

فبدأت مع الشيخ المطيعي رحمة الله عليه أفهم لأول مرة المصطلحات التي كان يقولها عن الإسناد وأنا لا أفهمها، سألته عن كتب أستعين بها، فدلني على كتاب اسمه (احتراز السنة في تبسيط علوم الحديث)، فأخذت هذا الكتاب، ومن خلال حواشي الكتاب عرفت كتب الفن التي ينقل منها، مثل: تدريب الراوي، وفتح المغيبي، توضيح الأفكار، وغيرها من الكتب التي بدأت أنقب عنها.

المهم: وصلت إلى المائة الأولى من السلسلة الضعيفة، ووجدت أن الشيخ الألباني له أحكام مختلفة على الحديث، فمرة يقول: باطل، ومرة يقول: موضوع، ومرة يقول: منكر شاذ ضعيف معل، فسألت نفسي: هل هذه الألفاظ كلها لها معنى واحد أم لها معانٍ مختلفة، أو أن الإنسان عنده الحرية أن يعبر بأي لفظ من هذه الألفاظ على أي حديث؟ فبدأت دراسة السلسلة الضعيفة، وكانت من أمتع الدراسات التي درستها ونفعني الله عز وجل بها كثيراً في تمييز الأحاديث.

أول حديث حققت معناه (المنكر)، والمنكر في الاصطلاح: هو مخالفة الضعيف للصدوق، فحديث الصدوق يكون مقبولاً، وحديث الضعيف يكون منكراً، لكن أجد أحياناً أن الثقة إذا خالف فإنه يكون منكراً أيضاً، فبدأت بهذه الطريقة، حتى استكملت الخمسة الأجزاء الأولى -التي هي الخمسمائة حديث الأولى- مع بقية السلسلة، وبدأت أنظر في كل حديث قال فيه الشيخ الألباني: منكر، هل هناك سمة معينة في كل حديث قال فيه: منكر، بحيث أعرف حد المنكر أم لا؟ فقرأت كل الأحاديث التي قال فيها: منكر كاملة، فلم أجد شيئاً أستطيع أن أفسره آنذاك، لكن صار عندي رسم للمنكر ونفيه، أول ما أرى هذا الحديث أعرف أنه منكر، ولا يقال عليه مثلاً: باطل أو موضوع أو نحو ذلك.

هناك فرق كبير جداً ما بين المحدث والرجل العالم بالاصطلاح، المحدث نادر الوجود، إنما الذي يعرف الاصطلاح كثيرون، فأنت ربما وجدت رجلاً لم تقف له على تحقيق حديث، لكن له فهم في مصطلحات أهل الحديث، وهذا ليس صعباً، لكن هل هو محدث بمعنى: هل له ملكة يستطيع بها تمييز الحديث الصحيح من الضعيف؟ هناك فرق كبير ما بين الشيخ الألباني -كرجل محدث، اختلط الحديث بشحمه ولحمه على مدار ستين سنة- وبين كثير من الفقهاء الذين صنف بعضهم رسائل في مصطلح الحديث.

أبو حاتم الرازي ألقى عليه مرة حديث رواه الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله الأنصاري، فقال: هذا لا يشبه أحاديث الأعمش، هذا يشبه أحاديث عمرو بن الحصين.

مع العلم أن عمرو بن الحصين كذاب، والأعمش كان مدلساً، فمن المحتمل أن يكون الأعمش دلسه.

يقول أبو حاتم الرازي: إنه دخل بعد عدة سنوات بلداً من البلدان لطلب الحديث، فإذا به يجد هذا الحديث عن الأعمش عن عمرو بن الحصين عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن جابر، فصدقت فراسة أبي حاتم الرازي، التي يسميها العلماء الملكة، وهذه الملكة لا تتأتى إلا بكثرة الممارسة، وهذه الملكة ليست مقصورة على علم الحديث فقط، بل كل الصناعات خاضعة للملكة من ذلك: كنت أقف مع رجل ميكانيكي سيارات، وكان أمامنا طريق سريع، فمرت سيارة بسرعة ولها صوت مزعج، صاحبي الميكانيكي قال لي: هذه السيارة التي مرت ولها صوت مرتفع ليست مشحمة، والعجيب أن صاحب السيارة كان آت إلى هذا الميكانيكي، فأول ما رآه الميكانيكي قال له: السيارة تحتاج إلى شحم.

فقال له: أنت تعلم الغيب! فقال له: أنا بمجرد سماعي للصوت أعرف العلة أين، فعندما فحص السيارة وجد فعلاً أنه ليس فيها شحم.

فهذا الميكانيكي صبي له عشر سنين استطاع أن يعرف خلل السيارة سريعاً، وما ذلك إلا بسبب الممارسة المستمرة للعمل.

فالمسألة ليست مقصورة على علم الحديث، أن يقال: إن علم الحديث هو الذي يحتاج إلى ملكة فقط، بل كل العلوم، والإنسان تزداد خبرته في هذا العلم مع طول الوقت وبالتالي يحصل هذه الملكة.

لذلك هناك فرق بين المحدث والمتكلم في المصطلح، التكلم في المصطلح سهل جداً، أنا قد أقرأ قواعد اللغة العربية وأتكلم وأقول: هذا مرفوع وهذا منصوب وهذا مجرور، لكن متى يظهر علم العالم؟ يقول الشافعي رحمه الله: إنما العالم الذي يعرف الاختلاف، ليس العالم الذي يعرف الاتفاق أن يقال: أجمعوا على كذا، إنما العالم هو الذي يعلم الراجح من اختلافه، فيقال: أهل الكوفة قولهم كذا، وأهل البصرة قولهم كذا، والراجح كذا، فالعلم في الحقيقة هو علم الخلاف.

ومن مسائل علم الحديث: التفريق بين الباطل والموضوع، حيث أنهما لا يحتاج بهما، لكن علماء الحديث جعلوا جل حكمهم على الموضوع إذا كذبه أحد الرواة، فإذا كان هناك كذاب في السند فإنهم يقولون عليه: موضوع، وإذا كان في الحديث رجل صدوق، لكنه سيء الحفظ يقولون: باطل، وهذه مسألة اصطلاحية، ولا مانع أن تجد أحد العلماء يضع هذه التسمية مكان تلك.

فمثلاً: حديث: (من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار) كان شريك بن عبد الله النخعي رجلاً مداحاً، يجلس في المسجد يملي على الطلبة، فقال مرة: حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال، فدخل ثابت بن موسى الزاهد من الباب -وسمي الزاهد لزهده وعبادته وورعه- فعندما رآه شريك أحب أن يرحب به، فقال له: (من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار) أراد أن يداعبه، فظن ثابت بغفلته أن هذا هو الحديث، فخرج ثابت بن موسى الزاهد من المسجد يقول: حدثني شريك قال: حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار) فهذا الحديث دخل على ثابت لغفلته، ما كذبه ولا افتراه، فنحن عندما نأتي نحكم على هذا الحديث نقول: هذا باطل، لا نقل: موضوع؛ لأنه ما كذبه، ومع ذلك هناك من العلماء من يقول: هذا الحديث موضوع، كـ العراقي في الألفية يقول: والواضعون بعضهم قد صنعا من عند نفسه وبعضاً وضعوا كلام بعض الحكماء في المسند ومنه نوع وضعه لم يقصد نحو حديث ثابت (من كثرت صلاته) الحديث وهلة سرت يريد أن يبين أن هناك بعض الواضعين الذين وضعوا الأحاديث وتعمدوا الكذب، وهناك نوع آخر وضعه لم يحفظ وهو المغفل.

وحديث ثابت قد خفي أمره على القضاة، فأورد هذا الحديث في مسند الشهاب وقواه بخمس طرق، وفق الكذابون له أسانيد من عندهم، فلم يفتن القضاة لهذا، وقوى الحديث بهذه الطرق.

دخل الكسائي على هارون الرشيد، وكان هارون الرشيد متكئاً، فلما دخل الكسائي عليه؛ قال له هارون: اجلس. قال: بل أقعد يا أمير المؤمنين.

أي: لا تقل لي: اجلس، ولكن قل لي: اقعد، فقال هارون: فما الفرق بينهما؟ قال له: القعود يكون من وقوف، والجلوس يكون من اتكاء، كما في الحديث: (وكان متكئاً فجلس) ومع ذلك فإن العرب تضع الجلوس للقيام، لكن ليس هذا هو الغالب. فالحقيقة: أن سلسلة الأحاديث الضعيفة قضيت معها نحو سنتين من عمري أتأمل وأقرأ وأعيد القراءة مرة بعد مرة .

مع الشيخ الألباني

بعد نحو عشر سنوات تقريباً جاء الشيخ الألباني حفظه الله إلى مصر سنة (١٩٧٦م) وحاضر في أنصار السنة في العابدية، لكنني ما استطعت أن ألتقي به، لكنني التقيت بالشيخ حفظه الله أول مرة (سنة ١٤٠٧هـ) لما رحلت إلى الأردن، وكان بصدد إصدار بعض الكتب، وأذكر أنه كان يوجد هناك طالب غال في حب الشيخ ناصر، والغلو لا يأتي بخير أبداً، وهو الآن عدو للشيخ الألباني، وهذا الطالب ذكره الشيخ ناصر في مقدمة كتابه (مختصر الشمائل) ذكر أنه لما نزل الأردن أخلى داره للشيخ الألباني وأهله، وذهب يستأجر لنفسه داراً أخرى لمدة ثلاثة أشهر، حتى بنى الشيخ الألباني داره التي يسكن فيها.

فهذا الذي تطوع هو الذي أعطى الشيخ الألباني فكرة سابقة عني، وهو الذي سهل لي أن ألتقي به، وإلا كانت المسألة صعبة جداً.

كان أعظم شيء اكتسبته في الرحلة إلى الشيخ الألباني الأدب، لا العلم، فمصاحبة العلماء مسألة في غاية الضرورة، وعندما رأيت الشيخ قلت في نفسي: إن هذا الرجل سقط سهواً من القرون الأولى، نظرة الحديث واضحة على وجهه، وتواضعه الشديد وهضمه لحجم نفسه.

قلت له مرة: يا شيخ! أنت قلت بأنه يجوز تقبيل يد العالم.

قال: العالم، وهل رأيت عالماً؟ قلت له: أنا أرى الآن عالماً.

قال: لا، أنا طوئلب علم.

لا أنسى أبداً هذه الجملة، كم أثرت هذه الجملة في نفسي! هذه الرحلة بالرغم أنها كانت قصيرة قرابة شهر، إلا أنها كسرت هذا الأمر تماماً، وندمت أن الإنسان لم يبق في الأردن فترة طويلة يلزم الشيخ حتى يتعلم منه الأدب، لكن على أية حال هذا جاء مجمل الكلام على طلب الحديث خاصة.

وقد كنا نحضر في الجامع الأزهر عند كثير من المشايخ، ندرس الفقه والقراءات والنحو، وليس في سيرتي شيء أكثر يستحق الذكر.

والله أعلم.

بدر التمام في ترجمة الشيخ الإمام^(١)

إن للعلماء أهمية عظيمة في حياة الناس فهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى، وإليهم يرجع الناس في المدلهمات والفتن.
وإن من أولئك العلماء الربانيين الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الذي ظل طوال حياته يدفع عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحريف المحرفين وانتحال المبطلين، فأحيا الله به السنن، وأمات به البدع.
وإن كانت الأمة قد فقدت هذا الإمام إلا أن آثاره ستبقى بارزة المعالم لكل من أراد معرفة سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

خسارة فقد العلماء

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

(١) محاضرة للشيخ - حفظه الله - أتيننا بها هنا لما فيه من الفوائد والعبر في رحلة الشيخ لمحدث الديار الشامية محمد ناصر الدين الألباني وقصته معه .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

فدرسنا هذا المساء بعنوان (بدر التمام في ترجمة الشيخ الإمام) وهي ترجمة مختصرة لشيخنا الشيخ الإمام حسنة الأيام، ومحدث بلاد الشام بل بلاد الإسلام، عميد السلفيين، وشيخ المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين، شيخنا أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

ففي يوم السبت الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة (١٤٢٠هـ) الموافق الثاني من شهر أكتوبر سنة (١٩٩٩م) قضى الله عز وجل قضاءه بالحق، وألحق بالرفيق الأعلى شيخنا رحمه الله، وقبض ملك الموت وديعته في الأرض، واستودع مسامعنا من ذكره اسماً زاكياً، ومن عمى الأبصار من رسمه شخصاً تالياً.

وإني والله لحقيق بقول متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكا فقال: لَقَدْ لَامَنِ عُنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَارِ فَيَقِي لِنْدَرَاكِ الدُّمُوعِ السَّوَاكِ وَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ لِقَبْرِ ثَوَى بَيْنَ اللَّوَى فَالْدَّكَادِكِ فُقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشَّجَى يَبْعَثُ الشَّجَى فَدَعْنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكٍ وَفَاةُ الشَّيْخِ الْأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ خَسَارَةٌ جَسِيمَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، فقد اندك بموته أقوى معقل كان يرسل الشيخ منه القذائف على خصوم الإسلام الشيخ الألباني وإحياء السنة

أول معرفتي بشيخنا -رحمه الله- كانت سنة (١٣٩٥هـ) كنت أصلي في مسجد (عين الحياة) خلف الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله، وبعد انتهاء الصلاة كنت أطوف على البائعين الذين يبيعون الكتب، ففي يوم من الأيام وقفت على كتاب (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم من التسليم إلى التكبير كأنك تراه) فأخذت الكتاب بيدي وقلبته، ولكنه كان باهظ الثمن، فتركته ومضيت أبحث عن كتاب آخر، فإذا بي أجد كتيباً لطيفاً بعنوان (تلخيص صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ الألباني) فاشتريته بخمسة قروش، وتصفحته وأنا في طريقي إلى مسكني، فوجدت ما فيه يخالف ما ورثته من الصلاة عن آبائي؛ إذ أن كثيراً من هيئات الصلاة لا تمت إلى السنة بصلة؛ فندمت ندامة الكسعي أنني لم أشتري الآخر.

والكسعي هذا رجل يضرب به المثل في الندم، وقصته أنه كان رجلاً رامياً، وكان لا يخفق في رميه، فرمى بالليل ظبَاء، فظن أن السهم لم يصب الظباء فكسر

قوسه، وقيل: قطع إصبعه، فلما أصبح وجد الطباء ميتة وسهمه فيها، فندم أنه كسر السهم، وصار مثلاً يقال: ندامة الكسعي ومنه قول الفرزدق: ندمتُ ندامة الكسعيّ لما غدت مئيّ مُطْلَقَةً نوار فندمت ندماً شديداً أنني لم أشتَر ذلك الكتاب، وظللت أبحث عن ثمن الكتاب طيلة الأسبوع حتى وفقتني الله عز وجل لشرائه في الجمعة التي بعدها، فلما قرأت الكتاب كنت كما قال القائل: (ألقيت الألواح، ولا ح لي المصباح من الصباح) ووجدت نموذجاً فريداً في التصنيف، مع أنني ما كنت أفهم شيئاً قط من الحاشية التي كتبها الشيخ رحمه الله، ولكنني أحسست بفحولة وجزالة لم أعهد لها في كل ما قرأته من قبل، فملك عليّ هذا الكتاب حواسي، وكنت في كل جمعة أبحث عن مصنفات الشيخ ناصر الدين الألباني، حتى وقفت على كتاب (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة) وقفت على المائة الحديث الأولى، وهذا الكتاب هو الذي فتح عيني وأنار بصيرتي.

وكان لهذا الشيخ رحمه الله الفضل ليس عليّ فقط، ولكن على أبناء جيل الإسلام، فإن هذا الشيخ المبارك كان له من الأثر ما لم يفعله كثير من العلماء، فما من رجل ينسب إلى السنة في هذا الزمان إلا وللشيخ عليه فضل، دق أو جل.

ومن بعدها لم أكن أصلي في مسجد عين الحياة خلف الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله؛ لأن الشيخ رحمه الله كان على رغم ما له من فضل، فكل المنتسبين إلى الصحوة هو الذي أجمع فيهم نار الالتزام والحمية للإسلام، إلا إن أكثر من ستين أو سبعين بالمائة من الأحاديث التي يذكرها الشيخ رحمه الله كانت من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

وللشيخ كشك رحمه الله عذر في ذلك؛ لأنه حفظ أحاديث كتاب (إحياء علوم الدين) لـ أبي حامد الغزالي، وأبو حامد الغزالي كان تام الفقر في علم الحديث، وكتابه من أكثر الكتب كذباً على النبي صلى الله عليه وسلم، وتستطيع أن تدرك ذلك بالنظر إلى حاشية الكتاب، وإلى تخريج الحافظ زين الدين العراقي المسمى بـ (المغني عن الأسفار في الأسفار بتخريج ما في الإحياء من الأخبار) فإن الحافظ زين الدين العراقي حكم على كل أحاديث هذا الكتاب، وأكثر من ستين أو سبعين بالمائة من أحاديث هذا الكتاب إما موضوع أو باطل أو منكر أو ضعيف أو لا أصل له، والقليل منها صحيح.

وقد ذكر الشيخ الألباني رحمه الله في الجزء الأول من السلسلة الضعيفة الأحاديث المشهورة على السنة الناس، وإذا بي أفاجأ أن أغلب الأحاديث التي حفظتها من الخطباء في الجمعة تدور ما بين المكذوب على النبي عليه الصلاة والسلام والموضوع والباطل والضعيف والشاذ والمنكر إلى آخر هذه الأقسام التي هي من نصيب الأحاديث الضعيفة.

ف فكر عليّ كتاب الشيخ الألباني هذه الخطب، حتى أنني أصبحت أشك في كل حديث أسمعه، وفي يوم من الأيام سمعت الشيخ يقول على المنبر حديثاً وهو: (إن الله تبارك وتعالى يتجلى للناس عامة، ويتجلى لـ أبي بكر خاصة) لأول مرة أشك في حديث أسمعه وأقول في نفسي: ترى هل هذا الحديث صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أم لا؟ ومع ذلك فقد انفعلت له لما أسمعه من صراخ الجماهير من حولي إعجاباً واستحساناً.

فلما رجعت إلى بيتي نظرت في سلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ ناصر الدين فلم أجد هذا الحديث، فواصلت بحثي فوجدت هذا الحديث في كتاب (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) لـ ابن القيم رحمه الله، وقد حكم عليه ابن القيم بأنه موضوع على النبي عليه الصلاة والسلام.

وكان قد استقر عندي ببركة القراءة في كتب الشيخ الألباني أن التحذير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة واجب أكيد، فقلت في نفسي: لا بد أن أذهب إلى الشيخ وأبلغه أن هذا الحديث مكذوب.

وكان للشيخ كشك رحمه جلساته في مسجده بين المغرب والعشاء، فلحقت بالصف الأول حتى أكون في أوائل الناس الذين يسلمون عليه، فسلمت عليه وهمست في أذنه إلى أن الحديث الذي ذكره في الجمعة الماضية وسميته قال عنه ابن القيم رحمه الله: إنه موضوع على النبي عليه الصلاة والسلام، فقال لي الشيخ: بل هو صحيح، وقال لي كلاماً لا أضبطه الآن، لكن خلاصة هذا الكلام أن ابن القيم لم يكن مصيباً في حكمه على هذا الحديث بالوضع، ولم يكن هناك وقت للمجادلة؛ لأن هناك طابوراً طويلاً خلفي، وكلهم يريد أن يسلم على الشيخ ويسر إليه بما يريد.

وكان مما حز في نفسي أن الشيخ كشك رحمه الله سألني عن العلة في وضع هذا الحديث، فقلت له: لا أدري.

فقال لي: يا بني! تعلم قبل أن تعترض.

فمشيت من أمامه مستخزياً، وخرجت من عنده وكلني إصرار أن أدرس هذا العلم، حتى أعلم ما هو السبب في أن الحديث موضوع أو ضعيف أو باطل. فكان من بركات الشيخ الألباني عليّ وعلى كثير من أمثالي أنني تمذهبت بمذهب أهل الحديث؛ لأن التمذهب بمذهب أهل الحديث بمثابة طوق النجاة، ولم أقلب يمينا ولا شمالاً، ولا تعدد انتمائي للجماعات المختلفة أبداً، وكان الفضل في ذلك بعد الله للشيخ الألباني رحمه الله.

فطفقت أسأل إخواني عن شيخ يدرس هذا العلم، فدللت في ذلك الوقت على شيخنا الشيخ محمد نجيب المطيعي رحمه الله، وكان يعقد هذه المجالس في بيت طلبة ماليزيا، وكان يدرس كتباً أربعة: كان يشرح صحيح البخاري، والمجموع للنووي، وإحياء علوم الدين للغزالي، والأشباه والنظائر للسيوطي. فوجدت في هذه المجالس ضالتي المفقودة، ودرست عليه نبذاً كثيرة من علم الحديث، ولكن قلبي متعلق بكتب الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله. لا، وما لانت له قناة قط رحمه الله.

الحوييني ورحلته إلى الشيخ الألباني

حتى من الله تبارك وتعالى بأول رحلة إليه، وكانت في شهر محرم (١٤٠٧) من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كنت التقيت قبلها بصهره وزوج ابنته الأخ نظام، فقلت له: إن كان هناك إمكانية للدراسة عند الشيخ وملازمته، فذكر لي أن المسألة في غاية الصعوبة، وأن ملازمة الشيخ مسألة صعبة، ولكن تعال وجرب، فكتبت للشيخ رسالة قلت له فيها كلاماً معناه: (إنني علمت أنكم تطردون الطلبة عن داركم، وأنا عندي أكثر من مائتي سؤال في علل الأحاديث ومعانيها، ولست أقنع إلا بجوابكم دون غيركم) أو كلاماً نحو هذا المعنى، وسلمها الأخ للشيخ، وقرأها عليه، وكان مما تألم منه الشيخ في هذه الرسالة كلمة (الطرد).

وكنت قبلها قد صنفت ثلاثة كتب، وكانت جميعها قد وصلت إلى الشيخ الألباني قبل أن أذهب إليه، فذهبت في الثاني من محرم، وكان ذلك في سنة (١٤٠٧هـ)، ونزلت في عمّان، وكلمت الشيخ بالهاتف، وقد هيات نفسي على الرضا بالطرد إذا

فعل الشيخ ذلك، فباغتني بأن بدأ، فألقى عليّ السلام، فرددت عليه السلام بمثل قوله، فقال لي: لم تحسن الرد.

فقلت: لم يا شيخنا؟! قال: اجعل هذا بحثاً بيني وبينك إذا التقينا غداً. وظللت طوال الليل أتأمل لم أسأت الرد، فهو قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ولم أكتحل بنوم حتى أذن المؤذن للفجر، وقررت في نفسي أن الذي يرد السلام يزيد شيئاً على الملقى، يعني: أن أزيد بعد: (وبركاته) لفظ: (ورضوانه) (ومغفرته) ولم أكن وقفت على بحث الشيخ في سلسلة الأحاديث الصحيحة (الجزء الثالث) لماذا؟ لأنه لم يصلنا في ذلك الوقت.

وراح عليّ لقاء الفجر مع الشيخ بسبب أنني نمت قبل الفجر بقليل ولم أستيقظ إلا بعد الفجر، فأخذت منه موعداً آخر بعد صلاة العشاء في يوم الثالث من محرم، فبعد صلاة العشاء التقيت بالشيخ، وإن لساني ليعجز عن وصف شعوري عندما رأيته لأول مرة.

وقد كتبت ترجمة للشيخ الألباني سميتها (الثمر الداني في الذب عن الألباني) وقد نشرت قبل سنتين وحتى هذه اللحظة أشعر أنني عاجز عن وصف الشيخ مع أنني أمهلت نفسي كثيراً حتى أكتب ما شعرت به أول مرة رأيته الشيخ فيها، وكأني رأيته رجلاً من القرون الثلاثة الأولى، عليه نضارة أهل الحديث، والشيخ ناصر كان بهي الوجه أبيضه، مشرباً بجمرة، ربعة من الرجال، خفيف اللحية أبيضها -لحيته بيضاء- عيناه زرقاوان، وزرقتهم رقيقة كأنها بحر، ثم هو قوي البنية، فلما صافحني صافحني بقوة، وظل قوياً إلى آخر حياته رحمه الله، وكان شاباً فتياً بهيمته، وكان يقود السيارة بسرعة عالية، ويحكي لي بعض الإخوة الذين كانوا يذهبون معه إلى العمرة بسياراتهم، فكانوا يتبادلون القيادة، فكان الشيخ أكثرهم قيادة، وكان التعب والملل يدركهم، وأما الشيخ فكان يقود سبع ساعات متواصلة لا يمل ولا يكل، مع ما كان عليه من الشيوخوخة وكبر سنه.

وفي الحقيقة أنني لما رأيته تذكرت حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (نضر الله امرأ سمع منا مقالة فوعاها، فأداها كما سمعها).

قال ابن حبان رحمه الله بعد رواية هذا الحديث: (وإني لأرجو أن تدرك بركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم كل من نقل عنه حديثاً، فترى تلك النضرة في وجهه) ولقد كانت نضرة الحديث على وجه الشيخ باهرة ظاهرة.

فلما اقتربت منه -اقتربت منه على حذر؛ لأن له هيبه شديدة- ففوجئت بأنه يعانقني وكان لقاءً حاراً، ولم أتوقع أن يتلقى الشيخ تلميذاً صغيراً بمثل هذه الحفاوة، فتكلمت معه ساعتين، وكانت هذه هي أول جلسة مع الشيخ الألباني رحمه الله، وبعد هذه الجلسة تنحيت به جانباً وأخبرته أنني لم أخرج من بلدي إلا للقاءه والاستفادة من علمه، فلو أذن لي أن أخدمه، وأكون معه سنداً له أقضي له حاجياته، فاعتذر بعدم وجود الوقت الكافي، فقلت له: إذا أعطني قليلاً من الوقت أسألك عن الأسئلة التي جئت من أجلها، فاعتذر أيضاً؛ لضيق وقته.

فقلت له: أعطني شيئاً من وقتك ولو كان قليلاً، فاعتذر أيضاً؛ فأحسست برغبة حارة في البكاء، وأحسست أن رحلتي ضاعت، وأنا لم أخرج من بلدي إلا بأعجوبة، وكان حلماً لا أستطيع تحقيقه، فخروجي إلى الأردن كان معجزة، فقد كابدت فيه الأهوال وذقت المر حتى وصلت إلى الشيخ الألباني.

فقلت له -وقد خنفتني العبرة-: يا شيخنا! والله ما خرجت إلا لطلب العلم، فإن كنت أخلصت نيتي؛ فإن الله عز وجل سيفتح لي، وإن كانت الأخرى فحسبي عقاباً عاجلاً أن أرجع إلى بلدي بخفي حنين، وسأدعو الله عز وجل.

فافترقنا ولم أذق طعم النوم في تلك الليلة، وكاد رأسي أن ينفجر من الصداع. فلما صليت الفجر معه في اليوم التالي قابلي، فصافحته وقبلت يده، فقال لي مبادراً: لعل الله استجاب دعائك.

ففرحت فرحاً عظيماً بأن الشيخ رحمه الله قد سمح لي بالجلوس، وأنه سيأذن لي بالاستفادة منه وسؤاله.

الألباني ورحلته إلى بلاد الشام

فكان من جملة فوائد الرحلة أنني سألته عن ترجمة لحياته، ولا أعلم أحداً سبقني إلى هذه الترجمة إلا الأخ محمد بن إبراهيم الشيباني، وهو أحد إخواننا من الكويت، وقد ألف في ذلك كتاباً وهو (حياة الألباني) ويقع في مجلدين، وهذا هو الذي سبقني

في سؤال الشيخ الألباني ولكن لا أعلم أحداً سبقني في تسجيل حياة الشيخ رحمه الله بتوضيح، وهذه الترجمة موجودة في خمسة أشرطة.

فحياته رحمه الله -كما سردها لي- أنه ولد عام (١٩١٤م) أي: أن الشيخ الألباني رحمه الله توفي عن خمس وثمانين سنة.

قال: وكنا في ألبانيا، وكان الحاكم أحمد سوغو بدأ يفرض على الألبانيين (القبعة) بدلاً من العمامة، وكان يضايق النساء في لباسهن، وكان والد الشيخ الألباني رحمه الله شيخ الحنفية في بلده، وكان هو المفتي الذي يرجع إليه، فلما رأى والده هذا النذير -نذير الشؤم- بفرض (القبعة) بدلاً من العمامة، وهذا هو شأن العلماء النابهين، فالمسألة ليست مجرد عمامة أو قبعة كما يتصور بعض الناس الذين يهمشون المسائل الخطيرة، ويقولون: المهم القلب لا، فالعمامة مظهر إسلامي والدين الإسلامي أصيل، بينما القبعة من أزياء أعدائنا، والقبعة إنما توضع على الرأس، وأعلى ما في المرء رأسه، فأنت حين تضع شيئاً على رأسك فكأنما وضعت عنواناً، وأعلى ما فيك هو الرأس، فلا يرى الناس إلا (القبعة).

وهذه الغفلة قد سرت إلى بلادنا، وحتى في بعض الناس الذين يوصفون بالالتزام، فتجد ابنه يلبس (فنيلة) -مثلاً- عليها العلم الأمريكي، ويوضع العلم على صدر أبنائنا، وأنت تعلم أنه لا يوضع على الصدر إلا الوسام، فعندما أضع علم عدوي اللدود على صدر ابني، فكأنني أعطيته وساماً، أو يكون على ظهره، والولد يتحرك ليلاً ونهاراً وهو يرفع العلم الأمريكي مجاناً، ويصير لون العلم لوناً مستأنساً بالنسبة له، وليس غريباً، وهذا له تأثير خطير في مسألة الانتماء.

فالمسألة ليست مسألة قماش يوضع على الرأس وإنما هو رمز تحمله، وأنت ترى كل دولة لها علم يرفرف باسمها، تكون حريصة على أن يظل العلم مرفوعاً، وأكبر جريمة أن شخصاً يمسك هذا العلم وينظف به الحذاء؛ لأن هذا يدل على أنه ليست له قيمة عنده.

فلما رأى والد الشيخ الألباني هذا قرر أن يرحل إلى بلاد الشام لما كان قد قرأه من الأحاديث في فضائل الشام عامة وفي فضائل دمشق خاصة، فرحل إلى دمشق واستوطنها، وكان عمر الشيخ الألباني آنذاك تسع سنوات، ولم يكن يعرف عن العربية شيئاً، فبدأ تعليمه في جمعية اسمها (جمعية الابتعاث الخيري) وكان كما يقول: كأن الله عز وجل فطرني على محبة اللغة العربية، فتفوقت على أقراني من

العرب السوريين من أول سنة، وقال: وأخذت الابتدائية في سنتين، وكان المدرس يعير الطلبة السوريين بي؛ لأنني رجل أعجمي، ومع ذلك أتقنت العربية خلال سنتين. ولم يواصل الشيخ رحمه الله تعليمه فخرج من المدرسة، وكان أبوه يمارس مهنة تصليح الساعات، فلما خرج من المدرسة بدأ يعمل مع خال له، وكان نجاراً يصنع البيوت التي سقفها من الخشب على نحو ما هو موجود في باريس.

قال: فجنّت ذات يوم مبكراً.

فقال: ما جاء بك؟ فقلت: لأعمل، فقال: هذه المهنة لا تصلح لك، تعال معي، وبدأ الشيخ ناصر الدين رحمه الله يعمل مع والده في تصليح الساعات، حتى برع فيها، وكان الشيخ رحمه الله يقول: إن مهنة تصليح الساعات علمتني الدقة. وهو حقاً كان دقيقاً جداً، فعندما ذهبت إليه في بيته إلى (الفيلة) التي يسكن فيها في مازدا الجنوبية في الأردن، ودخلت الحديقة لمست أثر مهنته عليه.

شدة الشيخ الألباني على المخالفين للدليل

فالشّخ ناصر مشهور عند الناس أنه صارم، نعم كان الشّخ صارماً؛ لأن أكثر الذين خالطوه ما كانوا يتأدّبون مع الدليل، ولا أقول: يتأدّبون معه؛ فالشّخ لم يكن يهتم بذلك، وقد رأيت أناساً في مجلس الشّخ الألباني وأحدهم نائم على ظهره وهو واضع إحدى رجليه على الأخرى أمام الشّخ الألباني! وآخر قدمه موجهة إلى وجه الشّخ الألباني.

وأما أن يعترض أحدهم على الشّخ بعد ظهور الدليل، ويجادل بالباطل، فكان يصير قاسياً جداً.

بعض إخواننا أراد أن يناظره في مسألة في (كتاب المحلى) فجمع بحثاً وذهب إلى الشّخ ناصر وظن أنه سيقم عليه الحجة، وقد سمعت الأشرطة، ولما سمعتها تعجبت من طريقة الشّخ الألباني في إقامة الدليل وإقامة الحجة، ولقد سأله عن أشياء في بحثه لم يستطع أن يرد عليها، وجعل يناظره فيها، وكانت المناظرة حامية جداً، فعندما أخرج الأخ قال وهو يسأل الشّخ: يا شيخنا! قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لا يرحم صغيرنا)، فكانت لفظة طيبة، فضحك الشّخ ناصر ضحكة تشعر أنها من القلب، قال له: هات ما عندك.

رقة الشيخ الألباني في آخر حياته ورؤيا رؤيت له

فالشيخ الألباني كان صارماً، ولكن في المناظرات مع المخالفين، ولكنه كان رقيقاً جداً في آخر حياته، وغلب عليه الزهد، ورق قلبه كثيراً، وكان سريع الدمعة في آخر حياته، وقد حدثني إخواني كثيراً عنه، وسمعت في أشرطة مع أخت جزائرية اتصلت به، وقالت: يا شيخ! أنا رأيت في المنام أنا وأخت لي -وكنّا في شرفة- أن النبي صلى الله عليه وسلم يمشي في الطريق، وبعد ذلك بقليل رأيت شيخاً يمشي خلفه، فسألتني صاحبتني: من هذا؟ قلت: الشيخ الألباني، فرأيتك تمشي خلف النبي صلى الله عليه وسلم على نفس الطريق.

فالشيخ لم يتمالك نفسه من البكاء، وبكى وانتحب بصوت عال، وفض المجلس الذي كان معقوداً آنذاك لطلبة العلم في بيته أو في بيت أحد إخوته، فكان سريع الدمعة غزير العبرة في آخر حياته.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرحم الشيخ الكبير، وأن يجزيه عما فعل من تنقية لسنة النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمنكرة، ومن تعظيم الدليل، ومن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، أن يجزيه عنا خير الجزاء، وأن يخلف على المسلمين في مصابهم الجلل، لاسيما وقد فقدنا ركناً رشيداً أيضاً بوفاة شيخ جليل قبل أربعة أشهر وهو سماحة شيخنا الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، فمات أكبر علمين من علماء المسلمين في هذا العصر، فنسأل الله تبارك وتعالى أن يرحم من مضى، وأن يبارك فيمن بقي.

الشيخ الألباني والتمذهب

وكان من الأسئلة المهمة التي سألتها الشيخ في هذا اليوم سألته عن التمذهب؛ لأنه شاع بين الناس أن الشيخ ناصر الدين الألباني يحارب المذاهب الأربعة، ويحارب التقليد، وكانت -في الحقيقة- شائعة قوية جداً وصلتنا إلى مصر، وكنت أريد أن أعرف رأي الشيخ فيها، فلما تكلم الشيخ في هذه المسألة تكلم بكلام هو الذي عليه الأئمة الأربعة، فالشيخ ناصر لا يقول للمسلمين: لا تتمذهبوا وإنما يقول: لا تتخذوا

المذهب ديناً، بمعنى: أن تجمد على المذهب، وإذا علمت الحق في غيره تقول: لا، أنا لا أخالف المذهب، فهذا هو الذي كان الشيخ ناصر ينكره، وقد أنكره العلماء المتقدمون، وتبرؤوا من مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم أحياءً وأمواتاً، وقالوا قولتهم المشهورة: (إذا صح الحديث فهو مذهبي).

فالشيخ ناصر كان يقول: إذا كنت أنا شافعي المذهب، وظهر الحق في المسألة عند المالكية أو الحنابلة أو الحنفية، فليس معنى ذلك على الإطلاق أن أجمد على مذهبي وأقول: أنا شافعي ولا أخالف المذهب، وأترك الحق الذي قامت عليه الدلائل وأخالفه.

فالشيخ ناصر كان يحارب هذا أشد المحاربة، كما كان الأئمة المتقدمون أيضاً يحاربون هذا أشد المحاربة.

قال رجل للشافعي رحمه الله: (إذا جاءك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف قولاً لبعض العلماء الذين من قبلك، أتأخذ بالحديث؟ قال: فصاح الشافعي وعلا صوته وغضب وقال: تراني في كنيسة؟! تراني في بيعة؟! ترى على وسطي زناراً؟! إذا قلت بقول على خلاف الحديث فاعلم أن عقلي قد ذهب).

فالأئمة كلهم كانوا يحذرون من مخالفة النبي عليه الصلاة والسلام، فجاء الشيخ الألباني وأخذ هذا ومضى على نفس المنوال، ولكن الحياة العلمية كانت جامدة، وقد كان الناس ركنوا إلى التقليد، وأصحاب المذاهب كلهم لا يتركون المذهب، حتى لو كان على خلاف الحديث الصحيح، بل كانوا يأخذون بفتاوى بعض المتأخرين التي لا يجوز أن تكتب في كتب الفقه أبداً، فمثلاً هناك كتاب من أهم كتب الأحناف المتأخرة ذكر فيه الإمامة في الصلاة ومن أحق الناس بها، ووصل به الحال أن يقول بعدما يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فأكبرهم سنأ، فأقدمهم هجرة، فأجملهم زوجة، فأكبرهم رأساً، فأصغرهم عضواً! وهذا مكتوب في كتب الفقه، فهل هذا الكلام يكتب في كتب الفقه ويكون عمدة؟! (أجملهم زوجة) ولا يتأتى هذا إلا إذا كشفنا عن وجوه النساء وقلنا: أجمل واحدة هي امرأة الشيخ الفلاني، إذاً فهو الذي يؤم الناس، ولماذا أجملهم زوجة؟ قالوا: هذا يدل على أنه عفيف.

ولا ينظر إلى النساء لأنها تكفيه، فهل يعقل هذا الكلام؟! وهل هذه الآراء تسمى فقهاً؟ وهناك كثير من الآراء التي لا تصل في الفساد إلى هذا، ولكنها آراء تعتمد على أحاديث ضعيفة موضوعة ومنكرة باتفاق علماء الحديث، ومع ذلك جاء الفقهاء الذين

لا يعلمون الصحيح من الضعيف، فأسسوا عليها أقوالاً وأحكاماً فقهية، ولقد وقف الشيخ ضد هؤلاء وقفة قوية صامدة، ولذلك فإن أعداءه كثيرون، لماذا؟ لأنه فل جموعهم بالحجة القوية البالغة.

فالشيخ ناصر لا يقول: بأنه لا يجوز لأحد أن يتمذهب بأحد المذاهب الأربعة، بل يقول: تمذهب، ولا بأس أن تتخذ المذهب وسيلة لدراسة الفقه، ولكن إذا علمت أن الحق في مذهب آخر فإنه يجب عليك أن تتبع الحق مهما كان.

ولقد سألته: أي المذاهب تختار -أي: لو أن هناك طالب علم أراد أن يدرس الفقه ويتخذ المذهب سُلماً لدراسة الفقه، مع الشرط الذي ذكرناه، وهو أنه إذا علم الحق في مذهب آخر فيجب عليه أن يتبع الحق حيث كان.

قلت له: فأأي المذاهب تفضل لطالب العلم؟ قال: المذهب الشافعي، هو أئثرى المذاهب جميعاً، ثم المذهب الحنبلي، ثم المذهب اتواضع الشيخ الألباني وبساطته فلما كان في اليوم الثاني لم يأت الشيخ الألباني رحمه الله لصلاة الفجر، وكان يأتي من على بعد (خمسة عشر كيلو) ليصلي في هذا المسجد الذي كان يؤخر الصلاة نصف ساعة، وكان الشيخ الألباني يرى أن الصلاة تصلى قبل الوقت بحوالي نصف ساعة في بقية المساجد، فكان لأجل هذا يأتي من سكنه إلى هذا المسجد ليصلي فيه. فالشيخ لم يأت لصلاة الفجر في هذا اليوم، فخشيت على ضياع هذا اليوم بلا استفادة، فقررت أن أذهب إليه، فاستشرت إخواني فأجمعوا ألا أذهب، وقالوا: الشيخ لا يفتح الباب لأحد ليس له موعد سابق.

وأنت بعد المكانة التي وصلت إليها لا يليق بك أن يقول لك: ارجع، فلا عليك أن يضيع عليك اليوم، ولكن لا تخرج نفسك، وكذلك رفيقي في هذه الرحلة، استشرته قلت: ما رأيك؟ قال: أنا رأيي أن تذهب، فقوى من عزمي أمران: الأمر الأول: أن صاحبي -الذي كان معي- أشار عليّ بالذهاب.

الأمر الثاني: أنني تذكرت وقتها قصة وقعت لـ ابن حبان مع شيخه ابن خزيمة، وذكرها ياقوت الحموي في مادة (بست) -المدينة التي كان منها ابن حبان البستي - فلما ذكر مدينة بست، وذكر من فيها من العلماء ذكر ابن حبان وذكر له هذه الواقعة مع شيخه كليب، أما ابن حبان رحمه الله كان بعثه لسفر لهما، وكان ابن حبان يكثر من سؤال ابن خزيمة ويخزيه، فسأله سؤالاً: فقال له ابن خزيمة: يا بارد! تنح عني -

أي: اتركني- قال: فكتبها ابن حبان (يا بارد تنح عني)، فقالوا له: أي فائدة في هذه العبارة؟ قال: لا أدع لفظة تخرج من فم الشيخ إلا كتبتها.

فأنا قلت: ومالي لا أفعل مثلما فعل ابن حبان، وحتى لو قال لي: ارجع كما قال ابن خزيمة لـ ابن حبان لعددت هذه من فوائد هذا اليوم، وانطلقنا، وكانت المفاجأة أنه الذي فتح الباب واستقبلنا هاشاً باشاً، وجلسنا في حديقة منزله.

وأنا أوصي إخواننا المتصدرين للدعوة أن يتبسّطوا في معاملة الغرباء، فأنت لا تعلم ظروف هذا الغريب، ولا تدري كيف وصل إليك.

فأجلسنا الشيخ وأصر على أن نفطر معه، فكان يأتي بالطعام، فكنت أريد أن أقوم بمساعدته، فكان يأبى عليّ ويقول: اجلس.

فأقول: يا شيخ! هذا من سوء الأدب أنني أجلس وأنت الذي تخدمني.

فقال لي عبارة حفرت في ذهني قال: (الامتثال هو الأدب، بل هو خير من الأدب) الامتثال: أي أن تمتثل أمره، أفضل من سلوكك الذي تظنه أدباً؛ لأن الطاعة والامتثال هنا هي الأدب بعينه.

ومرة شخص من الذين يقولون: أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله في التشهد والأذان جرى بيني وبينه مناقشة، فقلت: إن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعلم الصحابة التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن، وكل صيغ التشهد ليس فيها (سيدنا) أبداً، وهو سيدنا بلا شك، ولكن علينا أن نقف عند حدود ما علمنا، فقال: لا، الرسول كان لا يقول: سيدنا؛ لأنه كان متواضعاً.

فقلت له: حسناً الصحابة بعدما مات النبي صلى الله عليه وسلم هل ظلوا على سوء أدبهم معه صلى الله عليه وسلم؟ ولماذا لم يقولوا: أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله؟! فأحد الذين معه قال: يا أخي! يقول الرسول: (لا تسيدوني في الصلاة)، وهذا حديث لا أصل له، وتصحيح الكلمة: (لا تسودوني) من السؤدد، فانظر إلى سيء الأدب، الذي ليس عنده رائحة الأدب بماذا يرد، يقول: هو قال: لا تسيدوني وأنا سأسيده.

إذاً هذا سيئ الأدب؛ لأنه إذا سلمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تسيدوني في الصلاة) فلا يجوز لأحد أن يخالف أمره؛ لأنه إذا خالف أمره لم يدع له اعتباراً، فمسألة الوقوف عند الأمر والنهي هي التي تبين أن الإنسان يجعل للأمر النهائي اعتباراً عنده.

فكان يقول: (الامتثال هو الأدب، بل هو خير من الأدب) وكان هذا اليوم هو أفضل أيام الرحلة على الإطلاق، ففيه تُلطف الشيخ رحمه الله، ولقد كنا متعودين من الشيخ الألباني الصرامة العلمية في الكلام، ولا تحس أن فيه لطفاً ووداً، والأشرطة التي سجلتها في ترجمة الشيخ ناصر فيها أن الشيخ ضحك وتبسم، حتى إن الشيخ محمد إسماعيل المقدم حفظه الله لما سمع الأشرطة في أول مرة قال لي: كنت أتمنى أن تحذف ضحكات الشيخ الألباني.

فقلت له: لماذا؟ قال: لأننا ما تعودنا هذا من الشيخ، ونحن متعودون أن نسمع كلاماً علمياً، وما تعودنا على مسألة الرقة ومسألة الضحك لمالكي، ثم المذهب الحنفي، وهذا مع رعاية الدليل والنظر إليه.

علاقة الشيخ الألباني مع طلابه الغرباء

وقد كنت أصحابه في زيارته فكان يقدمني لعلمه بأني غريب، وكان يواسيني، ومرة دعاه جماعة من الأثرياء في منطقة جبل عمان، وهذه المنطقة يسكن فيها الناس الأثرياء، فقلت له: يا شيخنا! هل يمكن أن أصحبك؟ قال: نعم، انتظرنني تحت الجسر الفلاني في الساعة الفلانية، وكان دقيقاً في مواعيده، فجاء وكان معه زوجته أم الفضل في الكرسي الخلفي، فجلست بجانبه وشعرت بالحرَج أنني أركب معه وامراته في السيارة، فلاحظ ذلك فجعل يسري ذلك عني ويسألني عن حياتي الشخصية، مثلاً: (هل تزوجت؟ هل عندك سيارة؟ موديل كم؟ كيف تعلمت القيادة؟ وفي كم أيام تعلمتها؟ كيف تأكل؟ وكيف تشرب؟ ومن أين تكسب قوتك؟) لا تتصور كيف كان وقع هذا الكلام وما له من الأثر عليّ! وأنت إذا شاء الله سبحانه وتعالى وجعل لك في القلوب مكاناً، وجعل لك في الأفئدة ودّاً فأعظم ما ترقق به هذا الود أن تهتم بالحياة الشخصية لمريدك، فلا تجعل العلاقة بينك وبينه علاقة محاضرة أو تدريس كتاب لا، ليس هذا هو الذي يربطك به، والنبى صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يهتم بمثل هذا، ولعلكم تعلمون الحوار الذي دار بينه وبين جابر بن عبد الله الأنصاري لما رجع هو وجابر من غزوة من الغزوات بعدما أعيّا جمل جابر، فجعل يقول له: (ما أعجلك يا جابر! قلت: يا رسول الله! أنا حديث عهد بعرس).

قال: بكرأ تزوجت أم ثيبأ؟ قال: قلت: بل ثيبأ، قال: فهلا بكرأ تلاعبها وتلاعبك وتضحكها وتضحكك! فقلت: يا رسول الله! إن أبي ترك لي تسع نسوة حمق، فكرهت أن آتيهن بحمقاء مثلهن، فقلت: هذه أجمع لأمرني وأرشد. قال: أصبت.

قال: ما ترك عبد الله من الدين؟ قلت: يا رسول الله! ترك ألف ألف وسبعمائة ألف، -على والده عبد الله بن حرام (مليون وسبعمائة ألف درهم) - فسأله: كيف سيرد هذا الدين؟ قال: إن عندنا حائطاً -بستاناً- فيه نخل. فقال صلى الله عليه وسلم: إذا جاء جذاذ نخلكم فأتني -إذا طلع الثمر فادعني- ثم قال له: بعني جملك يا جابر.

فقال: هو لك يا رسول الله.

قال: لا، بعنيه.

قال: هو لك.

قال: بعنيه.

فباعه بثنتي عشرة أوقية، واشترط ظهره إلى المدينة -أي: بشرط أن يركبه مجاناً إلى المدينة- فلما وصلوا إلى المدينة ووصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته جاء جابر بالجمل إلى النبي، فقال له: خذ الجمل والدراهم) إنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يسهم في قضاء دين عبد الله بن حرام والد جابر بن عبد الله.

فكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يفعل ذلك، فمثلاً: قال يوماً في مجلس فيه عمر بن الخطاب: (دخلت الجنة البارحة -أي: في المنام- فرأيت قصرأ، ورأيت على القصر جارية تتوضأ -في بعض الروايات: جارية وضيفة تتوضأ- فقلت: لمن هذا القصر؟ فقيل: لـ عمر، قلت: ومن هذه؟ قيل: جارية لـ عمر.

قال: فلما ذكرت غيرتك وليت مدبرأ.

فبكى عمر وقال: يا رسول الله! أعليك أغار؟!) فمثلك في وفائه لأصحابه حتى في المنام لا يغار منك، فقد كان رسول الله وفيأ لأصحابه حتى في المنام، قال: (فلما ذكرت غيرتك وليت مدبرأ).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: (بينما رجل يسوق بقرة إذ ركب عليها، فالتفتت إليه البقرة وقالت: ما لهذا خلقتنا، إنما خلقتنا للحرث).

فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم! فقال صلى الله عليه وسلم: فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، وليس أثم -أي: لم يكونا موجودين في المجلس- قال: وبينما راع في غنمه إذ عدا الذئب على غنمه فأخذ شاة، فطلبه الراعي حتى أخذها منه، فأقعى الذئب على ذنبه وقال للراعي: أما تتقي الله؟! تأخذ مني رزقاً ساقه الله إليّ؟! فقال الراعي: ما رأيت كالיום عجباً: ذئب يتكلم! وقال الصحابة: سبحان الله ذئب يتكلم! قال: فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر).

فهذه المحاورة التي جرت بيني وبين الشيخ كنت أحس فيها بالدهشة، فالأصل أنك إذا رأيت الرجل مندهشاً مستغرباً أن تسكن من روعه.

وقال لي: كم عندك من الولد؟ وكانت ابنتي الأولى -التي رزقت بها- رزقت بها قبل أن أسافر بيومين، فقلت له: رزقت ابنة.

قال: ما اسمها؟ قلت: سلمى.

قال: سلمها الله.

فاستبشرت بيني وبين نفسي لعل دعوة الشيخ تدركها، وظل يسألني في ذلك حتى وصلنا إلى الباب، فقال لي: أنا أعلم حرصك على السؤال، ولكن أنا وأنت ضيوف، وليس من الأدب أن تنتزع الوقت لنفسك من صاحب البيت، ولكن إذا انتهى من الأسئلة فلا بأس؛ فهو يعلم أنني جئت من بلدي وأنا حريص على طلب العلم، فيرشدني ويدلني كيف أستثمر الوقت، وفعلاً لم يسأل صاحب البيت غير سؤال واحد؛ لأن صاحب البيت كان يريد أن يحظى ببركة دخول الشيخ عنده وزيارة الشيخ لبيته، وكان هذا اليوم من أظرف الأيام التي قضيتها.

الشيخ الألباني في المكتبة الظاهرية

قال: وخرجت من البيت وليس معي درهم ولا دينار، ولا أدري إلى أين أذهب، حتى استأجرت من بعض إخواننا، وكان الشيخ الألباني رحمه الله له أيضاً دروس يعقدها في دمشق، وكان يشرح في تلك الأيام كتاب (زاد المعاد) لـ ابن القيم، وكان من ثمره تدريسه هذا الكتاب الذي وضعه على زاد المعاد باسم (التعليقات الجياد على زاد المعاد) خرج فيه أحاديثه، ونقحه، واعترض عليه في بعض المسائل وأدلى

بحجته، وما لم يظهر دليله أظهر دليله، ولكن الشيخ -كما أخبرني- لم يتم هذا الكتاب ولم يطبعه حتى الآن.

ودرس أيضاً كتاب الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث للشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

قال: وتزوجت ولم يساعدي أبي بشيء إلا بمائتي (ليرة) سورية، قال: ولكني كنت دقيقاً في مهنتي فبسط الله علي الرزق، فكثرت الزبائن وتحسن الحال.

ثم بدأ الشيخ يرتاد المكتبة الظاهرية، والمكتبة الظاهرية تساوي دار الكتب المصرية، فهي مكتبة عامرة بنفائس المخطوطات النادرة، فكان يذهب إلى هذه المكتبة ويمضي يومه كاملاً إلى وقت متأخر من الليل، حتى إن الموظفين في المكتبة إذا أرادوا كتاباً ولم يعلموا بمكانه كانوا يسألون الشيخ الألباني عنه وهم الموظفون المختصون بالمكتبة! حتى وصل به الحال إلى أن أخذ مزية لا أعلم أحداً في الدنيا أخذها غير الشيخ الألباني، وهي أن مدير المكتبة الظاهرية أعطاه مفتاح المكتبة، مع أنها مؤسسة حكومية، وأنت تعلم أن المخطوطات ثمينة، فالمخطوطة الواحدة تباع بمليون (جنيه) وهذه المخطوطات هي تراث أمتنا الذي جاء المستعمرون وسرقوه ومضوا، والحملة الفرنسية لما أتت شغلونا بالكلام الفارغ، يقولون: اللغة الهيروغليفية! ماذا فعلت لنا هذه اللغة؟ عرفنا ماذا كان يأكل القدماء، وماذا كانوا يشربون، وكيف كانوا ينامون فما قيمة هذا الكلام؟ ولكن المستعمرين لما رحلوا إلى فرنسا سرقوا آلاف المخطوطات معهم وذهبوا لينصبوا المكتبات في باريس، ويوجد في العالم مئات المكتبات التي تضم آلاف المخطوطات الإسلامية.

فمدير المكتبة الظاهرية أعطى الشيخ ناصر الدين الألباني المفتاح، وأعطاه غرفة خاصة في المكتبة، ولم يشغل نفسه كثيراً بالبحث عن القوت.

فيا ليت طلاب العلم يتأسون به في ذلك، فالشيخ ناصر الدين الألباني لم يصل إلى هذه الرتبة بسهولة، إنما وصل إليها بعد جهد جهيد وعناء شديد وعزم لا يلين.

الشيخ الألباني وتجرده للحق وبعض ما لقي من الإيذاء

وكان هذا العزم واضحاً حتى في تصميمه على آرائه الشكلية التي خالف فيها الناس، فعندما كان يقتنع بمسألة فقهية فلا يتركها أبداً إلا إذا ظهر له دليل آخر يرجعه عنها، حتى ولو أودي بسببها، وهذا فيه دلالة على صلابة الشيخ رحمه الله في الحق، وحسبك أنه مع نباهته ومع شدة تأثيره في الناس عاش غريباً إلى أن مات، فالشيخ

الألباني قبل أربع سنوات كاد أن يطرد من الأردن بسبب فتوى له حرقتها بعض الجماعات الإسلامية ممن يسيطرون على مجلس الأمة الأردني، وزعموا أن الشيخ الألباني يوجب على الفلسطينيين الهجرة من فلسطين وتركها لليهود.

وحتى أن بعض إخواني سمع هذه الفتوى في إذاعة إسرائيل، فالمذيع في إذاعة إسرائيل ذكر الشيخ الألباني وترجم له ترجمة لطيفة وظريفة وقال: إنه أكبر محدث في العالم الإسلامي، وقد أفتى بوجوب هجرة الفلسطينيين من فلسطين.

مع أن الشيخ الألباني ما أفتى بذلك، وإنما الفتوى خرجت على مقتضى السؤال الذي وجه إليه، وأنت تعلم أن العالم أسير السؤال، والجواب إنما يخرج على مقتضى السؤال.

السؤال الذي سمعته بأذني من السائل أنه قال للشيخ: إننا نعاني من الاضطهاد في الأرض المحتلة، ونخاف على أنفسنا، حتى لا يستطيع الواحد منا أن يقيم الصلاة في المسجد خوفاً على أهله؟ فقال له الشيخ: إذا لم تستطع أن تقيم الصلاة فيجب عليك أن تهاجر، فإن هذا النوع من الهجرة أوجب جميع علماء المسلمين، وهذا النوع لم ينقطع: الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، ومن بلاد المعصية إلى بلاد الطاعة، ومن بلاد البدعة إلى بلاد السنة، فهذه الهجرة الواجبة ينبغي على المسلم أن يسعى إليها ولا تسقط عنه إلا بعجزه عن الهجرة.

فالجواب واضح، قال: إذا عجزتم عن عبادة الله فاخرجوا من دياركم وارجعوا إليها فاتحين.

وكاد الشيخ رحمه الله أن يطرد بسبب هذه الفتوى، لولا تدخل بعض كبار تلاميذه، مثل الشيخ: أبي مالك محمد بن إبراهيم الشقرة، وهو مدير المسجد الأقصى في الأردن، وخطيب مسجد صلاح الدين ومن أفضل تلاميذ الشيخ ومن أشدهم وفاءً له، وكان هذا الشيخ له حظوة عند الملك حسين، ودخل إلى الملك حسين أكثر من مرة، بل ما دخل الشيخ الألباني الأردن إلا بضمان الشيخ أبي مالك؛ لأنهم رفضوا أيضاً استقباله في الأردن، وظل الشيخ ثلاثة أشهر على الحدود لا يدري إلى أي بلد يدخل؛ لأن كل بلد ترفض دخوله.

ولما عقد مؤتمر السنة والسيرة النبوية عام (١٤٠٠ هـ) هنا في مصر دعي إليه كل الناس إلا الشيخ الألباني، مع أن أغلب هؤلاء المؤتمرين الذين حضروا المؤتمر ليس لهم أي جهد يشكر في خدمة هذه الأمة فيما يتعلق بسنة النبي صلى الله عليه

وسلم، فكيف لا يدعى مثل هذا الشيخ العظيم؟ وظل هذا التجاهل الرسمي للشيخ الألباني حتى العام الماضي، فأعطوه جائزة الملك عن خدمة الحديث، وهو الذي شرف الجائزة، والجائزة لم تشرفه يوماً من الأيام، ولقد ظل الشيخ يخدم السنة أكثر من ستين عاماً وهو إمام للسنة وإمام للعقيدة وإمام في الفقه وفي تعظيم النبي، وظل رد الفعل الرسمي هذا ضعيفاً جداً، ولكن الله عز وجل جعل له من المحبة في قلوب المسلمين ما ظهر مقتضاه حين مات، فيوم موته كانت فجيعة، وكثير من الناس لم يصدق أن الشيخ الألباني رحمة الله عليه مات، ولقد وصلت كتبه إلى آخر مكان في الدنيا، وجعل الله تبارك وتعالى لها القبول في الأرض، ورزقه الله عز وجل حسن التصنيف، بحيث أنه لو عرض مسألة ما، فإنك تفتنع بها ولو كان الشيخ مخطئاً فيها، وإنك إذا قرأت كلامه وقع في قلبك أنه الحق، وهذا لم يبدع فيه إلا قليل من أهل العلم ممن رزق حسن العبارة في التصنيف.

فالشيخ رحمه الله ظل غريباً، ولم يتحرك بعز الدولة -أي دولة- إلى أن مات، وكان رأيه في حرب الخليج رأياً واضحاً، وقد أؤذي بسببه أيضاً، ولم يتراجع فيه لأنه يعتقد أنه الحق في المسألة.

والشيخ الألباني رحمه الله كان إذا اعتقد مسألة أنها حق لا يفارقها أبداً ولو أدى ذلك إلى حرمانه من سكنى آمنة، أو إلى طرد من البلد، وكان ذلك أيضاً سبباً في محنته لما سجن في سوريا فإنه كان مترعماً للتدريس، وجمع الله عز وجل حوله الأئمة، وكان رجلاً نابهاً، قال لي: كان عندي سيارة قديمة وكنت أطوف سوريا كلها بهذه السيارة، ومرة اختلف إخواني السلفيون في حلب -وكان هو يسكن في دمشق- فقالوا: إن لم تتدارك إخوانك تفرقوا.

وذهب إلى هناك وسهر الليل كله، وظل هناك أكثر من أسبوع حتى فصل النزاع بين إخوانه ورجع.

فكان قد أوقف حياته كلها لهذه الدعوة المباركة، ولما سجنوه استثمر وقته في السجن وأخرج لنا كتاباً وهو (مختصر صحيح الإمام مسلم رحمه الله) درس الكتاب دراسة دقيقة، وجرّد الكتاب من أسانيده، وجمع وضم الروايات بعضها إلى بعض، وأخرج مختصر صحيح مسلم بقلمه، ولا أظن أن هذا الكتاب قد طبع حتى الآن. والذي طبع هو مختصر صحيح مسلم بتحقيق الشيخ الألباني، أما (مختصر صحيح مسلم) للشيخ الألباني نفسه فلم يطبع.

الشيخ الألباني وبداية الطريق إلى علم الحديث

أول مرة يبدأ الشيخ ناصر فيها يقرأ في علم الحديث، كان سببها أنه قرأ مقالة في مجلة المنار التي كان يصدرها آنذاك الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله، وكان الشيخ محمد رشيد رضا استوطن أهله الشام، ثم رحل إلى مصر، وأي شخص يريد أن يبرز في أي فن حتى المغنين ويريد أن يكون له صيت، وله شهرة، وأن يكون له احترام في مهنته يأتي إلى مصر.

فنزح الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ محب الدين الخطيب من الشام إلى مصر.

وكان الشيخ محمد رشيد رضا يكتب في مجلة المنار، وكان قد كتب مقالاً عن كتاب (إحياء علوم الدين) وعن تخريج الحافظ زين الدين العراقي له، وهذه كانت أول مرة الشيخ الألباني يقرأ عن علم الحديث.

قال الشيخ: فجعلت أبحث عن هذا الكتاب كالعاشق الولهان، حتى ظفرت به عند رجل كان يؤجر الكتب، لأنه لم يكن أحد يهتم بعلم الحديث؛ لأن علم الحديث من أصعب العلوم في ذلك الوقت، ويضاف إلى صعوبته أن دارسه لا يحصل على وظيفة بعد ذلك، والإنسان لو درس الفقه ربما يكون مفتياً، أو واعظاً، أو خطيباً، ولكن إن كان محدثاً - كما قال ابن معين وقال أحمد بن حنبل وقال الدارقطني - فأين يبيع بضاعته؟! فلم يكن أحد يقبل على دراسة علم الحديث.

والناظر إلى المدارس التي بنيت في بلاد المسلمين قديماً يعلم غربة علم الحديث، فإذا نظرت إلى مدرسة نظام المفتي في بغداد، وكل المدارس التي جرت على هذا المنوال حتى الأزهر، فإنهم كانوا يهتمون بشيئين: الشيء الأول: الفقه وأصوله. والشيء الثاني: علم الكلام.

بينما الحديث لا يدرس، فكان الذي يقبل على دراسة علم الحديث يدفع من جيبه، ولا يقبل عليه إلا إذا كان له هدف وكان محتسباً.

فالشيخ الألباني بحث عن هذا الكتاب عند رجل فأجره منه لمدة سنة؛ لأنه لم يكن يستطيع شراءه، فبدأ الشيخ الألباني يفتح عينيه على علم الحديث.

الحويني ومعايشته لكرامات الدعاة المسجونين

الذي عاين السجن في الله تبارك وتعالى يرى الكرامات، والله لقد رأيت بعيني أشياء أحكي لكم بعضها:

رجل يسحب بالفرس وهو يقرأ القرآن

الذين عاينوا السجن قديماً في الستينيات لهم مواقف أشد مرارة، يأتي أحد النواب المصريين في كتاب له اسمه الطريق إلى المنصة يقول: وهذا الرجل كان الذراع الأيمن للمشير عبد الحكيم عامر، إذا أراد المشير أن ينام مع امرأة يذهب إلى باريس فيأتي له بغرفة النوم -يعني: رجل من أوليائه- وكان صلاح نصر آنذاك يصور المشير عارياً مع المرأة، وهو صديقه الحميم، لعله يحتاج إليها في يوم من الأيام لا يوجد في قواميس هؤلاء معنى للوفاء ولا للصدقة.

المهم: فقد صلاح نصر الصور: أين ذهبت؟ صار خائفاً أن ينكشف أمره. فسام كل الذين من حوله من أصفياه وأوليائه سوء العذاب بحثاً عن هذه الصور. يقول الرجل: وفي الساعة الثالثة من الليل هجموا على البيت، فأخذوني وقالوا: أين الصور؟ قلت: أي صور؟! والله ما أعلم شيئاً.

قالوا: لا، أخرج الصور.

قال: وعلقوني كالذبيحة، وعشت أياماً لا شمس لها ولا قمر، لا يسمع عنها الزمان! ودخل مع الإخوان آنذاك، قال: رأيت بعيني منظراً لا أنساه، رجل عمره

يزيد على الستين! عجوز! أخذوه وربطوا يديه ورجليه، ثم ربطوه في ذيل الفرس، وعاد الفرس هارباً، فيستحثون الفرس على الجري فيجري والرجل يجر جر على الأرض، ظل في دوران مدة نصف ساعة، فلما انتهى هذا الشوط من التعذيب أصبح الرجل كأنه نصب أحمر من كثرة الدماء.

قال راوي القصة: المدهش أن الرجل جاء ينطق بالشهادة ويقول: الحمد لله، أنهيت وردي! كيف لهذا الرجل أن يقرأ وهو يعذب؟ من الذي ثبت فيه العقل، أو ثبت فيه قوة القلب؟! إياك أن تتصور أن حياة المبتلى في الله حياة ضنك لا والله! إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن الشهيد لا يشعر بوقع القتل إلا كما يشعر أحدكم بالقرصة) عندما تطير عنقه لا يشعر بشيء، وهو أول القربات، قرصة واحدة وانتهى الأمر.

وهذا مشاهد، أحياناً الإنسان وهو يعمل عملاً فيه مكسب بدني ممكن تقطع يده أو عنقه وهو لا يدري إلا بعد ذلك، الصبر على القضاء واجب، لكن الرضا به مستحب، ولا يرضى إلا المؤمنون حقاً.

رجل عنده قرحة فأذهبها الله عنه

في سنة (١٩٨١م) كان هناك رجل عنده قرحة شديدة في المعدة، وكان يهيئ نفسه لعملية جراحية لقص جزء من المعدة؛ لأن الأكل كان عبارة عن شيء من العذاب بالنسبة له، فلما دخل وكان معه بعض أكياس للحموضة لا يستطيع أن يأكل إلا بها، وقد أخذوا ماله وأخرجوه، فلما كان الكيس الأخير لا أنسى منظره أبداً وهو يمر على إخوانه ويسألهم أن يدعوا الله له في السجود أن يرفق به في الأكلة القادمة؛ لأنه إذا أكل كأن ناراً تشتعل في معدته.

فطعام السجن وخبزه كلها حموضة: فول! وعدس! وجاءت الوجبة التي يخاف منها، فأكل نزرأ يسيراً وقام جائعاً، ولم يشعر بتعب، وفي العشاء أكل لكنه كان جائعاً؛ فأكل وزاد في أكله، وظل ساهراً ينتظر الألم لعله يأتي فجأة! لكنه لم يجد ألماً، وفي اليوم الثاني أكل أكلاً عادياً ولم يشعر بشيء، فظل سنة وأربعة أشهر يأكل، حتى فتحت الزيارات فسأله أهله: أحتاج إلى دواء؟ قال لهم: رفع الله المرض! وأكل كل شيء.

أين ذهب المرض؟ إن الله تبارك وتعالى لا يترك عباده المتقين يتخطفون في الأرض، لا بد أن تظهر الآيات إن الله لا يترك عبده إذا غلب يظهر له المعجزة. الشيطان الرجيم يبذل نظر المرء بالنسبة للمرأة -وهو مخلوق- قال صلى الله عليه وسلم: (إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان) ما معنى صورة شيطان؟ هل المرأة تتحول إلى شيطان؟ لا، إنما وصلت القدرة للشياطين أنها تزين هذه المرأة القبيحة للرجل، فيراها أجمل النساء، حتى إذا واقعها رآها على حقيقتها.

فإنه تبارك وتعالى رفع عن هذا الرجل المرض، فلما صار بإمكانه أن يأتي بالدواء رجع إليه، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن المعونة على قدر المئونة) المعونة تكون على قدر المشقة.

قشر البرتقال وحلاوته في السجن

مثال آخر عايشته بنفسى، قال لنا أحد العلماء: لماذا تقشرون البرتقال؟ هذا تنذير! فقلت له: وكيف تأكل القشرة يا مولانا؟ قال: نحن في سجن، والقشر هذا يشغل حيزاً في المعدة، فلا ينبغي أن نضيعه، فأكل البرتقال مباشرة، وأنا أنظر للرجل متعجباً! قال لي: جرب.

قلت: لا أستطيع.

قال: جرب.

فأكلتها بقشرها، والله الذي لا إله غيره كأن القشرة أشد حلاوة من البرتقال! وظللت على هذا أربعة أشهر، فلما خرجت قلت لبعض إخوتي: نحن نتصرف تصرفاً فيه رعونة: لماذا نقشر البرتقال، إن قشرته جميلة؟ فقالوا لي: هل جرى لعقلك شيء؟ قلت: والله كان القشر أعظم حلاوة من البرتقال! أعطني برتقاله، فقضمت قضمه واحدة ثم تركتها، ما استطعت أن أبلعها.

لقاء مجلة الفرقان الكويتية مع الشيخ

أكد الداعية الإسلامي الشيخ أبو إسحق الحويني الذي زار الكويت أخيراً بدعوة كريمة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وكانت له دورة علمية في علم مصطلح الحديث أن الدعوة الإسلامية تمر بحالة إحباط عام إلا أن هنالك بعض المبشرات ، مؤكداً أن الغزو الخارجي وضعف الأنظمة من أبرز عوامل هذا الإحباط، واستنكر على الدعاة والخطباء الحديث عن سماحة الإسلام فقط والدعوة إلى السلام وكأن الإسلام دين لا شوكة فيه ، الأمر الذي جعل الأعداء يطالبون بمزيد من التنازلات ..

وفي معرض رده على كلام د.محمد الأشقر وتضعيفه حديث أبي بكره والطعن في عدالته ، أثر الشيخ الحويني أن يكون الأشقر قد أصيب بشيء ، لما للإصرار على القول بما تفرد فيه من خطورة بالغة وتعدّ على عدالة الصحابة الكرام، ونصحه بالاستغفار وألا يغتر بقول الخصوم ، وثمن الجهود التي يقوم بها أهل الحديث في الذب عن السنة المطهرة وتنقيحها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، كما حذر من الفتاوى المعلبة وشدد على ضرورة إيجاد لجان علمية للفتوى والنظر في قضايا الأمة وأن تدعمها الدول بما يحقق مصلحة الأمة الإسلامية.. وكان هذا نص الحوار:

انطباعات

- الفرقان : ما أبرز انطباعاتكم في زيارتكم المباركة هذه إلى دولة الكويت ومشاركاتكم في فعاليات وزارة الأوقاف وما لمستموه من واقع الدعوة هنا؟
- الحويني : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين..

الحقيقة أنه ليست لدي خبرة كاملة عن واقع الدعوة في الكويت، ولكن الذي رأيته في هذه المرة، مبشر ومشرف لاسيما في ظل الفتور العام الذي تعيشه الدعوة في العالم الإسلامي بسبب حالة الإحباط وإحساس الجماهير أنه لا مخرج، وأننا في كل يوم نتدنى من سيء إلى أسوأ ولا حول ولا قوة إلا بالله.. وقد أحدث هذا الأمر نوعاً من هبوط العزيمة واللا أمل.

لكن في الحقيقة ما رأيته في مسجد الزير مبشر بكل المقاييس، سواء كان ذلك في العدد الذي يحضر، لاسيما في دورة مصطلح الحديث، وكانت هنالك مفاجأة لي ابتداءً، أن الترتيب كان يقضي بشرح مصطلح الحديث لعشرة طلاب أو عشرين، وما أن بدأت دورة المصطلح حتى وجدت أن العدد ثابت كما هو حيث بقي الجميع جالساً ولم يخرج أحد من المسجد، بل كان ممثلاً عن آخره، ثم بعد يومين ظهرت بشائر هذه الدروس وبدأ الناس العوام ممن ليست لهم لحى ولا يظهر منهم أي انتماء، بدأوا ينفذون وصيتي بأن طالب العلم ينبغي أن يأتي بكراس وقلم، فوجدت أمامي في الدرس رجالاً ظاهرهم أنهم من العوام، ولكنهم يكتبون ويتابعون علم المصطلح باهتمام بالغ ويخاطبونني بعد الدرس ويحدثونني عن انطباعاتهم وكيف أنهم أصبحوا يحبون هذا العلم ويسألون عن المراجع والكتب للاستزادة.. فرجل في الخمسين من عمره تعجب لاهتمامه ومتابعته، فكانت هذه مفاجأة بالنسبة لي، وظننت أن المسألة لا تعدو أن تكون طفرة يوم أو يومين وينتهي الأمر وإذ بالعدد في ثبات إلى آخر يوم بفضل الله، فيبدو لي والله تعالى أعلم أن خيراً كثيراً في العوام، ولكنه ينقصهم الداعية الذي يحسن البلاغ وله القدرة على التوصيل الجيد للمعلومة.

والذي رأيته من تعطش الشباب مع قلة الكوادر الموجودة في الكويت يدل على أن استخراج الطاقات الكامنة في هؤلاء الشباب يحتاج إلى كوادر محسنة.

إحباط

- وما الأسباب الدافعة لحالة الإحباط التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم؟
- الإحباط بلاشك له أسباب كثيرة، لكن الغزو العسكري الخارجي لبلاد المسلمين مع ما يظهر من ضعف الأنظمة العربية وعجزها عن الذب عن نفسها إزاء الاتهامات المتلاحقة من الغرب واستخذاؤنا الدائم يعد من أبرز العوامل لانتشار حالة الإحباط في مجتمعاتنا.

ومن المؤسف حقاً أن تكون هنالك توصيات من وزارات مثل وزارة الأوقاف لدينا بضرورة الحديث والخطابة عن الدعوة الحسنة.. وأن الإسلام دين السماحة لا دين الإرهاب.. وهذا حق أريد به باطل، فلا يمنع أن يكون الإسلام دين السلام والسماحة أن تكون له شوكة.. ولا يتصور أن يقتصر الحديث عن الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وكأنه لا يوجد في القرآن إلا هذه الآية!

فإذا تكلم الداعية بأي شيء يمت إلى الإسلام بالقوة والترهيب كنوع من نوعي الدعوة بالترهيب والترهيب كان التحذير والانتقاد.. أمر غريب أن يغلقوا باب الترهيب حتى في وزارة الأوقاف، وعندنا في مصر على سبيل المثال يؤمر الخطباء ألا يتكلموا في عذاب القبر ولا يتكلموا في مشاهد القيامة بزعم أن الناس يشعرون بالرعب والخوف الشديد والإحباط، حتى فشت في الأمة عقيدة الإرجاء، وكأن الله لا يعذب أحداً وكأن الناس سيدخلون الجنة دون عمل!!

وخرجت علينا رموز من وزارة الأوقاف لا تتحدث إلا بهذا الأمر مع إطلاق اليد للعلمانيين الفجرة، الذين يطعنون في ثوابت الإسلام ويهجمون على المصادر الأصلية لديننا الحنيف، حتى صرنا نرى في بلاد المسلمين كتباً تخرج لتقول إن صحيح البخاري ملئ بالأحاديث الموضوعة!! والذي يقول هذا إنسان لا يحسن الصلاة..

وامرأة فاجرة عندنا في مصر، تتباهى بأنها أول امرأة تلبس الشورت في الجامعة.. امرأة تتباهى بأنها أول من خرق العرف والدين على الرغم من صعوبة خرق العرف في بلادنا.. فكانت عندها هذه الجراءة في الباطل ويتاح لها المجال للحديث عن فجورها.. فياعجباً..

عدالة الصحابة

- فوجدنا أخيراً بسلسلة حلقات وردود للشيخ د. محمد سليمان الأشقر على صفحات الجرائد يسقط فيها عدالة الصحابي أبي بكره ويسقط مروياته، حتى استغل العلمانيون مثل تلك الردود للوقعية بين الإسلاميين والانتصار لمشاركة المرأة السياسية.. ما تعليقكم على ذلك؟

- بعثتم لي قبل شهرين في مجلة الفرقان مشكورين نص الرد الأول للشيخ د. محمد سليمان الأشقر في هذا الموضوع وأسقط في يدي، ولأول وهلة تصورت أن الشيخ ضعف أحد الرواة وما خطر ببالي قط أن يتعرض لصحابي.. لكن لما وصلني المقال ووجدت أنه رمى الصحابي الجليل أبي بكره بالفسق والكذب صراحة وأسقط روايته.. عجبت لرجل مثله يشتغل في الفقه ويجهل الفرق بين الرواية والشهادة والفرق بين الشاهد والقاذف وهذه كما نعلم أبجديات لا يسوغ الوقوع فيها، حتى خيل لي بصراحة أن الرجل في عقله شيء.. لأنه لو كان يدري ما يقول لا يمكن أن يقول مثل هذا الكلام، لأن هذا الكلام مليء بالمخالفات منها:

أولاً: في ذلك مخالفة للأمة جمعاء، ولا يتصور أن يفوت الحق على الأمة كلها، ولا يدركه إلا واحد من المتأخرين جداً.. فهل عندما ننظر اليوم إلى البخاري أو مسلم أو أحمد أو مالك أو غيرهم من الفقهاء يحتجون بلا نكير ولم نسمع أبداً أن أحداً تعرض لعدالة أبي بكره على وجه الخصوص أو الصحابة عموماً، فيفوت الحق على كل هؤلاء ثم يدركه د. الأشقر.

وهذا رد إجمالي لا يستطيع أحد أن يرده إلا أن يرمي الأمة كلها بأنها تواطأت على مثل هذا، وقد ذكره وللأسف د. الأشقر، وهذا خطير جداً، فهذا رمي للأمة كلها بالكذب، وأنا إحساناً للظن بالدكتور الأشقر، لأنه رجل له تاريخ، درس في الجامعة الإسلامية أول إنشائها وله جهود مشكورة وكتب مفيدة.. وكونه يأتي في آخر عمره ويقول مثل هذا الكلام ويصر مثل هذا الإصرار الغريب الذي لا يستند إلى برهان ولا إلى دليل، أنا عندي أن أتهمه بأنه أصيب في عقله أهون عندي من أن أقول إنه مصر على ما يقول وهو معتقد، لأن هذا برغم مرارته وأنه قد يكون اختلط في آخر عمره، كما كان يحدث لبعض الفضلاء، إلا أنهم كانوا يحجبون ولا يتكلمون حتى لا يضيع تاريخهم، أما ويأتي الأشقر ولا يفرق بين الشهادة والرواية، على الرغم من أن

الأصل في الشاهد العدالة حتى تثبت إدانته، والأصل في الراوي أنه متهم حتى تثبت عدالته، ولذلك العلماء لا يقبلون رواية المجهول، ويقبلون جهالة الشاهد والقاضي إذا وقف أمامه شاهد لا يسأله ما الدليل على أنك صادق، ويدل على ذلك كلام عمر بن الخطاب في رسالته الشهيرة في القضاء إلى أبي موسى الأشعري قال له: والمسلمون بعضهم عدول على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرباً عليه شهادة زور.

وهذا وجه من وجوه الفرق بين الشاهد والراوي.. فيأتي على أبي بكره كشاهد حتى لو أسقطت شهادته، فإنه مات وانتهت قصة الشهادة، وبقيت روايته التي لم يمتز أحد من العلماء فيها..

والعلمانيون بلا شك هذا توجههم؛ أناس فجرة يكرهون الإسلام والمسلمين، ولكن أن يأتي هذا الكلام الخطير من د، الأشقر سيقولون: هذا سهم رماه الأقربون!!

وصية

- رسالة توجهونها للشيخ الأشقر عبر الفرقان؟

- أنا أوصي د. الأشقر وأنا في سن أبنائه استشعاراً لواجب النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، أوصيه بتقوى الله عز وجل، وأن لا يختم حياته بهذه السوأة وهذه الوصمة، وأن يستغفر الله عز وجل من هذا ولا تأخذه العزة بالإثم وأقول للدكتور الأشقر إن الفاضل من فضله أنه ينزل على رأي المفضول وهذا معروف، ولنا في رسول الله أسوة حسنة عندما قال له عمر: أخلّ الناس يعملوا؟ قال: خلهم ياعمر، فنزل الفاضل على رأي المفضول وهذا يدل على فضل الفاضل، ولذلك أقول: أنا طالعت بعض بحوث د. محمد الأشقر وبعض كتبه العلمية وهو رجل جيد ورجل متين في الفقه، ولم أتصور أن يصدر عنه مثل هذا الكلام في عدالة الصحابي، وأحيله بالمناسبة على الكتاب الذي نشره في عدالة الصحابي العلاني -تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شرف الصحبة- وهو الذي حققه وأخرجه، فأنا أحيله على هذا الكتاب ليعيد النظر فيه مرة أخرى، لأن العلاني أثبت أنه أشرف ما يكون أن يصحب الرجل الرسول صلى الله عليه وسلم.

والدكتور الأشقر رجل أصولي يعلم أنه لا يجوز لأحد أن يخرق الاجماع وما طعن على الصحابة إلا الخارجون على السنة، من الشيعة والمبتدعة بصفة عامة والخوارج بصفة خاصة، أما أهل السنة فهم الذين يذبون عن أعراض الصحابة، فكيف يتورط الدكتور الأشقر في آخر عمره وأراد أن يختتم حياته بمثل هذا الذي أنكره عليه أهل العلم جميعاً؟!

وارجو أن يعلم أن هؤلاء العلمانيين لن ينفعوهم وأنهم إذا وصفوه بالاجتهاد والرأي الجريء فلهم ألفاظ معينة يستثيرون بها الشيخ وقولهم فيه له مفعول السحر !! وأنا أقول له لا تصنع إلى أقوال هؤلاء فإنهم يورطون وهؤلاء لا حمية عندهم وأسأل الله عز وجل أن يراجع د. الأشقر نفسه في هذا الأمر حتى لا يلطخ تاريخه وجهاده طوال هذه السنوات في آخر عمره بمثل هذا القول..

حفنة

- في خضم ما تمر به أمتنا الإسلامية من نكبات وأحداث جسام وما يجتاحها من غزو خارجي وداخلي هنالك من يعيب على السلفيين وأهل الحديث إنشغالهم بعلم الحديث جرحاً وتعديلاً واشتغالهم بآبواب فقه العبادات عن واقع الأمة وما يحيط بها من مجريات الأحداث.. ما تعليقكم على ذلك؟

- والله إن المرء ليأسف لهذا الأمر وتلك الاتهامات الباطلة.. السلفيون هؤلاء كم نسبتهم في العالم.. كم مليوناً؟ ليسوا سوى حفنة وكذا المشتغلون بالحديث، فهل نريد أن يعمل الجميع في مهنة واحدة؟! وعندما أقول أنا محدث صرف لا أفهم في الفقه.. لا تعيرني أنني لا أفهم في الفقه وإنما تؤاخذني إذا تكلمت في الفقه وأنا لا أحسنه.. نحن الآن بعد موت الإمام الألباني من أهل الحديث يشار إليه بالبنان؟! لا أحد.. وأنا بصفتي رجل متخصص في الحديث لا أستطيع أن أعد عشرة ممن أعتقد أنهم محسنون في هذا الفن.. وقد يكون في الزوايا خبايا.. وأنا لا أجزم على الأمة كلها، ومن المفترض أن أكون أدري من غيري بهذا.. فهل يعقل أن يخدم مليار مسلم حفنة من المشتغلين بعلم الحديث وأن ينظروا في ألوف مؤلفه من الأحاديث الواردة إلينا وبعد ذلك يعاب علينا هذا الأمر؟!

وما لم تكن هنالك دول تهتم بهذا العلم وتأتي بهؤلاء المجيدين في فن الحديث وعلم الجرح والتعديل وتوفر لهم الإمكانيات حتى يغربلوا السنة وهذا التراث الضخم مع ما نشهده من فشو الأحاديث الموضوعة والضعيفة على ألسنة الخطباء، ينسبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كذا وكذا دون علم.. فهذا والله أمر خطير واتهام باطل..

وعندما يقال: السلفيون يهتمون بعلم الحديث والفقه، نقول: إن حياة الأمة قائمة على حفظ هذا المصدر المهم لشريعتنا الغراء ولو سقط صحيح البخاري يوماً ما ستسقط الأمة كلها..

واليوم نجد أن الغزو العسكري والشأن السياسي هو الذي يحظى بالاهتمام والإنكار العام، وفي رأيي أن الهجوم على صحيح البخاري وصحيح مسلم أشد على الأمة من دخول الأمريكان إلى العراق أو من أخذ الأعداء لبلاد المسلمين.. وفي نظري أن سب النبي صلى الله عليه وسلم الذي قامت به فتاة يهودية ورسمته على هيئة خنزير حاشاه ونزحه الله عن ذلك، أمر أخطر من التعدي على الأرض.. لا قيمة للأرض في مقابل سب النبي صلى الله عليه وسلم والتطاول عليه، ومع ذلك مر هذا الأمر مرور الكرام ولم تستنكر هذا الأمر أي دولة من الدول عدا إيران فقط، وكأن هذا النبي ليس له من نصير في الأرض سوى الروافض؟!!!

وهكذا سب اليهود والنصارى أعظم رجل في الدنيا ورأوا أن الرد كان باهتاً فهان عليهم كل أمر.. ليفعلوا ما يشاؤون.. وليس أدل على ذلك أيضاً من القرآن المزعوم، الذي فسروا فيه القرآن بالتوراة والإنجيل!!

كان ينبغي أن يكون جهد هذه الطائفة التي تنصر الدين وتذب عن شرع الله مشكوراً لكن التهم المعلبة للأسف لا توجه إلا إليهم، فالسلفيون العاملون المحسنون في العالم قليلون جداً.. آتي عليهم وأهاجمهم.. أمر والله عجيب جداً
الشيخ أبو إسحق الحويني ذاع صيته وانتشر علمه لاسيما في علم الحديث والسيرة. وقد تأثر بالشيخ العلامة الألباني - رحمه الله - .

وقد بدأنا في العدد الماضي نشر الحلقة الأولى من حوارنا معه الذي عرج فيه على التعليق على كلام د. محمد الأشقر، والتحذير من الفتاوى المعلبة وأهمية المرجعية في الفتوى وإيجاد اللجان العلمية للنظر في قضايا الأمة.

وفي هذه الحلقة نعرض لرأيه في علماء السلطة وواجب الداعية إزاء الإعلام ومشاركة الإسلاميين في الحكومات والعمل النيابي، ودعاوى تحرير المرأة، وخطورة الأحاديث الضعيفة الموضوعة، ورأيه في الجماعات الإسلامية، ودور المراكز والجمعيات الإسلامية وغير ذلك من الأمور المهمة.

علماء السلطة :

- كيف تنظرون إلى عالم يعتلي سلم الفتوى يتنازل على أساسيات الدين من أجل إرضاء أطراف مسؤولة فما هو دوره في بث روح الانهزامية في الأمة؟

- دورهم بلاشك خطير وحيوي في انهزام الأمة.. وعجباً لحال الأمة.. المسلمون لا يفتأون يبررون ويرفعون شعار السلام ويحاولون إبعاد أي تهمة إرهاب وتطرف عنهم إلا أن ذلك ليس كافياً في نظر الأعداء.. ثم يبقى المسلمون يتنازلون ويبررون وكأن الإسلام بلا شوكة على الإطلاق وأسهم في ذلك كثيراً شيخ الأزهر.. فقد فتح الباب واسعاً أمام السخرية والاستهزاء بتلك الفتاوى الشاذة.. ففي مشيخة الأزهر الجديدة هناك ما يسمى صالة الزواج يعقد فيها قران أي زوجين، وقد رأيت شيخ الأزهر في جريدة الأهرام مرتين يقف إلى جانب امرأة متبرجة كشفت شعرها وكتفها وصدرها وبكامل زينتها وشيخ الأزهر يقف إلى جانبها يلتقط صورة مع الزوجين.. لا أصدق أن شيخ الأزهر يفعل هذا؟!

فأين هيبة الدين وأين كرامة العلماء وسمعة الأزهر مما يفعل؟ هكذا يسقط الأزهر ولا تقوم له قائمة..

ثم لا يتاح إلا للمشايخ الرسميين وعلماء السلطة في وسائل الإعلام..

وقد تقدمت ببرنامج لإذاعة القرآن الكريم في مصر بعنوان (الأحاديث الضعيفة والموضوعة) وأحضرت نسخة من صحيح الجامع لمكتبة الإذاعة يخبرني أحد الإخوة أنه بعد أسبوع سرق من المكتبة، وعندما تقدم أحد الإخوة لكي يذاع برنامج الأحاديث، جاءت التعليمات بأنهم لا يقبلون إلا حامل دكتوراه أزهري.. وهكذا رفض البرنامج.. وهكذا تجد الهجمة على الدعوة السلفية التي بدأت تقبل في الأزهر سنة ١٩٧٤ أيام أخينا عبدالله سعد الذي كان رئيس اتحاد الطلبة، فأصبح هناك أساتذة سلفيون وعمداء إلا أنهم يُقصون دائماً عن وسائل الإعلام.. ليس لها من دون الله كاشفة وليس أمامنا إلا المساجد وما تيسر من الكتب والمؤلفات..

هذا بالإضافة إلى التضيق الذي نتعرض له من قبل السلطات فلا يسمح لأحد منا أن يحاضر في غير مسجده ولمرة واحدة أسبوعياً أو مرتين فقط.

نصرة الإسلام :

- هل من رسالة إلى الدعاة بضرورة استغلال أي فرصة إعلامية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لاسيما في ظل تفشي الإعلام الفضائي؟

- ينبغي على الداعية إذا وجد ثغرة أو فرصة للإعلام وإبلاغ الدين أن يستغلها طالما يستطيع أن يؤدي دوره ويصل إلى الجماهير لا يقصر في ذلك، على الرغم من رأي المخالف شخصياً لذلك في أنني لا أرى المشاركة شخصياً في الفضائيات، لأنها في اعتقادي تقلل من هيبة العالم وحشمته مع كثرة الظهور.. كما أن هنالك ممارسات والأعياب وترتيبات خفية تقوم بها بعض الفضائيات من تجهيز اتصالات محددة والتطاول أحياناً على الضعيف والتعريض به على الهواء مباشرة ويقصد بها إحراج بعض المشايخ وتوريطهم حتى يتصيبوا عرقاً!! إضافة إلى مقاطعة الشيخ وعدم إتاحة المجال لاستيفاء كلامه.

ولكن لا أمانع في أن يشارك الدعاة الموهوبون ممن يجيدون فنون الاتصال بال جماهير.. وبرأيي لا يترك مجال مباح لنصرة الإسلام والمسلمين إلا ويدخله الداعية المسلم إن استطاع وكان له في ذلك موهبة..

اللعبة السياسية :

- وماذا عن مشاركة الإسلاميين والدعاة في الحكومات والبرلمانات والمحافل السياسية؟

- المشاركات السياسية للدعاة أنا لي فيها نظر.. فهي لا تعدو أن تكون ألعوبة وهدرًا للطاقات والجهود والأوقات.. فإن أي حكومة في الدنيا لن تسمح للإسلاميين بتغيير رؤاها وسياساتها.. يتركونهم يصرخون ويهتفون ويلقون باسم حرية الرأي والديمقراطية.. ولكن في النهاية لو افترضنا أن هناك ١٠٠ عالم فاضل وافقوا على قانون وفي مقابلهم ١٠٠ رجل من طوام الناس وعوامهم خالفوهم ثم جاء شخص تافه بسيط انضم إلى أي من الطرفين فإنه يرجح كفتهم..

والعجب أن -الإخوان المسلمون- على سبيل المثال في مصر لهم في ذلك جولات ومازالوا يصرون عليها على الرغم من أنهم يعلمون أنه لا قيمة ولا أمل أمامهم..

يقف النائب الإسلامي يقول: أطالب المجلس الموقر بحكم المادة الفلانية فأني توقير للدستور في مقابل إهدار شرع الله، وفي اعتقادي أن الحكومات تلعب بهؤلاء وتتخذهم ديكوراً لإتمام العملية الديمقراطية .

ولنا أن نورد هنا كيف ناصر الشيخ صلاح أبوإسماعيل - رحمه الله - حزب الوفد المغمو ر آنذاك ودعا الإخوان إلى مناصرته حتى نجح في الوصول إلى مجلس

الشعب ثم ما لبث أن انقلب على الإخوان ورشح ممتاز نصار من الوفد زعيماً للمعارضة حتى غضب الإخوان وخرجوا ولكن بعد ماذا؟ بعد أن حققوا النجاح لحزب الوفد!!

وفي آخر حياة الشيخ صلاح أبو إسماعيل وقبل وفاته بعدة أشهر سمعته يقول في مؤتمر عام: أنا كفرت بالأحزاب.. وعلمت أنه لن ينصر هذا الدين أي حزب من هذه الأحزاب وأنا أعلن خروجي منها.

تطالب الحكومات ابتداء بتقنين الشريعة فيمضي العلماء في ذلك سنوات وسنوات ثم تبقى حبيسة الأدراج كما حصل في مصر على سبيل المثال ألا نأخذ من ذلك عبرة؟!

وعندما دخل شارون جنين غاصباً نظمت الدولة نفسها مظاهرة في استاد القاهرة وحضرها ١٠٠ ألف يتصدرها زعماء الحزب الوطني من أجل أن يصرخ الناس وأنا أسمى ذلك جهاد الحناجر.. جهاد من نوع جديد ظهر في هذه الأمة حتى يعييه الصراخ ويذهب إلى منزله وهو يتصور أنه أدى ما عليه من واجب تجاه أمته.

والحكومات تعلم جيداً كيف تستنزف طاقات المسلمين فينبغي علينا أن نتوجه كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في البداية حينما أسس القاعدة العريضة.

فينبغي أن يرجع الناس إلى ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في أول الأمر.

تحرير المرأة :

- تتعالى دعاوى تحرير المرأة في هذا الزمان ويتبنى هذه الدعوات جهات غربية باسم الحرية وحقوق الإنسان وتمارس الضغوط على الدول الإسلامية لإقرار

مشاركة المرأة السياسية في الولايات العامة... ما نصيحتكم للمرأة المسلمة في هذا الشأن؟

- أنا يعجبني قول من قال للمرأة: أنت نصف المجتمع ثم أنت تلدين لنا النصف الآخر وأنت بذلك أمة بأسرها.. المرأة فعلاً هكذا.. ولو تأملنا مثلاً قصة موسى عليه السلام وردت في القرآن كثيراً ولكن ميلاد موسى عليه السلام إلا في سورة القصص وقدم لميلاد موسى بقول الله تبارك وتعالى: " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوراثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون " ، " وأوحيانا إلى أم موسى أن أرضعية " فبدأ الحديث عن الرضاعة بعد ذكر التمكين فلا يكون التمكين إلا بعد الاهتمام بشأن هذا الرضيع. فالتمكين يساوى في المكانة الاهتمام بالرضيع والربط بين الامرين مقصود ... وهنا نقول في حال خروج المرأة المسلمة من بيتها لابد ان يكون لهذا الولد من مرب إما الحضانات العامة وإما مربية خاصة.. وبذلك يفقد هذا التواصل والدفع ما بين الوليد وأمه، وهكذا يكبر الطفل ويكون ذا جحود وذا كنود.

ثم دعونا نسأل لماذا تخرج المرأة من بيتها.. كثير منهم يقول إن المرأة محتاجة مادياً.. لو نظرنا إلى الذي توفره المرأة العاملة من المال فإنه لا يساوي بأي حال من الأحوال خسارة تضييع الولد.

كما أن خروجها يفتح عينيها إذا كانت امرأة عفيفة على ما تقوم به الفاسقات في العمل وتبادل الأحاديث المليئة بالفسق والفجور والتعريض بالجماع..

فخروج المرأة وتركها لتربية أبنائها يعد خيانة لهذه الأمة. والمرأة خلقها الله عز وجل بإمكانات معينة، وها نحن نراها تزاحم الرجال على الوظائف حتى شاعت البطالة في أوساط الشباب.

ولننظر إلى ترجمة محمد الفاتح نجد أن أمه كانت تأخذه إلى شاطئ البحر وتحديثه عن بلاد ما وراء البحار وترغب له هذا الأمر حتى خرج محمد الفاتح يحب ركوب البحر، وكانت الأم التي قتل زوجها ترضع ولدها وهي تقول: سأسقيه الجراح مع اللبن فيخرج بذلك صاحب قضية.. فالأم بلا شك دورها خطير جداً لأن دورها مثل دور المهندس الذي يحدد قواعد العمارة وأسسها.. لا أحد يستشعر هذا الجهد المبذول في أساس العمارة ولكن القيمة تذهب دائماً إلى الشكل الخارجي والديكورات

وما هو فوق الأرض من البنيان.. فهي كالجندي المجهول ودورها جد خطير..
فخرج الأم من منزلها وتركها لدورها هو الذي أوجد القزامة - إن صح هذا التعبير
- في الأمة.. غلمان الصحابة كانوا أبطالاً.. وأبنائنا صاروا للأسف أقزاماً.. المرأة
المسلمة هي قاعدة البنيان عندنا.. ومن هنا نجد أن كل المؤتمرات التي تعنى بالأسرة
هدفها إفساد المرأة.. وأكبر مثال على ذلك مؤتمر السكان في القاهرة الذي خرج
بالتوصيات الخطيرة التي تركزت في منظومة واحدة تبدأ بمنع الختان ثم مد سنوات
الاختلاط وانتهاء بإباحة الإجهاض!!

يخرج الطالب مع زميلته يختلطان في التعليم وغيره وهكذا تزول الحواجز
والحياء بينهما وقبل ذلك أقروا منع الختان للفتيات وبالتالي تزيد الشهوة الجنسية لديها
فيحصل الزنا بينهما ويكون الحمل وهنا يأتي دور الإجهاض المحرم.
فالقصد من تلك المنظومة بلا شك إفساد المرأة المسلمة.. ثم كان إباحة الزواج
العرفي وقد قرأت في جريدة <الأهرام> أن ١٢ ألف طفل هم ثمرة الزواج العرفي
في مصر لا يعرفون آباءهم وهذه في الحقيقة قنبلة موقوتة.. حتى جرؤ طالب في
المنصورة من الزواج باثنتي عشرة بنتاً زواجا عرفياً!!
فنحن نهيب بالمرأة المسلمة ألا يؤتى الإسلام من قبلها.

تعدد الجماعات :

- نشهد تعدد الجماعات الإسلامية على الساحة فهل يعد ذلك ظاهرة صحية أم لا؟
وما واجب العلاقة بينهما وموقف المسلم منها؟

- في الحقيقة أنا لا أرى لهذه الجماعات إيجابية.. بل أرى أن السلبيات تحيطها
من كل جانب.. كل جماعة تتعصب لنفسها وتحذر من الأخرى.. ومن ليس معنا فهو
علينا.. هذا هو الواقع.. حتى جماعة التبليغ التي كنا نتصور أنهم لا يعبؤون بهذه
التقسيمات نجدهم عندنا في مصر من أكثر الجماعات تعصباً حتى إن التبليغي لا
يزوج ابنته لغير التبليغي.. ولديهم قائمة من العلماء وطلبة العلم.. لا يجوز أن يستمع
لهم ولا أن يستفتوا أبداً!!!

والتحزب والجماعات يُبقى ألوفاً مؤلفة محجوبة عنا!!! جماعات لا آخر لها وكل
حزب بما لديهم فرحون!!

ولا أدري تعدد الجماعات ما فائدته؟! ليس كما يقال ظاهرة صحية.. أي صحة
في التفرق والاختلاف؟! يحذر بعضها من بعض.

وليس مستحيلاً لجميع أهل السنة، بل هذا أمر ممكن أما الاحتجاج بحديث (
ستفترق أمتي على ٧٣ فرقة) فهذا أمر آخر نختلف مع الأشاعرة مع المعتزلة مع
القدرية مع الرافضة مع الخوارج.. لا يزالون مختلفين هؤلاء أهل القبلة أما أهل السنة
فيسهل جمعهم إذا تبنت الدولة ذلك، وكما قال حاكم مصر الوالي الليث ابن سعد قال
له: ما صلاح هذا الأمر؟ قال: إذا تكدرت رأس العين تكدرت السواقي.. قال: صدقت.
لذلك كان أول شخص في ظل الله يوم القيامة: إمام عادل به تستقيم الدنيا كلها
وكان الأئمة الشافعي وابن حنبل يقولون: لو كانت لي دعوة مستجابة لادخرتها لإمام
المسلمين... فبصلاح هذا الإمام صلاح الدنيا كلها، أما التشرذم والتفرق فمآله الهزيمة
والفشل.

وما أرى إلا أن الطريق طويل ولا بد من تضافر الجهود والتعاون من أجل
مصلحة المسلمين

قصة الشيخ

من الألف للياء كما ذكرها في كتابه تنبيه الهاجد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي نبينا محمد أشرف المرسلين، وعلي آله وصحبه أجمعين أما بعد.

فقد سبق لي أن نشرت جزء من هذا الكتاب يحتوي علي خمسمائة تعقب، وجعلته طليعة للجزء الرابع من كتابي ((الثمر الداني في الذب عن الألباني)) وقد أبنت فيه عن مقصدي في مقدمته، التي أثبتتها في هذه الطبعة.

وكننت قد أرسلت هذا الجزء إلي شيخنا أبي عبد الرحمن الألباني رحمه الله تعالى مع أحد إخواننا الكويتيين في آخر سفرة لي إليها عام (١٤١٩هـ) واتصلت به بعدها بعدة أشهر أثناء انعقاد أحد المؤتمرات الإسلامية بأمريكا، وكان الشيخ أيامها مريضاً، فكلّمته وسألته عن الكتاب. وهل قرأه، فقال: ((نعم قرأته، وهو كتاب جيد، زادك الله توفيقاً)) فرحم الله شيخنا، ورفع مقامه. ثم خطر لي أن أجعله كتاباً مستقلاً، فجمعت مادته من مصنفاتي التي لم تطبع، ومما عرض لي أثناء تحقيقاتي وتخريجاتي، فجاء كتاباً حافلاً في ستة مجلدات والحمد لله. ولقد وجدت لها فرصة سانحة لي أن أثبت فيه بعض مصنفاتي القديمة، والتي فقدت جزءاً منها فلم أنشط للنظر فيها، لأنها تحتاج إلى جهد جهيد، ووقت مديد، وعزم حديد لا أجد له من فراغ البال

ما يمكنني من إتمام النقص الواقع فيه مثل كتابي ((إتحاف الناظم بوجه أبي عبد الله الحاكم)). وكنت أحصيت أنواع الأوهام التي وقعت للحاكم في ((المستدرك)) فتجاوزت خمسة عشر نوعاً: منها ما قال فيه: ((علي شرطهما أو أحدهما ولم يخرجاه)) ويكونا قد أخرجاه. فهذه ثلاثة أنواع. ومنها ما قال فيه: ((علي شرطهما)) وهو علي شرط واحد منهما. ومنها ما قال فيه: ((علي شرط البخاري)) ويكون علي ((شرط مسلم)) والعكس. ومنها ما قال فيه: ((علي شرطهما أو علي شرط أحدهما)) وليس كذلك، بل ليس صحيحاً، وقد يكون ضعيفاً أو باطلاً أو موضوعاً. ومنها ما يصححه مطلقاً وليس بصحيح أصلاً، ومنها ما قال فيه: ((أخرجاه أو أحدهما مختصراً)) ويكونا قد أخرجاه أو أحدهما بأوفي من سياقه. إلى آخر هذه الأوهام. وقد ظفرت بنحو مجلد ونصف من هذا الكتاب، فرأيت نشر ما ظفرت به. وكذلك كتابي ((الجزم بشذوذ بن حزم)) وهو من أوائل ما صنفته وقد وضعته ذباً عن رواية معروفين، زعم ابن حزم أنهم مجاهيل. ولم أتعرض فيه للرواة الذين ضعفهم ابن حزم في كتبه.

وقد ظفرت بقدر صالح من هذا الجزء. فرأيت أن أنشره أيضاً. هذا، وقد رفعت من المجلد الأول عدة تعقبات، إما لأنها تكررت سهواً مني، أو لأنني أعدت النظر فيها، ورأيت وجه التعقب فيها ضعيفاً، إلى غير ذلك من الأسباب، وهاك أرقامها (٨)، ٦٣، ٩٩، ١١٠، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٧، ١٧٧، ٢١٧، ٢٦٠، ٢٦٨، ٢٩٥، ٣٦٨، ٣٧٦، ٤٥٤، ٤٨٥). وقد أضفت كثيراً من الفوائد والتخريجات علي أغلب تعقبات الجزء الأول نصيحة للمسلمين، وأداءً لحق العلم وكنت أرجو ألا أثبت حديثاً إلا وأتكم عليه بالصحة أو الضعف، وقد حاولت ذلك في مواضع شتى من الكتاب، ولكن الذي أغراني بإهمال ذلك أنني وضعت كتابي لغرض آخر، ولعلّي أستدرك ذلك في طبعة قادمة إن شاء الله تعالى. وأوصي أهل العلم أن يكتبوا لي ما يجدونه من تنبيهات ستكون موضع العناية والدرس مني، ولهم شكري سلفاً. ثم إنني أخيراً أشكر أخانا في الله أحمد بن عطية الوكيل علي عنايته بمراجعة تجارب الكتاب ووضع فهرسه الرائقة في خاتمة كل جزء. والحمد لله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً.

وكتبه: أبو إسحاق الحويني الأثري

السبت ١٨ / ربيع الآخر / ١٤٢٣ هـ - ٢٩ / يونيو / ٢٠٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى، فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

؟ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ؟ [آل عمران: ١٠٢] .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ؟ [النساء: ١] .

؟ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا؟ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم صل على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

((فالحمد لله الذي لا يؤدّي شكر نعمةٍ من نعمه، إلا بنعمة منه توجب على مؤدى ماضى نعمه بأدائها: نعمةٌ حادثة يجب عليه شكره بها، ولا يبلغ الوصفون كُنهَ عظمتِه، الذي هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفُه به خلقُه، أحمدَه حمدا كما ينبغي لكرم وجهه عزَّ وجلَّ، وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة إلا به، وأستهديه بهداه الذي لا يضل من أنعم به عليه، وأستغفره لما أزلّفت وأخرت، استغفار من يُقرُّ بعبوديته، ويعلم أنه لا يغفر ذنبه، ولا ينجيه منه إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله.

فنسأل الله المبتدئ لنا بنعمة قبل استحقاقها، المديمها علينا مع تقصيرنا في الإتيان عليما أوجب به من شكره بها، الجاعلنا في خير أمة أخرجت للناس، أن يرزقنا فهما في كتابه، ثم سنة نبيه، وقولا وعملا يؤدي به عنا حقه، ويوجب لنا نافلة مزيّدة))^(١).

فإن الله - جل ثناؤه - لما خلق الناس، ركز في فطرهم محبة الإحسان، والخضوع له، كره لهم الكبر والعلو في الأرض بغير الحق.

فقال جل ثناؤه: ؟ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ؟ [الرحمن: ٦٠] .

يعني لا ينبغي أن يكون الإحسان إلا من جنسه، فليس لمن أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه غي الآخرة.

وما أجمل قول القائل: ليس هناك حمل أثقل من البر، من برّك فقد اوثقك، ومن جفاك فقد أطلقك. فإن أردت استرقاق إنسان، فأحسن إليه، فيكون ذلك مانعا إياه أن يوصل السيئة إليك.

ومما يدلك على صحة ما أقول من أن محبة الإحسان، والخضوع لأهله مركزٌ في فطر الناس، حتي الكافر، ما أخرجه البخاري (٣٢٩/٥-٣٣٣) ، وأحمد (٣٢٤/٤)، (٣٢٩) وغيرهما من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه، وذكر حديثه في ((صلح الحديبية)) وفيه:

((فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ التَّقِيُّ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى،

قَالَ: أَوْلَسْتُمْ بِالْوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَهَلْ تَتَّهَمُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ، فَلَمَّا بَلَغُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا:

^(١) اقتباس من كلام الإمام الجليل محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ورضي عنه في مقدمته لكتابه (الرسالة) تحقيق المحدث النبيل أبي الأشبال أحمد شاکر رحمه الله.

بلى. قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةٌ رُشِدٌ، أَقْبِلُوهَا وَدَعُونِي آتِهِ. قَالُوا: إِنَّتِهِ. فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ^(٢)، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيُّ مُحَمَّدٍ! أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاكَ أَهْلُهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى فَإِنِّي - وَاللَّهِ! - لَا أَرَى وَجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَشْوَابًا. وفي رواية: أوباشا - مِنَ النَّاسِ، خَلِيقًا أَنْ يَفْرُوا وَيَدْعُوكَ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: امْصُصْ بِيْظِرِ اللَّاتِ، أَنْحَنُ نَفْرُ وَنَدْعُهُ؟

فَقَالَ عُرْوَةُ: مَنْ ذَا؟

قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ!

قَالَ: أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْلَا يَدُ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبُوكَ.. (الحديث)..

وأخرج بعضه: أبو داود (٢٧٦٥)، والنسائي في ((الكبرى)). كما في ((أطراف المزي)) (٣٨٣/٨). وغيرهما.

فانظر - يرحمك الله من مُنصف - قول عروة لأبي بكر، فما منعه من الرد عليه وقد بالغ في عيب آلهتهم، إلا أنه كان أسير الإحسان المتقدم من أبي بكر له. وقد ورد في رواية ابن إسحاق عن الزهري في هذا الحديث أن عروة قال لأبي بكر: ((لولا يد لم أجرك بها، ولكن هذه بها)) كأنه قال له: هذه الإساءة منك إلي آلهتنا قد استوفيت بها جميلك السابق عندي، فلم يبق لك حسنة تمنعني من الرد في قابل إذا أسأت إلي.

وأما من جفاك، وأساء إليك فما استودع يداً تمنعه من رد السيئة بمثلها وزيادة، لذلك كان طليقا لا يوقفه شيء.

وإذ الأمر كذلك، والوفاء سجية وخلق، فما أعلم أحد - بعد والدي - له علي يد مثل شيخنا الشيخ الإمام، حسنة الأيام، وريحانة بلاد الشام، أبي عبد الرحمن محمد

(٢) قال النبي صلى الله عليه وسلم لبديل بن ورقاء الخزاعي: ((إِنَّا لَمْ نَجِْ لِقَاتٍ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنْ فُرِيسًا قَدْ نَهَكْتُهُمُ الْحَرْبُ وَأَضْرَبَتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْنَاهُمْ مَدَّةً وَيَخْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرُوا فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَمُؤْا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرَدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ)) فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَابَّغَهُمْ مَا تَقُولُ.

ناصر^(١) الدين الألباني، ألبسه الله حُلَّ السعادة وكافأه بالحسني وزيادة، إذ الإطلاع علي كتبه كان فاتحة الخير العميم لي، وأبدأ الحديث أسوقه من أوله.

ففي صيف عام (١٣٩٥ هـ) كنت أصلي الجمعة في مسجد ((عين الحياة)) ، وكان إمام إذ ذاك، الشيخ عبد الحميد كشك^(٢) -حفظه الله تعالى -، وكان تجار الكتب يعرضون ألواناً شتى من الكتب الدينية أمام المسجد، فكنت أطوف عليهم وأنتقي ما يعجبني عنوانه، ف وقعت عيني يوماً علي كتاب عنوانه ((صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم من التكبير إلى التسليم كأنك تراها)) . تأليف محمد ناصر الدين الألباني.

فراقني اسمه. فتناولته بيدي، وقلبت صفحاته، ثم أرجعته إلي مكانه، لأنه كان باهظ الثمن لمثلي، وكان إذ ذاك بثلاثين قرشاً! ومضيت أتجول بين بائعي الكتب، فوقف علي كتاب لطيف الحجم بعنوان ((تلخيص صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم)).

ففرحت به فرحة طاغية، ولم أتردد في شرائه وكان ثمنه خمسة قروش، ولم أشتري غيره، لأنه أتني علي كل ما في جيبى! ومن فرحتي وإغتابي به قرأته وأنا أمشي في طريقي إلي مسكني مع خطورة هذا المسلك علي من يمشي في شوارع القاهرة، ولما أويت إلي غرفتي تصفحت الكتاب بإمعان، فوجدته يدق بعنف ما ورثته من الصلاة عن آبائي إذ أن كثيراً من هيئتها لا يمت إلي السنة بصله، فندمت ندامة الكسعي^(١) اننى لم أشتري الأصل، وظللت أحلم بيوم الجمعة المقبل - وأدبر ثمن الكتاب طوال الأسبوع -، وأنا خائفٌ وجلٌ أن لا أجده عند البائع، وكنت أدعو الله أن يطيل في

(١) توفي شيخنا رحمه الله ورضي عنه يوم السبت ٢٢ / جمادي الآخرة / ١٤٢٠ هـ الموافق ٢ / ١٠ / ١٩٩٩ بعد عصر هذا اليوم، فاللهم ارض عنه واغفر له وارحمه كفاء ما قدّم للمسلمين من تقريب السنة والذب عنها.

(٢) ثم توفي الشيخ رحمه الله في رجب (١٤١٧ هـ) اللهم اغفر له وارحمه، وارض عنه كفاء ما نافح عن دينك، وما جاهر بكلمة الحق.

(١) وفي " لسان العرب " (٣٨٧٦/٤) قال: " والكسعي الذي يضرب به المثل في الندامة، وهو رجل رام رمي بعد ما أسدف الليل عيراً فأصابه، وظن أنه أخطأه فكسر قوسه، وقيل: وقطع أصبعه ثم ندم من الغد حين نظر إلي العير مقتولاً وسهمه فيه، فصار مثلاً لكل نادم علي فعل يفعله، وإياه عني الفرزدق لما قال:

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلقه نوار

وقول الآخر:

ندمت ندامة الكسعي لما ... رأيت عيناه ما فعلت يده "

وذكر ابن منظور سببا آخر

عمرى حتى أقرأه، ومنَّ الله علىَّ بشرائه فلما تصفحته؛ ألقيت الألواح، ولاح لي المصباحُ من الصباح! وهزَّنى هزًّا عنيفاً، لكنه كان لطيفاً؛ مقدمته الرائعة الماتعة في وجوب اتباع السُّنة، ونبذ ما يخالفها تعظيماً لصاحبها صلي الله عليه وسلم، ثمَّ نقوله الوافيه عن أئمة المسلمين، إذ تبرأوا من مخالفة السنة أحياء وأمواتا، فرضي الله عنهم جميعاً، وحشرنا وإياهم مع الصادق المصدوق - بأبى هو وأمى - وقد لفت إنتباهى جدا حواشى الكتاب - مع جهلى التام آنذاك بكتب السنة المشهورة فضلاً عن غيرها من المسانيد والمعاجم والمشيخات وكتب التواريخ، بل لقد ظللت فترة فى مطلع حياتى - لا أدري طالت أم قصرت - أظن أن البخاريُّ صحابيُّ، لكثرة ترضى الناس عنه.

وعلى الرغم من عدم فهمى لما فى حواشى الكتاب، إلا اننى أحسستُ بفحولة وجزالة لم أعهد لها فى كل ما قرأته، فملك الكتاب على حواشِي، وصرت فى كلِّ جمعة أبحث عن مؤلفات الشيخ ناصر الدين الألبانى، ولم تكن مشهورةً عندنا فى ذلك الوقت، لكساد الحركة العلمية، فوقفت بعد شهرٍ تقريباً على جزء من " سلسلة الأحاديث الضعيفة " - المائة حديث الأولى، فاشتريته فى الجمعة التى تليها لأتمكن من تدبير ثمنه.

أمّا هذا الكتاب فكان قاسمة الظهر التى لا شوى لها! ، وهو الذى رغبْنى فى دراسة علوم الحديث.

قلتُ: إنَّ الحركة العلمية كانت هامدةً فى ذلك الوقت، وكل من تصدَّر لوعظ الناس فهو عندنا عالمٌ، فما بالك بأشهر الواعظين عندنا فى ذلك الزمان - وهو الشيخ كشك - الذى كان له بالغ التأثير فى الناس بحسن وعظه، ومتانة لفظه، وجرأته فى الصدع بالحق، لم ينجُ منحرفٌ من نقدِهِ مهما كان منصبه، وكان فى صوته - مع جزالته - نبرة حُزن، ينتزع بها الدمع من المآقى إنتزاعاً، حتى من غلاظ الأكباد وقساء القلوب، فكان هذا الشيخ العالم الأول والأخير عندي، لا أجاوز قوله. وقد انتفعت به كثيراً فى بداية حياتى، كما انتفع به خلقٌ، لكننى لما طالعت " السلسلة الضعيفة " وجدت أن كثيراً من الأحاديث التى يحتج بها الشيخ منها، حتى خيل إلىَّ أنه يحضر مادّة خطبه من هذه " السلسلة "، وسبب ذلك فيما أرى أن الشيخ حفظ أحاديثه من كتاب " إحياء علوم الدين " لأبى حامد الغزالى، وكان الغزالى - رحمه الله - مزجى البضاعة فى الحديث، تام الفقر فى هذا الباب!

فعكّر على كتاب الشيخ ما كنت أجده من المتعة في سماع خطب الشيخ كشك حتى كان يومٌ، فذكر الشيخ على المنبر حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله يتجلى يوم القيامة للناس عامة، ويتجلى لأبي بكر الصديق خاصة^(١))). فلأول مرة أشك في حديث أسمع، وأسأل نفسي: ترى! هل هو صحيح أم لا؟ ومع شكى هذا فقد انفعلت له وتأثرت به بسبب صراخ الجماهير من حولى، استحساناً وإعجاباً! .

ولما رجعت الى منزلى، قلبت " السلسلة الضعيفة " حديثاً حديثاً أبحث عن الحديث الذي ذكره الشيخ كشك فلم أجده فواصلت بحثي، فبينما كنت فى بعض المكتبات وقفت على كتاب " المنار المنيف " لابن القيم - رحمه الله - بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقى - رحمه الله - فوجدت الحديث فيه، وقد حكم الإمام عليه بالوضع فيما أذكر، فعزمت على إبلاغ الشيخ بذلك نصيحة لله تعالى، وقد كان رسخ عندى أن التحذير من هذه الأحاديث واجبٌ أكيدٌ.

وكان للشيخ جلساتٌ فى مسجده بين المغرب والعشاء، فذهبتُ فى وقتٍ مبكرٍ لألحق بالصف الأول حتى أتمكن من لقائه فى أوائل الناس، فلما صلينا جلس الشيخ على كرسيه فى قبلة المسجد، وكان له عادة غريبةٌ وهي أنه يمدُّ يده، فيقفُّ الناس طابوراً طويلاً، فيصافحونه، ويقبلون يده وجبهته، ويسُرُّ إليه كل واحد بما يريد، وكنت العاشر فى هذا الطابور، فقلت فى نفسى: وما عاشر عشرة من الشيخ ببعيد! فلما جاء دوري، قبلتُ يده وجبهته، وقلت له: إنَّ الحديث الذى ذكرتموه فى الجمعة الماضية - وسميَّته - قال عنه ابن القيم أنه موضوع.

فقال لى: بل هو صحيح، فلما أعدت عليه القول، قال كلاماً لا أضبطه الآن لكن معناه أن ابن القيم لم يُصِبْ فى حكمه هذا، ولم يكن هناك وقت للمجادلة، لأن من فى الطابور ينتظرون دورهم!

ومما حزَّ فى نفسى أن الشيخ سألنى عن العلة فى وضع الحديث فلم يكن عندى جواب، فقال لى: يابنى! تعلم قبل أن تعترض، فمشيت من أمامه مستخدماً؛ كأنما ديكٌ نقرنى!

(١) وهو حديث باطل كما حققته عند الرقم (١٥٢٩) من هذا الكتاب والحمد لله .

وخرجت من مسجد ((عين الحياة)) ولديّ من الرغبة في دراسة علم الحديث ما يجعل عن تسطير وصفه بنائي، ويضيق عطني، ويكُل عن نعتي لسانی، وكان هذ العلم آنذاك شديد الغربة، ولست أبالغ اذا قلت: إنه كان أغرب من فرس بهماء بغلس!!

وظفقت اسأل كل من ألقاه من إخواني عن أحد من الشيوخ يشرح هذا العلم، أو يدلني عليه، فأشار على بعض إخواني - وكان طالبا في كلية الهندسة - أن أحضر مجالس الشيخ محمد نجيب المطيعي رحمه الله تعالى وكان شيخنا - رحمه الله - يلقي دروسه في (بيت طلبة ماليزيا) بالقرب من ميدان (عبدہ باشا) ناحية العباسية، وكان يشرح أربع كتب، وهي (صحيح البخاري) و (المجموع) للنووي، و (الاشباه والنظائر) للسيوطي، (إحياء علوم الدين) للغزالي، فوجدت في هذه المجالس ضالتي المنشودة، ودرتي المفقودة، فلزمته نحو أربع سنوات حتى توقفت دروسه بعد الإعتقالات الجماعية التي أمر بها أنور السادات وأنتهي الامر بمقتله في حادث المنصة الشهير، ورحل الشيخ - رحمه الله - إلى السودان، وظل هناك حتى توفي - رحمه الله - بالمدينة ودفن في البقيع كما قيل لي. رحمه الله تعالى.

وأناحت لي هذه المجالس دراسة نبذ كثيرة من علمي أصول الحديث وأصول الفقه، والله! لا أشطط إذا قلت: إنني أبصرت بعد العمى لما درست هذين العلمين الجليلين، وأقرر هنا أن الجاهل بهذين العلمين لا يكون عالما مهما حفظ من كتب الفروع، لأن تقرير الحق في موارد النزاع لا يكون الا بهما، فعلم الحديث يصحح لك الدليل، وعلم أصول الفقه يسد لك الفهم، فهما كجناحي الطائر.

ولم يكدر علي متعتي بدروس الشيخ المطيعي رحمه الله إلا حطه علي الشيخ الالباني صاحب الفضل على بعد الله عز وجل، وكان ذلك بعد حادثة طويلة الزيل ملخصها: أمن شيخنا المطيعي - رحمه الله - كان يتكلم عن قضاء الفوائت، وأن من لم يصل ولو لسنوات، فيجب عليه القضاء، وأطال البحث في ذلك. فقلت له - ولم يكن عندي علم بمن يقول بغير هذا المذهب من القدماء - قلت: إن الشيخ الألباني يقول: ليس هناك دليل على وجوب القضاء. فقال لي بلهجة. علمت بعد ذلك بزمان انه كان يقولها تهكماً: من الألباني؟ فقلت له: أحد علماء الحديث.

قال: لعله أحد أصحابنا الشافعية؟

قلت: لا أدري، لكنه معاصر لنا، وقد علمت انه لا يزال حيا.

فقال لي حينئذٍ: دعك من المعاصرين.

وكانت هذه أول مرة أسمعته يتكلم عن الألباني، ثم توالى السيل.
ثم جاء الشيخ الألباني الى مصر فى حدود سنة (١٣٩٦هـ) أو بعدها بقليل، وألقى محاضرة فى المركز العام لجماعة أنصار السنة فى عابدين، وكانت محاضراته عن تخصيص السنة لعام القرآن، وتقيدها لمطلقه، وذكر من أمثلة ذلك الذهب المخلوق.
ولم يكن عندي علم بمحاضرة الشيخ ولا وجوده، فرحل ولم أره، وكان إحدى أمانى الكبار أن ألتقى به، ولم يتحقق لى ذلك إلا بعد زمان طويل وذلك فى أول المحرم سنة (١٤٠٧ هـ) وكان قد طبع لى بعض الكتب منها " فصل الخطاب بنقد المغنى عن الحفظ والكتاب " وكنت فى هذه الفترة أتتبع كل أخبار الشيخ فكانت تصلنى أخبارٌ عن شدته على الطلبة وقسوته عليهم، واعتذاره عن التدريس بسبب ضيق الوقت وارهاق الدولة له، فكدتُ أفقدُ الأملُ حتى قيَّض الله لى أن ألتقى بصهر الشيخ - الأخ نظام سكجها - فى فندق بحى الحسين بالقاهرة، فسألته عن الشيخ وإمكان التلمذ عليه، فأخبرنى أن ذلك متعذرٌ، ولكن تعال وجرب!

فكان من خبرى أن سطرْتُ رسالة للشيخ قلتُ له فيها: إننى علمتُ أنكم تطردون الطلبة عن بابكم، ولدى أكثر من مائتى سؤال فى علل الأحاديث ومعانيها، ولا أفنع إلا بجوابكم دون غيركم، فسأجمع همتى وأسافر إليكم فلا تطردونا عن بابكم، أو كلاماً نحو هذا.

وأخبرنى الأخ نظامٌ بعد ذلك أن الشيخ تألم لما قرأ حكاية " الطرد " هذه.
وسافرت إلى الشيخ فى أول المحرم سنة (١٤٠٧ هـ)، واستخرجتُ تصريح العمل الذى يُحوّل لى السفر بأعجوبة عجيبة، وأمضيت ثلاثة أيام فى الطريق كان هوانى فيها شديداً، ومع ذلك لم أكثرث له، لما كان يحدوني من الأمل الكبير فى لقاء الشيخ.

ولما نزلت عمّان استقبلنى الأخ الكريم أبو الفداء سمير الزهيري جزاه الله خيراً، إذ أعاننى فى غربتى، وآوانى فى داره، وبعد الوصل بقليل، كلّمنا الشيخ بالهاتف، فرحّب بى غاية الترحيب، وقال لى: حللت أهلاً ونزلت سهلاً، ولم أصدق أذنى!، فأنا ذاهبٌ إليه وقد هيأت نفسى تماماً على الرضا بالطرد، إذا فعل الشيخ ذلك.
وقد بدأنى بالسلام، فرددتُ عليه السلام بمثل ما قال. فقال لى: ما أحسنت الرد! فقلتُ: لما يا شيخنا؟

فقال لى: إجعل هذا بحثاً بينى وبينك إذا التقينا غداً!

وظللتُ ليلتي أُفكر في هذا الأمر؛ ترى: ما وجهُ إساءتي الردَّ، حتى خمنت أن الراءَ ينبغي له أن يزيد شيئاً في ردّه نحو: ((وعفوه، ورضوانه)) ولم أكن وقفتُ على الحديث الذي قوى الشيخ فيه زيادة ((ومغفرته)) في الرد. وكان الشيخ يصلي الغداة في ((مسجد الفالوجا)) بجوار منزل أبي الفداء، ولم أذق طعم النوم ليلتي بسبب تأملي المسألة التي طرحها الشيخ، ولم تكتحل عيني بنوم إلا قبيل الفجر، وراح علىَّ بسبب ذلك لقاء الفجر مع الشيخ، وكلمناه في الصباح، فأعطانا موعداً عقب صلاة العشاء في منزل أبي الفداء.

وكان لقاءً حاراً، بدأني الشيخ بالعناق، لأنني لا يمكن أن أبدأه بذلك هيبه له، وكان معنا في هذا اللقاء الأخ الفاضل أبو الحارث على الحلبي حفظه الله، وجلسنا نحو ساعة ونصف الساعة نسالُ، والشيخ يجيبُ، فلما تصرمت الجلسة، وخرجنا من الدار، إنتحيتُ بالشيخ جانباً، وشرحتُ له باختصار ما كابدته في السفر إليه، ولم يخرجني من بلدي إلا طلبُ العلم، فلو أذن لي الشيخ أن أخدمه وأساعده لأتمكن من ملازمته، فشكرني واعتذر لي، نظراً لضيق وقته. فقلت له: أعطني ساعة كل يوم أسألك فيها. فاعتذر

فقلت له: أعطني ما يسمح به وقتك ولو كان قصيراً، فاعتذر! فأحسست برغبة حارة في البكاء، وتمالكت نفسي بعناء بالغ، وأطرقت قليلاً ثم قلت للشيخ: قد علم الله أنه لم يكن لي مأربٌ قط إلا لقاءكم والإستفادة منكم، فإن كنتُ أخلصتُ نيتي فسيفتح الله لي، وإن كانت الأخرى؛ فحسبي عقاباً عاجلاً أن ارجع إلى بلدي بخفي حنين!

وانا سادعو الله أن يفتح قلبك لي.

ولست أنسى هذا الموقف ما حييت.

ثم التقيت بالشيخ في صلاة الغداة من اليوم التالي، فقبلتُ يده - وهذا دأبي معه - فقال لي: لعلَّ الله استجاب دعائك؛ وكان فاتحة الخير. وكنت أكادأوقن أن الله سيستجيب لي، وأن الشيخ سيقبلني عنده، لا سيما بعد أن قابلت الأستاذ أحمد عطية - وكان من معظمي الشيخ قبلُ -، فاستضافني في داره وقال لي: لما طبع كتابك ((فصل الخطاب بنقد المغنى عن الحفظ والكتاب)) اشتريت منه نسخة وقرأته فأعجبني أنه على طريقة الشيخ، وكان الشيخ يقول: ليس لي تلاميذ - يعني على

طريقته فى التخرىج والنقد - قال: فأرسلت هذا الكتاب الى الشيخ وقلت له: وجدنا لك تلميذا، وراجعتُ الشيخ بعد ثلاثة أيام فقال: نعم.

قلت: لمّا قصَّ علىَّ الأستاذ أحمد عطية هذه الحكاية ضاعف من أملى أن يقبلنى الشيخ عنده.

ووالله! لقد عاينت من لطف الشيخ بى، وتواضعه معى شيئا عظيما، حتى أنه قال لى يوما: صحَّ لك ما لم يصحَّ لغيرك، فحمدت الله عز وجل على جسيم منته، وبالح فضلته ونعمته.

فمن ذلك أننى كلما التقيتُ به قبلت يده، فكان ينزعها بشدَّة، ويأبى علىَّ، فلما أكثر قلتُ له: قد تلقينا منكم فى بعض أبحاثكم فى " الصحيحة " أن تقبيل يد العالم جائز.

فقال لى: هل رأيت بعينيك عالما قطُّ؟

قلت: نعم، أرى الآن.

فقال: إنما أنا " طويلُ علمٍ "، إنما مثلى ومثلكم كقول القائل:

إن البُغَاثَ بأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ!

وبدأتُ جلسأتى مع الشيخ بعد كل صلاة غداةٍ فى سيارته، ولمدة ساعة، ثم زادت المدة حتى وصلت الى ثلاث ساعات.

واستمر هذا الأمر، حتى جاء يومٌ ولم يُصلِّ الشيخ معنا صلاة الغداة، فحزنت لذلك لضياح هذا اليوم علىَّ بلا استفادة، واستشرت من أثق برأيه من إخوانى: هل أذهب الى الشيخ فى بيته أم لا؟

فكان إجماعهم أن لا أذهب، لأنك لا تعلم ما ينتظرك هناك، ولا يذهب أحد الى الشيخ فى بيته إلّا بموعِدٍ سابقٍ، فلربما ردَّك، فلا يكون بك لائقا، لا سيما بعد المكانة التى صارت لك عند الشيخ.

وتهيبتُ الذهاب، ولكن قوى من عزمى أمران:

الأول: أن رفيقى آنذاك والذى كان يصحبنى بسيارته الأخ الفاضل الباذل أبو حمزة القيسى جزاه الله خيرا - قد أيدنى فى الذهاب.

الثانى: أننى استحضرت قصة لابن حبان مع شيخه ابن خزيمة ذكرها ياقوت بسنده إلى أبى حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابورى قال: كنا مع أبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة فى بعض الطريق من نيسابور، وكان معنا أبو حاتم البُستى، وكان يسأله ويؤذيه، فقال له محمد بن إسحاق بن خزيمة: يا بارد! تنحَّ عنى ولا

تؤذيني! أو كلمة نحوها، فكتب أبو حاتم مقالته، ف قيل له: تكتب هذا؟ قال: أكتب كل شيء يقوله الشيخ)) اهـ.

فقلتُ في نفسي: ومالي لا أفعل مثلما فعل ابن حبان؟ وحتى لو قال لي الشيخ مقالة ابن خزيمة لعددتها من فوائد ذلك اليوم.

وانطلقنا اليه، وكان من أفضل أيامي التي أمضيها في هذه الرحلة، فقد استقبلني الشيخ استقبالا كريما، وأمضيت معه أكثر من ساعتين، وكان يخدمنا بنفسه، ويأتيانا بالطعام يضعه أمامنا، فكلما هممت أن أساعده أبي عليّ، ويشير أن أجلس، ويقول: ((الإمتثالُ هو الأدبُ بل خيرٌ من الأدب))

ويعني به: أن الإمتثال لرغبته في الجلوس خير من سلوكي الذي أظنّه أدباً، لأن طاعتي له هي الأدب. وكان يوماً حافلاً قص على الشيخ فيه ما جرى بينه وبين الشيخ محمد نسيب^(١) الرفاعي حفظه الله.

ولا يفوتني أن أقول: كنت قابلت الشيخ نسيب الرفاعي بصحبة الأستاذ أحمد عطية المتقدم ذكره في بيته بحى الهاشمي في عمان البلقاء، ولقلما رأيت عيناى مثله في تواضعه وأدبه وحسن خلقه، وكان معظم كلامه عن الشيخ الألباني، وبرغم تقاربهما في السن إلا أنه كان يبالغ في تعظيم الشيخ، وقال لي: أنا مدين بالفضل لرجلين: الأول: ابن تيمية، والثاني: الألباني.

وقال لي: لقد تآزرنا في نشر الدعوة السلفية في سوريا، وكان الشيخ يزورنا في حلب، فدخلت على ابنتي " عائشة " وكانت صغيرة، فقال لي الشيخ: لو كانت كبيرة لتزوجتها وكنت منى بمنزلة أبي بكر من محمد صلى الله عليه وسلم، فانظر ما كان بيني وبينه من الأصرة.

وقرأ علينا أبو غزوان مقدمته لكتابه: ((التوصل الى حقيقة التوصل)) وقصّ على أشياء ذكرتها في ((طليعة الثمر الداني في الذب عن الألباني)). وهو القسم الخاص بترجمة الشيخ الألباني حفظه الله تعالى.

وقد أمضيت نحو شهر في هذه الرحلة، ولما علم الشيخ بموعد سفري دعاني على الغداء عنده في يوم الرحيل، وسألني عن حال السلفيين في مصر، وسألته عن

(١) ثم توفي رحمه الله يوم الأربعاء الرابع عشر جمادى الآخرة سنة (١٤١٢ هـ) فاللهم ارض عنه وتقبله.

الطريقة المثلى لنشرة الدعوة، وكيف نواجه المخالفين لنا، وكان يوماً حافلاً أمضيته مع (عميد السلفيين) في العالم الإسلامي حفظه الله وبارك في عمره.

اعلم - أيها المسترشد - أنني قدّمت هذا الكلام لأبيّن الدافع إلى تصنيفي كتاب (الثمر الداني في الذب عن الألباني)، وهو ذبُّ على وجه الإنصاف، وحمية محمودّة لا تعد بحمد الله من حمية الجاهلية، فإن حرب "إسقاط الرموز" قائمة على قدم وساق، وهي حرب خسيصة خبيثة، يستخدم فيها أصحابها ما لا يخطر على بالك من الكذب، والنفاق، وسوء الأخلاق.

وحرب "إسقاط الرموز" حرب قديمة وما حديث الإفك منك ببعيد. ولم يمر بالمسلمين محنة قط هي أعظم وأشدّ عليهم من حادث الإفك. ودعني أبين لك الأمر. فقد أخرج البخاري في (كتاب النكاح) (٢٧٨/٩ - ٢٧٩)، ومسلم في (الطلاق) (٣٤ / ١٤٧٩) من طريق الزُّهريّ، قالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ثَوْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَنِ الْمَرَأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى؟ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا؟ فقال عمر في هذا الحديث: "قَالَ كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ ابْنِ زَيْدٍ، وَهُمْ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاقَشُ النَّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِمَا حَدَّثَ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ أَوْ غَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ. . . ثم قال عمر: "وَكُنَّا قَدْ تَحَدَّثْنَا أَنْ غَسَّانَ تُنْعِلُ الْخَيْلَ لِعِزْوِنَا، فَنَزَلَ صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ فَرَجَعَ إِلَيْنَا عِشَاءً فَضْرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا وَقَالَ أَتَمَّ هُوَ؟ فَقَرَعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: قَدْ حَدَّثَ الْيَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ قُلْتُ مَا هُوَ أَجَاءَ غَسَّانُ قَالَ لَا بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَهْوَلُ طَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ ... "

إلى أن قال عمر: "فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ إِلَى الْمُنْبَرِ فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ. . . الحديث "

قُلْتُ: فأنت تري في هذا الحديث أن من الصحابة من كان يعتقد أن استيلاء غسان على المدينة أهون من تطليق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه مع أن الطلاق مباح، بل جلس بعضهم يبكي حول المنبر لتكدر خاطره صلى الله عليه وسلم مع أنه لو طلقت بنت أحدهم لما بكى، فإذا كان الأمر كذلك، فكيف إذا اتهمت زوجة نبيهم صلى الله عليه وسلم بالزنى؟! الله عليه وسلم بالزنى؟!!

وهذا يدلّك على ما كان الصحابة عليه من مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغاية القصوى.

فإذا نظرت إلى ما حدث في الإفك من رمى العفيفة المؤمنة أم المؤمنين، حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثر نسائه عنده بهذه الداهية الدهياء، والفاقرة العظيمة، علمت ما حلّ بالمجتمع المسلم كلّ من البلاء العظيم والخطب الفادح، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم كرّب له، وطفق يستشير خاصته في أمر عائشة بعد أن استلبث الوحي فسأل أسامة بن زيد فأشار على النبي صلى الله عليه وسلم بالذى يعلم من براءة عائشة وقال: يا رسول الله! أهلك، وما نعلم إلا خيراً، وأما على بن أبى طالب فقال: يا رسول الله! لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة، فقال: أى بريرة! هل رأيت من شىء يريئك؟ قالت بريرة: لا والذى بعثك بالحق، ما رأيت عليها أمراً غمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن تأكله. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبى بن سلول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: يا معشر المسلمين! من يعذرني من رجل بلغنى أذاه فى أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل بيتي إلاّ معي. فقام سعد بن معاذ الأنصاري، فقال: يا رسول الله! أنا أعذك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. فقام سعد بن عبادة وهو سيّد الخزرج فاحتلمته الحمية، فقال لسعد ابن معاذ: كذبت لعمر الله! لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير - وهو ابن عم سعد بن معاذ - فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله! لنقتله، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتساور الحيّان الأوس والخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفّضهم حتى سكّتوا وسكّت..)). وفى حديث ابن عمر: "وقام سعد بن معاذ فسلّ سيفه".

قلت: فهذا التوتر الشديد الذى وقع بين الصحابة حتى كادوا أن يقتتلوا - مع أنهم ضربوا أروع الأمثلة فى المحبة والوفاء والإثار - يدلّك على حجم المحنة التى عانوها، ولم يكن المقصود الأوّل فى هذه المحنة هو إتهام عائشة رضى الله عنها، بقدر ما كان طعنا على النبي صلى الله عليه وسلم، وأن تحته امرأة يزن بها، ومع أن

الزنى دون الشرك فى الإثم، إلا أن الزنا عار، ولذلك لا يعير أحد بأن أباه كافر، أو ابنه، فقد كان والد إبراهيم عليه السلام كافراً، ولم يعير به، وكان ابن نوح وامرأته كافرين، ولم يعير بهما، وكانت امرأة لوط كافرة، ولم يعير بها، بخلاف الزنى فإنه عار وشنار على أهله فى الدنيا قبل الآخرة. إن إسقاط ((الرمز)) أقلُّ مؤنة على المنافقين من إحداث الشَّعْبِ فى المجتمع كُله، لأن إسقاط الرمز فيه إهدارٌ لكل المبادئ التى يدعو إليها والمثل العليا التى يدندن حولها. وبعد هذا المعنى الذى جليَّته لك، تستطيع أن تدرك لما ثار علماء المسلمين فى تركيا لما فرض كمال أتاتورك - قاتله الله - القبعة بدلا من العمامة؟ وقد جرت محاكمات لعلماء المسلمين، فكان مما حدث أن قاضى المحكمة قال لأحد العلماء: ما أتفهمكم يا علماء الدين، لم هذه الثورة؟ أمن أجل أننا استبدلنا القبعة بالعمامة؟ وما الفرق بينهما، فهذا قماش وهذا قماشٌ. فقال له العالم: أيها القاضى! إنك تحكم علىّ وخلفك علم تركيا، فهل تستطيع أن تستبدله بعلم إنجلترا وهذا قماش، وهذا قماش؟! فبهت القاضى الظالم، ولم يُجر جواباً. ولو تأملت الطواف حول الكعبة، والسعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار، فهذا كُله إحياءٌ للرمز، لنأخذ منه العبرة. ومما يجدر أن نلفت النظر إليه، وهو يتعلق بقضية ((الرمز))، وفيه عبرةٌ - أيما عبرة - أن شيخنا الألبانى حفظه الله كان قد سئل منذ سنتين من بعض شباب فلسطين، قالوا له: إننا نلقى شدة وعنتا فى عبادة الله مع وجود اليهود فى أرضنا، حتى أن الواحد منا لا يكاد يصلى من الخوف على نفسه، فما الحل؟ قال الشيخ: اخرجوا من بلادكم إلى أماكن أخرى تقيمون فيها دين الله عز وجل، وأعدوا أنفسكم لترجعوا إلى بلادكم فاتحين فاستغلَّ جماعة من أهل الأهواء هذه الإجابة وأشاعوا بين العوام الطغام أن الشيخ يوجب على أهل فلسطين من العرب المسلمين أن يخرجوا ويتركوا أرضهم لليهود، وقامت الدنيا ولم تقعد زماناً طويلاً، وكاد الشيخ أن يطرد من " عمان " بسبب هذه الفتوى التى حرفوها، وتلفتت هذه الفتوى المحرفة إذاعة إسرائيل، فقدم المذيع ترجمة للشيخ الألبانى وذكر أنه أكبر محدث فى العالم الإسلامى وقد أفتى بكذا وكذا، فسمع بعض إخواننا ممن كنت أظنه من أهل التحرى هذا الثناء والفتوى من إذاعة إسرائيل ثم جاءنى وقال أنا عاتبٌ على الشيخ الألبانى كيف أفتى بكذا وكذا؟ فقلت له: ومن أين سمعت الفتوى؟ قال: من إذاعة إسرائيل!

قلت: سبحان الله! أيتهم الشيخ الثقة العدل عندك بنقل يهودي؟ ما لكم، وأين ذهبت عقولكم؟ وكان ينبغي ألا تتوقف في تكذيب اليهودي، ثم تنتظر الى حقيقة الأمر، هذا هو الأصل، وقد قال الله تعالى: ؟ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا؟ فكيف بالكافر المحارب، الذي يستغل مثل هذا التحريف الذي تولى كبره نفرٌ ممن ينتسبون إلى بعض الأحزاب الإسلامية، ليسقط ((الرمز)) ؟

وماذا يكون لو أسقطنا الشيخ الألباني، والشيخ ابن باز ومن على شاكلتهما من العلماء العاملين، هل يريدون أن تكون أُمَّتًا ثُلَّةً من الغلمان بلا رُءوس؟ ويرحم الله أبا حنيفة إذ مر على جماعة يتفقهون، فقال: ألهم رأس؟ قالوا: لا. قال: إذن لا يفلحون أبداً.

أخرجه الخطيب في " الفقيه والمتفقه " (٧٩٠)

ولله درُّ القاضي عبد الوهاب بن علي المالكي رحمه الله إذ يقول:
متى يصلُ العطاشُ الى ارتواءٍ ... إذا استقَّتِ البحارُ من الرِّكَايَا
ومن يُثْنِي الأصَاغِرَ عن مُرادٍ ... إذا جلس الأكابرُ في الزَّوَايَا
وإنَّ ترفع الوضعاءِ يوماً ... على الرُّقَعَاءِ من إحدى الرِّزَايَا
إذا استوتِ الأسافلُ والأعلى .. فقد طابت مُنَادِمَةُ المَنَايَا

وأخرج قاسم بنُ أصبغُ في " مصنفه " ^(١) بسندٍ صحيح - كما قال الحافظ في " الفتح " (١ / ٣٠١ - ٣٠٢) عن عمر بن الخطاب قال: " فسادُ الدين إذا جاء العلمُ من قبل الصغير، استعصى عليه الكبيرُ، وصالحُ الناس إذا جاء العلم من قِبَل الكبير، تابعه عليه الصغير ".

وأخرج ابن عبد البر في " جامع العلم " (١ / ١٥٩) عن ابن مسعود قال: " إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم، فإذا كان العلم في صغاركم سَقَّه الصغير الكبير "، وجاء هذا المعنى عن غير واحد من الصحابة. وقد حدث ما توقَّعه هؤلاء الصحابة الكرام، وهاك بيان ذلك:

فلقد ظلَّ علم الحديث زماناً طويلاً علماً مرغوباً عنه لصعوبته، ولأنه يحتاج الى ملكةٍ لا تستقيم لصاحبها إلا بالدربة وإدمان النظر مع إمكان الوصول إلى الأسانيد

^(١) وأخرجه ابن عبد البر في " الجامع " (١٠٥٥، ١٠٥٦)، والخطيب في " الفقيه " (٧٨٢)

التى هى روح هذا العلم، ومن المعلوم أن رأس مال المحدث هو الإسناد، وليس له ديوانٌ جامعٌ حافظٌ، بل هو مفرقٌ فى عشرات الألوف من الصحاح، والمسانيد، والمعاجم، والمشixات، وكتب التواريخ، والأجزاء الحديثية وغير ذلك، ولو قدرنا أن رجلاً ملك هذا العدد من الكتب فلا بد من تقريبه وفهرسته على أطراف الأحاديث حتى يتسنى له الانتفاع بها، وهذا جهد على جهد، قد يستغرق عمره كله أو أكثره، فمتى يحقق ويُخرَجُ ويوفق بين الأقوال المتعارضة؟، ثم يسأل الدارس نفسه سؤالاً: وماذا بعد هذا، فلا وظيفة ولا كسب، ولذلك أقبل الناس على دراسة الفقه، لأن دارسه يحصل وظيفة، فيعمل مفتياً أو واعظاً أو مدرساً، أو إمام مسجد، ونحو ذلك.

وأما دارس الحديث فلا ينتظره شيءٌ. وتستطيع أن تدرك هذا الأمر إذا نظرت إلى غالب المدارس التى بُنيت فى بلاد المسلمين قديماً مثل مدرسة نظام الملك فى بغداد، فتجد عنايتهم كانت بعلم الكلام والفقه وأصوله. وأنت ترى هذا الإهمال لعلم الحديث واضحاً جلياً فى مناهج الأزهر، وهو امتداد للمدارس القديمة التى أشرت إليها، فلم نر فى عصرنا ولا قبله رجلاً أزهرياً نبغ فى علوم الحديث إلا الشيخ أبا الأشبال أحمد شاكر رحمه الله، ولم يكن نبوغه بسبب دراسته فى الأزهر، بل بسبب توجهه الشخصى إلى هذا العلم.

وفى السنوات العشر الأخيرة حدثت نهضةً حديثيةً، من أهم سماتها طبع مئات الكتب المسندة والأجزاء الحديثية، بحيث يحق لى أن أزعم أنه طبع فى هذه السنوات العشر ما لم يطبع مثله فى مائة عام مضت، وصحب ذلك نهضة أخرى فى تقريب هذه الكتب وهى عمل موسوعات لأطراف الأحاديث، فصار هذا العلم قريب المنال، سهل المأخذ لى طالب حتى لو كان بليداً غبىً الذهن، أبعد الخلق من هذا العلم !

وكان الأمر قبل ثلاثين سنةً مختلفاً تمام الاختلاف عنه اليوم، وخذ مثلاً: فمسند الإمام أحمد رحمه الله مطبوعٌ فى ستة أجزاء كبار، وبخطٍ دقيق، وهو مرتبٌ على مسانيد الصحابة وليس على الأبواب، فلو أراد أحفلٌ محدثٍ فى الدنيا - ولا يعتمد على حفظه - أن يتأكد من عزو حديثٍ ما إلى " المسند " فإن هذا يكلفه مراجعة مسند الصحابى راوى الحديث وقد يكون من المكثرين مثل أبى هريرة وابن عمر وعائشة

وغيرهم، فكم من الوقت ينفقه ليتأكد من عزو حديث واحد إلى كتاب واحد؟ وقد لا يظفرُ بظنِّه بعد هذا المجهود ويكون الإمام أدرج الحديث في مسند صحابي آخر لغرض طرأ له، مثل اتحاد المتن، أو بيان الاختلاف في سنده ^(١) أو نحو ذلك.

فلو أن هذا الحديث رواه أئمة آخرون، ويريد المحدث أن ينظر في ألفاظه، أو متابعات الرواة فكم من الوقت يحتاجه ليتم له ما يريد في حديث واحد؟ !

ولذلك فرح المشتغلون بالحديث أيما فرح لما طبع كتاب " مفتاح كنوز السنة " فكتب الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله مقدمة له، أذاع فيها اغتباطه بطبعه، وكان مما قاله (ص ٨) : " ولو وُجد بين يديّ مثل هذا المفتاح لسائر كتب الحديث، لوفر على أكثر من نصف عمري الذي أنفقته في المراجعة " اهـ.

وقال الشيخ أبو الأشبال أحمد شاكر رحمه الله في مقدمته لهذا الكتاب (ص ٢٣ - ٢٤) بعد أن ذكر بعض صعوبات الكشف في الكتب عن الأحاديث قال: " وما لنا نضرب المثل بهما - يعنى: بمسند أحمد وطبقات ابن سعد - والصعوبات فيها معروفة؟ وأماننا الكتب الأخرى المرتبة على الأبواب، كالكتب الستة وغيرها، فكثيراً ما يعجز الممارس لها عن الوصول إلى حديث بعينه يبغيه فيها. وها أنا اشتغل بعلوم الحديث منذ خمس وعشرون سنة، وقد تلقيت منها سماعاً وقراءةً عن أعلام وكبار من الشيوخ، وفي مقدمتهم والدي الأستاذ الجليل السيد محمد شاكر وكيل الجامع الأزهر سابقاً حفظه الله، والحافظ الكبير العلامة السيد عبد الله بن إدريس السنوسي، عالم مراكش، وشيخ شيوخها رحمه الله، ومع ذلك فإنني طالما أعياني تطلب بعض الأحاديث في مظانها، وأغرب من هذا أني لبثت نحو خمس سنين وأنا أطلب حديثاً معيناً في " سنن الترمذي "، وهو كتاب تلقيته كله عن والدي سماعاً، ولى به شبه إختصاص، وكبير عناية، فهذه الكتب كانت بين يديّ من لم تطل مدارسته لها كالصناديق المغلقة، لا يعلم من أين يصل إلى ما فيها. . .)) انتهى

(١) وانظر " مسند أحمد " (١ / ٢٥٩ - زوائد) (٣ / ١٢) (٤ / ١٦٧) (٦ / ٢٠٣) وفيه نماذج كثيرة. ووقع هذا كثيراً في " مسند أبي يعلى " وانظر الأرقام - ٧٦، ٦٢٣، ٦٤، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٦٠٧، ١٦٤٥، ١٦٨٢، ٢٠٤٢، ٢٠٦٧، ٢٠٦٨، ٢٠٦٩، ٢١١٢، ٢١٥٢، ٢٣١١، ٢٤٩٨، ٥٠٦، ٢٥٠٧، ٢٦٢٨، ٢٦٢٩، ٢٦٣٢، ٢٦٣٣، ٢٦٣٦، ٢٦٣٧، ٢٦٣٨، ٢٦٣٩، ٢٦٤٠، ٢٦٤١، ٢٦٤٢، ٢٦٤٣، ٢٦٤٦، (مرسل)، ٢٦٥٣، ٢٧٠٦، ٢٧١٠، ٢٧١٧، ٢٧٣١، ٢٧٤٧، ٢٧٤٨، ٢٩٥٧، ٣٣٨٩، ٣٤٨٠، ٣٦١٦، ٣٦٢٦، ٣٢٢٥، ٣٢٣٥، ٣٢٣٦، ٣٢٣٧، ٣٢٣٨، ٣٩٨٥، ٤٠٠٧، ٤٠٦٦، ٤١٨١، ٤٤٦٤، ٤٥٦٧، ٤٦٩٢، ٤٧١٠، ٤٧٢٠، ٤٧٤٢، ٤٧٦٢، ٤٧٦٧، ٤٨١٨، ٤٩٠٧، ٤٩١٥، ٥٠٥٥، ٥١٠٩، ٥٣٩٥، ٥٥٦٠ / ٢٦١٩، ٢٦٢١، ٢٦٢٢، ٢٦٢٣، ٢٦٢٤، ٢٦٢٥، ٢٦٢٦، ٢٦٢٧.

ولا يفوتني أن أقول إن كتاب " مفتاح كنوز السنة " يعد الآن من الفهارس (المتواضعة) بالنسبة لما ظهر من الفهارس، فكيف بعد استخدام الحاسب الآلى " الكمبيوتر " فى هذا الأمر؟!

وقد أدرك شيخنا الألبانى حفظه الله هذا الإعواز، فهداه الله عز وجل إلى عمل معجم لأطراف الأحاديث من الكتب المخطوطة والمطبوعة، يشى بهمة عالية وصبر نافذ، ولذلك كان له من الخطوة والشهرة في هذا العلم ما لم يكن لأبى الأشبال ولا للشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى، وهما من نوابغ علماء الحديث فى هذا العصر.

فقرَّب الشيخ الألبانى السُّنة بكثرة تخاريجها، والكلام على الأسانيد ومناقشة العلماء فى عللها، وهو صاحب مدرسة فى التخريج جمع فيها بين القديم والحديث. ولا أعلم أحد له مساس بهذا العلم إلا وللشيخ عليه فضلٌ دقٌّ أو جلٌّ، حتى أن حاسديه يستفيدون من علمه ويحطون عليه، وأغلب تخاريجهم مسروقة من كتبه، ويعلم هذه الحقيقة من له ممارسة لكتب الشيخ وقد ظلَّ الشيخ مُعظَّمًا معافى حتى انتشر هذا العلم، وكثرت فهارس الكتب، واستطاع أصغر الطلبة أن يعزو الحديث - بدلالة الفهرس - إلى كتب لم يطلع عليها كثيرٌ من الحفاظ القدامى فضلاً عن المحدثين وبن لهذه الظاهرة الإيجابية - وهى الاقبال على دراسة الحديث - وجهٌ سلبيٌ بغيضٌ.

قلتُ قبل ذلك: إنَّ رأس مال المحدث هو الإسناد، وهو مبعثرٌ فى عشرات الألوف من الكتب والأجزاء، ومن المستحيل على رجلٍ واحدٍ أن يستحضر كلَّ ما فى هذه الكتب حال تحقيقه للحديث، فربما ضعَّف الحديث ولم يقف له علة شاهد، أو يجزم بتقرُّد أحد رواته به، ويكون له متابعون، أو يغفلُ فيُبرمُ فى موضع ما ينقضه فى موضع آخر، لبعد ما بين الموضعين فى التدوين، أو يَتَغَيَّرُ اجتهاده، وهذا كان يقع لكبار الحفاظ والأئمة الفضلاء الذين هم معدنُ العلم، فلما انتشرت الفهارس العلمية، وتمكن صغار الطلبة من الوصول إلى مواضع الحديث فيها، كثر تعقبهم للعلماء، مع إساءة الأدب معهم، واتهامهم بالغفلة والتقصير والجهل والتجاهل، إلى آخر هذه الألفاظ التى كثرت فى السنوات العشر الأخيرة.

وقد ذكّرني انتشار الفهارس ومضررتها بكلمة قالها التابعيُّ الجليل محمد بن سيرين رحمه الله لما انتشرت كتابه فقال: " وددت أن الأيدى قطعت فى الكتابة " قيل له: لم؟ قال: لأنها ضيعت الحفاظ! ولست أجدُ فائدة الفهارس، وأنها سهَّلت على

أهل العلم مهمتهم، وأشاعت بين العامة الاهتمام بالسنة، والبحث عن صحيحها وسقيمها ولكن: ((لكل شيء إذا ما تم نقصان)) .

فظاهرة العالم هي التي شوهت جمال هذه النهضة، وأتاحت هذه الفهارس لكل متنفخ أن يتناول على الشوامخ، وكم لهذا العالم من مضار، من أهوانها- مع فداحته - أن يختلط العالم بشبيه العالم، ولا يميز الناس بينهما، فيستفتون شبيه العالم فيقع الخبط والخلط ومما يدل على صحة ما أقول ما أخرجه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة الذي قتل مائة نفس. وفي الحديث أن القاتل سأل عن أعلم أهل الأرض، فدلوه على راهب فسأله، فقال: إني قتلت تسعة وتسعين نفسا فهل لي توبة؟ قال: نعم، ومن يحجب عنك باب التوبة، اخرج الى أرض كذا وكذا.. إلى آخر الحديث المشهور، فما دلت الناس القاتل على الراهب الأول إلا لأنها تظنه عالما لتشابه أزيائهم ووجوههم، وهكذا كل من لبس جبة وعمامة، وأرخى لحيته فهو عند العوام عالم.

ويذكرني هذا التشابه بين العالم وشبيهه مع البون الشاسع بينهما في الجوهر بقصة ذكرها أبو الفرج في " الأغاني " (٨ / ٢١١) فقد ذكر أن الشاعر ثابت بن جابر، المعروف بـ ((تأبط شراً)) لقي ذات مرة رجلا من " ثقيف " يقال له: " أبو وهب "، وكان رجلا أهوج، وعليه حلّة جيّدة، فقال أبو وهب لتأبط شرا: بم تغلب الرجال يا ثابت، وأنت كما ترى دميم وضئيل؟! قال: باسمي!! إنما أقول ساعة ألقى الرجل: أنا تأبط شراً، فينزع قلبه، حتى أنال منه ما أردت! فقال له الثقيفي: أبهذا فقط؟! قال: قط! قال: فهل لك أن تبيعني اسمك؟ قال: نعم، فبم تبتاعه؟ قال: بهذه الحلّة، وبكنيتي. قال له: أفعل. ففعلا، وقال تأبط شرا: لك اسمي ولي اسمك، وأخذ حلّته، وأعطاه طمريه، ثم انصرف. فقال تأبط شرا يخاطب زوجة هذا الثقيفي:

ألا هل أتى الحسناء أن حليها ... تأبط شراً واكتنيت أبا وهب

فهبه تسمي اسمي وسماني اسمه ... فأين له صبري على مُعظم الخطب

وأين له بأس كباسي وسورتى ... وأين له في كل فادحة قلبي

وقد توجع بعض الأذكيا من كثرة أشباه العلماء في ديار المسلمين، وأطلق عليهم اسم ((المجدينات)) بدل ((المجددين)) ، فقال له سامعُه: وما المجدديّات؟ ما هو بجمع مذكر سالم، ولا جمع مؤنث سالم؟ فقال له: هذا جمع ((مخنث)) سالم!! فأقسم له سامعه أن اللغة العربية في أمس الحاجة الى هذا الجمع، خصوصا في هذه الأيام!

فإذا كان الخطأ ملازماً للبشر؛ لا يعرى عنه مخلوق مهما اجتهد واحتاط لنفسه في تحرى الحق، فليس من الإنصاف أن يعير المرء به إذا وقع منه، لا سيما إن كان أهلاً للنظر، ولو أراد أحد أن لا يخطيء في شيء من العلم، فينبغي له أن يموت وعلمه فو صدره، فليس إلى العصمة من الخطأ سبيل إلا بتفضل رب العالمين على عبده.

والخطأ في الفروع أكثر من أن ينضبط، ولا يسلم العالم منه، فمن أخطأ قليلاً وأصاب كثيراً فهو العالم، ومن غلب خطؤه صوابه فهو جاهلٌ وهذا ميزانٌ عادلٌ، ويرحمُ الله ابن القيم إذ قال في (إعلام الموقعين) (٣ / ٢٨٣) : ((ومن له علم بالشرع والواقع، يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدمٌ صالحٌ، وأثار حسنةٌ، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة، هو فيها معذورٌ بل مأجورٌ لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته في قلوب المسلمين)). اهـ.

وقال الذهبي رحمه الله في ترجمة ((محمد بن نصر المروزي)) من ((سير النبلاء)) (١٤ / ٤٠) : " ولو أنا كلّمنا أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له، قمنا عليه وبدّعناه، وهجرناه، لما سلم معنا لا ابن نصر، ولا ابن مندة، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة " اهـ.

وقد وقفت على كلام جميل في ها المعنى لابن حبان رحمه الله. فقال في ((كتاب الثقات)) (٧ / ٩٧ - ٩٨) في ترجمة: ((عبد الملك ابن أبي سليمان العرزمي)) قال: " ربما أخطأ.. وكان عبد الملك من خيار أهل الكوفة وحفاظهم، والغالبُ على من يحفظ ويحدّث من حفظه أن يهتم، وليس من الإنصاف ترك حديث شيخ ثبت، صحّت عدالته بأوهام يهتم في روايته، ولو سلطنا هذا المسلك للزمنا ترك حديث الزهري، وابن جريج والثوريّ وشعبة، لأنهم أهل حفظٍ وإتقان، وكانوا يحدثون من حفظهم، ولم يكونوا معصومين حتى لا يهتموا في الروايات، بل الاحتياطُ والأولى في مثل هذا قبول ما يروى الثبت من الروايات، وترك ما صحّ أنه وهم فيها، ما لم يفحش ذلك منه حتى يغلب على صوابه، فإن كان كذلك استحق الترك حينئذٍ " اهـ.

قلتُ: وشيخنا أبو عبد الرحمن رجل من بنى آدم، يصيب كما يصيبون ويخطيء كما يخطئون، ولم يدع لنفسه عصمة من مقارفة الزلل، ولا أمنا من واقعة الخطل، وكتبه شاهدة على ذلك، لا سيما ما جدّد طبعه في هذه الأيام، فقد تراجع عن تصحيح أحاديث بعدما استبان له علّتها، وتراجع عن تضعيف أحاديث، بعد أن وقع لها على طرق أو شواهد، والكلام في التصحيح والتضعيف أمرٌ اجتهدى، فلا ينبغي أن يشغب على المخطيء فيه. بعد أهليته - إن ثبت أن أصوله التي يعتمد عليها منضبطة. وسامح الله القائل: إذا كنت خاملاً، فتعلق بعظيم! فقد تعلق كثير من الخاملين الباحثين عن الشهرة بكتب الشيخ الألبانى، وفتشوا فيها رجاء الوقوع على أغلاط له، وظفروا ببعضها، وكانوا محقين في تعقبها، لكنهم أضافوا إليها أشياء أخرى عدوها غلطاً ووهما من الشيخ، وهم الغالطون عليه، إما لسوء فهمهم وتسرعهم في فهم كلام الشيخ، وإما لأن الشيخ أجمل الكلام في هذا الموضوع، فوقع الإشكال وهذا أغلب ما تعقبوا الشيخ به. فذكرنى صنيعهم هذا بما أخرجهم الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت: سأل أناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليسوا بشيءٍ " قالوا: يا رسول الله! فإنهم يحدثون أحيانا الشيء يكون حقاً؟ قال: " تلك الكلمة من الحق، يخطفها الجنى، فيقرؤها في أذن وليه قرّ الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة " اهـ.

وقد رأيت بعض الناس تدنّى في خصومته للشيخ، وزعم أنه وقع له على مئات الأغلاط التي تصل إلى ألوفٍ، ونشر في ذلك أكثر من كتاب ليس فيها ما يمدح إلا جودة طبعها وحسنُ حرفها، ودأب على أن يكتب نسبه في أول الكتاب، وأنه شريفٌ هاشمى، وقصده معروف لأن الشيخ الألبانى أعجمى، فهو يفخر عليه بنسبه، وهذه نكرة جاهلية أهدرها الإسلام، مع أننا في زمان قل فيه العناية بالأنساب، ويستطيع كثير من الأدعياء أن ينسب نفسه إلى من يشاء بلا رقيب، ومع هذا، فإن أبا لهب كان أصح منه نسأوأعرق، وحالُه معروفة.

ثم بعد كتابة نسبه يكتب هذا البيت:

خلق الله للمعالى أناساً وأناساً لقصعةٍ وثريد

وقصده معروف أيضاً، وهو أنه من أصحاب المعالى، وأن الشيخ لا همّ له إلا الأكل! وهذا كذبٌ وزورٌ، ولو أردنا أن نعدد رجال المعالى لكان الشيخ الألبانى في طليعتهم، وهو معروفٌ بجده واجتهاده في طلب العلم، وأذكر هنا مثالا واحداً شافهنى

به الشيخ حفظه الله، وزَّبرَهُ في مقدمته لـ "المنتخب من مخطوطات الحديث " يدُك على علو كعبه وهمته العالية. يقول الشيخ حفظه الله:

((ولم يكن ليخطر في بالي، وضع مثل هذا الفهرس، لأنه ليس من اختصاصي، وليس عندي متسع من الوقت ليساعدني عليه، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد شيئاً هياً أسبابه ن فقد ابتليت بمرض خفيف أصاب بصرى، منذ أكثر من اثني عشر عاماً، فنصحني الطبيب المختص بالراحة وترك القراءة والكتابة والعمل في المهنة (تصليح الساعات) مقدار ستة أشهر. فعملت بنصيحته أول الأمر، فتركت ذلك كله نحو أسبوعين، ثم أخذت نفسي تراودني، وتزين لي أن أعمل شيئاً في هذه لعطلة المملة، عملاً لا ينافي بزعمي نصيحتة، فتذكرت رسالة مخطوطة في المكتبة، اسمها " ذم الملاهي " للحافظ ابن أبي الدنيا، لم تطبع فيما أعلم يومئذ، فقلت: ما المانع من أن أكلف من ينسخها لي؟ وحتى يتم نسخها، ويأتى وقت مقابلتها بالأصل، يكون قد مضى زمن لا بأس به من الراحة، فبإمكانى يومئذ مقابلتها، وهى لا تستدعى جهداً ينافي الوضع الصحى الذى أنا فيه، ثم أحققها بعد ذلك على مهل، وأخرج أحاديثها، ثم نطبعها، وكل ذلك على فترات لكى لا أشق على نفسى! فلما وصل الناسخ إلى منتصف الرسالة، أبلغنى أن فيها نقصاً، فأمرته بأن يتابع نسخها حتى ينتهى منها، ثم قابلتها معه على الأصل، فتأكدت من النقص الذى أشار اليه، وأقدره بأربع صفحات فى ورقة واحدة فى منتصف الكراس، فأخذت أفكر فيها، وكيف يمكننى العثور عليها؟ والرسالة محفوظة فى مجلد من المجلدات الموضوعة فى المكتبة تحت عنوان (مجاميع) ، وفى كل مجلد منها على الغالب عديد من الرسائل والكتب، مختلفة الخطوط والمواضيع، والورق لونا وقياسا، فقلت فى نفسى، لعل الورقة الضائعة قد خاطها المجلد سهوا فى مجلد آخر من هذه المجلدات! فرأيتنى مندفعاً بكل رغبة ونشاط باحثاً عنها فيها، على التسلسل. ونسيت أو تناسيت نفسى، والوضع الصحى الذى أنا فيه! فإذا ما تذكرته، لم أعدم ما أتعطل به، من مثل القول بأن هذا البحث لا ينافيه لأنه لا يصحبه كتابة ولا قراءة مضمينة!

وما كدت أتجاوز بعض المجلدات، حتى أخذ يسترعى انتباهى عناوين بعض الرسائل والمؤلفات، لمحدثين مشهورين، وحفاظ معروفين، فأقف عندها، باحثاً لها، دارساً إيها، فأتمنى لو أنها تنسخ وتحقق، ثم تطبع، ولكنى كنت أجدها فى غالب الأحيان ناقصة الأطراف والأجزاء، فأجد الثانى دون الأول مثلاً، فلم أندفع لتسجيلها

عندى، وتابعت البحث عن الورقة الضائعة، ولكن عبثاً حتى انتهت مجلدات (المجاميع) البالغ عددها (١٥٢) مجلداً، بيد أنى وجدتنى فى أثناء المتابعة أخذت أسجل فى مسودتى عناوين بعض الكتب التى راقتنى، وشجعنى على ذلك، أننى عثرت فى أثناء البحث فيها على بعض النواقص التى كانت قبل من الصوارف عن التسجيل.

ولما لم أعر على الورقة فى المجلدات المذكورة، قلت فى نفسى: لعلها خيبت خطأ فى مجلد من مجلدات كتب الحديث، والمسجلة فى المكتبة تحت عنوان (حديث) ، فأخذت أقلبها مجلداً مجلداً، حتى انتهيت منها دون أن أقف عليها! ولكنى سجلت أيضاً عندى ما شاء الله تعالى من المؤلفات والرسائل. وهكذا لم أزل أعلل النفس وأمنيتها بالحصول على الورقة، فانتقل فى البحث عنها بين مجلدات المكتبة ورسائلها من علم إلى آخر؛ حتى أتيت على جميع المخطوطات المحفوظة بالمكتبة، والبالغ عددها نحو عشرة آلاف مخطوط، دون أن أحظى بها!

ولكنى لم أياس بعد، فهناك ما يعرف بـ (الدست) ، وهو عبارة عن مكذسات من الأوراق والكراريس المتنوعة التى لا يعرف أصلها، فأخذت فى البحث فيها بدقة وعناية، ولكن دون جدوى.

وحينئذ يئست من الورقة، ولكنى نظرت فوجدت أن الله تبارك وتعالى، قد فتح لى - من ورائها - باباً عظيماً من العلم، طالما كنت غافلاً عنه كغيرى، وهو أن فى المكتبة الظاهرية كنوزاً من الكتب والرسائل فى مختلف العلوم النافعة التى خلفها لنا أجدادنا رحمهم الله تعالى، وفيها من نواذر المخطوطات التى قد لا توجد فى غيرها من لمكتبات العالمية، مما لم يطبع بعد.

فلما تبين لى ذلك، واستحكم فى قلبى، استأنفت دراسة مخطوطات المكتبة كلها من أولها إلى آخرها، للمرة الثانية، على ضوء تجربتى السابقة التى سجلت فيها ما انتقيت فقط من الكتب، فأخذت أسجل الآن كل ما يتعلق بعلم الحديث منها مما يفيدنى فى تخصصى؛ لا أترك شاردة ولا واردة، إلا سجلته، حتى ولو كانت ورقة واحدة، من كتاب أو جزء مجهول الهوية! وكأن الله تبارك وتعالى كان يعدنى بذلك كله للمرحلة الثالثة والأخيرة، وهى دراسة هذه الكتب، دراسة دقيقة، واستخراج ما فيها من الحديث النبوى مع أسانيده وطرقه، وغير ذلك من الفوائد. فإنى كنت فى أثناء المرحلة الثانية، التقط نتفاً من هذه الفوائد لى أعثر عليها عفواً، فما كدت أنتهى منها

حتى تشبعت بضرورة دراستها كتاباً كتاباً، وجزءاً جزءاً. ولذلك فقد شمרת عن ساعد الجد، واستأنفت الدراسة للمرة الثالثة، لا أدع صحيفة إلا تصفحتها، ولا ورقة شاردة إلا قرأتها، واستخرجت منها ما أعثر عليه من فائدة علمية، وحديث نبوى شريف، فتجمع عندي بها نحو أربعين مجلداً، فى كل مجلد نحو أربعمئة ورقة، فى كل ورقة حديث واحد، معزواً إلى جميع المصادر التى وجدتها فيها، مع أسانيده وطرقه، ورتبت الأحاديث فيها على حروف المعجم، ومن المجلدات أغذى كل مؤلفاتى ومشاريعى العلمية، الأمر الذى يساعدى على التحقيق العلمى، الذى لا يتيسر لأكثر أهل العلم، لا سيما فى هذا الزمان الذى قنعوا فيه بالرجوع إلى بعض المختصرات فى علم الحديث وغيره من المطبوعات! فهذه الثروة الحديثية الضخمة التى توفرت عندي؛ ما كنت لأحصل عليها، لو لم ييسر الله لى هذه الدراسة بحثاً عن الورقة الضائعة! فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

وإن من ثمراتها المباركة أننى اكتشفت فى أثنائها بعض المؤلفات والأجزاء والكراريس القيمة التى لم يكن من المعلوم سابقاً وجودها فى المكتبة أصلاً، أو كاملة، لذهاب الورقة الأولى وغيرها منها التى بها يمكن عادة الكشف عن هوية المؤلف والمؤلف، أو لإهمال الناسخ كتب ذلك على نسخته من الكتاب، أو غير ذلك من الأسباب التى يعرفها أهل الاختصاص فى دراسة المخطوطات، ولذلك خفيت على (بروكلمن) وغيره من المفهرسين، فلم يرد لها ذكر فى فهرسهم إطلاقاً، ولا بأس من أن أذكر هنا بعض المهمات منها مما يحضرنى الآن:

((المستخرج على الصحيحين)) للحافظ سليمان بن إبراهيم الأصبهاني الملقب.

((مجمع البحرين فى زوائد المعجمين)) للحافظ نور الدين الهيثمى.

((الحافظ)) لأبى الفرج ابن الجوزى.

((الكلم الطيب)) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

((إثبات صفة العلو لله تعالى)) لابن قدامة المقدسى.

((تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج)) لابن الملقن.

((السنن الكبرى)) للنسائى.

((فضائل مكة)) للجندى.

وأما الأجزاء والكراريس التى اكتشفتها، وبعضها مما أتممت به بعض الكتب التى كانت ناقصة، أو مجهولة الهوية فشئ كثير والحمد لله، وإليك بعضها على سبيل المثال:

((أحكام النساء)) لابن الجوزى.

((الضعفاء)) للذهبي.

((مسند الشهاب)) للقضاى.

((الصلاة)) لعبد الغنى المقدسى.

((تاريخ أصبهان)) لابن مندة.

((الكلام على ختان النبى صلى الله عليه وسلم)) لابن العديم ((جزء بعل النبى

صلى الله عليه وسلم)) لأبى اليمى ابن عساكر.

((المغازى)) لابن اسحاق.

((صحيح ابن حبان)).

هذا، وقد كان هذا الفهرس نتيجة جهد فردى، واندفاع ذاتى، من شخص غير موظف فى المكتبة، ولا مكلف منها، ولذلك لم يكن ليتيسر له ما يلزمه من التسهيلات لمراجعة المخطوطات ودراستها والبحث عن المجهولات من الأجزاء فيها، مثلما يتيسر عادة لمن كان موظفاً فى المكتبة أو مكلفاً من إدارتها، فكان من الطبيعى أن ينالنى بعض المشقة فى سبيل هذه الدراسة، فقد أتى على أيام كنت أضطر فيها إلى أن أنصب السلم، فأرقى عليه، لأستطيع تناول الكتب المرصوفة على الرفوف العالية، فأقوم عليه ساعات فى دراستها فى موضعها دراسة سريعة، فإذا اخترت شيئاً منها لدراستها دراسة فحص وتدقيق طلبت من الموظف المختص أن ينزلها ويأتى بها إلى المنضدة، بعد تقديمى قائمة بأسمائها وأرقامها وتوقيعها! ولذلك فإننى أظن أنه فاتنى الاطلاع على عدد غير قليل من الكتب والرسائل والأجزاء مما يتعلق بمثل هذا الفهرس، فعسى الله تبارك وتعالى أن يسخر من يتابع البحث والتفتيش بدقة ويسر، فيسجل ما قد فاتنى، وما كنت تعمدت تركه مما ليس من منهجى كما سبقته الإشارة إليه، لا سيما وقد ورد إلى المكتبة بعد عملى لهذا الفهرس مجموعات أخرى من المخطوطات، فيفهرس ذلك كله، ويكون كالذيل لهذا، وبذلك يتوفر للمكتبة العامة فهرس مفصل يحوى كل ما فيها من كتب الحديث الشريف.

وقد يرى القارىء فى فهرسى هذا كثيرا من الكتب التى ليس لها علاقة عادة بعلم الحديث، مثل كتب التاريخ والسيرة، والقراءات والتفسير وغيرها، فحقها أن تسجل فى فهرس خاصة بها، فعذرى فى تسجيلها فيه أننى كنت أحتاج الرجوع إليها كثيرا، لا سيما وأكثرها شديد الصلة بعلم الحديث الذى هو اختصاصى، فسجلتها فيه تيسيراً لعملى، وتوفيرا لوقتى)) اهـ.

قلت: فهذا شىء من جدّ الشيخ وتحصيله، أفيرمى صاحب هذه المهمة بأن حياته: "قصعة وثريدٌ"؟!

إذا محاسنى اللاتى أدلُّ بها عُدَّتْ عيوبًا، فقل لى كيف أعتذر؟! هذا، وقد طُبعت كتبٌ فى الرد على الشيخ الألبانى، بعضها يتعلّق بالحديث، وبعضها يتعلّق بالفقه، ويصحب النوعين تشغيبٌ كثيرٌ، فياليتهم قصروا كلامهم على الجانب العلمى حسب، اذن لظهر إنصافهم.

ولكن ألمنى وأزعجنى أن بعض هذه الكتب تجاوز أصحابها سبيل أهل العلم فى الرد بالتى هى أحسن، وكنت أحسُّ وأنا أقرأها بحفيف أفعى تدبُّ خلف السطور، وكلما انحدرتُ مع أسطر الكتاب علا الصوت وظهر الضُّباح، حتى إذا انتهيت من قراءة السطور فإذا:

كشيشُ أفعى أجمعتَ لِعَضٍّ فهى تحكُّ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ

وهذا كله جزء من الحرب التى أشرت إليها قبل، وسميتها: ((حرب إسقاط الرموز)).

فلما رأيتُ الأمر كذلك عزمت على تصنيف كتاب يردُّ الحق إلى نصابه، أدفع به الظلم الواقع على الشيخ الجليل، واضعا نصب عيني حديث النبى صلى الله عليه وسلم: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قيل كيف أنصره ظالماً؟ قال: تحجزه عن الظلم، فإن ذلك نصره".

أخرجه البخارى والترمذى وأحمد من حديث أنس رضى الله عنه وسميت هذا الكتاب: ((الثمر الدانى فى الذب عن الألبانى)).

وقسمته إلى أربعة أقسام:

الأول: طليعة الثمر الدانى، وهو القسم الخاص بترجمة الشيخ، وكنت تلقيتها منه سماعاً، وقد تم هذا القسم بحمد الله تعالى.

الثانى: فهو محاكمة بين الشيخ وخصومه فى علوم الحديث أصولاً وتخريجاً

الثالث: فهو محاكمة بين الشيخ وخصومه فى مسائل الفقه وأصوله.

الرابع: فهو ما وقع من الأغلاط فى كتب الشيخ فى التخريج والتعليل والتصحيح وما وقع لى مما لم يقف عليه الشيخ، ولم أستوعب لأن هذا ما وقع لى أثناء استفادتى من كتب الشيخ، فكنت أقف على الشىء بعد الشىء وكنت أراجع نفسى لعلمى بدقة الشيخ فى عمله، فكنت أتهم نفسى، وأعيد المراجعة، حتى إذا تأكدت أنه غلط دونته، وسأطلع الشيخ حفظه الله على هذا الجزء قبل طبعه، ليرى رأيه فيه.

وكان من أمرى أننى وضعت مقدمة لهذا الجزء الرابع، ذكرت فيها ما وقع لى من أوهام كبار العلماء فى كتبهم، وكان قصدى من هذا أن أقول: لم ينج أحد من الوهم مهما كان كبيراً فذا نسيج وحده، فيأبى الطاعن على الشيخ الألبانى لأنه أخطأ فى مسائل، دونك هؤلاء الفحول، قد وقع منهم ما ترى، فيلزمك الطعن فيهم، فإن اعتذرت عنهم بجواب، فجوابنا فى الاعتذار عن الشيخ هو عين جوابك. وما كان هدفى قط أن أجمع زلات العلماء - حاشا لله - وما تعمدت ذلك قط، بل هى أوهام جمعتها فى أثناء بحثى وكنت أدونها عندى لأستفيدها إن جاءت مناسبة لها، ولم يخطر ببالى أن أجمعها فى كتاب.

وإذا كان الخطأ من سمات بنى آدم، فأنا أولى به من كل من سميت فى كتابى هذا، ولا أبرئ نفسى من العثرة والذلة، ولكنى اجتهدت فى تحرى الحق، ودرجت فى كل تعقباتى على ذكر عبارة ((رضى الله عنك)) إشارة إلى من تعقبته، لأعطى الناشئة مثلاً فى التأدب مع العلماء، فإذا أخطأ الواحد منهم فقد أصاب أجراً واحداً، و؟ ما على المحسنين من سبيل؟، فكيف يلام من أصاب أجراً؟!

وهناك أمر آخر مهم نبهت عليه قبل ذلك فى كتابى ((بذل الإحسان بتقريب سنن النسائى أبى عبد الرحمن)) رددت به فرية لبعض الناس الذين ينكرون تعقب العلماء فى غلطاتهم ويعدون غيبة محرمة.

وأرى من تمام الفائدة أن أذكر ما قلته هناك (٢ / ٦ - ٩) :

((ولو كان تبين الخطأ من الصواب، يعد لوئاً من الاغتياب، فلا نعلم أحداً من الناس إلا جانفه، وارتكبه وقارفه، وإنما هذا مذهب لبعض الخاملين، فهو بالرد قمين، فإن مناقشة العلماء من السالفين أو المعاصرين فى بعض ما ذهبوا إليه ليس خطأ عليهم، فضلاً عن أن يكون غيبة محرمة، وكيف يكون تعقبنا لكبراء شيوخوا وأئمتنا، وعلماء سلفنا طعنا عليهم وبهم ذكرنا، وبشعاع ضيائهم تبصرنا، وباقتفاء واضح

رسومهم تميزنا، وبسلوك سبيلهم عن الهمج تحيزنا، بل من أنعم النظر وأعمل الفكر، وجد أن بيان ما أهملوا، وتسديد ما أغفلوا هو غاية الإحسان إليهم، فإن هؤلاء الأئمة يوم وضعوا الكتب، أو تكلموا في العلم، إنما كانوا يريدون بيان وجه الحق، فإذا أخطأ الواحد منهم، كان هذا نقيض ما أحب وقصد، فالتنبيه على خطئه من أجل إعادة الأمر إلى قصده ومحبوبه واجب على كل من له حق عليه، - والعلم رحم بين أهله -، إذ لم يكن أحد من هؤلاء الأئمة معصوما من الزلل، ولا آمنا من مقارفة الخطأ، وإن كان ما يتعقب به عليهم لا يساوى شيئا في جنب ما أحرزوه من الصواب، فشكر الله مسعاهم، وجعل الجنة مأواهم، وألحقنا بهم بواسع إحسانه ومثته، وحسبنا أن نسوق على كل مسألة دليلها العلمي حتى لا نرمى بسوء القصد، أو بشهوة النقد.

وأنا عندما نبهت على أشياء ركب فيها بعض المتقدمين أو المتأخرين خلاف الصواب، وتجلد بعضهم فيها، حتى ضاق عطنه عن تحرير الجواب، ما كنت بطاعن في أحد منهم، ولا قاصد بذلك تنديدا له، وإزرأ عليه، وغضاً منه، بل استيضاحا للصواب، واسترباحاً للثواب، مع وافر التوقير لهم والإجلال، إذ ((ما نحن فيمن مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال))^(١) وأنا مع وضعي هذا الكتاب، ما أبرئ نفسي ولا كتابي من الخطأ الذي لا يكاد يخلو منه تصنيف، ولا يخلص من توغله تأليف، وأنا أعوذ بالله - باري النسم -، من كل ما طغى فيه القلم، وجرى مني على الوهم وأعوذ به من كل متكلف يتتبع فيه على العثرات، ويحصى ما وقع فيه من الفلتات، وجل همه إظهار الغلطات، وطى الحسنات، مع أنه لو أراد إنسان أن لا يخطئ في شيء من العلم لما حصل مراده مهما فعل وهيهات، فليس إلى العصمة من الخطأ سبيل، إلا بتفضل رب الأرض والسموات. بل إنى أعترف فيه بكمال القصور، وأسأل الله الصفح عما جرى به القلم بهذه السطور، وأقول للناظر في كتابي هذا: لا تأخذن في نفسك على شيئا وجدته فيه مغايرا لفهمك، فإن الفهم تختلف، ولقلما تتفق العقول كلها وتأتلف، ولولا اختلاف الأنظار لبارت السلع، وهدمت صوامع وبيع، فإن رمت الوقوف على زلة لي في مثل هذا العمل الذي هو كالبحر العيّل، فلا شك أنك واجد، وليس هذا مما يستحيا منه، بل هو من المحامد، والسعيد من عدت غلطاته، وحسبت سقاطاته، وأحصوا عليه هناته لأن هذا يدل على ندرتها

(١) هذا قول أبي عمرو بن العلاء، رواه عنه الخطيب في مقدمة ((موضح الأوهام)) (١ / ٥) .

بجنب حسناته والجواد يكبو، والنار - بعد أوارها - تخبو، والصارم ينبو، والفتى قد يصبو. ولا يخفى عليك أن التعقب على الكتب الطويلة سهلٌ بالنسبة لتأليفها، ووضعها وترصيفها، كما يشاهد في الأبنية القديمة، والهيكل العظيمة، حيث يعترض على بانيها مَنْ عَرَى قَتَهُ القوى والقدر، بحيث لا يقدر على وضع حجرٍ على حجرٍ! فهذا جوابي، عما ورد في كتابي، فلربما كان اعتراضك بعد هذا البيان من تجاهل العارف، وإلا فلا يخفأك أن الزيوف تدخل على أعلى الصيارف، أما إنكار المشار إليه أن يكون عند المتأخر ما ليس عند المتقدم، فتلك شِثْنَةٌ نعرفها من أخزم!! وكما يقول ابن قتيبة - رحمه الله -: ((قد يتعثر في الرأي جلة أهل النظر، والعلماء المبرزون، الخائفون لله الخاشعون. ولا نعلم أن الله تعالى أعطى أحداً موثقاً من الغلط وأماناً من الخطأ، فنستنكف له منه، بل وصل عباده بالعجز، وقرنهم بالحاجة، ووصفهم بالضعف، ولا نعلمه تبارك وتعالى خص بالعلم قوماً دون قوم، ولا وقفه على زمن دون زمن بل جعله مشتركاً مقسوماً بين عباده، يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول، وينبه المؤلُّ منه على ما أغفل عنه المكثّر، ويحييه بمتأخر يتعقب قول متقدم، وتالٍ يعترض على ماضٍ، وأوجب على كل من علم شيئاً من الحق أن يظهره وينشره، وجعل ذلك زكاة العلم، كما جعل الصدقة زكاة المال)) اهـ.

وصدق أبو العباس المبرد إذ قال في " الكامل "، وهو القائل المحق: ليس لقدم العهد يُفْضَلُ القائل، ولا لحدِّثانه يهْتَضَمُ المصيب، ولكن يعطى كل ما يستحق. اهـ.

وما أحسن ما قاله الزمخشري في مقدمة ((المستقصى في أمثال العرب)): ((وكانى بالعالم المنصف قد اطلع عليه فارتضاه، وأجال فيه نظرة ذى علق، ولم يلتفت إلى حدوث عهده وقرب ميلاده، لأنه إنما يستجيد الشيء ويستردله لجودته ورداءته في ذاته، لا لقدمه وحدثه، وبالجاهل المشط قد سمع به، فسارع إلى تمزيق فِرْوَتِهِ، وتوجيه المعاب إليه، ولمّا يعرف نبعه من غَرَبِهِ، ولا صَقَرَهُ من خَرَبِهِ، ولا عَجَمَ عُوْدَهُ، ولا نَقْضَ تَهَائِمِهِ وُجُودَهُ، والذي غَرَّهُ منه أنه عمل محدث لا عمل قديم، وحسب أن الأشياء تُنْقَدُ أو تُبْهَرَجُ لأنها تليدة أو طارفة.

ولله دَرٌّ من يقول:

إذا رَضِيَتْ عني كِرَامُ عَشِيرَتِي فلا زال غضباناً على لِئَامِهَا

قلت: وتعقبي يكون على ضربين:

أ - إما أن أكون مصيباً في قولي، فما المانع أن يقبل الصواب مني؟

ب- وإما أن أكون مخطئاً، فعلى المعترض أن يبين ذلك بالدليل، فليس قوياً، ولا فى ميزان العدل كريماً أن يقبل القول من إنسان لمجرد أنه قديم، وأن يرد على المصيب قوله لكونه حديثاً!

وقد أجاد ابن شرف القيروانى (ت ٤٦٠ هـ) إذ قال:

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ويرى للأوائل التقديماً
إن ذاك القديم كان حديثاً وذاك الحديث سيبقى قديماً

ومع ما فتح الله تعالى به من الصواب، وأجراه على يدى بين دفتى هذا الكتاب، فلا أفخر بعملى ولا أزهو به فى الآفاق، معاذ الله! وهل بقى مع الناس اليوم من العلم - إذا ذكر الأول - إلا فضل بزاق؟! ((اهـ.

هذا:

ولم أرتب تعقيباتى، بل سجّلتها بحسب ما اتفق لى، وطريقتى أننى إذا وقعت على وهمٍ ما للطبرانى مثلاً إذ يقول عن الحديث " تفرد به فلان " فإذا وقعت على متابعةٍ ذكرتها، وقد تكون المتابعة فى كتاب أشهر من الكتاب الذى ذكرته، فإنى لم أتحر ذلك، بل كان قصدى بيان أنه لم يتفرد، وإن كان الأولى أن أسجل المتابعة من الكتب حسب ترتيبها عند أهل العلم، وقد ذكرت ذلك حتى لا أتعقب به، وقد راعيت هذا الأمر فى كتابى ((عودُ الجانى بتسديد الأوهام الواقعة فى أوسط الطبرانى)) وسأدفعه للطبع قريباً إن شاء الله تعالى.

وأسأل الله تعالى أن يجزل مثوبة علمائنا، وأن يتجاوز عما أخطأوا فيه، وأن يرزق الناشئة الأدب ورعاية الحق مع أهل الفضل، وأن يردنا إلى ديننا رداً جميلاً، والحمد لله أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً.

تنبيه؟ أكثر ما ورد فى هذه المقدمة كتبته قديماً سنة (١٤٠٩ هـ) وأضفت إليها شيئاً يسيراً من آخرها. والحمد لله.

وكتبه

أبو اسحاق الحوينى الأثرى

حامداً لله تعالى، ومصلحاً على

نبيينا محمد وآله وصحبه،

جمادى الآخرة / ١٤١٨ هـ

الرد على تهمة الشيخ بالإرجاء

كما جاء في مقدمته لتحقيق الديباج على مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد لله تعالى نعمه ، ونستعين به ونستغفره ،
ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله تعالى فلا مضل له
ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدي محمد صلى الله عليه
وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة
في النار.

فلا يخفي على أحد ما لـ " صحيح مسلم " من المكانة عند جماهير المسلمين
عامة ، وعند أهل العلم خاصة ، وكان ولا يزال محط اهتمام أهل العلم ، وإن كان لم
يخدم مثلما خدم صحيح البخاري ، فلا يوجد له شرح حتى الآن على غرار " فتح
الباري " ، يحل مشكله لاسيما في الأحاديث التي صححها مسلم وعارضه فيها بعض
أهل العلم ، كأبي الفضل الهروي ، وأبي الحسن الدارقطني ، وأبي علي الغساني
وآخرين فلعل الله يقيض من أهل العلم من يقوم بهذا الأمر الجليل.

والكتاب الذي أقدمه اليوم هو كتاب " الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج " للحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى ، وهو حاشية على " الصحيح " للحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى ، وهو حاشية على " الصحيح " اعتنى فيها بضبط الالفاظ ، وتفسير الغريب ، وأعراب لفظ مشكل أو ذكر مبهم ، ولم يتعرض للأحكام الفقهية ، ولا للإجابة عن الاحاديث المتكلم فيها ، إلا نادرا جدا ولم يشف ، وقد سددت بعض الاعواز في ذلك ، ولم آت على ما لم يذكره لاحتياجه مني إلى وقت مديد ، وكذلك أكثر المصنف - لاسيما في " كتاب الايمان " - من نقل كلام المازري ، والقاضي عياض ، والنووي في مسائل الاعتقاد ، ولا سيما

هذا الاخير ، فإن السيوطي استل حاشيته كلها أو جلها من شرحه المشهور ، وقد تعقبته فيما خالف فيه اعتقاد السلف ، وربما تركت التنبيه على موضع سبق له نظائر. ولعل الناظر فيما علته على الكتاب يعلم اعتقادي ، وأني والله الحمد على مثل اعتقاد السلف الصالح من الصحابة والتابعين والائمة المتبوعين كمالك ، والثوري ، والاوزاعي ، والشافعي ، وإسحاق بن راهوية ، وأحمد بن حنبل وغيرهم من أهل العلم والدين ، ومنذ طلبت العلم - منذ أكثر من عشرين عاما - لم أنتحل بدعة قط - بحمد الله - لا في الاعتقاد ولا في العمل ، وأرجو أن يحفظني الله تعالى فيما بقي من عمري ، حتى ألقاه على التوحيد الخالص.

وإنما قدمت بهذا ، لان هناك من أشاع عني أنني أنتحل مذهب الجهمية في الصفات ، فأقول : سميع بلا سمع ، وبصير بلا بصر وهكذا ، ولم أبتل بمحنة في حياتي - على ما فيها من محن والحمد لله - بمثل هذه المحنة ، والله لان أقدم فتضرب عنقي - لا يقربني ذلك من إثم - أحب إلى من أن أعتقد مذهب الجهمية. وسأسرد القصة كاملة ليرى الناس عزة الانصاف ، وغربة الحكم بالعدل.

فقد طلب مني صاحبنا الصادق الود أبو محمد خالد بن حسين لبني حفظه الله ، وهو من إلي مذهب السلف في مدينة جدة بالمملكة السعودية أن ألقى دروسا في مصطلح الحديث في مسجد الانوار بحي الصفا على بعض طلبة العلم هناك ، وأجبت طلبته شاكرًا إياه ، وبعد انتهاء درس أحد الايام جاءني من يسألني : ما تقول في قول عبد العزيز الكناني في " كتاب الحيدة " وهو يعني ما قاله المأمون لعبد العزيز : أنقول ، أو كما قال.

فقلت للسائل : ما قاله عبد العزيز له وجد ثم رأيت بعض أهل بلدي قد جاءوا للسلام علي فانشغلت معهم وانفض المجلس ، ونسيت الامر .

ووقفنا على باب المسجد فترة ليست بالطويلة ، ونحن نهم بالانصراف قال لي أبو محمد : إن بعض إخواننا يريد أن يقرأ عليك شيئاً ، فظننت أنه يريد أن يقرأ جزء أو نحوه ، فاعتذرت بأني مجهد ، ولعل ذلك يكون في وقت آخر ، فاعتذر أبو محمد لذلك الاخ ، وركبنا السيارة وانطلقنا إلى منزل أبي محمد ، فقال لي : كنت أن تعطي أخانا الفرصة ليقرا عليك حتى تزول الشبهة من عنده .

فقلت له : وأي شبهة تعني ؟ فقال لي : إنه أتى بكتب لشيخ الاسلام ابن تيمية تثبت أن اعتقاد السلف أن الله سميع بسمع بصير ببصر .

فقلت له : ومن يقول بغير ذلك ، إن قول القائل : سميع بلا سمع بصير بلا بصر هو عين التعطيل .

فقال لي أبو محمد : إن صاحبنا يقول : إنك تقول بذلك ، فأحب أنيقرأ عليك ، فقلت له ارجع بنا إلى المسجد .

فرجعنا إلى المسجد فلم نجد صاحبنا ، قلت له : انطلق بنا إلى منزله ، فذهبنا إلى منزله فأخبرونا أنه لم يأت ، فرجعنا إلى منزل أبي محمد ، واتصلنا بالهاتف ، فأخبرونا أنه لم يأت .

فقلت لأبي محمد : أخبر صاحبنا أنني أعتقد أن الله سميع بسمع ، بصير ببصر ، عليم بعلم ، قدير بقدرة ، وذكرت له قول عائشة : " سبحان من

وسع سمعه الاصوات " وكذلك حديث أبي موسى مرفوعا : " حجاب النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره " ثم قلت لأبي محمد : قد سئلت الليلة سؤالا ، ظننت أن صاحبك هو الذي أرسل من يسأل عنه ، فقد جاءني هذا السائل يسألني عن قول عبد العزيز الكناني في " كتاب الحيدة " فقلت له : إن قول عبد العزيز له وجه ، وانقطع الكلام ، فربما التبس على السامع فظنني أقول به ، وأنا أوضح لك مرادي لتنقله إلى صاحبك .

فقد ذكر في هذا الكتاب - إن ثبت - أن عبد العزيز الكناني قال للمؤمن : يا أمير المؤمنين ! لك علي أن أقطعه بنص التنزيل - يعني ابن أبي داود - ثم قال المؤمن بعد ذلك : يا عبد العزيز ! أتقول سميع بسمع بصير ببصر ؟ فقال عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ؟ لا أقول إلا بما في التنزيل .

وليس في " التنزيل " ما سأل عنه المأمون.

فأصبحت عبارة عبد العزيز محتملة للتعطيل ، لكن لا تقضي عليه بذلك ، لاحتمال أن يكون له مسلك آخر يستطيع أن يقيم به الحجة.

ويحتمل أنه لو احتج بالأحاديث ، اعترض عليه بأنها أحاديث آحاد ، ويحتمل أنه تنزل مع الخصم من باب المناظرة ، فأقره على قوله ليثبت له فساد ، ولا ينبغي أن تؤخذ عقائد الناس من المناظرات لهذا الاحتمال القائم ، ولذلك قالوا : إن لازم المذهب ليس بمذهب ومن هنا غلط الغالطون على شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله إذ ظنوا أنه يغض من منصب علي بن أبي طالب ، وأنه تكلم عنه بكلام لا يليق في " منهاج السنة النبوية " ، وحاشا ابن تيمية أن يصدر منه هذا ، وقد صرح بفضل علي وجلالته وسابقتها في مواضع شتى من الكتاب ، لكن شيخ الاسلام كان يرد على رافضي محترق ، لا يرى إثبات فضيلة لعلي بن أبي طالب إلا بالخط على مثل أبي بكر وعمر وطائفة من الصحابة فكان يأتي بأشياء يعيب بها أبا بكر والصحابة فيرد عليه ابن تيمية قائلا : لئن جاز أن يعاب أبو بكر بهذا ، فلئن يعاب علي بكذا وكذا أولى ثم يسرد حجته ، فأين غض ابن تيمية من منصب علي رضي الله عنه.

وحاصل الكلام إنني وجهت كلام عبد العزيز بما يتلاءم مع بقية عقيدته ، وهذا هو الواجب ، إذا أتاك لفظ مشترك عن أحد ، فتحمله على اعتقاد قائله ، فلو قرأت في كلام شيخ الاسلام ابن تيمية مثلا " إن الله في جهة " فينبغي حمل كلامه على أن الله في السماء ، لا علي الجسمية.

وانقضى ذلك اليوم ، وأنا لا أشعر بالشر ، فمضي يومان ، وإذا بأبي محمد يخبرني أن صاحبنا اتصل بشيخنا الالباني حفظه الله وسأله : ما تقول فيمن يقول : إن الله سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر ؟ فقال شيخنا : هذا جهمي ضال واتصل صاحبنا بشيوخ المدينة مثل الشيخ محمد أمان الجامي ، والشيخ فالح بن نافع الحربي ، وبعض طلبة العلم هناك يخبرهم أن أبا إسحاق الحويني يقول : إن الله سميع بلا سمع بصير بلا بصر ، وبدأوا يكلمون طلبة العلم في أماكن شتى ، يحتسبون الاجر عند الله بفضيحة أخيه في الله ! ! وزرت المدينة النبوية في هذه الايام وأنا لا أشعر بشئ ، فكان ممن زرته في بيته : الشيخ فالح بن نافع الحربي حفظه الله ، واستقبلني هاشا باشا ، وتكلمنا في مسائل شتى أذكر منها ما ذكره الشافعي رحمه الله في بعض مناظراته : إذ تطرق إلى الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال ، وما هو

ضابط الاحتمال الذي عناه الشافعي ، إذ كل دليل يمكن أن يطرقه الاحتمال ، وأمضينا الليلة ، ولم أشعر منه بأدني تغير ، ولما ذهبت إلى الفندق جاءني بعض إخواننا وسألني عن حقيقة ما يشاع عني أقول : إن الله سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر ؟ فكذبت القول وشرحت الأمر على نحو ما ذكرت ، فقال لي : أن فلانا اتصل بى وأخبرني بذلك ، واتصل بالشيخ محمد أمان والشيخ فالح وغيرهم يخبرهم بمقالتك ، وقال لي : الحق بهؤلاء وأخبرهم حقيقة اعتقادك .

فعجبت أشد العجب ، وقلت في نفسي : لماذا لم يفاتحني الشيخ فالح في هذا الامر ؟ ودارت بي الظنون فقلت : لعله لم يصدق ؟ أو لعله كره أن يستقبلني بمثل هذا الكلام لضيافته إياي ؟ أو لعله...إلى آخر هذه الخطرات .

ولما أصبحت قلت لأبي محمد وكان يصحبني في هذه الرحلة : أريد أن ألقى المشايخ ، وخرجنا إلى الجامعة الإسلامية ، فلقيت الشيخ فالح الحريفي مكتبة البخاري فسألته عما بلغه عني ولماذا لم يفاتحني ؟ فقال لي : شعرت كأن هناك خطأ في النقل .

ثم سألني عن حقيقة قولي ، فشرحته على نحو ما حكيت آنفا ، فقال لي : لست وحدك الذي علقت علي قول عبد العزيز الكناني بهذا القول ، فقد قاله أيضا الدكتور الفقيهي ، ثم نادي موظفا في المكتبة وقال له : انتني بكتاب الحيدة الطبعة الجديدة ، وما كنت رأيتها فجئ بها فقرء علي تعليق الدكتور الفقيهي الذي كاد أن يطابق قولي ، فطلبت من الشيخ فالح أن يبلغ الشيخ محمد أمان بحقيقة الامر ، وأن يدفع عني إذا بلغه شئ فوعدي خيرا .

ثم رجعت إلى مصر ، وعدت إلى المملكة بعد عدة أشهر فإذا الخبر انتشر في أرجاء المملكة ، فلست ألقى فردا أو طائفة إلا سألني عن حقية ما يشاع عني ، فأشرح لهم الامر ، ووالله ما لقيت أحدا سألني عن هذا الامر إلا قال لي : دفعنا عنك قبل أن نسمع منك ، لأننا نعلم عقيدتك من كتاباتك ودروسك ، وواله ما لقيت أحدا فاتهمني قط ، فله الحمد على ما أنعم .

فقلت لأبي محمد : ألم تخبر صاحبك عن حقيقة قولي ؟ ولماذا أشاع الامر وهو خلاف الواقع ؟ فحكى لي أبو محمد مأسى ، وأن صاحبنا أصر على قوله ، وقال : إن يرجع أبو إسحاق عن قوله أرجع عن قولي ؟ فقال له أبو محمد : كيف والرجل لم يقل شيئا ، وقد أخبرتك بقوله له صاحبنا : يقول : أنا أخطأت ورجعت ، وحينئذ أرجع عن

قولي !! قال أبو محمد : واستشهد الرجل بأنني قلت هذا الكلام في حج (١٤١٠) أمام صاحبنا أبي الحارث علي حسن الحلبي حفظه الله تعالى.

قال أبو محمد : فسألت أبا الحارث فقال : لم يحدث شيء من هذا ، ووصل أمري إلى اليمن ! فأرسل لي بعض إخواننا هناك يناشدني أن أسجل شريطا أذكر فيه حقيقة الامر ، ويتولوا توزيعه على الناس.

قال في رسالته : مع اعتقاده بطلان الشبهة أصلا ، لكن الكلام مني يقطع دابر الشبهة ، ولم أجبه حتى لا يتسع الخرق ، وكانت " حرب الاشرطة " على أشدها آنذاك.

ثم انتهى الامر أن قطع أبو محمد علاقته بصاحبنا وأشياعه ، لما تبين له من ظلمهم ، أسأل الله أن يصل ما وهي من حبالهم.

وكنت أقول لأبي محمد : هب أنني أخطأت جزما في هذا الامر.

أفليس من حقوق الاخوة أن يترفقوا بي ، وأن يصبروا في تعليمي وإيصال الحجة إلي ، حتى إذا ناظروني وأصررت على خطئي أشاعوا ذلك عني ، إليس هذا أدني حقوق الاخوة ، وهم يعلمون أنني بحمد الله على عقيدة السلف ، إلا في هذه بزعمهم ؟ وقال لي بعض من لقيني : دفعنا عنك بأنك تلميذ هذا الشيخ المبارك على اعتقاد السلف ، وقد نفع الله به سائر طلاب العلم في الدنيا ، فقل أن تجد أحدا له مساس بالعلم إلا وللشيخ فضل عليه دق أو جل فاللهم متعنا بطول حياته واختم له بالحسني ، وقد ذكرت فضل الشيخ وأثره في كتابي " الثمر الداني في الذب عن الالباني " وهو في ثلاثة مجلدات ، تم منه الجزء الخاص بترجمته ، وبقية الكتاب محاكمة بين الشيخ ومعارضيه في مسائل الحديث والفقه.

هذا : وإنني لأرجو أن يرجع إخواننا الذين أشاعوا عني هذا القول المغلوط إلى جادة الحق بعد هذا البيان ، والله أسأل أن يديم توفيقهم ، وأن يقيهم من عثرات اللسان ، وقبح اعتقاد الجنان ، وقد أحللت كل من تكلم في قبل هذا البيان ، وما توفيق لا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

والحمد لله أولا وآخرا ظاهرا وباطنا.

وكتبه راجي عفو ربه الغفور أبو اسحاق الحويني الاثري حامدا الله تعالى ، ومصليا على نبينا

محمد صلى الله عليه وسلم.

الرد على اتهام الشيخ بأنه جهمي

الحمد لله رب العالمين ، له الحمد الحسن والثناء الجميل ، وأشهد الا إله الا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن محمد عبده ورسول صلى الله عليه و سلم .

هنالك أيضا فرية أخرى وقد نبهت عليها فى مقدمة كتاب لى مطبوع هو: كتاب الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج " لجلال الدين السيوطي رحمه الله .

وهذه الفرية رغم الكلام الواضح فيها الا أن هناك من ينشرها و لا أدري لمصلحة من ؟

هذا المتكلم أريد أن يكون هو الوحيد المتكلم ؟ و كل الناس لا يفهمون ؟ و كل الناس لا يعقلون ؟ هذا لا يسر أحدا . إذا كان العالم فى بلد فريدا وحيدا حق له أن يبكي بكاء الثكلى . لأن تفرده محنة و مصيبة . سفيان بن عيينه رحمه الله فى بعض مجالسه قال : " أفيكم أحد من أهل الشام ؟ فقالوا نعم ، قال : ما فعل الوليد بن مسلم ؟ قالوا : مات . قال : أفيكم أحد من أهل البصرة ؟ قالوا نعم ، قال ما فعل فلان ... مات ، أفيكم أحد من أهل الكوفة ؟ قالوا : نعم ، قال ما فعل فلان ... قالوا مات ، أفيكم أحد من نيسابور ؟ قالوا نعم ، ما فعل ؟ فلان قالوا مات . فحين إذن بكى سفيان و قال :

خلت الديار فسدت غير مسود و من الشقاء تفرد بالسؤدد

من الشقاء أن يبقى هو الوحيد يتفرد بهذا السؤدد . يسعد أى طالب علم أن يري الدنيا كلها طلاب علم . لكن عندما يخطأ فلان على فرض أنه أخطأ . فيرمونه بسهام الملام و يسعون إلى مواراته تماما بين أطباق الثري . هذا يسر من ؟ إذا لم يكن لهذه الأمة رؤوس صاروا غلمانا بلا رؤوس .

القصة تتعلق بمقطع من كتاب للإمام " عبد العزيز بن يحيى الكنانى " وهى قضية علمية ستستفيدون منها ان شاء الله .

عبد العزيز الكنانى له كتاب اسمه " الحيدة " إذا صح هذا الكتاب عنه . و الحيدة هذه عبارة عن مناظرة جرت بينه و بين ابن أبى داود الذى كان يتبنى مذهب " الجهمية " بقوة الدولة آن ذاك . وحدثت بعض المناقشات ومن ضمن هذه المناقشات قال المأمون يا عبد العزيز : أتقول إن الله سميع بلا سمع بصير بلا بصر ؟

فقال : يا أمير المؤمنين لا أقول إلا ما فى التنزيل . (القرآن) . ليس فيه له بصر و له سمع إنما سميع بصير .

فجاءني و أنا فى جدة طالب يقول لى : ما تقول فى قول عبد العزيز الكنانى : أتقول إن الله سميع بلا سمع بصير بلا بصر ؟

فقلت : كلام عبد العزيز له وجه (يمكن أن يوجه) . ثم انقطع الكلام والتقيت ببعض إخوانى وسلمت عليهم و تصافحنا ونسيت الموضوع . لأن هو كما ننهى الدروس يأتى طلاب العلم يسألون . فأخذ صاحبنا الذى لا يحسن الفهم هذه المقالة وذهب لشانئ كاره وقال له : نعم إنه يقول كلام عبد العزيز صحيح . يعنى سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر .

خرج صاحبنا و أتى بكتب و على ما خرجت من المسجد كانت مرت ربع ساعة تقريبا . واذا بى رجل معه جزء من فتاوى بن تيمية وقال لصاحبى الذى يستحبنى

انا اريد ان أقرأ لفلان كلام لشيخ الإسلام . و كان طلاب العلم اذ ذاك سألوني أن أقرأ عليهم كتابا فى الحديث ، فلما قال لى صاحبى ومرافقى ان فلانا يريد أن يقرأ عليك ، ظننت أنه يريد أن يقرأ على كتاب حديث ، فقلت له إنى متعب ولا داع فالنجعلها مرة أخرى ، و انصرفنا .

هذا الرجل الذى أراد أن يقرأ علي ، بالهاتف بلغ الدنيا كلها ، وسمانى لهم : إن فلانا يقول : إن الله سميع بلا سمع بصير بلا بصر . و سألوا شيخنا الألبانى وقتها ولم يفصحوا عن إسمى و ليتهم أفصحوا ، قالوا : يا شيخنا ماذا تقول فيمن يقول : إن الله سميع بلا سمع بصير بلا بصر . قال : هذا جهمى قبيح .

و أنا والله أقول : هو جهمى قبيح جدا من يقول هذا الكلام .

وشاعت المقالة وانا ليس عندى علم ، كما كان حال عائشة رضى الله عنها خاض الناس شهرا فى حديث الإفك وهى لا تعلم شيئا . فقال لى صاحبى فى السيارة : وددت لو قرأ عليك حتى تزول الشبهة من عنده .

قلت : و أية شبهه ؟ قال : إنه يقول : إنك تقول كذا وكذا .. فأسقط فى يدي . وقلت : إرجع بنا إلى المسجد .

رجعنا فما وجدناه . ذهبنا إلى بيته قالوا : ما أتى بعد . بدأنا نتابعه بالهاتف . قلت له : يا أبا محمد (صاحبى) أنقل عنى أننى أقول : إن الله سميع بسمع ، بصير ببصر . لأن الصفة لابد أن يكون لها محل . هذا كلام غير مفهوم . هذا هو عين التعطيل أن أقول : سميع بلا سمع بصير بلا بصر ، قدير بلا قدرة ، عليم بلا علم !

هذا هو عين التعطيل ، هذا يساوى أنه ليس بسميع ولا بصير و لا قدير ولا خير هذا معنى الكلام وهذا هو قول الجهمية فعلا .

لكنى قصدت أن قول عبد العزيز الكنانى له وجه فى التأويل . ذلك أن عبد العزيز الكنانى كان يجادل رجلا ، إذا أتى له بحديث قال : لا هذا حديث آحاد ، لا الرواة ممكن أن يخطئوا ، أتتى من القرآن بدليل ؟

فأراد عبد العزيز أن يثبت مقالته بالقرآن صرفاً ، فلم يقل له أن عندي حديثا يقول كذا و كذا حتى لا يعترض عليه هذا المعترض ، فلجأ إلى طريقة أخرى فى إقامة الحجة .

هذا الذى أردت أن أقوله ، ليس دفاعا عن عبد العزيز ولكن ينبغى حمل عقائد الناس من الكلام المجمل على الكلام المبين . كتاب الحيدة كله كتاب سلفى ينزه الله عز وجل و ليته صح أو أتمنى من كل قلبن أن يكون صحيحا إلى عبد العزيز الكتاني ، لأنه فيه مناظرة رائعة أقام فيها الحجة على هذا الجهمى العنيد .

فعبد العزيز الكنانى فى باب المناظرات وغيره قد يقول القول على أصول الخصم ولا يقول القول الذى يعتقده هو حتى يقطع هذا الخصم على أصله هو ، و لذلك لا ينبغى أن تؤخذ عقائد الناس من المناظرات ، لأن المناظرة ممكن أنزل مع خصمى على أصله هو الذى لا أقره أنا حتى أبين له قى كلامه وبأصوله أنه مخطأ ، فإذا لم تتفطن لذلك نسبت إلى ما لم أقوله ، إنما قلته لأقطع ذلك الخصم .

فهذه فرى قلنتها قبل ذلك وأجبت عنها وأقولها الآن وأجيب عنها إعدارا منى الى الله تبارك وتعالى و رحمة بهؤلاء المتكلمين ان يلقوا الله عز وجل بالمظالم التى قال فى مثلها رسول الله r : " أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس من لا متاع له ولا دينار و لا درهم . قال المفلس من جاء بصلاة و صدقة وحج و أتى وقد شتم هذا وضرب هذا وسفك دم هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت أخذ من سيئاتهم ثم طرحت عليه ثم طرح فى النار " . أعوذ بالله وأعيذ سائر أخواني فى الله تبارك وتعالى من حالة تقرب من مساخطه

الرد علي اتهام الشيخ بأنه يكفر بالكبيرة

أيها الأخوة : بعض مالم يحسن الفهم مع ما أراه من القرائن الظاهرة من سوء القصد أشاعوا عنى مقالة ما اعتقدتها بقلبي يوما من الأيام و لا تلفظ بها لسانى و لا في الخلوات . فضلا عن هذه المشاهد .

هذه المقالة الفاجرة الآثمة تقول : إننى أكفر المسلمين بالكبيرة . فأنا أنشد طلاب العلم الذين يسمعوننى منذ قرابة خمسة وعشرون سنة و انا أخطب على المنابر . هل سمعوا منى فى يوم من الأيام اننى قلت أن فاعل الكبيرة كافر !!

فوالله ما اعتقدتها يوما من الأيام حتي و أنا حدث فى الطلب . إنما غرهم عبارة سمعوها مع ما أراه من القرائن الظاهرة من سوء القصد . سمعوا مقالة لى هى اننى قلت : " إن المَصير مستحل " ثم ضربت مثلا فقلت : " لو قال رجلا إن الله عز وجل حرم الربا و و لكنى آكله فذا كافر لا إشكال فى كفره " . هذه العبارة التى قلتها .

قالوا : المصير مستحل !! هذا لم يقل به أحد .

قلت : أنا ما تكلمت عن من هو المصير . و ما ورد فى كلامى أصلا تعريف المصير . و لكن إذا كان الكلام مجملاً (و هذا كلام أهل العلم) ثم ورد بعده مَثَل فينبغي أن نرد الكلام المجمل للمثل لأن الأمثال من باب المبين و لذلك يضربها الله عز وجل لتبين الكلام .

قال عمرو بن مرة : " إذا سمعت مثلاً ضربه الله عز وجل فلم أفهمه بكيت على نفسي . لأن الله عز وجل يقول : " و تلك الأمثال نضربها للناس و ما يعقلها إلا العالمون " .

فكل الأمثال من باب المبين . فأنا إذا قلت : " إن المصر مستحل " هذا كلام مجمل . ثم قلت مثال - حتي أبين معني الكلام السابق - إذا قال رجلاً إن الله حرم الربا أو حرم الزنا أو حرم العقوق أو حرم أي شيء لكني أفعله . فهذا واضح أنه كفر إباء . و لكني ما قلت من هم المصر . فحين إذن أبين برغم أن الصورة في غاية الجلاء وغاية الوضوح .

المصر : ليس هو الذي يفعل الذنب و يكرره و لو مرارا .

إن تكرار الذنب لا يدل على الإصرار . و يدل عليه أحاديث كما قال صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة من حديث أبي هريرة عند مسلم ، قال الله عز وجل : " أذنب عبدي ذنبا ، فقال ربى : إني أذنبت ذنبا فاغفر لى ، فقال الله عز وجل : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب ، ثم أذنبت ذنبا ، فقال ربى : إني أذنبت ذنبا فاغفر لى ، فقال الله عز وجل : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب ، غفرت لعبدي ثم أذنبت ذنبا ، فقال مثل هذه المقالة فقال الله عز وجل : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب ، غفرت لعبدي فليفعل عبدي ما شاء " .

العبد اذا كرر الذنب مرارا و تكرارا لا يدل على الإصرار ، والفعل بمجردة أيضا لا يدل على الإصرار .

يعنى واحد و اضع أمواله فى البنوك ، فيقال له هذا ربا ، فيقول : الله يتوب عليه أعمل إيه . لا أجد من يشغل لى أموالى ، الأمانة راحت ، و ضعنا أموالنا فى الشركة الفلانية سرقوها ، و ضعناها فى الشركة العلانية سرقوها ، أنا ماذا أفعل ؟ ربنا يتوب عليه .

هذا لا يكفر و إن كان مرتكباً لهذه الكبيرة الموبقة ، وهو وضع الأموال فى البنوك ، أنسوى بين هذا الذي قال هذا الكلام و بين من يقول : إن الله حرم الربا و لكنى آكله ، من الذى يسوى بين هذا فى العالمين ؟؟

لا يشك أحد فى كفر هذا الجنس على الإطلاق ، والتكفير حق الله تعالى لا يحل لأحد أن يقدم عليه إلا بدليل أوضح من شمس النهار ، و قد نقل العز بن عبد السلام إجماع العلماء أن من قال (فى العلم الضروري) إن الظهر ركعتان أو العصر ركعتان أو المغرب أربعة أو الأوقات ثلاثة أنه كافر بإجماع المسلمين .

لماذا ؟ لأن معرفة عدد الصلوات و عدد الركعات من العلم الضروري الذي يستوي فيه علم الخاصة و العامة . أما العلم الذي لا يتوصل إليه إلا الخاصة فلا يكفر العامي باستحلاله ، إنما يكفر العالم الذي عرف هذه الجزئية فخالفها جحوداً و استكباراً .

و التكفير كما يقول أهل العلم سمعى و لا علاقة له بالدلائل العقلية حتي وإن كانت ضرورية .

كلنا نعلم أن العشرة أكبر من الإثنين و أكبر من الخمسة وأكبر الستة . كلنا يعلم هذا علماً ضرورياً عقلياً . فلو قال قائل إن الثلاثة أكبر من العشرة . خالف العلم الضروري العقلى أم لا ؟ خالف العلم الضروري العقلي . و مع ذلك لا يكفره أحد قط من المسلمين برغم أنه خالف ضرورة العقل وما اتفق عليه الكل لكن لم ينزله الله فى كتابه و لم يقله رسول الله صلى الله عليه وسلم . فى يكون حين إذن داخل فى باب التكفير . إنما الذى يجحد ما أنزل الله و يصر على أن يخالف الله سبحانه وتعالى هذا كافر لا شك فى ذلك و أنا لا أعلم أحد من أهل العلم خالف فى هذا .

فكيف يقال أنى أكفر فاعل الكبيرة ؟ مجرد فعله للكبيرة . هذا بهتان عظيم . أسأل الله تبارك و تعالى أن يهدى هؤلاء المفترين .

إن أبا العتاهية قال :

إلى ديان يوم الدين نمضي و عند الله تجتمع الخصوم

و ما من أحد تصدر لتعليم أو تدريس أو وعظ إلا إفتري بعض الناس عليه و كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أكثر الناس بلاء بهذا ولعلي لا أبالغ إن شاء الله إذا قلت : أن الحسنات التي كسبها شيخ الإسلام ابن تيمية بافتراء أعدائه عليه لعلها تساوي الحسنات التي كسبها بعلمه وجهاده .

إن أول مراتب العلم حسن السؤال ، ثم حسن الاستماع ثم حسن الفهم . و إنما ساء فهم هؤلاء لأنهم ما أحسنوا الاستماع . لو أحسنوا لردوا المجلل إلى المبين كما قال أهل العلم

الرد على بعض ما قيل في المجالات عن الشيخ ؟

نعم أنا اطلعت على هذا التحقيق أرسل إلي بعض إخواني المجلة التي عقدت هذه المحررة كاتبة هذا التحقيق حوالي ثلاثة صفحات أو أربع صفحات ، ويؤسفني أن أقول أنها من الأكاذيب ، وأنا لما قرأت هذا التحقيق وقع لي أو خطر لي قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله إن الكهان يحدثوننا بالشيء يكون حقًا ، الكاهن يقول له لا تخرج إلى العمل اليوم ، لماذا ؟ لأنك لو خرجت سيقع عليك جدار فيقول هؤلاء جماعة مخرفين ، فيخرج فيقع عليه الجدار بالفعل ، فيقال أن الكاهن يعرف الغيب كيف عرف أنه سيقع عليه جدار ؟ وهذا كلام عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم .

تقول إن الكهان ليحدثوننا بالشيء فيكون حقًا ، هل يعرفون الغيب ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: " تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني ثم يخلطونها بمائة كذبة " ، وهذا الذي حدث مع المحررة بكل أسف ، تأخذ عنوان صحيح ثم المذكرة التفصيلية كلها كذب من أولها إلى آخرها كذب ، وهذا الكلام يكتب عنا منذ خمسة عشر سنة ، ويخذلون الناس عنا ، ويبغضوننا إلى الناس ويفترون علينا الأكاذيب ، ويؤلفون أشياء من رؤوسهم ، هناك بعض الجرائد تقول عني وعن المشايخ أنني أخذ من القنوات الفضائية مائة ألف جنيه في الشهر وهذا كذب له قرون ، ليس فيه ذرة من الحق ، أننا تتقاضي أجرًا .

لو أن المسألة مسألة فلوس نحن كنا في الشباب الحمد لله كنت رجلاً ناجحاً وكنت أستطيع أن أجمع فلوس ، ففي وقت شبابي وشهرتي وإقبالي على الدنيا وإقبال الدنيا علي ما نظرت إلى المال ، ثم بعد أن، ابيض شعري ولم يبق لي من الدنيا إلا

مثل القليل أتعلق بالمال وحتى لو أحد أخذ مال ، فما العيب في ذلك ؟ على المشايخ حرام ، إنما المغنيين والمغنيات التي تأخذ في التمثيلية بالمليون والاثنتين مليون ، والولد الذي يأخذ بالدقيقة لكي يرقص أو يغني ، كل هؤلاء حلال عليهم ، لكن لو كان لشيخ من الشيوخ المحتسبين الذين ليست لهم وظائف ، الذين أوقفوا أنفسهم على خدمة الدين وتبليغ كلام الله ورسوله ، لو أخذ أي حاجة مثل هذه فيقولون هؤلاء جماعة من أهل الدنيا ، ومع ذلك أقول أن هذا من الكذب الذي له قرون والذي لا أدري والله كيف يلقون الله يوم القيامة بهذا الكذب ، فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه ، وأنا اندهشت جدًا من هذا المقال وهذه الأكاذيب كلها من أولها إلى آخرها .

لكنني أقول ثلاث كلمات سواء لهذه المحررة التي كتبت هذه الأكاذيب أو أي محرر أو صحفي كتب عني أو عن إخواني أي شيء من الأكاذيب أنا أقول ثلاثة كلمات:-

الكلمة الأولى: (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [الزمر: ٤٦] .

الكلمة الثانية: التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوا بها في قيام الليل كان يقول " اللهم بك خاضعت وإليك حاکمت " .

الكلمة الثالثة: فهي لأبي العتاهية الذي كان يقول فيما يقول من حكيم شعره

إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

الرد علي فرحه بمقتل مسلمى البوسنة

نقل عنى فى أحد مواقع الإنترنت أننى كلاما قلته فى أول محنة البوسنة و الهرسك و كانت خطبة الجمعة وقلت فيها :

" رغم المرارة التى نشعر بها من قتل الملمين فى البوسنة و الهرسك إلا أن هذه المحنة ستتجلى و سيغزو الاسلام أوروبا مرة أخرى بسبب هذه المحنة .

و تكلمت بكل وضوح قائلا :

" تعرفون كيف هو خير ارجع قليلا ما حال هذه الدولة يوغسلافيا قبل أن تنقسم إلى دويلات كانت دولة شيوعية كافرة سام رئيسها المسلمين سوء العذاب، تغلغت فيها الشيوعية سبعين عاما يعني باختصار الجيل الموجود لا يعرف أي شيء عن الإسلام ، حدث الانفصال صارت هذه دولة مستقلة تصور لو ذهب هناك مبشرون دعاة إلى هؤلاء الذين لا يعرفون شيئا عن دينهم وكان بينهم وبين هؤلاء النصارى وشائج وعلائق تزوج بعضهم من بعض كانوا جيران كانوا أخوة متحابين لو أن رجلا ذهب إليهم من عندنا أو من عند غيرنا وتلى عليهم آيات الله (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) يقول: يا أخي هذا كلام!! ، أخي صموئيل طول عمري جنبي يكذب بآيات الله بالواقع، لو قلت له أي شيء بالدين ما علمه لاعترض وقال لا هذا بصد العقل نحن أناس أوربيون ...

فأذن الله عز وجل حتى تظهر البلاد ان كل هؤلاء يقتلوا و تتكشف المصيبة
الكبيرة أن أخوه صموئيل هو الذي يقتله . . . و نشرت المجالات العالمية أن سيدة
مسلمة عمرها ٦٠ سنة زنى بها شاب نصرانى عمره ٢٣ سنة و كل ما يبكيها أن هذا
الشاب ابنها من الرضاعة

قلت :

برغم مرارة ما يحدث من مقتل المسلمين إلا أنها ستنجلى عن محنة لنا . وهى
أن هذا الجيل الفاسد سينتهى و الشباب الباقي سيفيق على الحقيقة .

هل هذا الكلام يدل على أنني فرح بمقتل المسلمين !!؟

تعليق الشيخ على كتاب الفرقان الصهيوني

التعليق الذى أريد أن أقوله ما تناقلته و كالات الأنباء عن كتاب الفرقان الجديد الذى نشرت منه الطبعة الأولى سرا و يريدون أن يجعلوه بدلا عن القرآن ، و هذا الكلام قد تكلمت بخصوصه من نحو خمس سنوات عندما كنت أحاضر بمسجد العزيز بالله بالقاهرة ، و أرسل لى بعض المصلين كتابة من الإنترنت (تفسير للقرآن بالتوراة و الإنجيل) ، يحضر الآية من القرآن ثم يحضر الآيات الشبيه لها من التوراة و الإنجيل و يفسر القرآن بها ، حتى يقول أنه لا فرق ، هذه الكتب جميعا كتب سماويه بدليل أن ما يوجد بالقرآن يوجد فى التوراة و الإنجيل !

فلماذا نعادي بعضا ؟

و لماذا نكفر بعضا ؟

و لماذا نقاتل بعضا ؟

و لماذا لا نكون جميعا أخوة فى الإنسانية ؟

هذا المذهب العلمانى أو المذهب الكافر الجديد ، و هو نتاج الماسونية العالمية خلال قرن من الزمان أو أكثر ، نوادي الروتاري و ليونز - المنتشرة فى بلاد المسلمين - التى ينتسب إليها ٩٩ ٪ من المسؤولين أصحاب القرار فى الدول الإسلامية ، القائم على هذه النوادي ملاحدة اليهود من الصهاينة ، و معنى ملاحدة

اليهود أي أنهم يريدون إضاعة حتى الديانة اليهودية ، قصدهم محو كل ما يتعلق برسالات السماء على الأرض ، و خلط الحق بالباطل فيها ، و اغراق الناس فى الشهوات و الإعتداء على المصادر الأصلية ، و نشر التجهيل بحيث أنه إذا مضى الزمان و أراد أحد أن يعرف حكم الله فى مسألة لا يجد عالم يدلّه و إذا وجد عالما لا يجد كتاب .

لذلك العلماء اللذين يذهبون إلى تلك النوادي أخطأوا و أجزموا فى حق هذه الأمة جرما عظيما ن لأن معنى ذلك – كما فعل شيخ الأزهر عند تسلمه المشيخة و قد دعاه نادي روتاري مصر الجديدة لإلقاء محاضرة و قد نبهه علماء الأزهر الذين يعرفون الأمر ألا يذهب ، و لكنه قال : أنا أبلغ الإسلام فى أي مكان !!

و دخول شيخ الأزهر مثل هذه النوادي يؤكد للعامة الناس أن هذه النوادي غير مشبوّهه ، إذ لو كانت مشبوّهه لما دخلها شيخ الأزهر .

و هذه النوادي تعتنى أيضا بالجوانب الخيرية مثل المشاركة بالبطاطين و الأطعمة فى الزلازل ، مثل بناء المستشفيات و المساجد . . . مع وضع لافتة لهم فى كل أعمالهم .

و هذه النوادي مبنية على نفس كل ما يتعلق بكلام السماء إلى الأرض ، يريدون إلغاء الديانات السماوية – بزعمهم – و ترك التوراة و الإنجيل و القرآن ، فإذا تركت كتابك قالوا لك لا يوجد إلا التوراة !!

و الجهلة من المسلمين الذين يتقبلون مثل هذا الكلام بالملايين و يرددون : " لماذا هذا التعقيد ، لماذا لا نتعاون معا فيما اتفقنا عليه و نكون أخوة فى الإنسانية ؟ " .

و قد ظهرت إرهابات هذا الكتاب الجديد (الفرقان) من الورق الذي أرسله لى هذا الأخ و قد أرسل لى ٢٠٠٠ صفحة تقريبا و قال لى هل تريد الزيد ؟ قلت له : كفى .

فلما رأيت هذا الكتاب قف شعري و رأيت من الواجب أن أنبه على هذا الكلام و قد نبهت على هذا الكلام هنا فى هذا المسجد و فى القاهرة مرارا .

• و عندما قرأت هذا الكلام منذ خمس سنوات أدركت أن هناك محنة قادمة و هى الإعتداء على المصادر الأصلية .

• يفعلون هذا بالقرآن الذي له قداسة !! بل و لعبوا فيه !! لماذا ؟

لأن المسلمون لا يساوون شيئا فى هذه الدنيا .

- و قد نقلت وكالات الأنباء بعض صور لصليبي حقير يضع فوهة البندوقية فى فرج امرأة مسلمة ، من يرضي هذا على أخته أو ابنته ؟ و ما هذا العار الذي يحدث لنا .

- جندي بريطانى يتبول على أسير عراقى .

- يأمرؤن الأسري من الرجال بعد جعلهم عرايا بممارسة الشذوذ الجنسي و إلا قتلؤهم .

هذا عار هذا عار و ستلعننا الأجيال القادمة بسبب هذا التخاذل و بسبب ما يحدث للمسلمين الآن .

• إن الاعتداء على المصادر الأصلية قائم على قدم وساق بدأوا بصحيح البخاري ثم الآن بالقرآن ! و هم يدركون ماذا يعنى القرآن للمسلمين ! و هذا معناه أننا فى نظرهم لا نساوي شيئا .

• و قد حفزهم على فعل هذا أنهم رأوا رب العالمين يشتم و رسول الله يسب و يستهزأ بالأحكام الشرعية على صفحات صحف و مجلات المسلمين ، دون نكير أو صريخ .

• لكن لو قصت رقبت من تكلم بكلمة واحدة فى جناب النبى صلى الله عليه وسلم لدخلت الجرزان إلى ججورها و لما استطاعت الصحف أن تنشر مقالا بعنوان " غراميات رسول الله " و يوضع فى نفس النلف مع فاجرة أمريكية ، و لما تجرأ أحد المشايخ أن يتهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه حاكم ظالم !!

• و أخطر ما فى هذه الحرب أن جماهير المسلمين غافلة عن هذا المخطط ، فبعد عدة سنوات (من ١٠ : ٣٠ سنة) ستجدهم يدخلون أحاديث موضوعة و مكذوبة على صحيح البخاري و مع التطور المذهل فى التكنولوجيا و الكمبيوتر سيتم تقليد المخطوطات الأصلية للبخاري مع اضافة الأحاديث المكذوبة ثم يتم العبث فى فهارس المكتبات العالمية ثم يثبتون أن البخاري هو الذي خط هذه المخطوطات ، و وقتها سيكون عدد العلماء قليل جدا و من يتكلم منهم يقتل أو يعتقل و هكذا . . .

• و هذا يقتضى أن يكون عندنا جيش جرار من المحققين و علماء الحديث الذين يعرفون المصادر الأصلية و يعرفون كيف يحافظون عليها ، فإن لم نفعل ذلك فهذا هو الضياع بعينه و الانهيار . .

• لقد قاتل الصحابة على تنزيل الكتاب و شربت الأرض من دمائهم حفاظا عليه ، ثم قاتلوا مرة أخرى على تأويله عندما ظهرت الفرق المبتدعة تريد كل فرقة تطويع القرآن حسب أهوائهم ... فما هو دورنا ؟؟

كثير من الشباب يقابلنى و يسألنى هذا السؤال . . ما هو دورنا ؟

١- الدعاء :

وهل الدعاء فقط يكفى ؟

نعم ، ما هزم الأنبياء الأعداء إلا بالدعاء و تحقيق العبودية لله تعالى .

كن عبدا لله تعالى فعسى الله أن يأتى بالفتح أو امر من عنده . . . فيضانات . .
زلازل . . براكين ما الذي حرك هذه الزلازل ؟ دعاء من عبد قد جرد العبودية لله
تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم : " رب أشعث أغبر ذو طمرين مدفوع بالأبواب ،
لو أقسم على الله لأبره " .

٢- الإنتهاء مما يسمى " بجهاد الحناجر " :

فهذا الجهاد له سلبيات قل ما ينتبه إليها أحد (مظاهرات . . صراخ . . حرق
أعلام و دمي) يخرج كل الغل و الغضب الموجود بداخله و ينتهي الأمر !!

لا نحن نريد أن يبقى الغل و الغضب داخلنا و هذا هو الوقود الذى سيحركنا فإذا
فقدنا هذا الغل و الغضب لأعداء الله فلن نستطيع أن نفعل شيء ، و يطمئن أعدائنا
بهذا ، أما عندما تنتهى هذه الظاهرة سيخشى منا أعدائنا .

٣- أن تخصص نفسك ولو فى كتاب واحد تدرسه و تحفظه جيدا فتكون قد قدمت
خدمة للأمة نرجع إليك عندما نحتاج هذا الكتاب ، لذلك هذه الدروس مهمة و
الموضوع جد و ليس بالهزل .

٤- اجعل من الإحباط الذى يصيبك مما يحدث للمسلمين حافزا لشيء تحسنه
تخدم به هذه الأمة .

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك فى شباب هذه الأمة

لماذا تأخرت كلمتي إلي الآن^(١)

إِن الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُ بِهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ تَعَالَى قَلَامًا مُضِلًّا لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ قَلَامًا هَادِيًّا لَهُ
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ.

فَإِن أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالْآلِ وَسَلَّمَ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ
فِي النَّارِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ
إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ
عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

آخر درس كان في مسجد العزيز بالله ألفتان وثلاثة: فأخر مرة ألقيت فيها درسًا
في القاهرة كان في هذا المسجد مسجد العزيز بالله وكان سنة ألفتان وثلاثة وفي يوم
جمعة وكان العراق يُضرب لمدة أسبوعٍ وكنت افتتحت درسي بحكاية خلاصتها: أن
بعض الأخوات امتثلت فتوى لي وهذه الفتوى لم تعجب أمها ، فقالت هذه الفتاة: أنا لا
أغير الفتوى ولا أخالفها فبحثت فسألت الأم ابنتها من أفتاك بهذا فقالت: شيخ اسمه أبو
إسحاق الحويني ، فطافت الأم على المساجد تسأل عن هذا الشيخ النكرة الذي لا

(١) بمناسبة الأحداث الجارية في مصر بعد ثورة ٢٥ يناير

تعرفه حتى وصل بها المطاف إلى هذا المسجد عندما قالوا لها أن له خطبة جمعة وله درس في هذا المسجد .

فجاءت الأم إلى هذا المسجد تلتمس مني أن أغير فتواي حتى تستقيم حياة ابنتها ، فذكرت الحكاية التي سأذكرها الآن وأني إذا اعتقدت شيئاً من الحق فإنني أثبت عليه ولا أغيره فإن عجزت عن الجهر به سكت ولا أغيره وذكرت:

حكاية يذكرها أهل الأدب عن أبي حنبل: فقد ذكروا أن بعض الأرنب كان بيده ثمرة فاكهة فخطفها الديك فأكلها فأمسكت الأرنب بتلابيب الديك وقالت لابد أن نختصم إلى حكم ، فقال الديك: لك ما شئت فقالت: هيا بنا نذهب إلى أبي حنبل ، أبو حنبل هذا هو الضب فذهبا جميعاً فوقفا على باب الجحر ونادت الأرنب يا أبا حنبل قال سميعاً دعوتما فقالت: إني اختصمت أنا وهذا فجئنا نحتكم إليك ، فقال في بيته يؤتى الحكم ، فقالت: كانت بيدي ثمرة فاكهة ، فقال لها: حلوة فكليها ، قالت: فخطفها مني هذا فأكلها قال: ما يبغي إلا الخير ، قالت: فاطمته ، قال: بحقك أخذتي ، قالت: فاطمني ، قال: حرّ انتصر ، قالت: فاقض بيننا ، قال: قد قضيت .

أي أن مقصود القصة في النهاية أن هذا الضب لم يحكم بشيء ولم يغضب أحداً ، فهي الدبلوماسية هي أن تتكلم ساعتين ولا تفهم ماذا يريد المتكلم.

محمد فوزي كان مؤسس العلم الدبلوماسي في مصر: ومؤسس هذا العلم الدبلوماسي في مصر الدكتور/ محمد فوزي بشهادة كل أقرانه الذين عاشروه أيام كان وزير الخارجية ، يتكلم ساعتين لا يسكت ولا يتلعثم ثم تسأل نفسك في النهاية ماذا يريد . الهدف من ذكر حكاية أبي حنبل: وأنا أريد أنا أقول إنما قدمت هذه الحكاية لأصل الماضي بالحاضر وأن هذه الحكاية ذكرت في عام ألفان وثلاثة في هذا المسجد وأنا إنما قدمت بها لأن كثيراً من إخواني أرسلوا إليّ رسائل كثيرة وعاتبوني كثيراً أنني لم أتكلم في هذه الأحداث ولم يعرفوا رأيي فيها وقالوا إن سكوتك طال ، وتعودنا منك أنك في أي قضية تضاد الإسلام حتى لو كانت يسيرة جداً كنت تقف وتتكلم وتقيم الدنيا ولا تقعدها ، فلما يأتي حدث كهذا الحدث الذي ليس له نظير ولا مثيل تسكت الفتنة إذا جاءت فإنها تحتاج إلى بصيرة: فأنا أريد من إخواني أن يعرفوا أنني بحمد الله تعالى لا أتخلف عن قضايا أمتي وأيضاً أعيشها بقلبي

وأحمل همها ليلاً ونهاراً ، حتى أنني في منامي لا أكاد أنام ، دماغي يعمل وأنا نائم فأقوم من نومي متعباً جداً كأنني لم أنم ، لكن الفتنة إذا جاءت فإنها تحتاج إلى بصيرة ولا تؤخذ من بدايتها ولا تقرأ قراءة سطحية ولا يصلح فيها ردود الأفعال ، لما كنا في السجن سنة واحد وثمانين ، سُجنا قبل اغتيال الرئيس السادات بشهر ثم حدث حادث المنصة ثم حدثت أحداث أسبوط بعدها والجماعات الإسلامية وهذه القصة .

كنا مُغييبين عن الدنيا لا نعرف شيئاً ، قُتل الرئيس ونحن لا نعرف أنه قتل لكن كنا نسمع هدير أصوات الدبابات حول السجن ولا ندري ما الذي يجري في الخارج حتى اعتقل شاب في نفس اليوم الذي قتل فيه الرئيس ووصل السجن الساعة الثالثة ليلاً ، وطبعاً كانت إدارة السجن كلها مجتمعة ومتحسين إذا عرفنا بمقتل الرئيس ماذا سنصنع ، ممكن نكسر الزنازين ونخرج ، فهم مجتمعين وحالة طوارئ قصوى ونحن لا ندري طبعاً وعرفنا هذا فيما بعد .

المهم إن هذا الأخ الذي جاء الساعة الثالثة بالليل نادى بأعلى صوته أن الرئيس قتل ، طبعاً كان السجن كله مستيقظاً لأننا كنا في العشر الأوائل من ذي الحجة وكنا صائمين ونتناول السحور ، فلما نادى بهذا النداء التكبير هز جدران السجن ، وطبعاً كان مأمور السجن مستعد للميكرفون والضباط وغير ذلك ، فلما هدا هدير التكبير فقام المأمور وقال: أيها الأخوة فأحد الأخوة قال لي: قامت الدولة الإسلامية المأمور يقول أيها الأخوة ، حتى لو قال: أيها الأخوة المواطنون كانت قد انكشفت اللعبة لكن لما يقول: أيها الإخوة فقط قال: قامت الدولة الإسلامية لأن المأمور نفسه يقول أيها الأخوة فهذه القراءة السطحية هذا مثل أضربه كمثال رجل يقرأ قراءة سطحية،لمجرد أن قال أيها الأخوة فتكون الدولة الإسلامية قامت .

سبب سكوت الشيخ حفظه الله في الفترة الماضية:

والذي جعلني أسكت وأحجم أثران هما دستور في حياتي منذ عقلت فيما يتعلق في مسائل الفتن والاختلاف .

الأثر الأول:

رواه الإمام البخاري في كتاب الحدود ورواه غيره من الأئمة الستة من حديث بن عباس رضي الله عنه قال: " كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف وكنت في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في آخر حجة حجها _ آخر حجة حجها وعمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت سنة ثلاثة وعشرين _ فقال عبدالرحمن: هل لك في رجل أتى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال له: هل لك في فلان يقول لو مات عمر بايعت فلاناً فإن أبا بكر بويع وكانت بيعته فلتة فتمت ، قال: فغضب عمر وقال: إني لقائم العشية في الناس فمحذرهم من هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم ، قال عبدالرحمن: فقلت يا أمير المؤمنين: إن الموسم _ أي موسم الحج _ يجمع راع الناس وغوغاءهم وهم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس فأخشى أن يأخذوا مقاتلك فيطيروها كل مطار ولا يعوها ولا يضعوها في موضعها ، فأمهل حتى تأتي المدينة دار الهجرة والسنة فتقول ما تريد أن تقول متمكناً بين أهل الفقه وأشرف الناس فيحملون مقاتلك ويضعونها في مواضعها ، فقال عمر: أما إني لأقولن ذلك في أول مقامي إذا رجعت ، قال بن عباس: فلما كان في عقب ذي الحجة ورجع عمر إلى المدينة وكان في يوم جمعة قال فبكرت إلى المسجد فإذا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يجلس في ركن المنبر فجلست بجانبه تمس ركبتى ركبتة فلم أنشب أن أخرج عمر ، فقلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: ليقولن عمر اليوم مقالة ما قالها قبل ذلك قط ، قال: فأنكر عليّ وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقله _ هو منذ عشر سنين يتكلم ، ما هو الجديد الذي يمكن أن يقوله ولم يقله قبل ذلك _ قال: فصعد عمر المنبر فلما سكنت المؤذنون قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه قد قدر لي أن أقول مقالة لعلها بين يدي أجلي فمن وعاهها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته وإلا فلا أحل لأحد أن يكذب عليّ " وساق الحديث كله وفيه حديث سقيفة بن ساعده إلى آخره:

الشاهد: قول عبدالرحمن بن عوف " إن الموسم يجمع راع الناس وغوغائهم "

مصر لها وزن ثقيل إذا اهتزت قد تهز العالم: لما هبت هذه الهبة وانقلبت مصر رأساً على عقب في واقعة لم تحدث في التاريخ المعاصر على الأقل ولا في التاريخ الماضي بهذه الصورة ، ومصر لست بلدًا هينة وإن هُمشت ، مصر لها وزن ثقيل إذا اهتزت لا تهتز وحدها بل تهز المنطقة بكاملها وقد تهز العالم ، وهذا هو وضعها

وقدرها ، وأنا أكره العصبية للأرض والطين وأنا أقول هذا لأنني مصري أبداً ، لكن هذا وضع مصر ولذلك لما همشت مصر وخرجت من حلبة الصراع أكل العرب جميعاً ، لما كانت قوية ما كان يستطيع أحد أبداً أن ينظر إلى بلد من بلاد العرب والمسلمين ، لكن لما همشت وسقطت حدث الذي تعلمونه جميعاً .

فهذا حادث جلل ثقافة الصراخ هي التي سادت المشهد ، وثقافة الصراخ تحجب اتزان العقل :، فالذي يتكلم في حال صراخ الصارخين يكلم أناساً بلا عقول ولذلك تذهب الحكمة أدراج الرياح وتخرج التهم .

أنا أعذر المريض إذا جاء المستشفى وهو يصرخ ، حقه مشروع أن يصرخ من الألم لكن لا يجوز للطبيب أن يبادل صراخاً بصراخ ، فثقافة الصراخ لا يجوز للطبيب أن يتبناها ، لذلك تجد المريض يصف الطبيب الذي يبتسم ويقول له بسيطة يقول أنه بلا قلب ، لو أن هذا الطبيب بادل صراخاً بصراخ لمات المريض، وقال علتي لا علاج لها ، إذا كان الطبيب يصرخ فعلتي لا علاج لها ، فهذا يحدث انزعاج أكثر .فأنا كنت أراقب المشهد وهو مشهد جديد ليس له نظير يقاس عليه وهذه هي المشكلة ، كل المظاهرات التي خرجت قبل ذلك كانت تجهض والقصة تكون معلومة قبل أن تحدث لنا جميعاً ، ستنتهي بقنابل مسيلة للدموع ورصاص مطاوي وغير ذل واعتقال وكله يذهب إلى مكانه أليس هذا هو المشهد الطبيعي الدائم الذي لم يتغير ، فكان يمكن أن تقيس فيه أصل ثابت يمكن أن ترجع الحادث إليه .أما أن يكون هناك شيء جديد لا نظير له فيكون القياس صعب جداً لن القياس إنما يكون على المستقر وليس على الشاذ ، فتكون القراءة فيها نوع من الصعوبة البالغة هل تتكلم أو لا تتكلم ، إذا ذهبت إلى هناك وقلت يا جماعة لا يجوز لكم هذا قالوا عدو الثورة وطردوك ، وإذا ذهبت فصرخت قال لك آخرون: هذا على خلاف الحكمة وعلى خلاف ، فأنت لا تستطيع أن ترضي هؤلاء ولا هؤلاء ، وأنا قلت لإخواني والمسألة الحقيقة تحتاج إلى كلام كثير وأنا جئت الآن لأكسر حاجز الصمت فقط لا لأتناول الموضوع، تناولنا كبيراً لأن هذا يحتاج إلي وقت وإلي بسط ، فلا أحد ينقل عني أنني قلت لهذا ولا ذاك ، أنا أتيت اليوم لأكسر حاجز الصمت وأقول رأيي في بعض القضايا بصورة مجملّة ، أما التأصيل العلمي هذا إن شاء الله يأتي فيما بعد .

ثقافة الصُّراخ هي سيدة الموقف: قلت لبعض إخواني لو أن الله ﷻ بعث عمر بن الخطاب من قبره فوقف في ميدان التحرير وكل الناس يعلم أنه عمر ، وقال لهم قولاً يخالف أهواءهم لرجموه بالحجارة ، لماذا؟! لأن ثقافة الصراخ هي سيدة الموقف .

وإذا اتصلت الفتنة بالعوام ذهب عقل الحكماء: لا يستطيع أحد أن يوقفها مهما كان ، واعتبروا بموقعة الجمل ولكن ليست الجمل والبغال والحمير التي نحن أصحابها ، لا ، موقعة الجمل القديمة موقعة الجمل التي كانت بين علي رضي الله عنه ومعوية وكان مع علي أفضل الصحابة ومع معوية أفضل الصحابة ، والذين يتقاتلون هنا وهناك من أفضل التابعين ديناً ، وخلقاً ، وسداداً في الرأي أراد طلحة والزبير وكلاهما من العشرة المبشرين بالجنة أنهم يأتوا بشخصية لا خلاف عليها بين المسلمين جميعاً من الفريقين لا من فريق علي ولا من فريق معوية رضي الله عنه ، من ؟ عائشة حبيبة النبي ﷺ ، الصديقة بنت الصديق ، طاهرة الذيل ما تظن بريية وتصبح غرسي من لحوم الغوافل كما قال حسان ، والكل يعرف منزلة عائشة فتصور إن إذا وقفت عائشة وقالت: كفوا عن القتال وهي محل اتفاق إن ممكن تحقق دماء المسلمين ، فلا زال طلحة والزبير يكلمانها حتى خرجت ، ماذا كانت النتيجة ؟ عقر جملها وسميت الموقعة موقعة الجمل بسبب جمل عائشة وكادت أن تموت حتى أخذها علي بن أبي طالب وأرجعها إلي المدينة فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها ، وهي تمر علي القرآن وتقرأ (وَقرْن فِي بُيُوتِكُنَّ) (الأحزاب: ٣٣) كانت تبكي حتى تبل خمارها ، وقلت لغلامها: (إذا مر أبو عبدالرحمن فأذن له) ، أبو عبدالرحمن هو عبدالله بن عمر لأن عبدالله بن عمر كان اعتزل الفتنة ، (فبينما ابن عمر ذاهب إلي المسجد _ فغلام عائشة قال له: إن عائشة تريدك ، فدخل عليها فسلم فقالت: (يا أبا عبدالرحمن لما لم تنهني عن الخروج ؟) ، قال: (رأيت رجلين غلباك علي رأيك) ، قالت: (والله يا أبا عبدالرحمن لو أمرتني ألا أخرج ما خرجت) فعندما يكون طائفتان بهذا السداد ، والدين والعقل ، واتصلت الفتنة بال جماهير ، ماذا كانت النتيجة؟! وهؤلاء كما ذكرت لكم دين ، وعقل ، وسداد ، ورأي ، ومحبة لله ولرسوله ، فالذي حدث لا يجوز أن يتكلم المرء فيه بادي الرأي ، لماذا؟! لأنه ليس له مثال سابق يقيس عليه ، ولا يدري إلي ما تصير الأمور فيسكت حتى ينجلي الموقف .

الأثر الثاني لصمت الشيخ حفظه الله :

الأثر الثاني الذي جعلني أيضًا اسكت متأملًا وليس ساكت مغمض عيني لا ، أنا أتأمل الأحداث كلها أثر سعد بن أبي وقاص وهو كان ممن اعتزل الفتنة أيضًا ، عندما سألوه: لما لم تخرج مع أحد الفريقين؟! قال: (إنما مثلي ومثل إخواني كمثلي رفقة في طريق فبينما هم يمشون إذ أظلمت عليهم فقال جماعة: الطريق يمينًا فصاروا يمينًا ، وقال جماعة: الطريق يسارًا فصاروا يسارًا ، وقلنا نحن: لا نمشي حتى تتجلي ، فلما انجلت كنا علي الأمر الأول) ، لأن كل الناس لا يختلفون علي أن المنطقة التي وقفنا عليها هي المتفق عليها ، الذين اجتهدوا وأخذوا يمينًا من المحتمل أن يخطئوا والذين اجتهدوا وأخذوا يسارًا من المحتمل أن يخطئوا ، أما الذين وقفوا فبالإجماع لم يخطئوا ، لماذا؟! لأنهم وقفوا في المكان المتفق عليه.

سبب نجاح الثورة عند كثير من الكتاب ورد الشيخ عليهم:

اليوم كثير من الكتاب يقول: أن هذه الثورة نجحت لأنها ليس لها رأس فبالله عليكم هل هناك جسد يحيا بلا رأس؟! ، هل هناك أمر يمضي بحكمة بلا رأس؟! أي دولة في الدنيا لها رئيس ، ولها نائب رئيس ، ولها رئيس وزراء ، ولها وزراء ، ولها محليات بدون هذا التنظيم لا يمكن أن تكون هناك دولة ، وقديمًا مر أبو حنيفة - رحمه الله - علي قوم يتفقهون فقال: (ألهم رأس؟!) قالوا له: لا ، قال: (إن لا يفلحون أبدًا) .

اليوم كل واحد يقول: الوزير هذا لا يعجبني انزلوه ينزلوه ، وهذا أيضًا لا يعجبني انزلوه ، فنحن نخطب من؟! هي ليس اسمها ثورة اسمها ثورة ، الثورة دائمًا لها رأس لها زعيم حتى في التعريفات السياسية الثورة لابد أن يكون لها زعيم ، لا توجد ثورة بلا زعامة هذه اسمها صورة فيقولون: إنها نجحت لأنها بلا رأس ، وبلا هوية لدرجة أن بعض الشيوخ الذي كان في ميدان التحرير قيل له: ارفع راية كتب عليها لا إله إلا الله فقط ، قال: هؤلاء يأكلونني ، هل لا إله إلا الله عليها خلاف؟! هل نحن رفعنا راية الدعوة للعنانية السلفية أو الإخوان أو التبليغ أو التكفير أو التوقف أو الليبرالية أو الحزبية أو الوفدية؟! يقول له: ارفع لافتة مكتوب عليها لا إله إلا الله ، قال: يأكلونني ، إذا كان لا إله إلا الله التي لا خلاف عليها في بلد سني كبلدنا لا تستطيع أن ترفعها كل ما يقول يريد أن يسرق الثورة ، الشباب الذين قالوا:

الحكومة هذه لا تعجبنا أو الوزير هذا لا يعجبنا أو الكلام هذا ، الوزير الذي جاء ، هل تعلم أنه كفاء أم لا ؟! ربما كان الذي تعترض عليه اخلص منه وأكفأ .

ما هو مقياسك عندما تقول: أنا لا أريد هذا وأرحب بهذا ؟! السياسة لأن اختيار الساسة عشوائي واختيار الوزراء واختيار المحافظين كله عشوائي فسد حال بلاد المسلمين ، كان قديماً لا يتولي أمور الناس إلا رجل عُلِّمَ كيف يعامل الناس من الصغر ، هارون الرشيد أولاده الأمين والمأمون كان لهم مؤدبون من أكابر العلماء ، الأصمعي مثلاً كان أحد مؤدبي هؤلاء وكان يضع جاسوس علي الشيخ أو المعلم أو المؤدب حتى يري ، هل يؤدب الأولاد كما ينبغي أم لا ؟ وفي ذات يوم من الأيام نقل الجاسوس للرشيد واقعة قال له: حدث اليوم أن الأصمعي أراد أن يلبس حذاءه فالولدين اختصموا كل واحد يريد أن يلبس الأصمعي الحذاء وهؤلاء وليا العهد ، فالمهم هذا يقول: لا ، أنا الذي سألبسه الحذاء ، والآخر يقول: لا ، أنا الذي سألبسه الحذاء ، أنا أولي منك أنا وجدت الحذاء الأول قبلك كلام مثل هذا ، المهم اتفقوا في الآخر علي أن كل واحد يلبسه واحدة ، فالجاسوس نقل هذا الكلام هذا للرشيد فالأصمعي دخل علي الرشيد فالرشيد يقول له: يا أصمعي ، من أعز الناس ؟ قال: أعز الناس أمير المؤمنين قال له: لا ، بل أعز الناس من تسابق وليا العهد أن يلبساه حذاءه ، هذا هو أعز الناس ، لماذا يربي الأصمعي هؤلاء ؟! لأن سياسة الناس فقه مختلف تماماً يحتاج إلي دربة،

سياسة الناس فقه مختلف يحتاج إلي دربة:

أنت تعلم معاهد إعداد القادة أنا أريد واحد محافظ لا بد أن يكون هذا مدرب ، كيف يعامل الناس ؟! لا أأتي بواحد لواء أضعه محافظ هو ناجح في مكانه وأحرز في مكانه انتصارات ، لكن لا ينفع أن يسوس الناس لا بد الذي يسوس الناس أن يكون عنده صفات خاصة .

سبب خروج النضر بن شميل من بغداد: أحد أئمة اللغة ، والعربية ، والحديث خرج من بغداد فشيعة ثلاثة آلاف ما بين عروضي عروضي: المتعلق بالشعر وما بين فقيه ، ومحدث ، ولغوي فقال: يا أهل بغداد لو أنني أجد بين ظهرانيكم مد بقل في اليوم ما تركت بغداد ، خرج لأنه فقير لا يستطيعون أن يوفروا له كيلو فول ، خرج فذهب

إلي مرو وكان مرو فيها المأمون ، فالمأمون أمير المؤمنين سأل عرض لك كيف كان يسوس فالمأمون في يوم شعر أنه لديه ملل فقال للجماعة: أأتوني برجل أنادمه أي يسامرنى كي أخرج مما أنا فيه من ملل، فأتوا له بالنضر بن شمير ، فالنضر بن شمير دخل علي المأمون ملابسه ممزقة فعندما دخل قال له المأمون: (ما هذا يا نضر أتدخل علي أمير المؤمنين بهذه الخُلُقان ؟!) الملابس الممزقة التي تلبسها هذه ، قال له: (يا أمير المؤمنين إن حر مرو شديد) هذه فتحات تهوية قال: (لا ، لكنك رجل زاهد) ، قال: (ثم جري بنا الحديث حتى وصلنا إلي ذكر النساء فقال المأمون: حدثنا هشيم) ، هشيم هذا ابن بشير شيخ الإمام أحمد (عن مجالد عن الحسن البصري أن النبي ﷺ قال: «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها كان له سَدَادًا من عِوَزَ» ، فقال النضر: صدق أمير المؤمنين حدثنا فلان عن فلان أيضًا أتى بالحديث أن النبي ﷺ قال: «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها كان له سَدَادًا من عِوَزَ» المأمون قال: سَدَادًا بفتح السين ، والنضر قال: سَدَادًا بكسر السين عندما قال النضر: سَدَادًا كأن حية لدغت المأمون كان متكًا فجلس علي الفور ، وقال: (ما هذا يا نضر أتلحنني ؟!) اللحن: هو الخطأ ، لأنه عيب أن يلحن ، أمير المؤمنين هذه مصيبة لا يتحملها ، فقال: (لا يا أمير المؤمنين ، إنما كان هُشيم رجلًا لحائًا فتبع أمير المؤمنين لفظه) أي الخطأ من شيخ المأمون وليس من المأمون وفعلاً هُشيم كان لحائًا كي لا يظن أحد أن النضر جامل المأمون وأتهم هُشيم بن بشير ، (قال له: وما الفرق بينهما ؟!) ، قال: السَدَاد (بفتح السين) هو التوسط في كل شيء ، والسَدَاد (بكسر السين) هو البلغة يتبلغها الرجل) ، البلغة: الشيء الذي يريد أن يبلغه ، فقال: (يا نضر أتعرف العرب ذلك ؟!) ، قال: نعم ، قول العرجي:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغري.

فقال المأمون: قبح الله من لا أدب له) كل هذه القصة بسبب فتحة وكسرة (قبح الله من لا أدب له ، مالك يا نضر؟) أي قل لي: ما هو مالك ؟ ما هي الثروة التي لديك ؟ قال: (عندي أريضة أتمزرها) عندي قطعة أرض صغيرة أتمزرها قال: (ألا أفيدك مالًا ؟!) ، فقال: إني لذلك لمحتاج) فكتب في الورقة مبلغ وأغلق الورقة وقال له: اذهب إلي فلان أي وزير المالية وقل له: اصرف لي هذا المبلغ ، أخذ الورقة وذهب للمذكور أعلاه فتح الورقة فانبهر بالمبلغ قال له: لا ، قل لي ما الأمر؟ هذا مبلغ

مرتفع ولا يعطي أمير المؤمنين هذا المبلغ إلا إذا كان هناك أمر ما فسرده له الحكاية كلها وكان المبلغ المكتوب في الورقة خمسين ألفاً ، فقال له وزير الخزانة : (لولا أنه لا يجوز أن يستوي عطائي مع عطاء أمير المؤمنين لأعطيتك مثلها) قال له : سأعطيك ثلاثين ألف فوق الخمسين ، فأخذ ثمانين ألفاً بكسرة .

الشاهد من القصة :

أن المأمون أنف أن يلحن في كلمة ، لأنه أدب ، اليوم عندما نقرأ الترشيحات يقول: أنا أرشح فلان الفلاني ، لأن كلامه منطقي وجميل ، ومرتب ، وعقله مرتب ، نعم يا أخي عقله مرتب في مكانه لكن لا يصلح أن يكون رئيس جمهورية ، عندما يأتي مثلاً واحد يقول لي: الدكتور أحمد زويل عندما نسمعه نحس أنه رجل مرتب وكلامه منطقي ، نعم ، يتكلم في علم أصبح له ثلاثين سنة يعمل فيه ، عندما أضعه في مكانه يكون عالم ، لكن لا ينفع أن يكون رئيس جمهورية ، رئاسة الجمهورية هذه ليست سهلة أنا أقود ثمانين مليون ، لابد أن يكون هناك صفات خاصة للإنسان لكن الحاصل أن لدينا انتقاء عشوائي هذا يذهب هنا ، وهذا يذهب هنا مع قطع النظر ، أيسطيع أن يسد في هذا المكان أم لا ؟! ، لديه موهبة أم لا ؟! أنا الآن أتكلم ممكن كلامي يعجبكم وتحبونني لكنني لا أصلح أن أكون رئيس الجمهورية ، أنت تقول: أنت لديك حكمة ولديك بلاغة ، ولديك كذا ، ولديك كذا ، ورجل لديك إخلاص قل ما تريده ، نعم في مكاني أنتج ، وأتكلم ، وأقتع ، وأبدل لك عقلك وأعمل لك غسيل مخ ، نعم لكن في مكاني عندما تأتي وتنقلني لكي أكون رئيس جمهورية لا ينفع ، .

مما عاصره الشيخ حفظه الله:

مثلاً من الأشياء التي عاصرتها وسأوضح لكم كيف تمشي الأمور لكي تعلموا أن الدنيا ليست بالبساطة والكلام الذي يتصوره الناس ، في بعض المحافظات أحد المحافظين أيضاً أخذ من موقع عمل كان يعمل في السد العالي وبعد ذلك اشتغل في مكان آخر وأصبح محافظ في بعض المحافظات ، رجل نشيط وميداني والكلام هذا ذهب إلي وحدة ريفية من الوحدات الصحية وجد بعض العائلات والمرضات الاتي لم يعجبه شكلهن ، قال: ما هذا ، أين الدكتور ؟! الدكتور غير موجود ، لم يعجبه الوضع فرجع إلي مبني المحافظة وعمل قرار لكي يضبط المنظومة في

الوحدات الريفية القرار هذا أن كبار الأطباء الموجودين في مستشفى هذه المحافظة هم الذين يشرفوا علي الوحدات الصحية ، هذا ظلًا منه أن كبار الأطباء لديهم خبرة ، وإدارة وغير ذلك ، الطبيب الذي من كبار الأطباء أول ما بدأ حياته العملية ذهب إلي وحدة ريفية تريد أن ترجعه لي بعد عشرين سنة بعد ما أكون رئيس القسم في المستشفى واسمه مشهور وعيادته مشهورة تريد أن ترجعه إلي الريف ؟! طبعًا لم يوافق أحد أخرج القرار لأنه رجل عسكري فأخرج القرار لابد أن يذهبوا للوحدات الريفية احتج الأطباء قالوا: كيف نذهب ونحن خدمنا في الريف خمس سنين في بداية حياتنا العملية احتجاجوا لم يسمع لاحتجاجهم ، ذهبوا إلي نقابة الأطباء نقيب الأطباء اتكلم فقال له: لو سمحت أنا رئيس الجمهورية في محافظتي ، وأنا أعلم مصلحة البلد عملوا احتجاجات أخرج قرار الذي لم يلتزم سوف يفصل ، فالمحامي قال لهم: اقبلوا ولا تذهبوا وقد كان ، وقعوا كلهم علي القرار ولم يذهب أحد إلي الوحدات ، التصرف السديد أن أقول: يا جماعة اجمعوا لي كبار أطباء المحافظة أجلس معهم ، يا جماعة الخير أنا مررت علي الوحدات الريفية وجدت حالها يرسي له أشيروا علي أنتم أهل التخصص ، ماذا نفعل لتطوير هذه الوحدات ؟! وهذا يتكلم ، وهذا يتكلم ، وهذا يتكلم علي كذا ، وأنت تشرف علي كذا وهذا يشرف علي كذا ، لناخذ السياسة من بلقيس (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا نَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ) (النمل: ٢٩ - ٣٠ - ٣١) ، جمعت القوات (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون) (النمل: ٣٢) ، جعلتهم في المقدمة هذه هي السياسة (قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ) (النمل: ٣٣) فأرجعوا الأمر لها ، هذه هي السياسة اليوم مثلًا أنا فكرت أفعلها لكن كان لي ظروف في الصحية التي منعتني أنزل في المحافظه عندي ، أنا بفضل الله أستطيع أن أجمع شباب المحافظة بالكامل وأجعل كل واحد منهم يشتري مقشة علي حسابه ونعمل عمال نظافة في البلد ولا يعترض أحد ، أنا عنوان محاضرتي الذي كان من المفروض أن أذكره عنوان المحاضرة (مصر المخطوفة قراءة عاقلة لأحداث هائلة ليس لها نظير ولا مماثلة) هذا كان عنوان المحاضرة المفروض أبدأ به مصر المخطوفة كانت مخطوفة ثم رجعت أحسست أنها رجعت إليك ، كل إنسان علي استعداد أن يبذل بدون ما يكلفه أحد لكن أشعر أنها بلدي التي أعيش فيها .

يسرد الشيخ حفظه الله بعد المواقف التي حدثت له وردة فعله تجاهها:

وأنا طالب في الجامعة ذهبت إلي أسبانيا في منحة كنا أخذناها من الجامعة آنذاك وأنا أسير في شوارع مدريد كنت أكل توفي ، المهم كالعادة أكلت ورميت الورقة ورائي وأسبانيا تعتبر من الدول المتخلفة بالنسبة لأوروبا من زمن بعيد ومع ذلك يغسلوا الشارع مرة في اليوم ، كل شوارع مدريد تأخذ بومبية ومجاري علي الصفيين وتتغسل الشوارع المطر ينزل لا تجد نقطة مطر المهم أكلت ورميت هذه الورقة وجدت من يربض علي كتفي يقول: هكذا عيب ولا يصح تقذر الشارع وعلي كل عمود نور يوجد صندوق قمامة خجلت من نفسي جدًا هي مرة واحدة فقط وبعد ذلك لم أفعل ذلك قضيت مدتي ورجعت من أسبانيا معي قواميس وكتب دواوين شعر أسباني كنت أحب اللغة وأحمل شنطتين في يدي الاثنتين ورقة جرنال مطبقة في يدي لا أستطيع أن أسير من الثقل الذي أحمله نزلت مطار القاهرة ، المهم وقعت علي وجهي نظرت وجدتي نفسي نزلت في حفرة قلت: هنا القاهرة ارم فرميت ورقة الجرنال من يدي ، هذا حدث لي سنة سبعة وسبعين عندما رجعت من ألمانيا في شهر سبعة الذي مضى ، وهذا والله حدث ، وأنا نادرًا ما أحلف عندما كنا هناك لابد أن تلبس الحزام علي الفور، والله وبالله وتالله عندما نزلت مطار القاهرة وركبت السيارة المفروض التي ستأخذني من مطار القاهرة لبلدي والله نسيت أن السيارة فيها حزام ، هذا الكلام له عمق في الذاكرة العمق: أنك لا تشعر إطلاقًا أنك تمتلك شيئًا .

يأتيني مثلًا واحد يقول: فرضوا علي ضرائب كذا وكذا أنا رجل مثلًا بقال أو رجل صاحب محل يأتي يعمل لي اشغال طريق ويعمل لي الصحة وغير ذلك يا مولانا أنا أريد أن أوقف عداد النور ما هي كلها حكومة في بعضها فهو يأخذ مني ضرائب أنا أوقف له عداد النور ، أوقف له عداد الماء فأنا لا أستطيع أن أفعل شيء أريد أن أبرد ناري ، أريد أن أشفي غليلي أقول له: لا يجوز لك ، لماذا؟! لأن الكهرباء هذه خدمة أنت تأخذها تدفع ثمنها مياه تصلك ادفع ثمنها .

سبب الإحباط الذي ينتاب الناس في بلدنا:

فالبلد مخطوفة بمعنى أنك لا تملك شيئاً ، أليس هذا الشعور السائد هو الذي سبب الإحباط وسبب التخلف الذي نحن فيه ؟!.

توضيح:وأنا أريد أن أقول لإخواننا الذين شاركوا في الثورة التي حدثت لا تتصوروا أننا لم نكن من المتضررين بالسنوات الماضية نحن كنا في وجه المدفع لكن لا نشتكى لأحد ، لماذا ؟! لأنه لو جاز لي أن أشتكى أنت كمتلقي مني ، ماذا تفعل ؟! تذهب تبحث عن بئر وترمي نفسك فيه المفترض أنك عندما تمر بك مشكلة تأتي لي أنا أحلها يحدث لك نوع من الاهتزاز تأتي تأخذ الثبات من عندي هذا مفترض ليس لازم ، لكي لا أحد يتصور أن هناك فوقية في الكلام لكن هذا هو المتصور أنا شيخك وأعلمك وأدرس لك مشاكلك عندي آمالك وأحلامك والكلام هذا عندي فالمفترض ألا اهتز وأظهر دائماً أنني ثابت ، لكن التضييق دائماً يكون علي الرؤوس

إن الرياح إذا اشتدت عواصفها فليس ترمي سوي العالي من الشجر

إنما الحشيشة في الأرض لا تتأثر بالعواصف ، إنما الذي تتكسر من الرياح الشجرة العالية إنما الحشيش لا ، فكنا متضررين أنا شخصياً كثيراً ما أخذ من مكتبتي كتب و نحن فقراء نأتي بالكتاب لا نأكل ولا نشرب ولا نلبس لكي أستطيع أن أتي بالكتاب فتاوى ابن تيمية جدتها ثلاثة أو أربع مرات لماذا ؟! يدخل مثلاً يجد سبعة وثلاثين مجلد لون واحد فيأخذ ثمانية مجلدات من النصف أخذ هذا وهذا وهذا ، بدا لي مرة أن أتكلم قلت له: طالما أنك ستأخذ الكتب سوف أتي بكراسة وأكتب الذي ستأخذه لكي أرجعه فكانت النتيجة انزال جميع السلسلة قلت سأجني علي نفسي فرجعت للوراء ، لماذا ؟! مكتبتي ستضيع وتجدها مرة واثنين وثلاثة ، عند الرجوع من السفر مثلاً تركن بالساعات في المطار وكل همي الإتيان بمخطوطات وكتب جديدة فأفتش تفتيش خاص ويدققون في كل شيء ويسألون عن كل شيء، ما هذا اجيب بأنها وثائق ؟! ما هذا مخطوطات أنتم تعلمون مخطوطات مكتوبة بخط قديم ولا يستطيع أن يقرأ ولا كلمة فيها فيتوقعون أنها مؤامرات وخطط ، وكان معي كتاب كم تاقت نفسي للحصول عليه كتاب (علل الدار قطني) خمس مجلدات موجود في دار الكتب المصرية لكن لم أستطيع أن أتي به من دار الكتب أتيت به من السعودية من أخ لي هناك ، فالمهم فتح المفتش وسأل قال لي: ما هذا ؟! قلت له: هذا الدار قطني ،

قال لي: ماذا يعني الدار قطني؟! قلت له: هذا إمام يعمل في علم اسمه الحديث والعلل وغير ذلك ، قال لي: تستطيع أن تقرأ فيها؟! قلت له: نعم ، قال لي: أقرأ ، جلست أقرأ الكلام فقال لي: خلاص اركن ، والكتب التي معك فقلت له: كتب حديثة كتب كلها دين فقال: نعم فأنت لابد أن تمر الأول علي وزارة الثقافة من أجل الإعلام ككتب إذا كانت الكتب دينية فلا بد أن تمر علي الأزهر أما المخطوطات هذه الوثائق التي معك فهذه تركنها علي جنب لأن هذه ستذهب مخابرات قلت له: أنا أريد أن أقول لحضرتك فقط الكتاب المطبوع هذا طبعاً عندما يكون في كتاب مخطوط ونشره لأول مرة تجد صفحتين من المخطوطة في أول الكتاب ، قلت له: أنظر حضرتك الكتاب المطبوع هذا الذي تقرأ فيه كان أصله مثل الوثائق هذه فأنا أتيت به ، وأتعب عليه ، وأكتبه ، وأرقمه وأشكله ، وأدخله مطبعة ، وأعمل بروفة أولي وثانية وثالثة ورابعة لحين ما حضرتك يوصل لك الكتاب وتقرأه هذه هي شغلتنا ، هذا ممكن ينجيني من وزارة الثقافة وينجيني من الأزهر وينجيني من الوثائق؟ المسألة خذ دواليك كثير جداً خفت طبعاً في السنوات الأخيرة ، .

فضل الفضائيات في نشر العلم:

خرجت الفضائيات ، وكانت البلد محتاجة لنا فعلاً كمنظومة حقيقية لضبط الأمن فيها نفهم الناس الدين صح ، بدأ الناس يعرفوا حقيقة الدين القرون الثلاثة الأول بدأت الدنيا تهتدأ ، والناس يتعلموا دينهم.

العلماء أمن البلد: نحن أمن قوم ، نحن أمن البلد ، لماذا ؟ لأن كل واحد يتحرك بعقيدة فعندما نضبط ايقاع الناس علي الكتاب والسنة بفهم القرون الثلاثة الأول الدنيا تهتدأ ، الذي أريد أن أقوله لإخواني: أنهم لا يتصوروا ان إذا نحن قلنا لهم: الوضع يمين أو شمال أو المفروض تفعل كذا أو كذا أننا كنا برءاء أو مرتاحون هذا كلام غير حقيقي ، لكن أرجع فأقول أن إخواننا الذين يقولون: أنا لا أريد هذا ، ولا أريد هذا ، الجديد الذي أتى . هل تعرف كفاءته؟! ، هل تعرف هو جدير بهذا المنصب أم لا؟! فدعوي أن الثورة نجحت لأنها بلا رؤوس هذا كلام لا يقوله إنسان يدري ما يقول ، وهو بضد الحكمة علي طول الخط ، .

دعوة الشيخ حفظه الله لاستثمار الحدث:

فالذي أريد أن أنبه إخواني لن أسترجع الذي مضى ، لكن نريد أن نستثمر الحدث الذي مضى أنتم كلكم تعرفونه تقرأونه في الجرائد والمجلات تقرأون كل شيء وأنا لم أأتي لكي أقول نشرة أخبار ، ولا أتيت لكي أقول ما تعرفونه نريد أن نستثمر الحدث .

كيف يمكن أن يستثمر هذا الجو العام ؟.ولا شك كما نقرأ قراءة أولية أن يكون هناك حرية ، لكن أنا لدي انقباض في قلبي ومن حقي أن أقول هذا حتى وإن خالفني غيري لأن المسألة كلها مسألة قراءة واجتهاد أي لا يوجد نص قطعي نستطيع أن نقول: فلان هذا مخطئ والخطأ محيط به هذه مجرد قراءة أنا عندي انقباض في قلبي بعد هذا الذي جري ، لا أدري لماذا لكن عندي قراءة أولية هذه القراءة تقول:

مانحن فيه بداية ما يسمى بالفوضى الخلاقة في ديار المسلمين: أرجوا أن يفهم الأخوة كلامي فهماً صحيحاً لا يأتي يقول لي: هل أنت كان يعجبك الذي مضى ؟! هل كان يعجبك الظلم والاستبداد والقهر وهذا الكلام ؟! أنا أقول لكم: نحن شربنا الكأس مترعاً أيضاً ، وأنا لا أريد أن أقص ما جري لي أنا شخصياً أو جري لإخواني أو هذا الكلام ، لكي لا أدعي بطولة أو أحد يتصور أنني أتيت لكي أقول: من أنا ، لا ، أنا لا أذكر شيئاً من هذا فأنا لا أريد أحد أن يفهم أنني حزين علي ذهاب الاستبداد والظلم لا ، لكن أيام غزو العراق :

تحذير:

ما قالته الخارجية الأمريكية: العراق هدف تكتيكي ، السعودية هدف استراتيجي ومصر هي الجائزة الكبرى . وهذا الكلام أنا ذكرته في هذا المسجد في خطبة جمعة ، مصر هي الجائزة الكبرى ، لماذا ؟ مصر إذا سقط العراق وسقطت السعودية وسقطت مصر فيكون بذلك تم المراد .

الفوضى الخلاقة وهذا هو تعبيرهم وأنا لست موافق عليه ، لكن أنا أقوله لأنه منتشر ، أي الفوضى المنظمة وليس الفوضى بمعناها العام .

الفرق بين فساد الإدارة وإدارة الفساد: أنت تعرف عندما تقول أن المؤسسة الفلانية تحولت من فساد الإدارة إلى إدارة الفساد هي كذلك بالضبط ، فساد الإدارة عشوائي ، هذا يسرق وهذا يسرق وهذا يعمل لكن إدارة الفساد هذه منظومة لها أصول ، فهناك فرق بين فساد الإدارة وإدارة الفساد ، هم يريدون إلى أن يصلوا إلى إدارة الفساد تحت الشعارات المعروفة ونحن كلنا نصدق بها ، مثل الحرية ، مثل العدالة مثل عدم الظلم وغير ذلك من هذا الكلام الذي كلنا متفقون عليه .

الإسلام يعطيك ما تريد لو تبنيته كمنهج: فمن التزم حدود الإسلام وجد أن كل المطالبات التي يطالب بها الجماهير عبارة عن نقطة في بحر الإسلام يعطيك أكثر من ذلك بكثير ، لكن لو تبنيته كمنهج حياة ، فهنا تبدأ المسألة أعداؤنا ليس عندهم العجلة ممكن يحصلوا الذي يريدونه بعد خمسين سنة فلا يضره ، في عز الفوضى انفصل جنوب السودان ولم يشعر أحد ، قطع جزء من الأمة ، وأنا أعيد كلاماً لي قلته في هذا المسجد قبل ذلك سنة ٢٠٠٠ لما تكلمت عن جنوب السودان وقلت تصوري أنا في ذلك الوقت ، أن جنوب السودان يمول من قبل الدول الغربية لأسباب شتى من أهمها حرب المياه لأن إسرائيل عملت معاهدات مع تركيا ومع أثيوبيا ويعملون السدود في أثيوبيا لكي يقتلوننا من العطش وسدود في تركيا لأجل دجلة والفرات ، لأجل العراق ولأجل سوريا .

حرب المياه أشد من البترول:

فحرب المياه قادمة وأنتم ترون دول حوض النيل المباحثات فشلت ومصر لا تعرف أن ترفع حقها ويريدون أن ينقصوا خمسة عشر مليار متر مكعب من الماء من حق مصر دخلت إسرائيل على الخط وقالت أنتم تطالبون بماء زائد أنتم تبيعون المياه ،أنتم تزرعون أرز والأرز هذا يعيش في الماء فمعنى أنك تصدر أرز أي أنك تبيع الماء ، فنحن دولة المصب ولو أغلقنا السدود ستغرق أثيوبيا والسودان ونحن سنغرق أين يذهبون بالماء ؟ سيعطونها لأفريقيا ، يوزعونها على الدول بحيث تبدأ حرب المياه التي هي أشد من البترول ، الماء أغلى من البترول ، فجاءت لنا دولة في النصف ما هو المانع أن يحدث في جنوب مصر مثلما حدث في جنوب السودان ؟ ونفس القصة قلاقل الجنوب مع الشمال ، والجنوب يساعد حتى تنفصل الدولة .

مصر بين المطرقة والسندان :

النصارى يريدون أن يرجعوا مصر كما كانت والشيعة يريدون أن يرجعوا الدولة الفاطمية ، تخيل عندما يكون فيه مؤامرات عليك أنت بهذا المنظر ،

لا نجاه لنا حقيقة إلا أن نرجع إلى كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ : ولا ينفع أن يقولها إلا العلماء وأن تتصاع الجماهير لهم .

سقف الفوضى ليس الحرية: فالفوضى الخلاقة وهي التي يقولون عليها الفوضى المنظمة أنا قلبي منقبض لأن سقف الفوضى ليس الحرية ، لأن:

المفهوم الخاطيء للحرية:

الحرية مفهومها خطأ الآن لما تأتي وتكلم أي واحد في أي شيء الآن يقول لك أنا حر ، فأنا حر هذه ما معناها ؟ معناها أنا منفلت أنا فوضوي ، فهذا معنى أنا حر وإلا فلسنا أحرارًا ، نحن جئنا إلى الدنيا عبيدًا لله ﷻ ولا يجوز للعبد أن يتصرف أبدًا إلا بإذن سيده ، اليوم الأحزاب السياسية التي في بلاد المسلمين كل حزب له خطة ، وكل حزب له برنامج يريد إذا وصل إلى سدة الحكم أن يحكم بهذا البرنامج .لما كل واحد له برنامج وهدف إذا لماذا أنزل الله الكتب ؟ ولماذا أرسل الرسل ؟ ما وظيفتهم إذا لما كل واحد يريد أن يحكم الدنيا بمنظومته هو وليس بما أنزل الله ﷻ على نبيه ولا بما شرع على لسان نبيه ﷺ ، فتقوم الأمة تتمزق وتتفرق ، فكلمة أنا حر أو الحرية بمفهوم هؤلاء ترفع سقف الفوضى بمعنى زواج المثل ، رجل يتزوج رجل ، حرية ، امرأة تتزوج امرأة حرية ، امرأة تتزوج كلبًا ، حرية .

أنا قلبي منقبض القراءة التي يقرأها بعض الناس قراءة مستعجلة ، وأنا لست مترثًا إلى درجة أن يفوتني الخير ، لأن الاستعجال في القراءة عيب والتريث الشديد بحيث يفوتك الحدث عيب أيضًا ، لا هذا ولا ذاك ، لكن الفوضى الذين قالوها من

زمان ونزلت في كتب وقرأت لها أكثر من كتاب يريدون أن تصير بلاد المسلمين هكذا. ألا تتذكرون منذ حوالي ثلاثة أو أربعة سنين عملوا هوجة في جريدة أخبار اليوم لكي يلغوا إذن الزوج في الجوازات وأن المرأة تسافر بدون إذن زوجها ، كانوا عملوا هوجة وألفوا وفبركوا بعض الأشياء، فمن القصص التي جاءوا بها أن امرأة كانت مصابة في عينيها وتريد أن تعمل عملية في أسبانيا وزوجها كان لا يحبها وهذا الكلام وأصر على أنها لا تذهب وعميت المرأة ، تعالوا يا أهل الدين ، يا أهل المروءة ، يا أهل الفضل ، هل يرضيكم هذا الكلام أن يمنعها من السفر حتى تفقد عينيها؟ طبعاً كل الدنيا ستقول لا هذا الكلام لا ينفع ، فهل ينفع أن يتحكم الرجل في المرأة ، لا ، لا يتحكم في المرأة ، فأنت غداً في الصباح تجد امرأتك تركت لك ورقة تقول لك أنا سأذهب إلى بلجيكا أو هولندا أو غير ذلك ، لماذا ؟ لكي تأخذ المرأة حريتها أكثر .

الفساد الواقع في الغرب سببه تضييع المسافات: التي جعلها الله بين عباده إن الله ﷻ جعل بين عباده مسافات ، ورتب على المسافات أحكاماً ، إذا اختلت المسافات ما بين العباد فسدت الدنيا ، فعندما يقول مثلاً رب العالمين (وَلِلرَّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) (البقرة: ٢٢٨) ، فيكون الرجل في هذا المكان والمرأة في هذا المكان ليس عيب أن هذا مكانها ليس نقص ، لا ، هو مكانها الذي خلقت لتصح الدنيا بها هنا ، والرجل مكانه لتصح الدنيا به هنا هذه مسافات ، عندما نقلب المسافات تكون المرأة فوق والرجل تحت وتكون العصمة في يدها مثلاً أنا أعتقد أن لو العصمة في يد المرأة كل الرجال كانوا سيطلقوا ، لماذا ؟ عندها عجلة والنبي ﷺ هو الذي قال الكلام هذا قال: « يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار » حديث وفيه « ولو أحسن الرجل إليكن الدهر ، ثم رأيتن منه يوماً سوءاً لقلتن: ما رأين منك خيراً قط » قط هذه ، ما هو الدهر ؟ الدهر: هو حياة الإنسان ، ليس الدهر بالمعني العام .

لأن واحد دهره ، كم ؟ مدة حياته علي الدنيا ستموت مثلاً سنك سبعين سنة وتزوجت وأنت ابن عشرين سنة فيكون أخذت مؤبد مضاعف خمسين سنة ، أليس كذلك ؟! خليك خمسين سنة واقف علي طلباتها وراحتها خمسين سنة إلا يوم تقول لك: ما رأيت منك خيراً قط ، لماذا نظام الأستيكة هذا ؟

اليوم الذي أساءت فيه خذي مقابل له خمسة وعشرين سنة اعلمي مقاصة خذي خمسة وعشرين سنة مقابل اليوم هذا يبقي لي خمسة وعشرين سنة أنا محسن بلا إساءة ، خذي ثلاث أرباع المدة في مقابل يومك هذا فقط الذي أنا أسأت فيه سيتبقي لي عدة ألوف أو مئات من الأيام ، كيف ما رأيت منك خيراً قط هذه ، كيف تأتي ؟ هذا ، خلق المرأة الله ﷻ خلقها هكذا . ويحكون أن بعض الأمراء قالت له زوجته : أريد أن أمشي في الطين بلا حذاء ، فكيف يجعلها تمشي في الطين؟ فعمل لها خلطة بالمسك وأتى لها بنشارة الخشب ووضع عليها كميات هائلة من المسك وقال لها انزلي في الطين ونزلت فيه ، المهم بعد ذلك غضبت منه فقالت ما رأيت منك خيراً قط ، قال: ولا يوم الطين ، حتى يوم الطين لا تتذكريه مثلاً .

المسافة التي جعلها الله بين الرجل والمرأة لصلاح الكون:

فأنا أريد أن أقول يا إخواننا المسافة هذه التي جعلها الله بين الرجل والمرأة هذا لصلاح الكون ولا ينفع أن تسير الدنيا إلا بهذا أبداً .

الله ﷻ جعل بين الخلق مسافات ورتب على المسافات أحكاماً: فإذا حدثت اختصار للمسافة وصارت المرأة في مقابل الرجل فهذا خطأ أيضاً ، فاختصار المسافة ما بين الرجل والمرأة خطأ ، ما بين الرجل وابنه أيضاً فيه مسافة ، تختصر المسافة بين الابن والأب هذه مشكلة ، ما بين الرئيس والمرؤوس فيه مسافة تختصر هذه المسافة بين هذا وهذا فهذه مشكلة الله ﷻ جعل بين الخلق مسافات ورتب على المسافات أحكاماً ، فلذلك لما أقول أنا حر وأتقلت من قيد الشريعة ، فهذا هو الانقباض الذي أشعر به وأخشى أن نصل إليه ، لكن لا شك أن أجواء الحرية التي وصلنا إليها نحن لا شك مستفيدون منها وأن الدعوة تحتاج إلى حرية وكلما وصلنا بهذه الحرية إلى السقف الذي أذن الشرع لنا به علم الناس ما كانوا يجهلونه من دين الله ﷻ .

دعوة الشيخ حفظه الله التريث في قراءة الأحداث:

فأنا أريد أن أقول في نهاية كلمتي لا تتعجلوا في قراءة الأحداث ولا تتفاءلوا كثيراً أيضاً ولا تحذروا كثيراً أيضاً والزموا علماءكم بعد ما تنتهي هذه الفورة سيعلم

الناس جميعاً بعد ما ترجع إليهم عقولهم من المحق ومن المخطئ وكما قال بن المعتز:

ستعلم إذا انجلى عنك الغبار أفرس تحتك أم حمار.

فقط الدنيا المضيبة هذه تتكشف ولناخذ مثل عندما يكون فيه شبورة في الصباح أنت ماذا تفعل عندما تمشي بالسيارة ، تلزم نصف الطريق الخط الأبيض وتلزم الطريق وتكون حذر أم تمشي على سرعة مائة وعشرين أو مائة وخمسين ، لا تعرف ، لماذا ؟ لأنك ربما تصطدم بشيء أمامك أو يكون الطريق فيه دوران وأنت تتصور أنه مستقيم فتتزل في ترعة أو غير ذلك ، ومتى تشد في السرعة في الشبورة ؟ عندما يكون هناك من يسبقك وأنت تجري خلفه ، إما أن يكون لك قائد لكي تجري خلفه بنفس سرعته وتضمن أنك لن تصطدم بشيء ، فتأخذ سيارة مسرعة واحد مدرب على الشبورة أو متهور ويجري وأنت خلفه .إذا كنت لوحدهك وليس لك قائد تجد نفسك تتحسس وتريد أن تعرف الطريق أين يذهب وإلى أين وأحياناً تقف ، فإذا كانت المسألة مضيبة إلى هذا الحد فينبغي أن تكون قراءتنا قراءة سديدة ، فأنت لا تعرف أن تقرأ فالزم أحد العلماء الربانيين .

دعوة الشيخ حفظه الله بأهمية لزوم أصول علمائنا في حالة الخلاف:

فمن قائل يقول: العلماء مختلفون ،البعض يقول يمين والآخر يقول شمال وهذا يقف وهذا لا يتكلم والثاني تكلم ، وهذا قال لك هذا مع الثورة وهذا ضد الثورة وغير ذلك ، فانا أقول لك في هذه المسائل نحن نلزم الأصول التي وضعها علمائنا وهي: إلزم عالمك وافعل مثلما فعل سنفترض جدلاً أنا المرجعية لك ورأيتني توقفت يسعك أن تتوقف ، هذا تقليد كما تقلد في الأحكام الشرعية الجزئية وأنت لا بصيرة عندك بالحكم تلزم العالم الذي تعتقد أنه حجة بينك وبين ربك وتفعل مثلما يفعل وبذلك تكون خرجت من الموضوع دون تسفيه للآخرين .

لأنه كما قلت أن المشهد ضبابي يحتاج إلى يقظة ويحتاج إلى استكشاف بعض الناس قد يحتاج أن يقرأ قراءة سريعة ، بعض الناس قد يبطئ أكثر من اللازم ، بعض الناس قد يتكلم في الوقت المناسب ، لا يوجد نص قطعي في المسألة يا إخواننا ، لذلك أنا أقول لإخواننا الذين يتكلمون ويكتبون على النت ويسفهوا المشايخ وهذا الكلام ، وكانوا يقولون بعدم جواز المظاهرات والآن يقولون بالمظاهرات وهذا الكلام ومتناقضين في الأحكام .

أنا أريد أن أقول لك وأختم كلامي لما أحد العلماء يقول أن المظاهرات لا تجوز ، لماذا قالها ؟ لأن مسألة المظاهرات أولاً جاءت إلينا من الخارج تعبير خارجي جاء من الخارج ، قلنا بجوازه أو بعدم جوازه هذه مربوطة بتحقيق المصلحة والمفسدة ، عندي مصالح ومفاسد ، قبل ما تحدث الثورة التي نحن نتكلم عنها هذه ، أنظر للوراء مائة سنة ، هل هناك مظاهرة غيرت قراراً سياسياً ؟ هل هناك مظاهرة غيرت أي وضع منقلب ؟ فيكون الشيء الثابت التي أنت تقيس عليه أن المظاهرة يحدث فيها قتلى وجرحى ومسجونين ويحدث تلفيات للممتلكات العامة وغير ذلك وهذا على مدار مائة سنو في الماضي .

أنت كفقيه دارس أصول جيداً ودارس قياس جيد لما تريد أن تقيس تقيس على شيء ثابت مضى فنقول لا يوجد شيء غير قرار سياسي ، فحينئذ نقول لك لا يجوز ، لماذا ؟ لأنه لا يوجد مصلحة من وراء هذه القصة في كل مرة يحدث مضره ، فانا لو أردت أن أفتي هل أفتي على شيء مستقر أم على شيء شاذ؟ أفتي على شيء مستقر ، لذلك قال طالما المسألة دائماً تأتينا بمضره فيكون لا ، في الغرب المظاهرة ممكن تسقط حكومة وممكن تسقط رئيس ، قال لك: اطلع وأسقط هذه الحكومة الفاسدة ، وكل مظاهرة تخرج تسقط لهم حكومة ، فقال: إذا المصلحة هنا أنك تسقط الحكومة الفاسدة فاخرج تظاهر ، لكن نحن في بلادنا لأن الدنيا مختلفة ثقافتنا مختلفة عن ثقافة الغرب تماماً وما يصلح عندهم لا يصلح عندنا.

العلماء قالوا: لا تتظاهر لأن في فساد كذا كذا أتت الثورة التي نحن فيها التي لم يتوقعها أحد ، ولا الشباب الذين بدئوا بها ولا الشعب الذي ظاهر ولا الحكومة نفسها ولا أحد في الدنيا علي بعضها في قاراتها توقع إن المسألة ممكن أن تصل إلي هذا

،إدًا هذا شيء جديد لا نظير له ولا مثال فإن قيل لي: هل يمكن أن يتكرر هذا؟ ممكن أقول له: لا ، ستقول لي: ما الدليل ؟ سأقول: ليس لدي دليل ، لكن نرجع إلي أثر عمر بن الخطاب الرجل يقول: (لأن مات عمر بايعت فلان ، فإن أبا بكر ببيع وكانت بيعته فلتة فتمت) فقال عمر: (نعم كانت فلتة ولكن بقي الله شرها ، وليس فيكم من تمتد إليه الأعناق مثل أبي بكر) كانت فلتة وتمت ، ممكن تحدث وممكن لا تحدث ، لكنها فلتة يجب أن تستثمر في حرية الدعوة إلي الله □ ، .

الثورة فلتة يجب أن تستثمر في حرية الدعوة إلي الله ﷺ : وأناس كثيرون مقبلون علي الله ﷺ والمصريون عمومًا في العام المجمل لديهم تدين ، إذا أحسنت مخاطبته تستطيع أن تستحوذ علي قلبه تملكه بالكلمة الحسنة ، فأنا أريد من إخواننا أن ينتهوا من الكلام الكثير وتحليات كثيرة ، وإخواننا الذين يدخلوا علي النّت يكتبوا الذين يريدوه ويسبوا في المشايخ أو ينتقصوا المشايخ أو الكلام هذا أرجوا أن يكفوا قليلًا ولننظر تحت أقدامنا ، ما الذي يمكن عمله ؟ ، لي كلام كثير أنا جئت كما ذكرت لأكسر حاجز الصمت وأقول: أنا لماذا سكت ، لكن إن شاء الله ﷻ إن وفق الله ﷻ نرجع مرة أخرى إلي المسجد هنا في مسجد المعز بالله في الجمعة الرابعة من كل شهر عربي ، وسأحاول أن أقرأ قراءة صحيحة لهذه الأحداث علميًا بإذن الله تعالى عقب خطبة الجمعة. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

مقدمة كتاب النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة

إن الحمد لله تعالى، نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأحسن الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وآله وسلم -، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

* ... * ... *

فهذا كتاب {النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة} أحد كتبي التي بدأت في تسطيرها قديماً، منذ نحو عشر سنوات، وهو عبارة عن أحاديث مختلفات في معناها ومرامها، كنت أسأل عنها، فأضطر إلى تحقيق القول فيها، فإن كان صحيحاً أو ضعيفاً احتفظت به في ((مضبطة)) عندي.

ثم راودتني نفسي أن أجمع الضعيف وحده. فصرت كلما حققت حديثاً ألحقته بما سبق لي تحقيقه، وجعلت ألحق ما أجده من زيادات مناسبة، فأضعها في موضعها حتى تجمع لديّ - وقتها - أكثر من خمسمائة حديث، كنت أتوخي أن لا يكون قد

سبقني إليها شيخنا، حافظ الوقت ناصر الدين الألباني في كتابه {سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة} وقد صدر منها المجلد الأول والثاني والثالث .

ثم قدر الله - عز وجل - وانصرفت عن الكتاب لمشاريعي الأخرى والتي منها:

١- {بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي أبي عبد الرحمن} .

٢- {مسيب الحاجة إلى تقريب سنن ابن ماجه} .

٣- {غوث المكذوب بتخريج منتقى ابن الجارود} .

٤- {صحيح كتاب الأدب المفرد} للبخاري.

٥- {صحيح كتاب أخلاق النبي} لأبي الشيخ.

٦- {جنة المستغيث بشرح علل الحديث} لابن أبي حاتم.

مع أشياء أخرى يطول الأمر بذكرها وإني أسأل الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه، ولا يجعل فيها شيئاً. فهذه المشروعات وغيرها كانت - وما زالت - تلتهم كل وقتي - إلا ما لابد منه لتستقيم أمور الحياة - فلذلك صرفت عن أعمال مشروعِي ((النافلة)) وفي مساء يوم من شهر المحرم سنة (١٤٠٥هـ) زارني في بيتي الأستاذان: محمد عامر رئيس تحرير جريدة النور، وعبد الفتاح الشوريحي وكيل حزب الأحرار، برفقة الأخ الصديق الدكتور أحمد نور الدين - أكرمه الله ورعاه، فهو صاحب الفضل الأول في نشر هذه المقالات، وبعد الفضل الإلهي - وفاتحني رئيس التحرير برغبته في أن أكتب مجموعة من المقالات أرد بها على الكاتب عبد الرحمن الشرقاوي في تهجمه على أعلام المسلمين من الصحابة أمثال ((عثمان بن عفان)) - رضي الله عنه - وكذا ((السيدة عائشة)) أم المؤمنين في كتابه ((علي إمام المتقين)) .

فقلت له: هذا مطلب لا يسعني التخلف عنه، ولا سيما والكاتب من أجهل الناس، وإن لم أقل أجهلهم بالمنقول، وكيفية قبوله وردّه، ومعروف أن أخبار من مضى إنما عمدتنا في معرفتها عن طريق النقل، فقد رأيت الكاتب المذكور أورد في كتابه

أخباراً، وحكايات، هي من جنس المنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، مع أشياء أخرى لا يعول عليها من شم ريح العلم ولو مرة في حياته، فكم من مؤلف خاطب ليل، وجارف سيل، لا يميز بين الصحيح والضعيف، ويظن كل مدور رغيفاً!! . فرأيته يأتي بأباطيل وأوابد. قد نص على بطلانها بعض من نقلها كالذهبي وابن كثير يعتنون بنقد الروايات.

ولكن نقد كتابه أمر يطول، والوقت أعز من أن أنفقه في الرد على رجل، جل مؤلفاته تمشي على هذه الوتيرة، ثم ليس هو وحده بل هناك عشرات مثله، لذلك رأيت أن أختار نماذج من كتابه، وأنقدها، وعليها يقيس القارئ بقية الكتاب. لكن هذا يحتاج مني إلى وقت أتدبر فيه النماذج التي سأنتقيها، وليس ذلك قبل ثلاثة أشهر فقال لي: وحتى تنعم النظر في الكتاب، نرجوا أن تهئ لنا بعض المقالات من الأحاديث الصحيحة مع شرح شيق يستفيد منه غالب القراء، ويحببهم في السنة النبوية، على صاحبها الصلاة والسلام.

فقلت له: نعم، غير أنني أرى أنه من تمام الفائدة أن تنشر لفيماً من الأحاديث الضعيفة والموضوعة تحذيراً ونصحاً، والأمر ذلك كما قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

فوافق الرجل، وهكذا بدأت أنشر مقالين:

الأول: ((النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة)).

الثاني: ((الأجوبة الصريحة عن معاني الأحاديث الصحيحة)).

وكان الأستاذ رئيس التحرير قد قال لي أكثر من مرة إن الأستاذ ((الحمزة دعبس)) رئيس مجلس الإدارة يريد أن يوقف هذه المقالات، لأنها ليست مفهومة بالنسبة لعامة الناس. فقلت له: هب أنها غير مفهومة لعامة الناس، ولكن يوجد من يفهمها ممن يتجهون معنا هذه الوجهة، ومن الخير أن يستفيد الجميع من ((الصحيفة)) على اختلاف مذاهبهم ولقت بعث هذه المقالات -على قلة مساحتها - روحاً علمية في نفوس كثير ممن قابلوني ورغبوا في المزيد، فما الذي يضر، أن

تكون الصحيفة لعامة الناس إلا نصف عمود فهو للمتخصصين، وبهذا تجمع بين الحسنيين. مع أن هذه المقالات كان كثير من خطباء المساجد والمدرسين يستفيدون منها، لأنني أكتب درجة الحديث في أوله، فكان الواحد منهم يعرف درجة الحديث الذي يريده بكلمة واحدة، وهي تغنيه عن قراءة ما لا يحسن فهمه. فبهذا عمّ نفعها والحمد لله. ثم قلت له: أرجو أن تبلغ كلامي إلى الأستاذ ((الحمزة)) ثم لم يمض وقت حتى ترك الأستاذ محمد عامر رئاسة تحرير جريدة النور، وبهذا توقفت المقالات. ثم جدد الأخ الدكتور أحمد نور الدين سعيه في إعادة نشر المقالات، مع رئيس التحرير الجديد، فكان الجواب أن الأستاذ ((الحمزة)) هو الذي يأبى نشرها فصرفت النظر عنها. حتى أخبرني أخ لي أنه كلم الأستاذ المذكور بالهاتف في شأن امتناعه عن نشر مقالات الأحاديث الضعيفة مع عظيم أثرها. فكان الجواب: أنا ما عندي مانع، والأخ الحويني هو الذي امتنع، فليس عندنا مقالات له، ولم يعد يرسلنا. هكذا قال!! ويعلم الله أن مقالاتي ما زالت عندهم حتى الآن لم أخذها فألح أخونا على ضرورة إرسال عدة مقالات لعل المقالات الأولى ضاعت.

فأعطيت الأخ الدكتور أحمد نور الدين مقالاً واحداً ليعطيه لرئيس التحرير، ففوجئ بالرفض، وأن الأستاذ ((الحمزة)) هو الذي يمتنع عن نشرها، فوضح لي أن الأستاذ المذكور - مع فعله الذي أشرت إليه - مستبد برأي نفسه فهو لم يبد أية حجة في امتناعه، وإذا كلمه أحد وافق، ثم يعطي تعليماته بعدم الموافقة.

فلذلك أعرضت عنه وإنما حدا بي إلى ذكر حقيقة ما حدث، أن كثيراً من إخواننا يحملونني تبعة توقف المقالات، وأن التقصير كان من جهتي ولعل الواقف على كلامي يلتبس لي العذر. والله تعالى يوفقنا إلى مرضاته.

أما موضوع الكتاب، فخطره جليل ذلك أن الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ... } فصارت السنة بهذه الآية - وبغيرها - هي المبينة في القرآن مما يلتبس على إفهام الناس. ويعلم كل عارف بالتاريخ كم أدخل الوضاعون - على اختلاف مذاهبهم - في السنة من الأباطيل والمناكير، بل وشارك في ذلك كثير من الصالحين الذين لم يكن ضبط الحديث من همهم، فصار الدخن كثيراً. غير إن كثرة الأئمة العارفين بهذا الشأن كان

يهون من الخطب حتى قيل لابن المبارك - شيخ الإسلام: - ((الأحاديث الموضوعة؟! قال: تعيش لها الجهابذة)) . وقال الدارقطني يوماً: ((يا أهل بغداد! لا يظنن أحدكم أنه يقدر أن يكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا حي)) وذلك لسعة دائرة حفظة وإدراكه.

ودون الناس الكتب فمنهم من كان يتحرى الصحيح وحده كالشيخين، ومنهم من كان يجمع الصحيح والضعيف دون الموضوع؛ كأصحاب السنن الأربعة ^(١) وغيرهم، ومنهم من جمع كل ما وقع بإسناد فدونها حفاظاً لها من الضياع، فخلفوا لنا ثروة هائلة، فجزاهم الله خيراً، فدار الزمان، وقبض العلم بقبض العلماء كما في الحديث الصحيح: ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)) . أخرج الشيخان وغيرهما، فلما قل العارفون بهذا الشأن، تضاعفت المصيبة بعد أن صار الناس - ومنهم من يتصدر للتدريس والوعظ - يلوكون هذه الأحاديث الباطلة، والتي لا أصل لها صحيح إطلاقاً، فيعلمونها للناس، ويأخذونها بلازمها، بل ويعرضون عن الحديث الصحيح - أحياناً - لأنه يناقض أحد هذه الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة. وذلك عن جهل بعدم ثبوتها.

ولست أنسى أنني دخلت في أحد المساجد المشهورة، فصعد الخطيب وصار يزمجر ويندد بالذين يهاجمون مشايخ الطرق الصوفية، أصحاب الكرامات، ثم ساق للناس هذه القصة مساق الدليل على صحة دفاعه فقال: خرج أحد المريدين يقصد شيخه، فأعترضته امرأة في الطريق، فقالت له: أن ابني في الجندية وقد أرسل لي رسالة، فهلا قرأتها علي؟! فوافق الرجل المريد وذهب معها إلى البيت، ولا يوجد فيه أحد!! فدخلت المرأة بيتاً في دارها، فتزينت ثم خرجت للرجل وقالت له: هيت لك! وإلا صرخت ورميتك بالفاحشة!! فقال الرجل: لكني أريد أذهب إلى الغائط (دورة المياه) فأذنت له، فدخل ثم صار يدعو الله باسمه الأعظم!! فبينما هو كذلك، إذ رأى سُلماً، فنزل عليه إلى الشارع!! وذهب إلى شيخه فقال له: أين كنت يا بني لقد

^(١) ولا ينقص هذا وجود بعض الأحاديث الموضوعة في بعضها كسنن ابن ماجه والترمذي فالاجتهاد في شروط قبول الرواية يتفاوت ولعل الموضوع في نظر غيرهم كان فقط في تقديمهم وهذا هو اللائق بهم لما عرف من سيرتهم إذا أنهم ذكروا الحديث الموضوع نهوا عليه والله اعلم

تأخرت؟! فقال: عرضت لي حاجة، فقال الشيخ: يا بني لا تخجل، أنا الذي نصبت لك السلم؟!!!! وما أن، انتهى الخطيب من هذه الحاكية حتى هاج الناس، وبكى بعضهم من التأثر، وخلع بعضهم العمام إعجاباً. ومع بطلان هذه القصة، وما في معناها من المخالفات الشرعية فإن الناس طربوا لها، مع كون الخطيب ساق عدة آيات وأحاديث صحيحة فما اهتز وجدان أحد، فضلاً عن إثارتها لدموعه. والسبب في ذلك شرحه يطول، وقد شرحته في غير هذا الموضوع ^(١)، فانظر إلى هذا المثال، وألوف مثله يلقيها الواعظون، والمعلمون، فما بالك بغيرهم؟! مما يدل على ضرورة تبصير الناس بهذا المسلك الخطر.

وإذا كان ابن الجوزي - رحمه الله - وكان يعيش في القرن السادس تمثل - لقلة العالمين بفن نقد الأسانيد - بقول القائل:

وكانوا إذا عُدُّوا قليلاً ... فقد صاروا أقل من القليل

فما الذي يقال في زماننا وفقد صار المحسنون لهذا الشأن لا يتجاوزن أصابع اليد الواحدة إن لم يكن أقل من ذلك؟!!

وكان شخيना حافظ الوقت، الشيخ الإمام، حسنة الأيام، ناصر الدين الألباني حفظه الله وأمتع المسلمين بطول حياته قد بدأ قديماً بنشر مقالات في الأحاديث الضعيفة والموضوعة في مجلة التمدن الإسلامي ثم جمعها ونشر منها مجلدات حتى الآن ^(٢) وقد ذاع هذا كتابه جداً - كسائر كتبه - وكان عظيم النفع والأثر لما أحيأ به الروح العلمية القوية، التي غابت بموت المحسنين لهذا الفن، حتى يصدق فيه أنه مجدد شباب الحديث في القرن الخامس عشر، لا ينازع في هذا إلا من ينادي بما يكره.

والأحاديث التي أذكرها كنت اشتترطت ألا يوجد فيها شيء سبقني الشيخ إلى تحقيقه فيما نشر حتى الآن من ((السلسلة الضعيفة))، وإن كان قد حققه في المجلدات الأخرى، والتي ما صدر شيء منها، وكنت بدأت في تهذيبها وإعادة تحقيقها تحقيقاً

^(١) في جزء لي في شرح حديث ((إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعاً ٠٠)) يسر الله طبعه

^(٢) ثم نشر المجلد الثالث ورأيت فيه بعض الأحاديث التي سبق تحقيقها على اعتبار أنها كانت محجوبة قبل ذلك فلم أحذفها من كتابي رجاء أن تحصل بها فائدة زائدة والله الموفق

مختصراً حتى يلائم المساحة المسموح لي بها في ((جريدة النور)) فأهملت الرد التفصيلي على العلل الموجودة في الأحاديث، رجاء الاختصار، وليس عن غفلة مني، وأهملت أيضاً البديل الصحيح - إلا نادراً - لنفس الغلة السابقة. ثم طلب مني الكتاب للنشر، فدفعت بالمائة حديث الأولى على الاختصار السابق مع إضافة شيء يسير سمح به وقتي، ولعل الله - عز وجل - يوفقني بعد ذلك في الوفاء بما أملت إليه، مع ذكر البديل إن وقفت إلى وجدانه. والله المستعان.

ثم إنني أنبه إلى أمور منها:

١- هو أن التحقيق في هذا المجال، يستلزم مناقشته بعض الأئمة من السالفين أو المعاصرين في بعض ما ذهبوا إليه، فلا يقعن في روع أحد أن ذلك هو من الحط عليهم، وعدم ذكرهم بالجميل، فضلاً عن أن يكون اغتياها لهم، وكان يقال: ((اعف عن ذي قبر)) ! فإننا نبرا إلى الله العظيم من ذلك. وكيف يكون تعقبنا لكبراء شيوخنا وعلماء سلفنا هو من الطعن عليهم: ((.. وبهم ذكرنا، وبشعاع ضيائهم تبصرنا، وباقفاء واضح رسومهم تميزنا، وبسلوك سبيلهم عن الهمج تحيزنا، وما مثلنا إلا كما ذكر أبو عمرو ابن العلاء قال: ما نحن فيمن مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال ...))^(١).

بل من أنعم النظر، وأعمل الفكر وجد أن بيان ما أهملوا، وتسديد ما أغفلوا، هو غاية الإحسان إليهم فإن هؤلاء الأئمة يوم وضعوا الكتب، أو تكلموا في العلم إنما كانوا يريدون بيان وجه الحق، فإذا أخطأ الواحد منهم كان هذا نقيض ما أحب وقصد، فالتنبية على خطئه من أجل إعادة الأمر إلى قصده ومحبوه واجب على كل من له حق عليه، إذ لم يكن أحد من هؤلاء الأئمة معصوماً من الزلل، وآمنا من مقارفة الخطل، وإن كان ما يتعقب به عليهم لا يساوي شيئاً في جنب ما أخروه من صواب، فشكر الله مسعاهم، وجعل الجنة مأواهم، وألحقنا بهم بوسع إحسانه ومثله. وحسبنا أن نسوق على كل مسألة دليلها العملي، حتى لا نرمي بسوء القصد، أو شهوة النقد. وإنني على يقين من وقوع الخطأ في بعض ما أذكره. والسبب واضح لكون المرء غير

^(١) من مقدمة ((موضح الأوهام)) للخطيب (٥/١).

معصوم، فإن كان السالفون مع علمهم وروعهم وقع منهم بعض الخطأ لهذه العلة، فنحن أحق بذلك منهم، وإنما حدا بي إلى إطالة القول في ذلك أمران:

الأول: إعداراً، وحتى لا يتعقب على لإغفاله.

الثاني: أن بعض إخواننا - جزاه الله خيراً - أنكر علي أنني أتعقب بعض كبار الأئمة وأتخذهم غرضاً^(١) فقال: ((أين هو من فلان الإمام))؟! وصرح بأشياء كرهتها له، مع مسامحتي إياه في قولها، والجواب من وجهين:

الأول: أننا إذا أخذنا بعض المآخذ على الأئمة، فلا يعني أننا صرنا مثلهم في علمهم فضلاً عن أن نرتفع عليهم؛ لأن الجزئيات في العلم لا تكاد تتناهى، ولو أراد أي عالم في الدنيا إلا يخطئ في شيء من العلم، لمات وعلمه في صدره، فليس إلى العصمة من الخطأ سبيل.

الثاني: أن يكون تعقيبي على ضربين.

١- إما أن أكون مصيباً في قلبي، فما المانع أن يُقبل مني؟!!

٢- أن أكون مخطئاً، فعلى المعارض أن يبين ذلك بالدليل، فليس قوياً ولا في ميزان العدل كريماً، أن يقبل القول من إنسان لمجرد أنه قديم، وأن يُهتضم حق المصيب لكونه حديثاً والله در من قال:

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ... ويرى للأوائل التقديما

إن ذاك القديم كان حديثاً ... وهذا الحديث سيبقى قديماً

نقول هذا الكلام ونحن والحمد لله من العارفين لأقدار العلماء، وإن بدرت مني عبارة قد تبدو جافة، فإني معتذر عنها، إنما قد يكون ذلك من حظ العلة التي هي في قلب ابن آدم.

(١) أما اتخاذهم غرضاً فإني أبرأ من ذلك ولحوم العلماء مسمومة وقل رجل ولع في أعراضهم بغير حق إلا هتك الله ستره فضحه في خلقه نسأل الله السلامة

٢- الأمر الثاني: أن الحكم على الأحاديث بما يناسبها إنما تخضع فيه للقوانين العامة التي حددها علماءنا مصطلح الحديث، مع إعمال النظر والاستفادة من استقرار الأئمة المحسنين لهذا الشأن، ولا مجال لما يسميه بعض الأعمار ((النقد عن طريق الكشف)) ، فإن معنى الأخذ بها أن يصير الباطل حقاً، والحق باطلاً. قال العجلوني في ((كشف الخفاء)) (١٠/١) : ((وفي الفتوحات المكية للشيخ الأكبر قدس الله سره (!) ما حاصله: قرب حديث يكون صحيحاً من طريق رواته يحصل لهذا المكاشف أنه غير صحيح لسؤاله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيعلم وضعه ويترك العمل به، وإن عمل به أهل النقل لصحة طريقه. ورب حديث ترك العمل به لضعف طريقه من أجل وضاع في رواته، يكون صحيحاً في نفس الأمر لسماع المكاشف له من الروح حين إلقائه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -)). أ. هـ.

قلت: لقد أساء العجلوني جد الإساءة وكتابه، أنه نقل هذا الباطل ولم يقدح فيه! وهل في إقراره هذا الكلام إلا هدم لكتابه كله إذ هو قائم على القواعد المعروفة عند أهل الحديث؟! لقد ظننت أن تحت القبة شيخاً!! وليس هذا الكلام بأول شيء مرق به ابن العربي على الإسلام وأهله، حتى لقد كفره جماعة من العلماء، وحرّموا النظر في كتبه؛ لأن قوله هذا يتمشى مع زعمه أن للشريعة ظاهراً وباطناً، أما الظاهر فهو لعامة الناس، الذين هم علماء الملة، فلا يرونهم على شيء لا من العلم ولا من التقوى. لأن ذلك لمن أدركوا علم الباطن!! وهذا القول ساقط بأدلة كثيرة طرفاً منها في جزء لي سميت به: ((كشف المخبوء، بثبوت حديث التسمية عند الوضوء)) وهو قيد الطبع.

٣- الأمر الثالث: أن ما ذكرته في كتابي إنما هو بحسب ما ظهر لي بعد إعمال القاعدة العلمية، ولا شك أنه قد وقع في خلل بعض ما ذهب إليه، فأنا لا أؤكد الثقة به، وكل من عثر على حرف منه، أو معنى يجب تغييره فإني أناشده الله في إصلاحه، وأداء حق النصيحة فيه، وما أبرأ من العثرة والزلة^{١٧٨} وما أستتكف من الرجوع إلى الصواب عن الغلط، فإن هذا الفن لطيف، وابن آدم إلى العجز، والضعف، والعجلة أقرب، فرحم الله أحاً نظر فيه نظرة تجرد وإنصاف، ودعا لي بظهر الغيب على صواب وفقني الله إليه، واستغفر لي زلاتي الكثيرة فيه.

((والله أسأل أن يجعله زاداً لحسن المصير إليه، وعتاداً ليمن القدوم عليه، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل)).

وهذا أود الشروع فيما له قصدت، وعلى الله العظيم توكلت.

تعليق الشيخ على فتوى شيخ الأزهر

الحمد لله رب العالمين ، له الحمد الحسن والثناء الجميل ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له يقول الحق وهو يهdy السبيل ، و أشهد أن محمد عبده و رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

فى الاسبوع الماضى جرت واقعة مازالت الدنيا تقوم على قدم حتى هذه اللحظة ، هذه الواقعة تتلخص فى فتوى شيخ الأزهر بأنه " يجوز للدولة الكافرة أن تلزم المسلمات بخلع الحجاب أو بترك شيء أوجبته الله عز وجل عليهم ، وقال أن هذا شأن داخلى " . وقد ردت الدنيا عليه و مع ذلك فالعهد بالرجل أنه مكابر و أنه معجب برأيه وأنه لا يرجع ، هذا عهدنا به من يوم أن تولى الإفتاء .

ما من فتوى له إلا تحدث دويا لشذوذها ، وقد ردت الدنيا عليه فى هذا لا سيما والرجل يمثل الأزهر ، والأزهر له فى بلاد الأعاجم شنة ورنه. ليست هذه الشنة والرنه فى بلاد المسلمين ولا فى مصر نفسها.

فى بلاد الأعاجم رجل أزهرى تساوى سبيكة ذهب، لماذا ؟ لتاريخ الأزهر ، الأزهر له تاريخ عريق . ولما ذهب شيخ الأزهر الراحل الشيخ جاد الحق رحمه الله فى ماليزيا حملوا سيارته على الأكتاف وقد رأيت هذه الصورة ، سيارة محمولة الناس رفعوها من على الارض. لماذا؟ لأن هذا أكبر شخصية تمثل الإسلام فى العالم الإسلامى شيخ الأزهر الحالى لم يؤدى للمشيخة حقها ، ونحن لا ننسى أبدا فنواه لما ذهب الى موريتانيا، " وأفتى هناك للمسلم بجواز أن يرتد لأجل لقمة العيش " ، نعم ربما نسيت الجماهير هذا الكلام ولكن نحن لا ننساه . مسلم يريد أن يأكل عيشه

ضيقوا عليه فى بلد ما ولا يجد رغيـف البخبز عرضوا عليه النصرانية ، عرضوا عليه اليهودية ، هل يجوز أن يرتد وأن يترك دينه للقمـة العيش ، قال : نعم .

وصالة الزواج فى مشيخة الأزهر عرض لكل الأزياء المبتذلة التى لا تمت الى الدين بصلة ، أستغفر الله هى عصيان واضح . صالة الزواج فى مشيخة الأزهر المبجلة يدخلها نساء يلبسن لباسا فوق الركبة . أنا رأيت شيخ الأزهر مرتين يقف بعد عقد القران بجانب العروس التى كشفت عن شعرها وكشفت عن عضدها ويديها وكشفت عن صدرها - والله رأيت ذلك بعينى ما أخبرنتى به أحد - وقد وقف الى جانبها مبتسما . لما شيخ الأزهر يقف هذا الموقف بجانب المرأة المتبرجة أليس هذا عند العوام إقرار بهذا السفور المـزرى ؟! وإلا لو كان حراما لما قبله الشيخ .

ولا زالت هذه الفتاوى الشاذة تنهمر وتأتى كالطوفان ومع ذلك يقوم أهل العلم بما أوجبه الله عليهم من النصيحة والوقوف لهذا المنكر ومع ذلك لا يزداد الرجل إلا طغيانا وشذوذا .

لا يحل مطلقا ترك فرض فرضه الله عز وجل على إنسان إلا إذا عجز عن تنفيذه المسلمة التى تعيش فى بلاد الكفر مثل فرنسا هل هى مضطرة الى دخول المدارس ؟
الجواب : لا .

هل هى مضطرة للبقاء أصلا فى فرنسا ؟ الجواب : لن أقول الجواب لا ، انما قد وقد ، ولكن الذى نقطع به أنها ليست مضطرة الضرورة الشرعية أن تخرج إلى المدارس وأن تتعلم ، حينئذ إذا عاملوها هذه المعاملة وضاق عطن الديمقراطية المزعومة عندهم التى اتسعت لكل شئ اتسعت للزنا العلنى فى الشوارع واتسعت لعبادة الأبقار فى الشوارع ، اتسعت لكل ملل أهل الأرض إلا الإسلام . هم يقولون هذه حرية ، من الحرية أن تمشى المرأة عارية هذه حرية ولكن ليس من الحرية أن تلبس المرأة حجابها ! وهكذا .. فإذا كان الأمر كذلك فالفتوى الصحيحة التى كان يجب على شيخ الأزهر أن يفتيها - وهو دائما يقول " هات لى الحالة أنزل الفتوى عليها ، أنا لا أفتى فتوى عامة " - كان الواجب عليه أن يقول أنا لا أفتى فتوى عامة

إلا الفتوى بفرضية الحجاب وكل واحد يرسل لى سؤاله وحالته أقول له يجوز أو لا يجوز - هذا على مذهبه هو ومذهبه ثلاثي كما تعرفون " حلال حلال حلال " ، " خيانة خيانة خيانة " ، " جبناء جبناء جبناء " المذهب الثلاثي الذي يكرره دائما ، كان المفترض أنه يقول إن المسألة تحتاج إلى تفصيل كل واحد يجيب لى حالته ، و إلا الفتوى العامة : أنه لا يحل للمسلمة متى حاضت أن تخلع حجابها إذا خرجت إلى الشارع أو إذا كانت مع غير محارمها . هذه الفتوى التي يعرفها الصبيان الذين يتعلمون فى المدارس العلمية .

نحن يا أخواننا فى محنة جسيمة ، هذا رأسنا يفتى بمثل هذه الفتاوى و لا يرجع و يكبر عليه أن يرجع ، لماذا ؟ لأن خلفه ثلة من العلمانيين أسلم نفسه إليهم ، يأزونه أزا ، ونحن لا ننسى سنة ١٩٨٩ ، عندما أختير نجم ٨٩ كلاعبى الكرة و غيرهم لأنه جهر فتوى حل البنوك ، وأعتبروا أنها فتوى الموسم .

نحن يا أخواننا فى محنة جسيمة ، غدا يستدل بمثل هذه الفتوى على فتوى أخرى.

وزير الداخلية الفرنسي عندما جاء الى مصر ، كان يتمنى أن يفتي شيخ الأزهر بخلاف هذه الفتوى ، لأن وزير الداخلية الفرنسي ما جاء لأجل هذا لأنه فى الأصل كان معارضا لخلع المرأة المسلمة حجابها (لأنه يريد الترشيح لرئاسة الجمهورية) يريد أن يفوز بأصوات ٦ ملايين مسلم فى فرنسا . فلما جاء إلى هنا وهو مطمئن أن شيخ الأزهر سيقول لا يحل خلع الحجاب ، فوجيء بفتوى شيخ الأزهر و رجع خاسرا ، انه ما كان يتمنى ذلك .

و أنا من مكانى هذا أطالب شيخ الأزهر أن يتق الله ، وأن يرجع عن هذه الفتاوى الشاذة و يعلم أنه سيقف يوم القيامة وحده . إذا ذل العالم ذل لذاته عالم ، ما من انسان يضل بسبب فتوى لعالم لم يحررها و لم يعطى العلم حقه ، إلا وهو مسئول عن عمل بها يوم القيامة ، فهذه مسئولية جسيمة ألقاها الله عز وجل على أكتاف أهل العلم . يبين نعم و يسعه أن يقول لا .

أئمتنا الكبار كانوا إذا دعوا إلى القضاء أو الفصل بين الناس كانوا يهربون ، سفيان الثورى مات هاربا ، ما هى جنايته حتى يهرب من الخليفة الرشيد الذى كان

يحكم بما أنزل الله ، أراد الرشيد أن يكون سفيان من حاشيته ، قال له الرشيد : " يا أبا عبد الله إقترب منا فنستفيد منك فتأمرنا بالمعروف و تنهانا عن المنكر . فسفيان لأنه يعلم نفسه حق العلم يقول : " إقترابي منك يضرني وإن كان ينفعك " وكان يقول : " إذا دعاك السلطان لتقرأ عليه قل هو الله أحد فلا تذهب " و كان يقول : " والله لا أخشي إهانتهم ولكن أخشي معروفهم فلا أري منكرهم منكرا " .

ما من إمام عدل و ثقة فى الناس إلا وله محنة ، ما مات قبل أن يمتحن ، فمنهم من امتحن بالسجن كالإمام أحمد ، ومنهم من امتحن بالضرب كالإمام أبو حنيفة و مالك ، ومنهم من امتحن بالهرب ككثيرين ، منهم سفيان الثوري ، كل هذا كانوا يخشون إذا وقفوا بين يدي الله أن يسأله عن كل مسألة قضى فيها بين إثنين ، لماذا جعلت الحق لهذا على ذاك ؟ وما دليلك على ذلك ؟ فإن كان قصر فى السماع أو قصر فى التأمل أو لم يأتى حق العلم يؤاخذ بذلك . فما الذي يجعلنى أتورط هذا الورطه ؟ أبعد أفضل .

ونحن نقول لكل من وهبه الله علما أن يتق الله و أن يراعى حق العلم و أن يراعى حق الله عز وجل فى قول الحق و لا يخشى لومة لائم .

القانون يقول : شيخ الأزهر لا يعزل ولا يخرج من منصبه إلا بالموت ، فلماذا إذا المهادنة ؟ و لماذا لا يقول الحق ؟ إذا كان يحب المنصب فلن يخرج منه إلا بالموت أو الخرف ، فأنا لا أدري لذلك سببا .

نسأل الله عز وجل أن يربط على قلوبنا حتى نلقاه فإن الثبات على الحق منحة من الله عز وجل للعبد

أقول قولى هذا و أستغفر الله لى ولكم .

من مقدمة كتاب نهي الصحبة

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (صلى الله عليه وسلم) .

أما بعد: فإن اصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشر الأمور محدثاتها.

وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فهذا بحث استلله من كتابي: " بذل الإحسان بتقريب سنن النسائي أبي عبد الرحمن " بخصوص خرور المصلي من الركوع إلى السجود، أياكون على اليدين أم على الركبتين ومع أن المسألة ليست بكل ذاك، فإني اضطررت إلى فصلها من الكتاب المشار إليه، ونشرها لمناسبة عرضت.

ذلك أنني دخلت مسجداً لأصلي المغرب في نحو العاشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٩٩ هـ فلما قضيت الصلاة قعد لفيف من الشباب يتحدثون همساً، ثم لم يلبثوا إلا قليلاً حتى تحول الهمس إلى معركة كلامية، وتراشق بسهام الملام.

فكان مما سمعته من أحدهم - ويظهر من سياق كلامه أنه ممن يقدم الركبتين في النزول - وأنه قال: " لا يقدم اليدين على الركبتين في النزول إلا جاهل، وكيف يجرو

رجل على نقض ما قاله ابن القيم في " زاد المعاد "؟ لقد رجح النزول بالركبتين من عشرة أوجه "!! !

فقال له مخالفه: " كيف تصم المخالف بالجهل وفيهم مثل ابن سيد الناس والحافظ والشيخ الألباني "؟ فأجابه: " هؤلاء محدثون لا تعلق لهم بالفقه، وبالذات الألباني فإنه هو الذي أحيا هذه المسألة في كتابه " صفة الصلاة ".

ثم دار كلام لا أحب حكايته، فضربت عن ذكره صفحاً، أما محصلته فمحزنة مؤلمة، فقد انتهى شجارهم هذا إلى فاصل ردىءٍ من الشتم للعلماء ومنهم ابن القيم والحافظ وكذا الألباني.

فما تركت مقامي حتى تكلمت مع ذلك الشاب النافر بمزيد من الحكمة والموعظة الحسنة فوجدته حديث عهد بمعرفة كتب السلف، فتدرجت معه، وتبين لي أن أقرانه استنفروه، فنفر وأن فيه اندفاعاً غير حميد فكلمته طويلاً فكان مما قلته له: " أما مسألة النزول إلى السجود فلا علاقة لها بالفقه وأصوله إلا من طرف يسير، وإنما تعلقها بالحديث وأصوله أكثر، فأنت تزري على أمثال هؤلاء السادة الأكابر بقولك " هم محدثون " وكأنها سبة لهم فبالله عليك ارفق بنفسك ولا تنتظر إليهم النظر الشرر ولا ترمقهم بعين النقص ولا تعتقد فيهم أنهم من جنس محدثي زماننا، حاشا وكلا، فما منهم من أحد إلا وهو بصير بالدين، عالم بسبيل النجاة.

فإني أحسبك لفرط هواك تقول بلسان الحال، إن أعوزك المقال: من المزي؟ ومن العراقي، وأي شيء الذهبي؟ وأيش ابن حجر؟ هؤلاء محدثون، ولا يدون الفقه وأصوله ولا يفقهون الرأي ولا علم لهم بالبيان والمعاني والدقائق، ولا خبرة لهم بالبرهان والمنطق، ولا يعرفون الله تعالى بالدليل ولا هم من فقهاء الملة. فأمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك. وابك على ما أخطأت فيه فإن العلم النافع ما جاء [إلا] عن أمثال هؤلاء، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل. فمن اتقى الله راقب الله واعترف بنقصه.

ومن تكلم بالجاه أو بالجهل فأعرض عنه، وذره في غيه، فإنما عقباه وبال. فرحم الله امرءاً أقبل على شأنه وقصر من لسانه، وأقبل على تلاوة قرآنه وبكى على زمانه وأدمن النظر في الصحيح، وعبد الله قبل أن يبعثه الأجل. اللهم فوفق وارحم ^(١).

أما كون الواحد منهم أخطأ في مسألة أو أكثر فسم لي أنت من كانت له العصمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلا لوم على من درس الأصول، فصوابه مشكور، وخطؤه مغفور، وهو على كل حال مأجور. إنما اللوم والتوبيخ على الذين لا فقه عندهم ولا تعبوا في تحصيل العلوم ولا النظر فيها إذ يخطئون الأئمة، ويتبعون توهيم بعضهم لبعض في مسائل، فيجمعون ذلك ويحفظونه ثم يلقونه على من لا علم عندهم بل ولا أدب لديهم. فلا يعرف عن النووي إلا أنه أخطأ في كذا وكذا. فإذا ذكر أمامه قال: وأي شيء النووي؟ ! لقد أخطأ في كذا وكذا، فهم رجال ونحن رجال! فيا أخي: راقب الله فيما تقول وترحم على من ذكر منهم وإياك والفتوى من غير علم فكثرة الفتوى من قلة التقوى ولقد كان أبو حصين وهو من أجلة الناس ينكر على أهل زمانه - مع علمهم - كثرة الفتوى ويقول: "إنكم لتفتنون في المسألة التي لو عرضت على عمر لجمع لها أهل بدر"! وليكن ديدنك ما فعل أبو مسلم الخولاني فإنه كان يقوم الليل فإذا أدركه الإعياء ضرب رجله قائلاً: أنتما أحق بالضرب من دابتي. أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يفوزوا به دوننا، والله لأزاحمهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا من بعدهم رجالاً".

أما مسألة النزول باليدين أو بالركبتين فلا تبطل الصلاة بالنزول بأحدهما كما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه في "الفتاوى الكبرى".

(١) بتصرف من كلام للذهبي في "تذكرة الفاضل".

وهذه الرسالة قد استللتها لك خاصة، فانظر لما فيها بعين الاعتبار ثم بادر إلى تحقيق ما فيها إذ هو الصحيح إن شاء الله تعالى. وقد يفوتني الشيء بعد الشيء فيها، وذلك أمر وارد، فإني ما قصدت أن أتقصى ذلك فإنه ليس في مقدوري ولا يسلم الاستقصاء كل الاستقصاء لأحد، ثم إن المسألة ليست بكل ذاك حتى نقيم الدنيا ونقعدھا، فإن أمتنا مفككة أوصالها منفصمة عراها فالاختلاف في هذه المسائل الفرعية بهذه الحدة لا يزيد الأمر إلا اشتعالاً، ويجعل خاتمة أمرنا وبالاً فاللهم وفق إلى العلم النافع والعمل الصالح، ويسر ما عسر من أمرنا، وآت هذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه أبو إسحق الحويني الأثري

ذو الحجة ١٣٩٩ هـ.

من مقدمة كتاب الأحاديث القدسية الأربعينية

إنَّ الحمد لله تعالى نحمده، ونستعينُ به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعد ..

فإن أصدق الحديث كتابُ الله تعالى، وأحسن الهدي هديُّ محمدٍ - صلى الله عليه وسلم -، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٌ بدعةٌ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فقد صحبتُ كتاب "الأربعين" للشيخ مُلاً على القاري منذ أكثر من عشر سنوات، وكنت أرجو تحقيقه ونشره، فرغبتُ -في الحصول على بعض نسخه المخطوطة- إلى بعض إخواننا، وكنت على علم أن إحدى نسخه موجودة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المشرفة، وتقع ضمن مجموع رقم (٨٥) وتتكون من خمس ورقات، ولم تصلني هذه النسخة ولا غيرها، فشُغلت عن الكتاب، ولكن اختمرت عندي فكرة جمع صحيح الأحاديث القدسية، مع اختيار أوعب الروايات، فأنبئتها

وأذكر الزيادات الأخرى في أثناء تخريجي. وظللت طوال هذه السنوات أجمع -على نوبات متفرقات- ما يقع تحت يدي من هذه الأحاديث حتى قاربت المائتين بدون تكرار، مع نقد الروايات وتوثيقها نقدًا علميًا دقيقًا، ولكن من شأني، إنني لا أطبع كتابًا لي قط، حتى تمر عليه عدة شهور، وأحيانًا سنوات أراجعها فيها، وأقدم وأؤخر، وأبسط وأختصر، وألحق ما أجده من الزيادات التي استخرجها من مطالعتي الدائمة على مصنفات العلماء، حتى بلغني عن بعض الأحاباب وقد قرأ اسم جزء لي في بعض الكتب، قال ما معناه: عهدنا من أبي إسحاق أنه ينشر عنوان الكتاب فقط، ويظل سنوات لا ينشره، مما يزهدهنا في متابعة مشاريعه!. وضرب لذلك مثلاً بـ "بذل الإحسان" وقال: نسمع عنه منذ عشر سنوات ولم نره حتى الآن!

ولعله رأى الجزء الأول منه، والثاني في المرحلة الأخيرة من الطبع ويظهر قريباً إن شاء الله. وأقول لهذا الحبيب: إن الفن الذي نشتغل به، من أدق فنون العلم، بل أدقها على الإطلاق لتشعب مادته جدًّا، وكثرة الكتب والأجزاء المسندة، وهذا العلم دين، وإذا كان من القبيح عند العلماء أن تنسب القول لغير قائله كأن تقول مثلاً: إنَّ ابن حزم ممن يحتجُّ بالقياس، لما عُلِمَ عنه غير ذلك، فكيف إذا نسبت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قولاً لم يقله، فلا شك أن صاحبه داخل في جملة الكاذبين عليه وإن لم يقصد ذلك، فلأن الدخول في هذا العلم بغير بصر مرتع وخيم، وجب على المرء الطالب السلامة لنفسه أن يبذل الوسع قبل أن يصدر الحكم، فهذا هو الدافع الذي يجعلني أؤخر بعض مصنفاتي التي أنهيتها من قديم.

وكان كتابي في "صحيح الأحاديث القدسية" من هذا القبيل.

فلما هممت أن أنشره، جعلت أراجع مرةً أخرى -بقدر المكنة- فتأخر أيضاً، فرأيتُ أكثر من كتاب طبع في "صحيح الأحاديث القدسية". وهي وإن كان يشوبها عيب، إما من قلة استيعابها، أو من ضعفٍ في مادتها، فرأيتُ أن إخراج كتابي على صورته التي صنفته عليه قد لا يفيد كثيراً.

وكانت لي رغبة قديمة أن أشرح هذه الأحاديث، فرأيتُ أن أخرج الكتاب - مخرّجاً ومشروحاً فتكون الفائدة منه أعم، وسميته "الهدية بشرح صحيح الأحاديث

القدسية" وقد نجز منه مجلدٌ إلا قليلاً، وأقَدَّرُ الشَّرْحَ بنحو خمسة مجلدات. والله الموفق.

وكتاب: "الأربعون القدسية" لمُلاً في القارئ، والذي أقدمه اليوم إلى القراء الكرام، قصد به مؤلفه جمع أربعين حديثاً إلهياً، سيراً على سَنَن من تقدمه من العلماء المصنفين في هذا الباب، وهم كثيرون جداً، ومصنفاتهم متنوعة، ولكن ليس لمجرد الجمع على وفق هذا العدد منقبة خاصة، لاسيما إذا علمنا أن الحديث الوارد فيها ضعيفٌ، أو رواه وهو "من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها، بعثه الله فقيهاً، وكنت له يوم القيامة شافعاً وشهيداً".

وله ألفاظٌ متعددة ..

وقد قال الإمام أحمد: "هذا متنٌ مشهورٌ بين الناس، وليس له إسناد صحيح".

وقال الدارقطني: "كل طرق هذا الحديث ضعاف، ولا يثبت منها شيء".

وكذا قال ابن السكن، وابن الجوزي، والنووي، وابن حجر وغيرهم.

فالمستغربُ أن يحسنه المصنف -رحمه الله- في "مرقاة المفاتيح" (١/ ٢٥٣)، وقد تبين لي من خلال عملي في هذا الكتاب أن المصنف ليس له ذوق المحدثين، ولا نقد الحفاظ المبرزين، بل هو في هذا الباب ناقلٌ وجماعٌ. ونظرتُ إلى بعض تصانيفه الأخرى في هذا الباب مثل الموضوعات الكبرى والصغرى، فظهر لي ما قلته جلياً.

ومن العجيب أن الأحاديث القدسية الصحيحة مع كثرتها، فقد ذكر المصنف في كتابه هذا مع وجازته أحد عشر حديثاً ضعيفاً من مجموع أربعين، وهذا يدلُّك على درجة نقده، لاسيما وقد صحح أكثرها، مع وضوح عللها.

كما أنك تراه في تخريجه يقول: "رواه أحمد بسندٍ صحيح والحاكم"، فهذا يدلُّك على أن الحكم بالصحة إنما هو للطريق الذي رواه أحمد دون الحاكم، وإلا فلو كان الطريق واحداً لكان الأولى أن يقال: "رواه أحمد والحاكم بسندٍ صحيح"، وهذا

واضحٌ. ورغم ذلك فإنك ترى أن الطريق واحدٍ، وقد صنع هذا في أحاديث شتى،
فانظر منها (رقم ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢).

وقد سبق أن نُشر هذا الكتاب باسطنبول، في مطبعة عارف أفندي سنة (١٣٢٤ هـ) ثم أعاد نشره الشيخ محمد راغب الطباخ في حلب سنة (١٣٤٥ هـ). وقد ضبطت
نصّه وخرجت أحاديثه تخريجاً وسطاً.

والله أسأل أن يتجاوز لي عما طغى فيه القلم، وما جرى مني على الوهم، إنه ولي
ذلك والقادر عليه.

وكتبه

أبو إسحاق الحويني الأثري

عفا الله عنه

ربيع الأول/ ١٤١٢ هـ

لقاء قناة الناس مع الشيخ بمناسبة الأحداث الجارية

المحاور:

أعزائي المشاهدين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أفخر كثيراً أن ألتقي بكم عبر هذه القناة المتميزة، قناة الناس الفضائية التي وضعت في عالم الإعلام السنة الحسنة، فكان كل من أتى بعدها، من القنوات الدينية تبع لها في الأثر، وهي شريكة له في الأجر، ويزداد فخري هذا ويتعظم أن يكون هذا اللقاء مع صاحب الفضيلة الشيخ العلامة المحدث أبي إسحاق الحويني حفظه الله، الذي دائماً ما تتضاءل أمامه الكلمات وتتواري خلف هامته الجمل والمفردات، فاختصر الكلام وأقول دائماً السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً ومرحباً بك شيخى الحبيب.

الشيخ حفظه الله:

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، نحن الآن في دنيا التغيير، الهامات والكلمات كل هذا تغير ، يقول المحاور وهذا عهدنا بعد الثورات، فمكانتك عظيمة في القلوب لله الحمد والمنة في القلوب في كل الأحوال، قبل وبعد التغيير.

المحاور:

شيخنا الحبيب أهلاً ومرحباً بك في قناة الناس، وعوداً حميداً، وإشراقة مباركة بحول الله وقوته، شيخنا الحبيب يقول الناس دائماً أو أحياناً الصمت ويقول الآخر إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ولا يُنسب لساكِتٍ قول، كل هذه العبارات ربما تتزاحم الآن، وتذكرنا بموقف صمت فضيلتك في كل هذه الأحداث التي مرت، بالبلاد علي الرغم بما هو معروفٌ عنكم أنكم تدافعون عن الحق، وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، حتى وإن كانت المسائل ليست عظيمة أو كبيرة، فبالرغم من كِبَر الأحداث التي مرت، في الشهر المنصرم والذي قبله التزمت حضرتك الصمت.

فمتى يكون الصمت حكمة؟ ومتى لا يكون؟

الشيخ حفظه الله:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين، أحياناً يكون الصمت أبلغ من الكلام. وأذكر أن الشافعي رحمه الله كان في مناظرة مع إسحاق بن راهويه، وكان إسحاق لا يعطي الشافعي حقه، كان يظن أنه من أقرانه، فكان أحياناً يظهر منه الاستخفاف بالشافعي، حتى جرت بينهما مناظرة فأخطأ إسحاق توجيه السؤال فيها فسكت الشافعي، فعلق تاج الدين السبكي على هذا فقال: (صمت الشافعي أبلغ من الكلام، فكأنما ألقم إسحاق حجراً).

أحياناً يكون الصمت أبلغ من الكلام: لكن فيما يتعلق بموقفي و أنا وضحته توضيحاً سريعاً في محاضرتي في العزيز بالله، وهو أن الحدث كان كبيراً وكان هائلاً ولم يكن معتاداً، والعلم الذي درسته علم الحديث الخاص، بنقل الكلام والنظر فيه التروي وهذا الكلام يؤثر على منظومة حياتي وتلقي للكلام العادي، فأنا مصبوغ

بالعلم الذي أحببته والذي أوقفت حياتي لأجله، فأني إنسان ينقل لي كلاماً أو حدثاً أتروى فيه وأزنه ثم بعد ذلك أنطق.

الذي حدث في البداية كان شيئاً عادياً: مظاهرات عادية، وكان المنتظر أو المتوقع على كل المستويات وعند كل الأفهام والأذهان أنها تنتهي كسابقاتها، وما توقع أحد أن المسألة يمكن أن تكون بهذا الشكل، حتى أن جيوش الصحفيين الذين كانوا يكتبون في الصحف في هذا الموضوع كانوا يقولون أن مصر ليست كتونس، ويرددون هذه العبارة على أساس أن النظام فيها قوي جداً والدولة يعني الأمن فيها قوي وشديد بوليسي حاكم البلد تماماً وكذا، جرت الأحداث بسرعة هائلة هذه السرعة الهائلة من الصعب جداً أن تقرأ المشهد قراءة صحيحة.

تشبيه الشيخ حفظه الله لما حدث: أنا شبهت الذي حدث بشبورة ضباب كثيف جداً ورجل يمشي بسيارته في هذا الضباب الكثيف كيف يسير لو سار على سرعة ١٢٠ - ١٣٠ - ١٥٠ هذا شيء من اثنين إما أن يكون بصيراً بالطريق مدرب على أنه يمشي في هذا الجو، كسائقي الأجرة الذين يعرفون الطريق جيداً فإما أن يكون بصيراً جداً، وإما أن يكن أحمق، لأنه إن لم يكن خبيراً بهذا الطريق فمئة الطبيعي إما أن يصطدم بشيء أمامه وينحرف عن المسار.

فأنا في الحقيقة لم يكن عندي تصور عن الأحداث كما ينبغي: مع بعد بلدي عن موقع الحدث، وكانت ظروف في الصحبة آنذاك تمنعني من المتابعة فكنت أقرأ الجرائد بصورة يومية والمسألة تسير بصورة معينة حتي تفاقمت المسائل يوم الثامن والعشرين من يناير في يوم الجمعة، وحدث هذا الانفلات والغياب الأمني وخطفت الدولة كلها وصارت المسألة هكذا، فازداد قلقي الشديد ماذا بعد ذلك؟

الضباب أصبح أكثر كثافة بعد الثامن والعشرين: يمكن قبل يوم الثامن والعشرين كانت القراءة إلى حد ما مع أنها ضبابية لكن كنا ممكن نستشف أنها ستكون كسابقاتها، بعد يوم الثامن والعشرين وبعد هذا الانفلات تغير المشهد تغيراً كاملاً بحيث أن الضباب أصبح أشد كثافة فهذه مسألة اجتهدية.

يجيب الشيخ حفظه الله لما كان ساكناً وقت الأحداث؟ فبعض اخواننا الذين قد يوجهون إلي اللوم، يقولون أنت سكت، والله إذا كنت أنت رجل صاحب بصيرة من أول لحظة وتكلمت والله هذه مواهب، أنا من عادتني في الحكم بعد هذه السن أن أتريث حتى أستطيع أن أقرأ قراءة صحيحة، وأنا بينت أن الكلام في وسط هذه الجموع الثائرة التي تصرح وبعض إخواننا يعاتب يقول: هذه لم يكن فيها صراخ، وهذا كلام غير حقيقي.

عواقب الصُراخ في وسط الجموع الثائرة: أولاً: الإنسان مهما كان عاقلاً ومرتزناً، الصراخ يمكن أن يقلب حكمه فالطباع سرّاقة البعض يمكن أن يأخذ بعض الطباع من البعض الآخر فعندما أرى رجلاً يبكي يمكن أن أبكي لبكائه، هذا كان صراخ وكان من الظلم والعدوان والمطالبة و الذين خرجوا في أول الأمر لم يكونوا يطالبون لا بالتغيير ولا بالدستور، كانت المسألة بداية، لكن دخلت بعد ذلك تيارات سياسية كلها، وكل من كان يكتب في الجرائد على مدى سنوات طويلة يطالب بشيء معين بدأ يظهره، حتي نضجت الفكرة كلها، فسكوتي لم يكن عن إهمال للمسألة لكن أريد إذا تكلمت أن أعلم أن هناك من ينتظر كلمتي، فإما أن أكون متكلماً بحق وببصيرة وإما أن أسكت.

المحاور:

الحقيقة كان الكثيرون ينتظرون كلمة فضيلتك ، وكان وما زال يُقال للسلفيين وللشيوخ كفانا سلبية ودعونا نبدأ العمل، كيف كنت ترى فضيلتكم مثل هذه العبارات توجه لدعاة المنهج السلفي وبتكرار كفانا سلبية ولا بد من المشاركة؟

الشيخ حفظه الله:

الحقيقة لم أفهم ما وجه السلبية التي وقع فيها السلفيون، أولاً: أنا سمعت هذه العبارة من بعض الناس، لما بدعوا يقولون نريد المشاركة في حزب سياسي، يقولون كفانا سلبية ، أين السلبية التي وقعنا فيها؟

فضل الدعاة والفضائيات في نشر الدين: نحن نقول بفضل الله سبحانه وتعالى ابتداء ثم أن الله □ وفقنا كمجموعة كبيرة أحدثنا زلزالاً حقيقياً ليس في مصر ولكن في بلاد المسلمين من خلال شاشات الفضائيات، هناك بلاد فتحت بأكملها بالفضائيات، كتونس مثلاً، أو في ليبيا، مصر لأن، فيها تجمع كبير من المشايخ، لكن الذي حدث حدث زلزال لا أحد ينكره على الإطلاق، الهجمة التي كانت قبل الثورة، وهاجمونا وكانوا يعدون للسلفيين فخاً، وأنا كنت أعرف هذا، وكنت أعرف أن الدولة أو النظام آنذاك يعد فخاً للسلفيين وكنت معتقد بيني وبين نفسي من قراءة الأحداث أننا سنكون كلنا من جملة المعتقلين، وأن هناك قضايا ملفقة ستتنا لنا بعد هجمة مجلة روز اليوسف المتخصصة في كره كل ما هو إسلامي حتى لو كان شيئاً ظاهراً، حتى لو لم يكن من لب الإسلام، حتى كان شيئاً من المظاهر كانوا يكرهون كل هذا، والهجمة الشرسة في الجرائد على مدة مثلاً أربع أو خمس شهور ليس على شخصي أنا فقط بل على كثير من المشايخ.

والكلام الذي ذكروه عنا بالزور والبهتان، أنا كنت متوقع أن هناك ماسيحدث لنا معاشر السلفيين وتعودنا إذا أرادوا إعداد شيء للسلفيين هيئوا لها، الشعب كله في الجرائد والمجلات ممن أجل إذا جاء الحدث يستقبل الناس الحديث بدون استنكار.

مهمة السلفيون الأصلية حراسة الدين: فالسلفيون بفضل الله سبحانه وتعالى هم أساساً مهمتهم الأصلية هي حراسة الدين وإقامة الناس على طريق العبودية، هذه دعوة الرسل، والسلفيون قاموا بجهد جبار، أنا أستطيع أن أروض الأسد لكن كيف أروض إنساناً يجادلني؟ كيف أغير منظومة حياة إنسان؟ أنا لا أريد أن أدعي البطولة ولا أقول الجهد الذي كنا نبذله مع الناس عندما يأتي؟

المحاور:

هذا هو السؤال الذي يفرض نفسه، ماذا كنت تعمل وقت الصمت؟

الشيخ حفظه الله:

ما فعله الشيخ حفظه الله وقت الصمت: أولاً: أنا لم أكن صامتاً بمعنى الصمت أنت تعلم محافظتي من كفر الشيخ يعني بينها وبين القاهرة حوالي مائة وعشرين كيلو، لما حدث هذا الفراغ الأمني، وبدأ يكون فيه لجان شعبية تحفظ الأمن في الشوارع وفي الطرقات ، وجدنا أن كثير من العوام بدعوا يعملوا اللجان، وكان لهم ممارسات سيئة ، فقلت لإخواني الشباب والتلامذة وأبنائي انزلوا مع كل لجنة من هذه اللجان يكون فيه اثنين أو ثلاثة من الأخوة يهذبوا أخلاق أي إنسان غير مهذب في التعامل ثانياً: مسألة نقص الموارد، الغذائية ، ولكن الحمد لله استطعنا في ظرف خمسة عشر يوماً أو أقل أن نوفر لخمسـة آلاف أسرة ما يكفيها لمدة خمسة عشر يوماً أو عشرين يوماً، فلم نكن جالسين ولكن دورنا كان خدمياً، فأنا عاجز أن أفعل شيء، المشهد أمامي ضبابي، أنا معذور أرجو لا يفتات أحد و يقول سكت، إذا كنت من أول لحظة تكلمت وبصرك الله سبحانه وتعالى، فلا يشترط أن يكون الناس جميعاً على نفس هذه البداهة ولا نفس هذه النظرة ولا البصيرة.

المحاور:

ماكان منهم كان لشدة حب الناس لفضيلتكم وخاصة الرفقاء من أهل العلم والدعوة كانوا يتوقعون منكم هذه المشاركة سريعاً لما تتميز فضيلتك به من البداهة وسعة الأفق.

الشيخ حفظه الله:

خطورة الحدث تكمن في أنه ليس له نظير:أعتقد أن هذا الحدث يجعل أعظم الناس بصيرة يتوقف، لأن الحدث ليس له نظير، ليس له مثيل وهذا ماجعل الخطر فيه أكبر، يعني كان قبل هذا أي مشهد من المشاهد كنا نستطيع أن نقرأه لأن فيه مثال ثابت أستطيع أن أقيس عليه لكن اليوم عندما أتوقع وأقول مثلاً سيحدث كذا ويأتي كما كنت أتوقع، مالذي جعلني أصيب الرمية؟، أن له نظائر قبل ذلك وهذه النظائر تقريباً لا تتخلف، ثابتة لكن عندما يأتي شيء لا نظير له وأنت تتوجس ريبة وتقول إلى أي شيء يمكن، أن يلجأ، لاسيما البلد غابت، خطفت مصر وأصبح الحكم لأصحاب الصوت العالي، وأصحاب الصوت العالي ليسوا الحكماء بطبيعة الحال، أريد أن أقول مثلاً النهضة الرهيبة الموجودة في الغرب من الذي صنعها؟

واضعوا نهضة الغرب: مجموعة من العلماء هم المحرمون منها الذين صنعوا الطائرات والسيارات، وصنعوا كل مظاهر التقدم هو الشعب المستهلك؟ لا طبعاً هم الذين حبسوا أنفسهم في المعامل، وحبسوا أنفسهم في الصحراء، إلا أن خرجوا في آخر الأمر بمركبة معينة، من الذي يستفيد بهذه المركبة؟ الجماهير، هل الذي اخترعها وتعب عليها استمتع بها؟ أبداً.

فتجد دائماً الذين يقطفون الثمار ليس هم الذين يبذلون: لذلك لم يكن لها نظير سابق، فأنا عندما أتوقف أنا معذور، وأنا قلت فيما تقدم أثر عمر بن الخطاب لما أراد أن يتكلم في الناس في موسم الحج لما بلغه أن رجلاً قال لو: (مات عمر، اخترت فلانا فإن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت، فأنا كذلك عندما أقول سأختار فلان سستم كبيعة أبي بكر) فغضب عمر □ وأراد أن يخطب في الناس في موسم الحج حتى أوصاه أو نهاه عبد الرحمن بن عوف، (وقال له: (إن الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم وهم الذين يغلبون على قريتك، فأمل حتى تأتي المدينة دار الهجرة والسنة وفيها أهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما تقوله متمكناً فيعوا مقاتلتك فيضعونها في مواضعها. فقال عمر لأقوم بذلك في أول مقامي في المدينة، فلما رجع وسكت المؤذنون تكلم وقال: أيها الناس قد قدر لي أن أقول مقالة لعلها بين يدي أجلي، فمن وعاه فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، وإلا فلا أحل لأحد أن يكذب علي)

فعندما أقول هذا الكلام أقوله متمكناً في مسجد أمام طلبة علم بخلاف خروجي للميدان وأصرخ في وسط الناس، ونحن رأينا أشياء أخجل منها صدرت من بعض من كنت أظنه أكثر حكمة من هذا.

المحاور:

المراد بقول الشيخ حفظه الله (إلزموا علماءكم) نصحت فضيلتكم في المحاضرة التي كانت في مسجد العزيز بالله كل من يسمعك (إلزموا علماءكم)، وكثير من الدعاء والعلماء يتفاوتون الآن في الرأي، فكيف توصف الآن للمستمع الذي يتابع فضيلتك هذا العنوان (إلزموا علماءكم) أتقصد أن يلزموا رأي فضيلتكم فقط أم تقصد وصف معين لعالم نريد أن نسمع هذا الوصف؟

الشيخ حفظه الله:

العدالة بالمعنى العام : طبعاً العالم إجمالاً: «من ثبتت عدالته واشتهر في الناس ديانتهم»، هذه العدالة بالمعنى العام مثلما نص عليها ابن عبد البر وغيره في مقدمة التمهيد، فأى إنسان وصفه أقرانه أو شيوخه ليس العوام، لأن العامي لا يستطيع أن يحكم لأنه إذا كان وصل لدرجة أن يحكم ويقول هذا عالم وهذا عالم يكون ارتقى إلى أعلى، لكن إذا شهد أهل العلم أقران مثلاً أو مشايخ أن فلان الفلاني هذا رجل عالم ودين وخير، ويظهر من أخلاقه ومن تصرفاته مدى ثباته على الحق وأن يقول كلمة الحق ولو كانت مره وأنه عاقل وكلامه منضبط بالضوابط العلمية إذا اشتهر في الناس أمانته وصارت عدالته فهذا هو الذي نستطيع إجمالاً أن نقول هو عالم لاسيما فنحن مازلنا في زماننا الآن جهة حاكمة مذكية تقول هذا عالم وهذا غير عالم اختلط الحابل بالنابل ، قديماً مثل مالك مثلاً رحمة الله عليه يقول: (ما استطبت الفتية حتى شهد لي سبعون من أهل المدينة أنني أهل لها)، وكان العلماء هم الذين يقولون لتلاميذهم أن لك أن تفتي وما كان يجرؤ أحد إطلاقاً أن يفتي مع وجود هذا الزخم الكبير من العلماء، لكن نحن المسألة لم تعد كالقديم ، فالיום نقول لأي إنسان عامي لا شك أن أمامك بعد هذا التوصيف العام الذي ذكرته أمامك منظومة عندك العالم رقم واحد ورقم اثنين ورقم ثلاثة ورقم أربعة أنت مرتبهم فالذي تثق في دينه وأمانته فلان، ثم فلان، ثم فلان، فهذا لا يتجاوز هؤلاء الذين جعلهم حجة بينه وبين ربه سبحانه وتعالى، فأنا عندما أقول (الزموا علمائكم) العامي مجتهد في كل شيء إلا في اختيار من يقلده فإنه مجتهد.

المحاور: صعبت فضيلتك الأمر لأن أكثر الناس يعتبرون الشيخ أبو إسحاق الحويني رقم واحد ثم اثنين ثم ثلاثة.

الشيخ حفظه الله:

تقول أكثر الناس ربما أكثر الناس الذين تعرفهم لكن هذا ليس بالضرورة فالمسألة متروكة لتقييم الشخص نفسه ممكن أكون رقم عشرة عند ناس وممكن لا أكون موجود أصلاً في القائمة عند أناس يعتبروني من المتشددین أو المتزمتين أو

يكرهني أو ما يحبني أو يقول مصعب علي حياتي أو مكر علي عيشتي أو هذا الكلام.

المحاور:

أنا أقصد أكثر الناس في الجمهور الذي خاطبته فضيلتك في الجمعة الماضية أو الأسبوع الماضي وقلت لهم الزموا علماءكم، أكثر هؤلاء الحضور فضيلتكم عندهم رقم واحد فبالتالي.

الشيخ حفظه الله:

لا ليس بالضرورة فكل هذا الجمهور يتجمع لكل المشايخ.

بعض الأسئلة التي طرحت في اللقاء وأجاب الشيخ حفظه الله عليها:

سائل يقول: س١: ما رأي فضيلتكم في كلام يحيى الجمل على الفضائية المصرية، أنه تكلم عن الذات الإلهية بتناقض شديد جدا وكأنه يتكلم عن شيء عادي وكرر الجملة للأسف الشديد مرتين بشكل فيه نوع من السخرية قال بالنص: «ربنا لو دخل الانتخابات وأخذ ٧٠ % يحمد ربنا» والعياذ بالله وكذلك كرر نفس الكلمة مرة ثانية قال ربنا يحمد ربنا؟ فهذا نائب رئيس الوزراء والمفترض أننا في بلد الدين الإسلامي فيها هو الدين الرسمي للدولة أين تعظيم المولى سبحانه وتعالى في هذا الكلام؟ فهل لا يوجد مثل يضربه غير هذا المثل؟ فهذا يسمونه الفقيه الدستوري نائب رئيس الوزراء، وهو يعرف أن السخرية من الذات الإلهية مجرم شرعا وقانونا ولا حول ولا قوة إلا بالله، .

الإشكال الثاني: وصف السلفيين بأنهم أصحاب عقولهم مظلمة ، وأنا لا أعرف من ينتخب أمثال هؤلاء ، فأقول له يا أستاذ يحيى، هل تعلم أن الذين ينتهجون هذا المنهج السلفي منهم أساتذة في الجامعات المصرية على أعلى مصرية ومنهم قضاة ومنهم مستشارين ومنهم أطباء وصيادلة ومنهم مهندسين ومحامين ومنهم آلاف من الطلبة في الجامعة، هؤلاء المفترض هم الرصيد الحر لمصر غدا في المستقبل، تشتم كل هؤلاء وتقول لهم عقولكم ضلمة، غير عوام الناس المنتهجين النهج السلفي الذين

يحبون مشايخنا وأولهم الشيخ أبو إسحاق الحويني وغيره من المشايخ، فأنا لا أعرف هل يعقل أن نائب رئيس الوزراء وهذا منصب كبير في الدولة أن يرمي كل هؤلاء بأن عقولهم ضلّمة، أنا اعتقد أن من يتحدث ليس يحيى الجمل وإنما صفوت الشريف أو أحمد عز، أنصار الحزب الوطني وأمن الدولة وهذا رجل المفترض أنه إنسان مثقف، المفترض يتكلم كلام هدوء ويتكلم كلام عقلاني على الأقل، يعني أنا لن أرد عليه بطريقته لأننا تعلمنا أننا نرد على مخالف نسند كلامه نقول لماذا أخطأ، هو أخطأ في المسألة هذه لواحد واثنين وأربعة، فأنا أطالب عن طريق قناة الناس وعن طريق هذا البرنامج الطيب أطالب المهندس عصام شرف الذي هو رئيس الوزراء في مصر بإقالة هذا الرجل؛ لأن هذا الرجل لم يحترم الكلام عن الذات الإلهية وفي نفس الوقت عرض بآلاف إن لم يكن بالملايين الذين ينتهجون بالمنهج السلفي، فنقول لكل المحامين الشرفاء عبر هذه القناة الفاضلة أنهم يرفعون عليه قضايا لأن صراحة العهد البائد انتهى .

المحاور: هل المذيع رد عليه، قائلًا بأن هذا لا ينفع ؟

رد عليه المذيع قال : بعضهم مستثيرين، كأنه يريد قول أن أغلبهم عقولهم ضلّمة على رأيه وأدخل الكلام في بعضه، فأقول أن هذا الرجل صراحة ليس رجل المرحلة، لا يصلح لذلك فأنا كما قلت عن طريق برنامجكم أقل شيء والله أن يستقيل قبل أن يقال.

الشيخ حفظه الله:

الالتهام الثاني أهون إذا قورن بالالتهام الأول أو بالكلمة الأولى، لأن قول ربنا يحمد ربنا، لو أخذ سبعين في المائة هذا معناها أنه يوجد إلهين الإله الذي يأخذ سبعين يحمد الإله الذي خلقه فهذا ، كفر مجرد وأرجو أن يعي المستمع أن هناك فرقا بين أن نقول أن العبارة كفر وأن نقول أن قائلها كافر، أنا لا أكفره ليه لأنه جاهل فنعذره لجهله، ربما قالها ولا يعي معناها ولكنها سيئة جدا وأخشى أن يكون داخلا تحت الحديث «إن العبد ليقول الكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار سبعين خريفا ما يظن أن يبلغ بها ما بلغت».

فهذا الانفلات في الكلام يدل على عدم تعظيم للشريعة: الإنسان الذي تعود منذ نعومة أظفاره أن الرب سبحانه وتعالى له أوصاف لا يحل لأحد أبدا أن يصفه إلا بها، وليست محل اجتهاد منا، إنما تتلقى عن طريق السمع، نحن لا نصف الله سبحانه وتعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ، فهؤلاء لم يتعودوا أن يتأدبوا مع الشريعة، فأنا قارئ قديم لمقالات الدكتور يحيى الجمل وأعرف منظومة رأسه، فهؤلاء الثلاثة لم يتعودوا أن يعظموا الله ورسوله حق التعظيم، ولذلك هان عليه أن يقول مثل هذا الكلام.

أما اتهامه للسلفيين : أنا مستغرب الحقيقة من اتهام السلفيين بأنهم عقولهم ضلّمة، مثلما قال المتصل ومنهم كما قال المتصل أناس من صفوة المجتمع حتى هنا أو في أي بلد من البلاد سواء كانوا علماء أطباء مهندسين صيادلة طلبة جامعة أو حتى من العوام.

رأس مال السلفيين: ورأس مالنا الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح فعندنا ثوابت وعندنا متغيرات. الثوابت التي نطنطن عليها دائما ونقول القرون الثلاثة الأولى ولا يجوز تعديها فيما يتعلق بالعقيدة والأخلاق، فالعقيدة والأخلاق هذا شيء ثابت لا يتطور مع الزمن، لأنه ثابت تبقى الأحكام الشرعية الجزئية المتعلقة بالحلال والحرام، هذه التي ممكن تتغير فننظر نحن إلى تعاملنا مع الأدلة الشرعية، أنا معي النص ومعني أقوال كل العلماء السالفين ولا أستطيع أن أتجاوز النص، هو يريد أن يتجاوز النص ويتجاوز العلماء السالفين ، وهذا الإشكال التي وقعنا فيه مع كثير من هؤلاء.

رد الشيخ حفظه الله علي من يعقب بقوله معاملة الزاني بالرجم في الإسلام أسوأ من معاملة البهيمة: عندما نتناقش في أي قضية من القضايا، أذكر أنني عندما تناقشت مع واحد مثل الدكتور يحيى الجمل في المنصب وفي الفهم أو الفكر أو الثقافة ، لما يقول أنتم مثلا في حد الرجم، تتعاملون مع الإنسان الزاني المحصن تعامل أسوأ من تعاملكم مع البهيمة وهذا لا يقبله عقل لأن النبي ﷺ ، يقول: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتل أحدكم فليحسن القتل وإذا ذبح أحدكم فليحسن الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» أي أنني عندما أذبح البهيمة لا أذبها بسكين بارد

حتى لا تتعذب بل بشفرة حادة ، يقول استبقي هذه الصورة واستحضر صورة ما ترجمه، فالإنسان إذا كان متزوجا سواء كان رجلاً أو امرأة فزنا، قامت عليه البينة، وهذه صعبة جداً أن تقوم البينة، لكن افترضنا قامت البينة على إنسان رجل كان أو امرأة أنه زنى، يحفر له في الأرض ويدفن فيها إلى سرتة ويقذف رأسه بالحجارة حتى يموت.

فيقول لما لا تدبحوه؟ أليس هو أولى من الحيوان فهم مسلم لم يقتل ردة بل يقتل حداً و في الحديث يقول ادبح الحيوان بشفرة حادة كي تريحه فالحيوان في هذه الحالة أفضل من المسلم؟، فهو نظر إلى هذه النظرة السطحية ولم يري الحكمة من المسألة:

الحكمة من رجم الزاني المحصن: أولاً: الرجم سواء كانت من جهة الأحاديث أو من جهة الفعل متواتر، لا يحل إطلاق الإنكار ومجمع عليه من أهل السنة، أن الزاني المحصن يرجم.

ثانياً: الحيوان إنما يذبح ليؤكل لا مصلحة في تعذيبه والإسلام دين الرفق، فيقول إذن ادبحه وارحه، لكن هذا المجرم الذي زنا، يعمل خلطاً للأنساب ويرتكب من الفواحش ما تهتز له السموات، فعقوبته تكون مغالطة، لكن العقوبة المخففة قال الله عز وجل: (وَلَيْسَ هَذَا عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) [النور: ٢]، مع أن الأصل الستر، على أصحاب المعاصي ، في هذه بالذات فيما يتعلق بالجلد، التي هي العقوبة الأخف يعني (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين) فأمر بفضيحتهما وأن يشاهدهن مجموعة ، مع أن الأصل الستر في هذه المسألة ، فهؤلاء عندما يتكلمون لا ينظرون إلى علل الشريعة ولا ينظرون إلى ما قاله أهل العلم بل يتجاوزون أهل العلم في ذلك على اعتقاد أن هؤلاء ناس متخلفين أو الكلام هذا كان يصلح قديماً ولا يصلح حديثاً، فهذه منظومة فكرية موجودة عند هذا الجيل هذا الجيل الذي شرب الثورات والقصص كي يأتي بقصة مصطفى رفاع الطهطاوي ثم طه حسين سيرتهم معروفة بالكامل في الجامعات ومعروفة بالمنظومة الفكرية التي عندهم فهذا امتداد لهذا الفكر.

المحاور:

الحقيقة يحيى الجمل ومن معه دائما يطنطنون على احترام الآخر واستيعاب الآخر ودخوله معنا في الحوار ، لكن عندما يطبقون على أصحاب منهج أهل السنة والجماعة لا يقومون بهذا.

الشيخ حفظه الله:

الذي يكيل بمكيالين هذا أقل ما يوصف به أنه ليس بمنصف، و هذه عادة أهل الأهواء، يرى ما له ولا يرى ما عليه.

المحاور:

س٢: سائل يقول: نحن في صدورنا هموم كثيرة ولنا مطالب كثيرة ويكفي أننا كسلفيين كنا أكثر المتضررين من النظام السابق ولكن علينا مع علينا أن الصورة للسلفيين في مصر للأسف الشديد صارت باهتة وكان سبب فيها بشكل كبير جدا الإعلام المصري الذي كان يساعد النظام في كل شيء هذه الصورة عند العامة أن السلفيين منهم كثير إرهابيين ومتطرفين وقيمون بمقاييس ليست حقيقية وإنما هي نتاج الإشاعات التي كان يبيثها النظام السابق ويكفي أننا فعلا كنا في وجه المدفع، فنحن عانينا من أمن الدولة كثيرا، وكان هناك عدم احترام بالمرّة لهيئتنا، ونحن بفضل الله لنا هيئة دين نحن ملتزمون ومتدينون ويدخل الواحد منا إلى مقرات أمن الدولة ونسب بأفزع السباب وهكذا، هذه الصورة التي شكلها الإعلام ويساعد في تشكيلها مرارا وتكرارا حتى هذه الأيام، أنا أطلب من الشيخ أبي إسحاق الحويني ومن جميع مشايخنا الفضلاء أن يوضحوا السلفية الحقّة، أن يوضحوا منهج أهل السنة والجماعة باختصار نريد تليمة الصورة الباهتة التي صورها لنا النظام السابق، اليوم منسوب لنا يتكلم عبود الزمر وطارق الزمر مع احترامنا لهم ولما لاقوه وعانوه ونحن لا نقايدهم في هذه لا نوافق على ما فعلوه على الإطلاق ولكن نريد توضيح للعامة ما علاقتنا بهم من فضيلة الشيخ.

المحاور:

طلب المتصل أن تقوم فضيلتك مشكورا بشرح منهج أهل السنة والجماعة بصورة توضح للناس منه هم على الطريق الصحيح فليس كل من يدعي السلفية فهو سلفي .

الشيخ حفظه الله:

أري أن هذا أمر يحتاج لوقت طويل ،كي نذكر الأصول العلمية للدعوة السلفية ربما أخصص له إن شاء الله محاضرة كاملة في برنامجي هنا في فضفضة.

س٣: سائل يقول:والله فرحنا فرحا كبيرا بوجود الشيخ أبو إسحاق الحويني، نصلي ونسلم على رسول الله لي سؤال للشيخ ومحتاج إجابته في الوقت الحالي، الفرق بين الثورات الحاصلة في دول الخليج، طبعا هي ليست ثورات وإنما أطواف خارجية بدأت تعمل لها؟؟؟ في منطقة الخليج والشيخ أبو إسحاق الحويني ما يخفاه الأمر، أن الروافض ودولة الصفوية الإيرانية بدأت تشيع الفوضى بالبحرين نريد أن نسمع رأي الشيخ؟

المحاور:

طلب أخونا سعود من الكويت من فضيلتك التعليق على العبث الذي يحدث في دول الخليج الآن ويقصد تحديداً بداية دولة البحرين وأن هناك أصابع روافضية تعبث في المنطقة الخليجية فما تعليق فضيلتكم على هذا الحدث؟

الشيخ حفظه الله:

معروف طبعا أن هؤلاء الروافض (إذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) [النمل: ٣٤] فمبدأهم أن لا يدخلوا أي مكان من الأماكن إلا لا بد أن يفجرهم، ولذلك هؤلاء الروافض يعظمون الحسين ﷺ ولا يعظمون الحسن تعظيم الحسين، الحسن ﷺ عندهم لا يكاد يذكر، ولا ذريته يحتقون بها مثل الاحتفاء بذرية الحسين ﷺ، لماذا؟ لأن الحسن ﷺ كما وصفه النبي ﷺ قال: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين» وتنازل لمعاوية وسمي عام الجماعة هم طبعا في حلوهم غصة لا يستطيعون أن يقولوا ما في قلوبهم تجاه

الحسن، لماذا؟ لأنه السبط الأكبر، لو تركوا وما يريدون ربما سبوه وربما كفروه، لكن لأن الحسين عليه السلام خرج وقاتل ورفض نصيحة عبد الله بن عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة لما خرج عبد الله بن عمر وأدركه في الطريق وهو يريد أن يقاتل فقال إني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنا آل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا» فأنت لست من أبناء الدنيا فرفض الحسين عليه السلام ذلك وعانقه عبد الله بن عمر وقال: استودعك الله من قتيل، وقتل الحسين عليه السلام كما هو معروف في سيرته، ولذلك لا يوجد عند هؤلاء إلا الحسين ثائراً، فكلما دخلوا مكان لا بد أن يفجروه هو هذا صفة أساسية رئيسة عند هؤلاء.

البحرين ليس كما يتصور كثير من الناس أن الأكثرية شيعة، وعند التعداد نسبة أهل السنة أكبر من نسبة الشيعة في البحرين ما أذكره أن ٥٢ % لأهل السنة، و ٤٨ % للشيعة، فهذه جزء من الفوضى المقصودة، مثلما أخذت دولة الروافض جزر الإمارات تريد أخذ البحرين ثم يمتد هذا المد يبدأ شيئاً فشيئاً حتي تبتلع العالم السني، فهذه فوضى نسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظ البحرين.

المحاور:

نريد من فضيلتك توجيه كلمة لأهل البحرين من الشيعة؟

الشيخ حفظه الله:

كلمتي للشيعة على الأقل احفظوا بلادكم، وإن كنت أعلم مرجعيتهم ليست للبحرين، مرجعيتهم في إيران، باختصار.

المحاور:

ما الذي يجب علي أهل السنة فعله ؟

الشيخ حفظه الله:

والله أهل السنة ليس كل ما يعلم يقال، أنا كنت أذهب إلى البحرين كثيراً وتناقشت معهم حتى مع أناس على مستوى عالي في الإدارة وفي الدولة عن هذه المسألة،

مسألة تعداد السكان حتى أوصيتهم مرة لما نظرت إلى مساكن الشيعة، وجدت مساكن الشيعة ضيقة جدا وأنا رأيت واحد عنده ثمانية عشر ولدًا+ ولد من امرأة واحدة، ويحاولوا أن يكثرُوا نسلهم بصورة غير طبيعية في حين تجد أن الرجل السني له مثلا فيلا وقصر علي مساحة ألف متر وعنده ولد، أو عنده ولدين فمع انقلاب الأوضاع فيما بعد سيقال لكم لا يحل للأقلية أن تحكم الأكثرية فأنتم بهذه الصورة تنقرضوا فلا بد من الحرص على زيادة أعداد أهل السنة في البلد.

فقالوا ماذا تقترح؟ بعد ما تكلمنا مدة طويلة، والله أنا لا أرى أمامي الآن إلا تعدد الزوجات ، فطبعاً قالوا لا نستطيع فلا بد من عمل محاضرة لإقناع النساء فوجدت المسألة خرجت من الجد إلى الهزل، .

مسألة التجنيس والمشاكل التي تحيط بها: فنحن أمام مسألة جوهرية لا بد من وجود حل لها، ثم أن مسألة التجنيس داخلة تحت الضوء، فإذا أردت تجنس سني لا بد تجنس مقابله شيعة فهذه المسألة بالذات، تحتفها مشاكل كثيرة جداً، فلا مناص كما أنهم حريصون جداً على زيادة النسل وأهل السنة في ذات الوقت لهم مساحات شاسعة من الأرض، لأنني مشيت في البحرين كلها فيها أماكن ضيقة جداً ومكتظة بالسكان، وفي نفس الوقت قد أخذ أهل السنة مساحات شاسعة جداً وعنده ولد ولا ولدين، فالمسألة ليس فيها هزل إذا كانت أمة تريد أن تحتفظ بهويتها وسنيتها هذا لا بد من عمل.

المحاور:

بعض الناس من المنتسبين للسنة في البحرين يشاركون الآن في المظاهرات نوعاً من المطالبة بالتغيير فدخلوا تحت هذا الإطار؟

الشيخ حفظه الله:

هذه هي الجماهير التي لا تقرأ المشهد، وهذا لا بد فيه من توعية العلماء، العلماء لا بد أن يوعوا الجماهير بهذا، و مثلما قلت لك الإنسان سلبى لم هذه المظاهرة، يقولون من أجل كذا كذا، فينضم لها، لأن كل واحد يتألم، نادراً ما تجد

شعبا راضيا عن الحكومة، كله ساخط لأسباب تخصه، المعاناة العامة أنا غير راض عن راتبي وآخر أنا غير راض عن وظيفتي فكل واحد ساخط في طريقة ما، فعندما تقول نريد التغيير لاسيما رأوا تونس و مصر وهذه ليبيا تحترق والسودان اقتطع منها جزء في هذه الفوضى الحاصلة وما أحس أحد إطلاقا أن جزء من جسد الأمة المسلمة اقتطع ويوجد بواذر في الجزائر والمغرب والأردن ولبنان المسألة كلها تشتعل وأنا لا أظن إطلاقا أن المسألة تأتي عفو خاطر لا أنا كما اعتقد أن يوجد أصابع لأعدائنا وخصومنا من الأمريكان واليهود لهم دخل في المسألة ولا يأتي واحد يقول لي أنتم تعيشون في نظرية المؤامرة «من أساء الظن في عدوه فهو معذور» لاسيما وهم قد صرحوا بذلك قبل ذلك.

أنا لا أنسى أبدا كلام وزارة الخارجية الأمريكية لما غزوا العراق قالوا العراق هدف تكتيكي والسعودية هدف استراتيجي ومصر هي الجائزة الكبرى: ونشر هذا الكلام كل الجرائد والمذكرة التفسيرية لهذا العنوان كانت موجودة ، فأنا أريد أن أقول لما قلت الزموا علماءكم أن الجماهير لا تتحرك إلا بكلام علمائها عندهم نوع من البصر بالشرعية، والبصر بالواقع، هل يجوز لي أن أفعل كذا أو كذا؟ وربنا سبحانه وتعالى إنما أحال الناس إلى أهل الذكر، أنا أقول أنا متظلم من كذا، وفي نفس الوقت الحكومات لا بد أن تتقي الله سبحانه وتعالى في الرعية لأن فيه مظالم فعلا وحكومات ظالمة ظالمة لا تنظر إلى أحوال الناس مثلا كنا نعلم كلنا جميعا أنا مصر فيها فساد لكن ما تصورنا أبدا أن يكون فيها كل هذا الفساد، يعني تحولت الدولة من فساد الإدارة إلى إدارة الفساد، عندما اقرأ القضايا التي تحول يوميا ليس من الازم أن كل القضايا يكون كل المتهمين مجرمين سيكون منهم ناس بريئين أخذوا بغير ذنب.

سبب الفساد المنتشر في مصر: لكن الفساد بالجملة حكومة كلها فاسدة، دولة فاسدة من أساسها لرأسها ما تصورنا أن الدولة تكون بهذه الصورة، كذلك كل الحكومات، لماذا؟ لأنهم باختصار شديد تركوا الوظيفة الرئيسية للحاكم؛ .

مهمة الحاكم الأولي: أن يقيم شرع الله في الأرض ليس أن يخترع دستور ولا يخترع مواد فإله □ (أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)

[التوبة: ٣٣]. ونحن نعلم أن الإسلام كما يقال : (الإسلام صالح لكل زمان ومكان،) فإذا كان صالح لكل زمان أين أحكامه.

المحاور:

بمناسبة هذا الكلام شيخنا الكريم ونحن مقدمون علي مرحلة الانتخابات الرئاسية في غضون شهرين أو ثلاثة على أكثر تقدير، كيف ترى صفات المرشح للرئاسة، ؟

الشيخ حفظه الله:

وظيفة الحكام إقامة شرع الله في الأرض أنا أخذ مثال حد السارق هذه آية محكمة لم تُنسخ وأجمع كل العلماء على أنها محكمة لما لا تفعل؟ (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) [المائدة: ٣٨]. جربتم أنكم تسجنون السارق، هل تاب؟ حتى لو تاب هل الذين رأوا مصرعه تابوا؟ لم يحدث، أنا اليوم عندما يكون هناك سارق وثبتت عليه السرقة بالحد المعروف فلا بد أن يكون سارقا بالوصف الشرعي، فلو أتيت بهذا الإنسان وقطعت يده بعدهما يمكن ترمي النقود في الشارع ولا يجرو أحد علي أخذها ، برغم أنها لقطه ليس لها حكم السارق، أنا لو وجدت أموال في الشارع وأخذتها أعرفها سنة وإذا لم يأت صاحبها بأخذها إلى أن يظهر صاحبها إذا لم يظهر صاحبها فهي حلال لي، لو قُطعت يد سارق واحد أريد أن أفهم ما الذي يعطل هذا الحد؟

نداء الشيخ حفظه الله لعلماء الأزهر بالمطالبة بتطبيق حد السرقة: وأنا أقول لعلماء الأزهر كلهم وأنتم تعلمون أن الآية محكمة، لماذا لم تطالبوا الدولة مع كل هذه السرقات وكل هذه الاختلاسات التي ثبتت على أصحابها بقطع يد السارق لو قطعت يد سارق ستختفي السرقة لأنه لا يمكن لإنسان أن يضحي بيديه نظير أي مبلغ النبي عليه الصلاة والسلام قال: كما في حديث أبي هريرة: « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فنقطع يده». :«لا قطع إلا ربع دينار،» والبيضة أقل من النصاب، .

تفسير الأعمش لمعني البيضة: حتى بعض الناس مثل الأعمش أحد رواة الحديث رأي أنه يوجد تناقض بين البيضة التي ليس لها قيمة لم تصل إلى ربع دينار وما بين النصاب، فقال البيضة هي بيضة الحديد التي يلبسها المقاتل بلبسها كي تكون تجاوزت، لا هي البيضة المعروفة، لكن النبي ﷺ.

سبب استمرار السارق في ممارسة السرقة: إنما ذكر المآل هذا الرجل الذي يسرق البيضة ولم تبلغ النصاب ولم يكشف بعد ذلك يسرق ما هو أكبر بذلك نكون دخلنا في النصاب، إذن هذه البيضة التي جرأته على أن يواصل السرقة حتى وصل إلى أنه سرق شيئاً وصل النصاب وكذلك الحبل مثل البيضة.

لما لعن النبي ﷺ، السارق: لأنه ضحى بالغالي النفيس في سبيل شيء خسيس، تخيل عندما يسرق شيئاً يساوي ربع دينار تقطع يده فيه، فلو نحن فعلنا حد السرقة ستنتهي كل الاختلاسات في هذه البلد.

المحاور:

والأراضي لم يكن أحد يستولي عليها.

الشيخ حفظه الله:

لا شيء سيؤخذ لأنه لو سرق المرة الأولى تقطع يده اليمنى، ثم لو سرق المرة الثانية تقطع رجله اليسرى (القدم) ثم لو سرق المرة الثالثة تقطع الكف اليسرى، لو سرق المرة الرابعة تقطع القدم اليمنى، فيصبح بلا أطراف، من الذي يمكن أن يضحى لو أن الحد مقام، فمهمة الحاكم أن يكون حارساً لشرع الله سبحانه وتعالى.

ضرب الشيخ حفظه الله مثلاً للحاكم الذي تتوفر فيه الصفات: فالיום رشح ناس كثيرون أنفسهم للرئاسة، فالكلام علي صفات الحاكم كثير، لكن يمكن أخذ مثال لعمر بن الخطاب مثلاً لأننا دائماً نذكر عمر على أساس العدل والشدة في الحق والإنصاف، في حديث جابر ابن سمرّة في الصحيحين وهذا درس فليأخذه كل من يريد أن يتصدى لأن يكون حاكماً، لأن الذي يتصدى للحكم، يورط نفسه توريطه ليس بأهل لها، النبي ﷺ قال: «إنكم ستحرصون علي الإمارة وإنها خزي وندامة يوم

القيامة» وأنا أقول من دعت عليه أمه يكون رئيس جمهورية أو يتولى منصبا كبيرا لماذا؟ لأنه سيسئل شاء أم أبي، وهذا نص حديث النبي ﷺ «إنكم ستحرصون علي الإمارة وإنها خزي وندامة إلي يوم القيامة» والنبي ﷺ يقول: «ما من أمير يؤمر علي عشرة إلا أتي يوم القيامة مغلولة إلى عنقه يداه فكه عدله أو أكبه في النار جوره».

فالأصل اتيانه مقيداً، ثم يحاسب فإذا كان رجلا عادلاً يفك، وإذا كان جائراً يُرمي في النار بأغلاله، فمن الذي يرضي لنفسه هذا الأمر؟ ومسألة رئاسة الجمهورية مسألة صعبه علي الإطلاق: ولقد جربنا هذا الأمر في الإعتكاف، ففي مسجدنا يعتكف أكثر من الألف ولكي تستطيع التوفير تلجأ إلي طرق عدة إما متبرعين أو غير ذلك، فكنا نصرف قرابة المائة وعشرين ألف جنية وهذا علي مايقرب من ألف معتكف في مسجد مساحته محددة، فمابالك بمن يحكم دولة مترامية الأطراف، يحتاج فيها لعمل مشاريع عده من توفير السلع الغذائية لبناء المساجد وبناء المستشفيات وإنشاء الطرق، مسئولية ضخمة جدا.

حكم الشرع في المتسابقين للرئاسة: أريد من كل من يتسابق علي الرياسة ويظن نفسه الأفضل، هؤلاء لا يجوز لهم شرعاً أن نقبل أحدهم، النبي ﷺ قال كما في الصحيحين: «إنا لا نولي أحد علي عملنا هذا، أحداً طلبه»، إنما إذا دُكي أحد من قبل الناس فلا ضير في ذلك، لكن عندما أشهد لنفسي فأنا خصم وحكم في نفس الوقت فعندما أقول أنا خير من يمثلكم، من الذي أعطاه الخيرية؟ حينما قال أنا خيركم كي يستعلي بقدميه علي رقاب العباد يظن أنه أفضلهم.

حكم تزكية النفس: ولا يجوز تزكية النفس «ولا تزكوا أنفسكم» فلو أخذنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كشريحة في بلادنا، وأقارنه بما حدث في بلادنا ويحدث في بلاد المسلمين، عشرات التقارير علي فساد مسئولين ثبت فسادهم فعلا، ومع ذلك تطوي هذه التقارير، ويستمر المسئول الفاسد في مكانه، حتى وقر في أنفسنا أنه كلما كان أقسدا كلما كان جديراً بالمنصب، فماذا فعل عمر بن الخطاب □ في مقابل هذه الصورة القاتمة؟ ولي سعد ابن أبي وقاص علي الكوفة، وسعد بن أبي وقاص هو الذي بنى الكوفة وسماها من التكوف، تكوف الديار: أي تجمعها فسمها الكوفة لذلك

واختطها، في زمان عمر وولاه عليها، فهذا لو في زماننا الآن على حسب تكريمهم قاموا بعمل تمثال له على أساس أنه هو الذي أنشأ المدينة وصلت عمر بن الخطاب شكوى من سعد، (إن سعداً لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية).

من هو سعد ابن أبي وقاص؟ سعد بن أبي وقاص كان ربع الإسلام في يوم من الأيام ، أسلم قبل عمر وأول من أراق دمًا في سبيل الله سبحانه وتعالى، وكان خال النبي عليه الصلاة والسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. كما رواه جابر ابن سمرة ت عن سعد ابن أبي وقاص كما في الصحيحين قال (شكا أهل الكوفة سعداً حتي قالوا : إنه لا يحسنُ يصلي ، فأرسل عمرُ إلى سعد ، فقال له : لقد شكاك أهل الكوفة في كل شيء حتي قالوا : إنك لا تحسنُ تصلي ، فأرني كيف تصلي؟

وهذا من أعجب العجب أن يقول عمر لسعد في مثل وزنه وسابقته وقربه من النبي ﷺ كيف تصلي؟- حيث أن سعد أسلم قبل عمر وأول من رمى بسهم في سبيل الله وأول من أراق دمًا في سبيل الله وكان مقرباً من رسول الله _صلي الله عليه وسلم_ وهذا التابعي الذي شكّا سعداً ألم يتعلم الصلاة إلا من سعد؟؟ ، فعمر لم يقل لسعد : قالوا أنك لا تحسن تصلي على ويبتسم علي سبيل التندر ولكن عمر مُخاصم، ومسئول فلم يجد حرجاً أن يقول لسعد أرني كيف تصلي -

(قال: والله يا أمير المؤمنين : أنا لا أحرّم بهم صلاة رسول الله ﷺ أنا أركّذ في الأوليين(من التطويل أي يقرأ بعد الفاتحة بسورة في الركعتين الأوليين)وأحذف في الأخيرين أو أخف قال عمر: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق'

التهم التي ائهم بها سعد :

١- أن سعداً لا يسير بالسرية - ٢-ولا يعدل في القضية و٣-لا يقسم بالسوية ٤ _أنه لا يحسن يصلي .

فأرسل عمر مع جماعة إلى الكوفة ، في منتدى الناس الذي كانوا يجتمعون فيه في ذلك الوقت فدخلوا كل مساجد الكوفة، ثم ينادوا الصلاة جامعة فجميع الناس

تجتمع ، ومن ثم يتم سؤاله من قبل الموفدون من قبل عمر _ ت _ : ما تقولون في سعد ، فيثني أهل المسجد عن بكرة أبيهم خيراً ويقولون معروفاً ، وهكذا من مسجد إلى آخر حتى وصلوا لمسجد لبني عبس: فعندما سألوهم عن سعد : أثني أهل المسجد جميعاً خيراً ماعداً واحداً، يُكنى (أبا سعدة اسمه أسامة بن قتادة) قال: أما إذ ناشدتنا (أي طالما حلفتنا) (فإن سعداً لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية) فلما سمع سعداً هذا الكلام قال: (أما إني سأدعو بثلاث دعوات اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياءٍ وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن) .

انظر كيف احترز سعد فمن الممكن أن أشتكي رجلاً من الناس لا أقصد التشهير به ولا الإنزال من قدره لكن عندي معطيات مغلوبة فأعطتني حكماً مغلوطة.

مثال ذلك: قول (أبا سعدة -أسامة بن قتادة) في سعد ت.

أن سعداً لا يسير بالسرية :أي عند الغزو لا يخرج مع الجيش فهذه مسألة اجتهد لأنه يمكن يبدو لسعد ألا يسير حتى يرعي البلد أو يبقي خلف الجيش يسدد ويقارب مثلاً فعل (يوم القادسية) لم يباشر القتال فلما قال الرجل لا يسير بالسرية هو صادق لكن هل سعد لما ترك الغزو كان مهملاً؟ لا لم يكن مهملاً فالرجل قد يكون عنده حق في الصورة الظاهرة من ترك سعد للغزو.

وعندما قال لا يقسم بالسوية: فالعطاء من بيت المال يمكن أن يخضع لنظر المعطي.

فيمكن أن يكون أبوسعدة لما قال ما قاله علي سعد بن أبي وقاص أن يكون عنده معلومات مغلوبة وهو صادق النية لا يقصد يطعن علي سعد من أجل ذلك احترز سعد.

وحق لأهل التقوي أن يحترزوا قبل الحكم علي الناس إن كان الأمر كذا وكذا فهو كذا ورائدهم في ذلك رسول الله _صلي الله عليه وسلم_

(ومن ثم دعا عليه ثلاث دعوات كل دعوة تناسب تهمة)

فالتهمة الأولى : أنه لا يسير بالسرية أي لا يغزو (متعلقة بالنفس أي لا يسير بنفسه) وقابلتها _ فأطل عمره

والتهمة الثانية : لا يقسم بالسوية (متعلقة بالمال) وقابلتها _ أطل فقره

التهمة الثالثة :ولا يعدل في القضية (متعلقة الدين) وقابلتها _ وعرضه للفتن

واستجاب الله عز وجل لسعد في هذا الرجل خاصة أن سعداً كان مستجاب الدعوة

يقول عبد الملك ابن عُمير راوي الحديث عن جابر بن سمره (لقد رأيت هذا الرجل (أبو سعدة) طال عمره يقعد في الطرقات يتعرض للجواري يغمزهن فإذا قيل كيف أصبحت : يقول : شيخ كبير مفتون أصابتنني دعوة سعد)

رد فعل عمر بن الخطاب تجاه الشكوي التي قدمت في سعد: عزل عمر بن الخطاب سعدا لتهمة لم تثبت على سعد هذه هي السياسة الشرعية .

وجهة نظر عمر بن الخطاب في عزل سعد: أنني لا أترك رجلا عليه مغمز حتى وإن لم يكن المغمز صحيحا وعندي رجال آخريين ليس عليهم مغمز، ولما يكون عمر بن الخطاب يصل بدقته وحسمه إلى هذا الحد، فلا يطمع أحد إطلاقا في الانحراف وولى الكوفة من هو دون سعد في المنزلة والمرتبة.

وصية عمر بن الخطاب عندما قربت منيته: ولما طعن عمر بن الخطاب وقربت منيته بدأ يوصي قال: وضع تقريرا في سعد لوحده لما ينص على أحد إلا سعد بن أبي وقاص، قال: (إن أصابت الإمرة سعد فذاك، وإلا فليستعن به ولي الأمر فإنني لم أعزله عن عجز ولا خيانة).

لماذا عزل عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص؟ حتى لا يطمع الناس في الانحراف، إذا كان ابنه و عمر بن الخطاب يوصي و هو يموت أهل الشورى، قال: (وليحضركم عبد الله بن عمر وليس له في الأمر شيء) أي لا يرثني، (لا يأخذ الحكم من بعدي) كالتسلية له أبوه مطعون وأبوه ميت فعندما يكون في وسط هؤلاء تستريح

نفسه قليلا حتى أن عمر بن الخطاب ،عندما تولى الخلافة، قال لأولاده وقرابته (إن الناس ينظرون إليكم كنظر الطير إلى اللحم فإذا بلغني انحراف أحد منكم لأفعلن به كذا وكذا) وهذه كانت سيرة عمر حتى مع عبد الله بن عمر.

من سيرة عمر مع عبد الله بن عمر:

وجد عمر ابنه عمل بالتجارة و صار عنده أموال، الناس سيتكلمون أن ابن عمر استثمر سمعة أبيه، أرسل لإبنه عبد الله بن عمر في ليلة من الليالي، وقال: (يا عبد الله، قال لبيك يا أمير المؤمنين، قال: أرأيت إن عرض أبوك على النار أكنت تفتديه بأربعين ألفا، قال: أي والله، فقال له أخرج هذا فإني مخاصم). الأموال التي أراد عمر بن الخطاب أخذها من ابنه كسبها بالتجارة، وعبد الله بن عمر معروف ورعه وتقواه و لو في أمواله درهم حرام فسيضحى بالكل فلماذا أمره بإخراج الأربعين ألف؟حتى لا يظن أحد أن ابن عمر استثمر وظيفة أبيه أنه خليفة وأمير للمؤمنين.

فالحاكم اليوم كما قلت ينبغي أن يقيم شرع الله في الأرض، سيبقي الطرف الآخر وهو المنتخب.

المحاور:

هل يقول الناس في التعديلات الدستورية نعم أم لا.

الشيخ حفظه الله:

والله أنا في ذات نفسي لما رأيت المواد و تعديلها أنا الحقيقة متوقف في هذه المسألة في خصوص نفسي فأنا لن أذهب أبدا ولن أقول لا لأن هذا كله لا يرضيني، لكن أنا لما رأيت أصل المادة والتعديل وجدت أنهم خففوا من سوءها فالتعديلات الحاصلة هذه أخف هي سيئة لكنها أقل سوء مما مضى، وليس في أيدينا أن نفعل أي شيء، فنحن الآن أمام مضرة أعظم ومضرة أخف بقليل فأنا في الحقيقة لا أجرم من يذهب ويقول نعم في هذه المسألة وإن كنت في خاصة نفسي متوقف ولن أقول نعم.

المحاور: ونحن نقول نعم حبا لحضرتك وجزاك الله كل خير وأشكرك شكرا
جزىلا عميقا على هذه الحلقة الماتعة وإن كان طبعا فيه مجموعة من الأسئلة الكثيرة
لم تطرح لعلها تطرح في لقاء قادم بإذن الله.

باسم جميع مشاهدي قناة الناس والقنوات التي انضمت إلينا نشكرك يا شيخنا
الحبيب شكرا جزىلا.

الشيخ حفظه الله: بارك الله فيك.

من فتاوى الشيخ

استحباب خروج طالب العلم إذا لم يجد من يعينه على الطلب في بلده الذي يسكنه

السؤال: ما العمل في حالة عدم وجود طالب علم متمكن في العلم في المنطقة التي أعيش فيها لأخذ عنه؟

الجواب

لن يعدم؛ لأنه من غير الممكن ألا يكون في المنطقة كلها طالب علم جيد، لا نقول: إنه شيخ، والإنسان إذا فقد الماء فليتيّم، أي: يستفيد من خبرة من سبقوه في هذا المضمار في تذليل بعض الصعوبات التي تواجهه، وإلا فيستحب لمثل هذا أن يرحل لطلب العلم، وطبعاً لا يفعل هذا إلا رجلٌ نذر نفسه لأجل هذا الدين، أي: يستهين بالمصاعب في سبيل الله، أما أنه يجد لنفسه الأعذار ويقول: أنا لا أستطيع، وعندي من الشواغل كذا إذاً: فليترك هذا العلم، لكن الدراسة على المشايخ فيها الفوائد العظيمة.

عدم بذل العلم لمن لا يستحقه لا يعد من كتمان العلم المنهي عنه

السؤال

ما نقلته عن الأعمش رحمه الله تعالى هل هو من الشرع النبوي في معاملة الشيخ لتلاميذه؟ أليس في هذا شيء من كتم العلم؟

الجواب

لم يكتّم علماً، بدليل أنني قلت في مطلع الكلام: إن دواوين الإسلام مليئة بحديث الأعمش، لكنه كان بعد أن يشتد عليهم يعود فيحدثهم، ونسيت أن أذكر في هذا الكلام أنه بعد أن يشتد عليهم ويعود ليحدثهم كان يقول: لو كنت بقالاً لاستقذرتُموني؛ -لأنه

كان في عينيه عمش- إنما رفعني الله بهذا العلم، فهو كان يحدث، وما كان يكتم علماً، ولكن كان يؤدب.

فالأخ يقول: نخشى أن يقوم بعض الشباب بنفس هذه الأفعال، فيقال: لا.

نحن ضربنا المثل بهذا لنعلل لماذا كان يسلك هذا المسلك، وإلا فلكل مقام مقال، وأحياناً بعض الناس لا ينفع معه إلا الشدة، وبعضهم لا ينفع معه إلا اللين، فكلما كان هناك إقبال على الشيخ وكان طلابه يحتملون منه جاز له أن يفعل مثل هذه الأشياء، لكن إذا كان الإنسان متروكاً، أو ليس له تعظيم في قلوب الناس إذا عمل هذا العمل تركه الناس، فالإنسان يستخدم ما يسميه المتقدمون بالفقه النفسي والله أعلم.

مداخلة: هل يقال في هذا: إنه من باب عدم إذلال العلم؟ الشيخ: نعم.

فيما مضى كان العلماء يتعففون أن ينتقلوا بكتب العلم إلى أحد، حتى إن الإمام البخاري لما قال له الأمير عبد الله بن طاهر: إني أريدك أن تقرأ كتابك على أولادي - يعني: كتاب التاريخ الكبير وكتاب الصحيح- فقال: إني لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فإن كان لأولادك حاجة فليأتوني في المجلس، قال: يأتوك ولكن خصهم بمجلس! قال: لا أخصهم بشيء دون المسلمين، فإن شئت فامنعني حتى يكون لي حجة عند ربي.

والإمام البخاري يقول هذا الكلام في عز دولة العلم، وكان الأمراء يوقرون أهل العلم؛ لكن الآن أنت تحمل علمك على كتفك، وتترصد الطلبة لعلمهم يقبلون منك، وهذا بسبب اختلاف الأحوال، فلو وضع الإنسان رجلاً على رجل، وقال: من أراد العلم فليأتني فلعله يفوت الناس الكثير، فهو يأخذ هذا العلم ويمضي به إلى الناس يعلمهم، وطبعاً اختلاف الأزمان والبيئات له علاقة في الحكم بلا شك.

القول المجمل في حكم حديث شهر بن حوشب

السؤال

ما هو القول الصحيح في شهر بن حوشب هل يحسن حديثه أم لا؟

الجواب

القول المجمل أنه يحسن حديثه إلا في المخالفة، يعني: هو حسن الحديث كـ محمد بن عمرو بن علقمة.

قبول زيادة الثقة لا يكون على الإطلاق

السؤال

هل زيادة الثقة مقبولة على الإطلاق؟

الجواب

لا.

إنما تقبل بشروط، ليس هناك شيء اسمه على الإطلاق، كل شيء مقيد، فزيادة الثقة لا تكون مقبولة على الإطلاق إلا عند الأصوليين والفقهاء، لكن عند أهل الحديث لا يقبلون الزيادة على الإطلاق.

ضابط الجمع والترجيح بين الروايات

السؤال

هل الجمع بين الروايات لازم، أم لابد من توافر ضوابط معينة لذلك؟

الجواب

مثلما ذكرنا في المثالين، مسألة تحريك الإصبع ومسألة الإناء الرحراح والإناء الزجاج، فذكرنا الضابط وهو ألا تكون هناك مخالفة، فإذا تحققت المخالفة وتعدر أو استحال الجمع ففي هذه الحالة لابد من الترجيح بالحكم على إحدى الروايتين بالشذوذ إن كان راويها ضعيفاً.

الأحوال التي يقبل فيها جرح الأقران

السؤال

هل جرح الأقران بعضهم بعضاً يغض من قدرهم، بغض النظر عن أسباب الجرح؟

الجواب

لا.

جرح الأقران لا يقبل إذا لاح أنه لعصبية أو هوى، إنما لو تكلم سني في صاحب بدعة فهذا مقبول منه، لأن هذا من باب البيان والتبليغ، ولا يقال: إن الحامل له على أن يتكلم فيه هو أنه من أقرانه، وإنما إذا لاح أنه لعصبية أو هوى فهذا الذي يرد، أما لغير ذلك فلا.

اعتبار الصحيحين أصح كتابين بعد كتاب الله لا ينفي وجود أحاديث ضعيفة فيها

السؤال

تلقت الأمة الصحيحين بالقبول، فماذا يقال لمن ادعى أنهما يحويان أحاديث ضعيفة؟

الجواب

أما عامة الناس فلا أظن أن لهم شغلاً في هذا الفن، وإذا قصد أن بعض المتخصصين أو من لهم أهلية تكلموا في بعض أحاديث الصحيحين؛ فيناقش كل إنسان تكلم، يعني: المسألة تكون مسألة علمية؛ لأنه ليس هناك من ادعى العصمة لكتاب البخاري ومسلم بحيث أنه لا يناقش في لفظة من ألفاظ الكتاب، ما قال بهذا أحد والحمد لله، ومن قال به فهو غالٍ، لكن ينظر في دعوى المدعي، فمثلاً: إذا كانت الدعوى قوية لاسيما وأن هذا المتأخر كان مسبقاً إليها، ومع ذلك فنحن لا نفتح الباب لكل من يريد الكلام في الصحيحين، فكلام الجهلاء غير مقبول، وإنما كلامنا الآن في أهل الفن، الذين هم أصحاب القواعد وأولى الناس بالكلام في الصحيح والضعيف، فحينئذٍ ننظر إلى ما جاءوا به، فإن كانت أشياء غير مقبولة رددناها، مثلما فعلنا في حديث ابن عباس في صحيح مسلم لما قال أبو سفيان للنبي عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله أعطني ثلاثاً؟ قال: نعم، فكان منها: (وأن أزوجك أم حبيبة أجمل العرب) فتكلم العلماء وقال الذهبي: إن هذا منكر، لماذا؟ لأن أم حبيبة تزوجت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم أبو سفيان بدهر، حتى ثبت أنها طوت البساط من تحته وما تركته يجلس على بساط النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف يقول: (أزوجك أم حبيبة)، فالعلماء أجابوا بعدة وجوه واستضعف هذه الأوجه كلها ابن القيم.

لكن إذا اتهم على هذه الجزئية بنكارة لمخالفتها ما هو معلوم في السيرة بالاطراد وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها قبل إسلام أبي سفيان فإنما نحكم على هذه الجزئية دون غيرها، هذا إذا لم نستطع أن نأتي بوجه غير مقبول من وجوه الجمع، وإلا فالأصل إن استطعنا أن نجمع ما بين هذا وما بين الروايات الأخرى التي

ظاهرها التناكر بوجه من وجوه الجمع المعتبرة؛ فهذا الذي يشار إليه، ولا ينبغي أن يصل إلى الترجيح إلا مع تعذر الجمع أو استحالته.

أسباب تثبيت الحفظ لطالب العلم

السؤال

هل صح أنه يوجد دواء يساعد على الحفظ ويقوي الذاكرة؟

الجواب

سئل الإمام البخاري رحمه الله وقد قيل: إنه يتعاطى دواءً يثبت الحفظ فسأله ابن أبي حاتم الوراق عن ذلك وعن قول الناس؟ فقال: ما أعلم شيئاً من ذلك إلا نهمة الطالب ومداومة النظر، يعني: الرغبة الشديدة لطلب العلم مع مداومة النظر، فهذا الذي يثبت الحفظ، والله أعلم.

اشتغال السلف بطلب العلم مع عدم تقصيرهم في السعي لطلب الرزق

السؤال

هلا علقتم على قول البعض: كيف نفعل فعل السلف في الطلب مع مشاغل اليوم الكثيرة، وقد نقل عن الشافعي قوله: لو كلفني أهلي بشراء بصلة لما طلبت العلم.

الجواب

أولاً: هم كانوا في الشغل أكثر منا، بل لم يكن عندهم من الفراغ وسهولة الحركة مثل ما عندنا في حياتنا اليوم، أي: أنت تستطيع الآن أن تصل إلى أبعد بلاد الدنيا في ساعات قليلة، بينما هو إذا خرج من بلده ولتكن مصر مثلاً أو الشام، أو كان مثلاً من بلاد الأعاجم وأراد أن يصل إلى مكة والمدينة كان يقضي شهوراً، وأنت الآن تقطعها في ساعات، فهذا الوقت المختصر ماذا تفعل به؟ لا شيء، فهم كانوا أكثر شغلاً منا، وكانوا مع ذلك أرق حالاً منا، لكن المسألة تتوقف على الهمة.

وقول الإمام الشافعي لو صح عنه يشير إلى أن المرء لو اشتغل بالمعاش عن العلم، ولكن هل كان الإمام الشافعي عاطلاً، ما كان يعمل شيئاً قط؟ كان الإمام الشافعي يسعى في معاشه، لكن كان يختصر غالب حاجاته ويستغني عنها لطلب العلم، فتجد أنه قد يقصر في حظ نفسه، وفي جلب الطعام الجيد والفراش الوثير وهذه الأشياء لطلب العلم.

وأذكر في هذا العصر للشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله، أنه قال: إنه كان لديه محل ساعات، ولكن كان يعمل في اليوم ساعة واحدة أو ساعتين، بمقدار ما يعيشه ذلك اليوم، ثم يغلق المحل وينطلق إلى المكتبة الظاهرية، فيقضي فيها عامة يومه ولا ينقلب إلا قرابة نصف الليل.

لكن عندما يكون للإنسان مطامع، يريد أن يحسن هنا ويفعل هنا وكذا ما تفقه، فلعل قول الإمام الشافعي يحمل على أن المرء إذا جعل همته في طلب الدنيا لا يفلح في طلب العلم.

فلو أن أحدنا يسعى في معاشه كل يوم ثماني ساعات، فيبقى عنده ثماني ساعات ينام فيها، ويبقى له ثمان ساعات، فلو كان عنده ذهن وإقبال ونهم فهذه الساعات تكفيه.

درجة حديث: (لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة)

السؤال

ما صحة حديث (لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة) هل هو على سبيل
الأفضلية؟

الجواب

هذا الحديث اختلف العلماء في رفعه ووصله، والصواب أنه مرفوع، والرواية
الموقوفة لا تقدر في الرواية المرفوعة، لكن هذا الحديث على الأفضلية، وليس على
نفي الذات، والذي جعلنا لا نقول بذلك: أنه لم يتبن أحد من العلماء -حتى الذين
صححوا هذا الحديث- القول بنفي الذات، وصرفوا (لا) -هذه (لا اعتكاف) - على نفي
الكمال.

والحمد لله رب العالمين، صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

مواطن رفع اليدين في الدعاء

السؤال

ما هي المواطن التي لا يجب رفع اليدين فيها بالدعاء؟

الجواب

أما (المواطن التي لا يجب) فالسؤال هكذا صعب.

لا، مسألة تحريم رفع اليدين في الدعاء هكذا لا، ارفع في الاستسقاء، ربما يكون
مقصود السائل في غير المواضع التي ورد فيها الرفع، فنحن نقول: إذا كان هناك
موضع مشتهر فيه جمع، وفيه دعاء، ومع ذلك لم ينقل رفع الأيدي فالصواب عدم

الرفع لماذا؟ لأنه لو كان لنقل ولتوافرت الهمم والدواعي على النقل، مثل الرفع في خطبة الجمعة.

والجمع التي صلاها الرسول عليه الصلاة والسلام كثيرة ولم ينقل في حدود ما أعلم، وفي حدود علم علماء المدينة الذين أخذت عنهم هذه الفتوى أن الصحابة كانوا يرفعون أيديهم في دعاء الجمعة -مثلاً-، مع أن الجمعة تجمع أكبر عدد من المصلين، أكثر من الصلاة العادية، وتتكرر كل أسبوع، فالصحابه الذين نقلوا أدق صفة صلاته عليه الصلاة والسلام، مثلاً وهو ساجد عليه الصلاة والسلام يثني أصابع رجليه إلى القبلة، إذاً يرى هذا ولا يرى أحدهم ماذا يعمل كل جمعة.

فلما توافرت الهمم والدواعي أو كان هذا الأمر بمكان تتوافر الهمم والدواعي على نقله، ومع ذلك لم ينقل، فنقطع بعدم حدوثه، بخلاف ما يكون خفياً عن ذلك، مثلاً: إذا أراد أن يدعو الله عز وجل بدعاء في أي موطن وفي أي وقت فرفع يديه فدعاً، فهذا لا نقول له: لا ترفع يديك لماذا؟ لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليستحي من العبد أن يرفع إليه يديه فيردهما صفراً خائبتين) فهذا رفع اليد، اجعله أيضاً في المواطن العامة، لكن المواطن الخاصة بالذات التي تتوافر الهمم والدواعي على النقل ومع ذلك لم ينقل، فنحن لا نقول برفع اليد فيه والله أعلم.

حكم تكفير من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة

السؤال

هل لابد من إقامة الحجة على من أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة، وكذلك الذي يصدر منه كفرٌ بواح؟

الجواب

المعلوم من الدين بالضرورة لا نحتاج إلى إظهار الحجة عليه، لأن معنى (معلوم من الدين بالضرورة) أنه ليس هناك جهلٌ به.

نحن مثلاً في ديار تنتسب إلى الإسلام، ما هناك أحدٌ قط يجهل أن الصلاة من فرائض الإسلام، هذا أمر معلوم من الدين بالضرورة.

لكن إقامة الحجة واجبة في المسائل التي لا تعلم من الدين بالضرورة، لأنها قد تخفى مثل مسألة التشبه بالمشركين، قد توجد بعض أشياء يُنازع أن فيها تشبهاً بالمشركين، بسبب جهل المتشبه حيث يقول: لا، لا يوجد دليل على أنها من التشبه، فحينئذٍ نثبت أن هذا من التشبه، ونقيم عليه الحجج، لماذا؟ لخفاء معنى التشبه على هذا الإنسان، فإذا أقمنا الحجة التي يكفر تاركها، وتبين لنا أن هذا الإنسان معاند يريد برأيه أن يطعن في نحر النص؛ فلك أن تحكم عليه بما يناسب الحال.

لكن إذا كان الأمر معلوماً من الدين بالضرورة -وأنا أركز على هذه الكلمة (معلوماً من الدين بالضرورة) - فإقامة الحجة ليست بواجبة، بخلاف ما إذا كان خفياً أو يحتاج إلى بحث، فهذا يجب فيه إقامة الحجة قبل التكفير والله أعلم.

حكم إقامة الحد من آحاد الناس

السؤال

ما حكم المرتد؟ وهل فعلاً يجوز لغير الحاكم إقامة الحدود؟ يرجى توضيح المسألة، وما هو القول المشهور في ذلك؟ وما تقول في من يقول: إذا سب الرجل النبي صلى الله عليه وسلم أمامي أقتله، أو إذا سجد لغير الله أقتله؟

الجواب

بالنسبة لإقامة الحد ونحن نتكلم عن الواقع.

إقامة الحد في الأصل إنما تكون للسلطان ولذي الشوكة أو من ينييه هذا هو المشهور في كتب أهل العلم، والمسألة مرتبطة بالمصالح والمفاسد، فإذا غاب السلطان، فهناك لفيف من أهل العلم يجوزون لأحد الرعية أن يقوم بالحد، بشرط أن لا يترتب عليه مفسدة أعظم من المصلحة الناجمة من إقامة الحد.

وأنا أتصور أن مسألة الكلام في جواز إقامة الحد لأحد الرعية ليست مرتبط بالفرس، إنما مرتبط بالفرس مسألة تقدير المصالح والمفاسد، كثير من الذين يرون إقامة الحد لأحد الرعية لا يقدر المصالح والمكاسب كما ينبغي.

لكن سنفترض مجرد افتراض: لو أن أحد الرعية أقام الحد على رجل بعد إقامة الحجة عليه، وهذا الرجل أصر على ذلك، فاستطاع أن يقيم عليه الحد بغير حدوث مضرة أعظم من إقامة الحد جاز له، لكن الواقع يقول: إن إقامة الحد على أي إنسان في ظل الظروف الحالية التي نحن نمر بها يكون فيه من المفسدة ما هو أعظم من قتل هذا الإنسان، أو من جلده أو نحو ذلك.

لذلك أنا في اعتقادي وقناعتي بما أراه من الواقع الآن أن إقامة الحد لأحد الرعية فتح باب لشر عظيم، لذلك إذا غلبت المفسدة على المصلحة يجب أن يتوقف.

بالنسبة للسؤال الآخر: إذا سب رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن الذي عليه جماهير العلماء أنه يقتل ولو تاب، وتفصيل هذه المسألة في كتاب "الصارم المسلول على شاتم الرسول".

وهذه المسألة تختلف عن مسألة السجود لغير الله، قد يجهل الإنسان أن السجود لغير الله تبارك وتعالى من الكفر، كما حدث لـ معاذ رضي الله عنه، حين جاء فسجد بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: ما هذا؟ قال: رأيتهم يسجدون لأساقفتهم، فأنت أولى أن يسجد لك، فقال عليه الصلاة والسلام: (لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها).

فمسألة السجود لغير الله تختلف عن مسألة سب الرسول عليه الصلاة والسلام.

هناك ثلاثة أشياء يكفر مرتكبها ولا يعذر فيها بالجهل: سب الله تبارك وتعالى، وسب دين الله عز وجل، وسب الرسول عليه الصلاة والسلام، لأن هذه الثلاثة: توقيير الله عز وجل، وتوقيير الرسول عليه الصلاة والسلام، وتوقيير الدين؛ لا تحتاج إلى علم؛ فنقول: إنه جاهل؛ فنحتاج أن نعلمه أن الله عز وجل لا يجوز له سبه، وكذلك النبي عليه الصلاة والسلام، فإذا سب رجل النبي عليه الصلاة والسلام، فهذا يقتل ولو تاب؛ بخلاف الرجل الذي سجد للصنم، أو سجد للقلم فليل له: إن هذا شرك، أو إن هذا كفر فتب منه، فقال: تب، فلا قتل عليه أبداً؛ لأنه كان يجهل، بخلاف ما إذا سب فقال: تب، العلماء يقولون: لا تقبل توبته حفاظاً على جناب الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأنه إذا فتحنا هذا الباب فيمكن لأي إنسان أن يسب ثم يقول: أنا ثبت، وهو لم يثبت في الحقيقة فيسب، ويقول: أنا ثبت! فحينئذ تضيع هيبة الرسول عليه الصلاة والسلام، مع كثرة السب، فحماية لجنابه عليه الصلاة والسلام يقتل، فلو تاب حقاً، نفعه ذلك بينه وبين الله، أما إذا لم يتب فقد قتل وسيلقى جزاءه عند ربه، فهناك فرق ما بين المسألتين، والله أعلم.

نصيحة للشيخ حول التخصص في طلب العلم

السؤال

أجد في نفسي الميل إلى تعلم علم واحد فقط من علوم الشريعة الإسلامية، أما تعلم العلوم الأخرى، فلا أميل إليها؟

الجواب

العلوم تتبعض وتتجزأ، لكن عادةً علوم الشريعة قنوات بعضها يؤدي إلى بعض، فإذا تعلم الرجل نوعاً واحداً فقط من العلم، وجهل الباقي فأنا أظن أنه سوف يكون عنده شيء من مزلة الأقدام في ذلك العلم، لكن هو يتبحر في ذلك العلم الذي يحبه، ويكون له مشاركات في العلوم الأخرى، يعني لا أتصور مثلاً رجلاً يتعلم

الفقه، ويجهل علم المصطلح تصحيحاً وتضعيفاً، وإلا فعلم الفقه كله قائم على افتراض صحة الحديث، فإذا لم يكن عنده خبر بصحة الحديث من ضعفه، فيستطيع المخالف له أن يهدم دليله، وأن يهدم له حكمه بادعاء ضعف دليل المسألة، وحينئذٍ لا يجد بين يديه دليلاً.

ولذلك أنا لا أظن أن هناك رجلاً يستقيم له الأمر في أي علم إلا إذا ضرب بسهم وافر في علم الحديث، لأنه كما يقول أرباب العلوم: علم الحديث علمٌ خادم، والعلوم الأخرى مخدومة، فعلم الحديث ومصطلحه هو مهيمن، فمثلاً: لو أن هناك إنساناً مرفهاً لا يستطيع أن يعيش بغير خادم، فمرض خادمه، فقد يموت من الجوع، فهو لا يستطيع أن يصنع لنفسه طعاماً؛ لأن الخادم هو الذي يفعل له كل شيء، فإذا حياة هذا الإنسان إنما هي بالخادم، فلو مات الخادم، أو ذهب وتركه؛ فهذا الإنسان لا يساوي شيئاً، كذلك علم الحديث كل علم يحتاج إلى هذا العلم، فأنا أنصح إذا كان العلم الذي يميل إليه، بخلاف علم الحديث، فله ذلك، لكن لا بد من أن يضرب بسهم في علم الحديث حتى يضمن سلامة أدلته، والله أعلم.

تقسيم البدعة إلى بدعة مفسدة ومكفرة

السؤال

هل تقسيم البدعة إلى بدعة مفسدة وبدعة مكفرة تقسيمٌ صحيح؟ وما هو الدليل على هذا التقسيم؟ حيث يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (كل بدعة إلخ)؟

الجواب

بالنسبة لتقسيم البدعة إلى بدعة مفسدة وبدعة مكفرة صحيح، فلا مشاحة في الاصطلاح؛ لأن الفسق والكفر كلاهما من الضلال، فلا تعارض أصلاً، (كل بدعة ضلالة)، فالضلال كلمة جامعة للفسق والكفر، إذ لا تعارض، إنما الحقيقة الحكم

على شخص ما بأن بدعته مفسّقة أو مكفّرة، وهذا يكون بالنظر إلى ذات البدعة نفسها، يعني: هل تخرجه من الملة أم لا؟ فمثلاً قد يبتدع رجلٌ بدعةً، وينسبها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقول: أنا أعلم أنها ليست من الشرع، لكنني أضيفها مثلاً إلى الشارع أو نحو ذلك، فهذا قد يفسّق، وقد يؤل الأمر به إلى الكفر.

فأنا أعتقد أن واقع كل إنسان هو الذي يفرق ما بين إذا كان كفّر -أي: خرج ببذعته التي ابتدعتها من الشرع- أم ما زال ينتسب إلى الشرع ولكنه فسّق؟ أنا أعتقد أنه لا يوجد حد فاصل تستطيع أن تجعله قانوناً ما بين البدعة المفسقة والبدعة المكفّرة، بل الملابسات التي تحيط بذات الشخص هي التي تجعله يلتحق بهذا القسم أو ذاك والله أعلم.

فقه الواقع

السؤال

هل نحن ملزمون بتعلم فقه الواقع؟

الجواب

فقه الواقع كان يسمى على ألسنة العلماء القدامى بفقه النفس الذي أشرت إليه قبل في الدرس، فهو هنا مجمل، والجواب: ليس الإنسان ملزماً بتعلم فقه الواقع، كما أنه ليس ملزماً بتعلم كل شيء في الشرع، بل هناك أشياء هي فرائض الأعيان التي لا يجوز للمسلم أن يجهلها، فيما يتعلق بالتوحيد، وفي عبادته ونحو ذلك، هناك فرائض الأعيان وهناك فرائض الكفايات، فإذا كان كثير من علوم الشرعية -ومنها فقه الواقع- من فروض الكفايات فمن الذي يقول: نحن ملزمون جميعاً أن نتعلمه؟! لكن هذا إذا تعلمه جماعة سقط عن الباقيين، وأنا ما أريد أن أخوض كثيراً في المسألة لاسيما كلمة (في الواقع) الآن إذا أطلقوها، يطلقها الذي سيسأل على معرفة واقع المسلمين الآن

بالنسبة لأعدائهم، ولا أظن أحداً من أهل العلم يقول أن هذا الباب ليس مهماً، بل هو بابٌ مهم، لكن الاشتغال به عما هو أولى هو الذي يجعل المسألة فيها نظر، إنما ليس المسلمون جميعاً ملزمين بتعلم فقه الواقع؛ لأنه من فروض الكفايات، إذا علمه جماعة سقط عن الباقي والله أعلم.

لابد لطلب العلم من الهمة والمثابرة

السؤال

ما رأيكم بمن يقول: لن أطلب العلم حتى ألتحق بالجامعة، وهناك سأنفّرغ وأهتم وأجد وأجتهد؟

الجواب

الذي يظن أن الدراسات الجامعية تؤهله لأن يكون عالماً أو طالب علم فهو مخطئ، إن الكتب الجامعية لا يمكن أن تخرّج نصف طالب علم، ولا ربع طالب علم، إذا رأيت طالباً على مستوى عال في بعض هذه الجامعات، فاعلموا أن هذا من جهده في المقام الأول، وأنه خرج عن حيز الدراسة.

فالذي يؤجل طلب العلم إلى أن يدخل الجامعة ضيع أحلى سنوات العمر وأفضلها، وكما يقال: التعلم في الصغر كالنقش على الحجر.

وأنت لا تضمن أن تكون بصحتك عند دخولك الجامعة، ولا تضمن أن تكون خالياً من المشاكل والمشاكل إذا وصلت إلى الجامعة، ابدأ الآن في طلب العلم، حيث أن الله تبارك وتعالى أفاء عليك بالوقت، وأفاء عليك بالراحة، ووسائل المواصلات المريحة، وأفاء عليك بالمال، فتستطيع أن تشتري الكتب، وأفاء عليك بالمواصلات الحديثة كالهاتف والفاكس وهذه الأشياء، وبدلاً من الرحيل إلى الشيخ في أقصى بلاد الدنيا، تستطيع أن ترفع الهاتف وتكلم الشيخ، أسلافنا ما كانوا كذلك.

دعوني أحكي لكم قصة لـ شعبة بن الحجاج رحمه الله أراد أن يتأكد من حديث واحد.

وهذه القصة مذكورة في مقدمة كتاب المجروحين لـ ابن حبان، ورواها الخطيب البغدادي أيضاً في كتاب الكفاية من طريق نصر بن حماد أبي الحارث الوراق، قال: كنا بباب شعبة نتذاكر السنة، فقلت لهم: حدثني إسرائيل عن أبي إسحاق السبيعي عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر الجهني أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من توضحاً ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية)، قال: فما أن انتهيت من الحديث حتى خرج شعبة من الدار فلطمني فدخل، وكان معه عبد الله بن إدريس، قال: فقعدتُ أبكي، فخرج شعبة فوجدني أبكي، فقال: هو بعد يبكي؟ فقال عبد الله بن إدريس: إنك لطمت الرجل، قال: إنه مجنون، إنه لا يدري ما يحدث به، ثم استقبل شعبة الحديث يسرده -سيحكي قصته مع هذا الحديث- قال: (إني سألت أبا إسحاق: هل سمعت هذا الحديث من عبد الله بن عطاء)، ولعلكم تعلمون أن أبا إسحاق السبيعي كان يدلس، والمدلس يعمد إلى شيخه أو إلى شيخ شيخه فيحذفه، وينظم الرواية بالعنعنة، وكان شعبة شديد النكير على هؤلاء المدلسين، وكان يعلم أن أبا إسحاق السبيعي مدلس، وهو القائل كما صح عنه: كفيتمكم تدليس ثلاثة، وذكر منهم أبا إسحاق السبيعي.

(فلما سمع أبو إسحاق السبيعي كلمة شعبة غضب، وأبى أن يجيب)، فإذا لا بد أنه دلّس في السند؛ فطالما أنه أبى أن يجيب فيكون قد دلّس؛ لأنه لو كان سمع حقاً لبادر، وقال: سمعت.

فقال مسعر بن كدام -وهو إمام ثقة كبير القدر-: يا شعبة عبد الله بن عطاء حيٌّ بمكة -إذا أردت أن تتأكد فاذهب إلى مكة- وشعبة أين؟ شعبة في البصرة، أهى مسافة قصيرة؟! شعبة في البصرة، وعبد الله بن عطاء في مكة، قال شعبة: (فخرجت من سنتي إلى الحج ما أريد إلا الحديث)، قال: (فلما ذهبت إلى مكة دخلت على عبد الله بن عطاء، فإذا رجلاً شاب فقلت له: حديث الوضوء هل سمعته من عقبة بن عامر؟ قال: لا، إنما حدثني سعد بن إبراهيم، وسعد بن إبراهيم هذا مدني يسكن في المدينة، قال: فذهبت إلى مالك -الإمام المشهور- فسألته عن سعد بن إبراهيم فقال لي: ما حج

العام -إذاً سيكلفه رحلة إلى المدينة- قال: فقضيت نسكي وتحللت وانحدرت إلى المدينة، فقابلت سعد بن إبراهيم قلت له: حديث الوضوء سمعته من عقبة بن عامر؟ قال له: لا، من عندكم خرج -أي: من البصرة-، قلت: من حدثك؟ فقال: زياد بن مخرق، فقال شعبة: حديث مرة مكي، ومرة مدني، ومرة بصري، دمر عليه لا أصل له.

قال: وانحدرت إلى زياد في البصرة وأنا كثير الشعر وسخ الثياب، فقلت له: حديث الوضوء سمعته من عقبة بن عامر؟ قال: ما هو من بابتك، قلت له: فما من بُد، هذه حاجتي، قال له: لا أحدثك حتى تذهب إلى الحمام فتغتسل وتغسل ثيابك ثم تأتيني، فذهب واغتسل وغسل ثيابه وجاء، قال: حديث الوضوء سمعته من عقبة بن عامر؟ قال له: لا، سمعته من شهر بن حوشب، وشعبة كان سيئ الرأي في شهر بن حوشب، قال: شهر بن حوشب عمن؟ قال: عن أبي ربحانة عن عقبة بن عامر، لاحظ كم رجلاً سقط من الإسناد؟ سقط سعد بن إبراهيم، وسقط زياد بن مخرق، وسقط شهر بن حوشب، وسقط أيضاً أبو ربحانة، أربعة سقطوا، مما يبين لك خطورة التدليس، فقال شعبة رحمه الله: (حديثٌ صعد ثم نزل، دمر عليه لا أصل له، والله لو صح هذا الحديث لكان أحب إليّ من أهلي ومالي)، وطبعاً هذا الحديث صح، لكن من طريق آخر غير الطريق الذي وقع له شعبة.

فهذا مثال رحلة من شعبة بن الحجاج يطوف فيها على بلدان وتعلمون المسافات الشاسعة بين تلك البلدان وبعضها؛ لأجل أن يتأكد من حديث واحد، قد يصيب بعض طلبة العلم المتخصصين الكسل أن يدير قرص الهاتف حتى يتصل بالشيخ الفلاني، يسأله مسألة في علم الحديث أو علم الفقه، انظر إلى الهمم!! كان ابن الجوزي يقول: (إنما البكاء على خسارة الهمم) المسألة ليست قلة إمكانات أبدأ، أي كتاب مهما كان تستطيع أنك تشتريه، إن لم تستطع أن تشتريه تستطيع أن تصوّره في الحال، تصور لو أننا في زمن ابن حجر، وأردت أن تنسخ فتح الباري، وكلفت ناسخاً ينسخه لك، تريد أشهراً لنسخه، أما الآن فأنت تستطيع أن تصوّره في ليلة واحدة، لو وقفت وقفة رجل حازم، وعندنا من الكتب ما لم يكن عند كثير من هؤلاء، ومع ذلك لا نعلم منها شيئاً، هذا بسبب ماذا؟ بسبب التأخر في طلب العلم، تأخر زمان طلب العلم كلما قلت

الهمم، والذي يؤجل طلب العلم إلى أن يدخل الجامعة الإسلامية أو غيرها من الجامعات، فليستبشر خيراً أنه لن يكون الذي يحلم، لن يكون ذلك.

لو أنفقت في طلب العلم عمرك كله من وقت أن نطقت إلى أن تموت، ولو عمّرت عمر نوح عليه السلام لمُتّ مليوناً بجهلك، تموت وأنت جاهل فهناك مسائل أنت ما عرفتها.

ابن جرير الطبري رحمه الله، دخل عليه بعض أصحابه يعود به في مرض الموت، فتذكروا مسألة أظنها في الفرائض، فدعا ابن جرير الطبري بقرطاس ودواة وقلم، وأراد أن يكتبها، فقال له صاحبه: أفي هذا الحال؟ أي: رجل يعاني من مرض الموت، قال له: أخرج من الدنيا وأنا عالمٌ بها، خيرٌ من أن أخرج منها وأنا جاهل بها، مع أنه لن يكون عنده من الوقت ما يستطيع أن يفيد غيره بذلك، لكن هي محبة لطلب العلم، الذي يحب طلب العلم يُغلب على حبه، فلا يضيع شيئاً من وقته، وأخيار العلماء كانوا حريصين على الوقت وعلى طلب العلم أشد الحرص وأعظمه.

فأنا أنصح هذا السائل إن كان عنده حب للعلم، أن يبدأ من الآن، وكفاه ما ضاع من عمره، فلا ينتظر حتى يضيع سنوات أخرى هو أحوج ما يكون إليها، والله أعلم.

مداخلة: إن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة من أعلى الجامعات الإسلامية، تخرج ما يربو على الألف أو الألفين سنوياً، ولكن كأنهم في خبر من يبحث عن الدنيا ويبحث عن المادة، ولا تسمع منهم إلا القليل القليل الذين فادوا وأفادوا واعتمدوا على الله تبارك وتعالى.

حكم إمامة من به مرض سلس البول

السؤال

إمامٌ يصلي بالناس وعنده سلس بولٍ، فماذا يفعل في الوضوء، علماً أنه يتوضأ عند كل صلاة مباشرة؟

الجواب

هذا لا شيء عليه، إذا كان هو أحفظ الناس لكتاب الله تبارك وتعالى، أو هو الإمام الراتب للناس، فمن صحت صلاته لنفسه، صحت لغيره، بشرط أن يتوضأ لكل صلاة.

حكم الصلاة في المسجد الذي فيه قبر

السؤال

عندنا شيخٌ يجيز الصلاة في المسجد الذي فيه قبر، ويستدل بأن السيدة عائشة كانت تصلي في الغرفة المدفون بها النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر، وسيدنا عمر عندما وجد الرجل يصلي إلى القبر قال له: القبر القبر، فمال يميناً أو يساراً ولم يأمره بإعادة الصلاة، إذاً: صلاته صحيحة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم دعا وقال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد من بعدي) إذاً: القبور التي لا تعبد يجوز أن يصلي المرء بجانبها؟

الجواب

هذا الكلام كله غير صحيح؛ لأننا نقول: هل لدى المدعي دليلٌ على أن عائشة كانت تصلي في الحجرة بعدما دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر؟ وهل كانت تسكن فيها؟ كل هذا كذب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

حكم الصلاة في المسجد الذي فيه قبر

السؤال

عندنا شيخٌ يجيز الصلاة في المسجد الذي فيه قبر، ويستدل بأن السيدة عائشة كانت تصلي في الغرفة المدفون بها النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر، وسيدنا عمر عندما وجد الرجل يصلي إلى القبر قال له: القبر القبر، فمال يميناً أو يساراً ولم يأمره بإعادة الصلاة، إذاً: صلاته صحيحة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم دعا وقال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد من بعدي) إذاً: القبور التي لا تعبد يجوز أن يصلي المرء بجانبها؟

الجواب

هذا الكلام كله غير صحيح؛ لأننا نقول: هل لدى المدعي دليلٌ على أن عائشة كانت تصلي في الحجرة بعدما دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر؟ وهل كانت تسكن فيها؟ كل هذا كذب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

شبهات حول نقاب المرأة

السؤال

بعض الناس يسخرون من المرأة المنتقبة، ويقولون: إن المرأة المتبرجة أقرب إلى الله من المنتقبة؟

الجواب

لم يقل هذا الرأي إلا رجلٌ مرذول، وهو الدكتور إسماعيل مقطور المبتدع الضال في كتابه (تذكير الأصحاب بتحريم النقاب) يقول: إن المرأة المتبرجة -هكذا يقول- أقرب إلى الله من المرأة المنتقبة!! لماذا يا دكتور؟ يقول: لأن النقاب حرام، والمرأة تنتقب بدعوى التقرب إلى الله، بينما المتبرجة تعلم أنها على حرام، فيمكن أن تتوب من هذا الحرام يوماً ما، ولكن المرأة التي تعتقد أن النقاب فرض تتقرب إلى الله به فهل هذه ستتوب؟ كيف وهي تظن أنها بالانتقاب هذا تتقرب إلى الله؟! لذلك المرأة المتبرجة أقرب إلى الله من المرأة المنتقبة!! انظر إلى هذا الضلال المبين! ويطبعون كتبه رغماً عن الأزهر النائم، ونسأل الله عز وجل ألا يكون قد مات؛ وكل الخرافات تنتشر، ويسب هذا الدين بدعوى حرية الرأي وإذا تكلمت يقولون: لماذا تحجر على آراء الناس؟ هل تزعم أنك أنت على الإيمان وهم على الكفر؟ لا، أنا لا أزعم هذا.

إذاً: دع الناس يتكلمون، وكل شيء يبيحونه بدعوى حرية الرأي، مع أن شيخ الأزهر اشتكى على صفحات الجرائد الرسمية أنه يرسل للرد على بعض أهل البدع في الجرائد ولا ينشرونه، فانظر كيف يتصرفون مع شيخ الأزهر! فسخرية الفاسق لا تعدل شيئاً: {وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} [الروم: ٦٠]، فإن كنت تعتقد أنك على الحق فلماذا تكون خفيف الوزن؟ كلما ألصق بعض الناس شبهة ذهبت يميناً وشمالاً، بل كن كالجبل الأثم.

وهذا يذكرني بذبابة نزلت فوق نخلة -انظر: الذبابة لا وزن لها، أما النخلة فإنها راسخة- فقالت الذبابة للنخلة: أيتها النخلة استمسي، فإني طائرةٌ عنك، فقالت لها النخلة: وهل أحسست بك نازلةً حتى أحس بك طائرة؟! يعني: نزلت وصعدت والنخلة لم تشعر بشيء أبداً، فهو لاء لا يزنون شيئاً في الحقيقة.

المهم أن تعتقد أنك على الحق المبين، كونك أنت الذي تتأرجح.

انظر في نفسك! ستجد أنك غير متأكد من الحق الذي تحمله؟ بدليل أن أي شبهة تهزك، فاستوثق من الحق الذي معك.

حكم الالتفات بالصدر عند التسليم

السؤال

هل يصح الالتفات بالصدر حال السلام من الصلاة؟

الجواب

لا، الصدر يبقى ثابتاً، الإنسان لا يقول: السلام عليكم ورحمة الله، ويلتفت بصدرة لا، إنما الالتفات يكون بالرأس فقط وليس بكل الجسد.

الحركة تابعة للكلام عند التسليم

السؤال

إذا التفت جهة اليمين قبل السلام ثم سلم؟

الجواب

لا، هذا فيه تكلف، الإنسان إذا قال: (السلام عليكم ورحمة الله) الحركة تكون تابعة للكلام، يعني قل: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله.

لكن هو يقول: السلام عليكم ورحمة الله ويفعل هكذا هل تنفع هذه؟! وما الذي جبره على هذا!

المرأة والرجل سواء في هيئات الصلاة

السؤال

هل المرأة مثل الرجل في هيئات الصلاة؟

الجواب

الرجل والمرأة على السواء، طبعاً هناك بعض الناس يقول: إن المرأة إذا سجدت تضم أطرافها بعضها البعض لأن المرأة عورة، وهذا لا أصل له؛ لأن كل أحاديث صفة الصلاة المرأة والرجل فيها على السواء، لا خلاف إطلاقاً بين الرجل والمرأة في هيئة الصلاة أبداً، إنما الخلاف بين الرجل والمرأة في مسألة اللباس، وأنها عندما تصلي لابد أن تلبس جوارب أو ستاراً لقدميها، لابد من ذلك، لا يجوز للمرأة أن تصلي وهي كاشفة لقدميها.

حكم صلاة المرأة بدون خمار

السؤال

هل إذا صلت المرأة لابد لها من خمار؟

الجواب

نعم، تصلي بخمار، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (المرأة كلها عورة) هذا حديث في الترمذي وهو صحيح، والعلماء الذين استثنوا، إنما استثنوا الوجه والكفين، إذاً القدمان ليستا داخلتين في الموضوع، فالقدمان تبقى على عموم الحديث الأول.

إذاً قدم المرأة عورة، وليس عورة في الصلاة فقط بل عورة دائمة، لا يجوز للمرأة أبداً أن تخرج وقدمها مكشوف أبداً، ولا فرق بين أن يظهر قدم المرأة وبين أن يظهر شعرها أو نحرها أو صدرها أو أي شيء، كله داخل في حدود العورة.

مداخلة: وهل قوله صلى الله عليه وسلم: (لا صلاة إلا بخمار) نفي لصحة الصلاة أم أنه نفي لكمالها؟ الجواب: نعم، (لا صلاة) فمعروف أن النفي إن انصب على الجنس ينفيه كلية، فيكون لا صلاة صحيحة، ما نستطيع أن نقول: لا صلاة كاملة إلا إذا وجد صارف يصرف مثل هذا النفي.

مداخلة: وإذا كانت المرأة جاهلة؟ الجواب: لا، إلا إذا كان عمداً.

حكم صلاة المرأة بلباس غير الخمار

السؤال

لو صلت المرأة بأي شيء غير الخمار؟

الجواب

لا يجوز أن تصلي المرأة بخمار، لقوله عليه الصلاة والسلام: (لا صلاة لحائض إلا بخمار) (لا) و (إلا) نحن قلنا: إن الاستثناء بعد النفي يفيد الحصر، إذاً لا يجوز للمرأة أن تصلي إلا بخمار، أن تدلي بفوطه على رأسها فهذا لا ينفع، كل هذه الأشياء لا تصلح.

حكم السترة في الصلاة

السؤال

ما حكم السترة في الصلاة؟

الجواب

بالنسبة للسترة في الصلاة مما فاتني -فأنا أرجو أن أستدرك ما فاتني- فينبغي للإنسان أن يتخذ السترة في الصلاة حتى لا تقطع صلاته إما من الإنس أو من الجن؛ لأن الرجل قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما أمره باتخاذ السترة (قال: إنني أصلي وحدي).

قال: إنك لا تدري من يمر أمامك).

فيكون مسافة ما بين قدم الرجل وما بين موضع السترة ثلاثة أذرع -في حدود متر وربع- أي: يكون بين موضع قدمك وبين موضع سجودك نحو ثلاثة أذرع، ويكون بين موضع سجودك والسترة مثل مؤخرة الرحل، وأنتم تعلمون أن الجمل عندما تحمل عليه العدة التي مثل (البردعة) الخاصة بالحمار، أليس هناك أربع خشبات: اثنتان في الخلف، واثنتان في المقدمة يعلق عليها أشياءه، الخشبة هذه طولها حوالي (٢٠سم)، هذا هو مؤخرة الرحل، فيكون ما بين سجودك وما بين السترة حوالي (٢٠سم) مثل مؤخرة الرحل، وما بين موضع قدمك وما بين السترة ثلاثة أذرع -التي هي تقريباً- مكان سجودك، يعني: مكان جسمك.

مقدار السترة في الصلاة

السؤال

ما هو مقدار السترة؟

الجواب

بالنسبة للسترة يكون شيئاً مرتفعاً عن الأرض، أما حديث الخط فهو ضعيف، والصواب أن السترة تكون شيئاً مرتفعاً أمامك، وفي بعض الأحاديث أن مقدارها مثل مؤخرة الرحل أيضاً، فتكون السترة مرتفعة بنحو حوالي (٢٠سم) على الأرض، أو يكون شيئاً بارزاً على الأرض.

وصلّى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حكم دفع الزكاة الواجبة دون النظر في حال من يأخذها

السؤال

هل بذل الصدقة دون النظر إلى من يأخذها ينطبق على الزكاة الواجبة، كزكاة الفطر أو زكاة المال؟

الجواب

نعم، هذه الجزئية التي أنا ذكرتها في العصاة ألا يجوز أن يكون العاصي فقيراً أو مسكيناً، أو أحد الأصناف الثمانية الذين تجب لهم الزكاة؟ طبعاً، لكن نحن تحدثنا على هذه الجزئية فقط، وهي جزئية إعطاء العاصي؛ لأن هذا العاصي إذا أعطيته - كما قلنا- من الجائز أن ينضم إلى ركب المؤمنين، وهذه المسألة -كما قلنا- تحتاج إلى رجل فقيه يقدر الحال والله أعلم.

حكم الصدقة على قاطع الصلاة

السؤال

هل إذا غلب على ظن مخرج الصدقة أو الزكاة أن الفقير أو المسكين الذي يريد أن يعطيه الزكاة لا يصلي، فهل يجوز أن يدفع إليه الصدقة أو الزكاة؟

الجواب

هنا يعمل بغلبة الظن، ومعروف أن الأحكام الشرعية يكفي فيها الظن الراجح، فإذا غلب على ظنك أن هذا الرجل إن أعطيته من زكاة مالك أو من صدقتك مالاً - وهذا يستلزم بطبيعة الحال أن تكون على دراية به، كأن يكون من أهل البلد- أنه لا يرجع ولا يرعوي؛ فلا تعطه، إنما إذا غلب على ظنك أن هذا الرجل أسير الإحسان، وأنه يطيع، فهذا من الأفضل بلا شك أن تعطيه الصدقة.

وقد جربنا -وهذه التجربة عشتها بنفسي- أنك عندما تحسن إلى الفقراء والمساكين، فإنك تستحوذ على قلوبهم، وهذا أفضل من مائة محاضرة، فالجائع لا يستفيد من الكلام لأنه يريد أن يأكل، ويفكر كيف يحصل على العشاء لأولاده، وعلى الغداء، وكيف يحصل على الكسوة لأولاده؟ فالإحسان تستطيع أن تدخل به العشرات في حظيرة الإيمان، ولو كان الكلام الكثير يهدي الناس، ما ظننا أن يكون على الأرض عاص، لأن المتكلمين كثيرون جداً، والكلام كثير جداً، لكن الفعل قليل، هذه مشكلة كبيرة، يعني مثلاً: الذين يذهبون إلى الحج كل عام، تكفيهم حجة واحدة وهي حجة الإسلام، وإن كان المال زائداً فزوج به شاباً، أو ابن به بيتاً لأحد الفقراء الذين تسقط بيوتهم، فقد جاء رجل يشتكي ويبكي أنه بعد ما سقط بيته وعد بشقة -طبعاً هذا كله خيال- وهو الآن يسكن في عشة من الصفيح مع ثلاث بنات أكبرهن تخطت العشرين من عمرها، وأصغرهن تخطت الخامسة عشرة، ينامون فيها جميعاً، والحمام مشترك مع عشرين عشة، من من الناس يرضى أن تقف ابنته

على باب الحمام وهناك رجل أجنبي خارج من الحمام؟! يأتي هذا الرجل يبكي ويقول: هجم علينا بعض الشباب الوضع ليلة أمس، وساوموني على أخذ ابنتي وإلا هدموا علي هذه العشة من الصفيح، أريد أن أحافظ على عرضي، ماذا أفعل؟ يأتي يشكي لعاجز عجزه، فيلتقي العاجزان بيكيان، ليس هناك حل.

إذا كنت تبغي -أيها الرجل- الثواب لا مجرد أن تذهب إلى الأرض المقدسة تحج وترجع، تريد الثواب فانظر إلى هذه الأسرة المشردة وأعطها المال، أو أعن شاباً على الزواج.

فلو أن هناك رجلاً مريضاً، وكان هو رب الأسرة الذي ينفق عليها، وأصيب -نسأل الله عز وجل لنا ولكم العافية- بفشل كلوي، فمن الذي سينفق على زوجته وأولاده بعد أن أصيب بهذا المرض؟ وبعض الناس يذهب إلى المصيف شهراً، ينفق فيه عدة ألوف وجاره جائع بجانبه لا يعطيه شيئاً، لقد عجز المسلمون أن يأخذوا حكمة الصلوات الخمس، أنت الآن تصلي بجانب أخيك خمس مرات في اليوم، فتظل عدة سنوات لا تعرف اسمه ولا بيته، وإذا غاب لا تسأل عنه.

بعض الناس عندنا صلى في المسجد نحو سبع سنوات، ثم انقطع فترة طويلة، فسأل الناس عنه فقليل: مات منذ ثلاث سنوات.

قالوا: سبحان الله! كنا نظنه مسافراً.

اعتاد أن يغيب أخوه ولا يسأل عنه، فإذا أطل في الغياب قال: لعله مسافر.

لا تعامل صاحب المعصية بجفاء، بل تودد إليه وتحن؛ لأن الإنسان يكون أسير الإحسان، فقد جربنا أن نعطي بعض الأموال البسيطة لهؤلاء الفقراء، فننادينا على المنابر: من كان عنده قميص، أو جلباب، أو أي ثياب يستغني عنها لصغرها عليه، أو لأنها قديمة فليأت بها، وجمعنا أطناناً فوزعناها على الفقراء، فأخذوها بعظيم البشاشة، وناديننا على المنابر: من كان عنده دواء -شفاه الله عز وجل وبقي شيء من الدواء- فليأت به، فجمعنا كمية كبيرة، وتطوع بعض الإخوة الصيادلة لعمل جناح

خاص ورتبت هذه الأدوية، فإذا مرض إنسان أتى فأخذ مثلاً ورقة مختومة فيعطى الدواء بالمجان.

تصور أن الدعوة السلفية لها مائة عام، وكان بعض الآباء يصدون أولادهم عنا ويقولون: هذا سني، وهو معرض للاعتقال، ويقول لابنه: لا تذهب ولا تصل في المساجد السنية.

ويأتي الولد يشتكي ويقول: ماذا أفعل؟ المساجد الأخرى ينقرون الصلاة، فماذا أفعل؟! فاستطعنا أن نكسب قلوب أولئك الآباء، وأصبح الأب يستحي على الأقل أن يمنع ولده أن يرافقه وأنت المحسن عليه المتصدق، حتى وإن لم يقتنع بذلك على الأقل تجعله على الحياد إن عجزت أن تضمه إلى صفك.

ما علمنا هذه الحقيقة إلا بعد أن مارسناها، كنا نتأفف جداً من أي رجل يشرب السجارة، وقد نخوض في طريق آخر، لكن تجمعنا الجلسات بأولئك، فكنا نترفق بهم غاية الترفق، فأحياناً يصرحون بألفاظ عجيبة، ومع ذلك نخفض لهم جناح الذل من الرحمة، حتى يصير في قلبه محبة لك، وقد انضم عشرات من العصاة لركب المؤمنين.

هذه الدعوة المباركة لا تحتاج إلى جهد؛ لأنها تغزو القلوب، لكن تحتاج إلى حسن عرض.

مررت مع أحدهم على رجل يتسول، وقد كشف عن ساقه المقطوعة، فقال رفيقي أول ما رآه: أعوذ بالله، أعوذ بالله، تتكسب بالحرام؟! الركبة عورة! طبعاً الرجل لأنه لا يريد أن يقع في مشاكل غطى ركبته، ثم مشينا قليلاً فنظرت خلفي فإذا به قد كشفها، إذاً ما الفائدة؟! تستطيع أن تنكر المنكر بأسلوب أفضل من هذا.

فالحاصل: أن الظن الغالب يُعمل به، وإذا غلب على ظنك -بخبرتك- أن الرجل صاحب عناد وجدل ولا يرجع فتجنبه، وهناك عشرات في مقابله يتقبلون النصح ويظهر ذلك عليهم.

لذلك نقول: إن الزكاة والصدقة تحتاج إلى رجل فقيه حتى يضعها في موضعها والله أعلم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الموقف من أحداث الفتنة بين علماء السعودية

السؤال

ما موقفكم مما حدث في السعودية من فتنة بين علماء المدينة وبين المشايخ الأربعة الذين منهم: الدكتور ناصر العمر والشيخ سلمان؟

الجواب

هذه الفتنة أنا ما زلت حريصاً على أن أتجنبها بالكلية؛ لأنك لن تحمد حتى إذا قلت كلمة الحق، وقد قلت مرة لطلبة العلم في جدة: أنا أرى أن تتجنبوا هؤلاء وهؤلاء، عليكم بالعلم؛ لأن كلامك غير مؤثر، فطالب العلم مثلاً لما يقول: أنا مع فلان أو ضد فلان هل حل الإشكال؟ لم يحل الإشكال؛ لأنهم ليسوا رءوساً، إنما هم طلبة.

فخرج بعضهم يقول لبعض: إنني أُميّع المسائل والقضايا.

والذي أظنه من سماعي للجانبين أن هناك هوى عند الجانبين، وأنا أظن أنه لو وجد الإخلاص عند هؤلاء لاجتمعوا؛ لأن نقاط الخلاف لا تستدعي مثل هذا العداء الشديد بينهم، إنها مسائل عادية، لكنهم لا يحملون كلام بعضهم على الخير أبداً، فهؤلاء عندهم خير وهؤلاء عندهم خير.

فمثلاً: فقه الواقع أمر ضروري، فلو تجاهلناه بالكلية لضعنا، لكن على الجانب الآخر هناك من يضخم هذه المسألة، فقد سمعت شريطين للشيخ سفر اسمهما: الوعد الحق والوعد المفترى، يقول مثلاً: الأعداء لهم خمسون صحيفة ومجلة، وأربعمائة محطة تلفزيونية، ومائتان وخمسون إذاعة، وأربعون قمر تجسس على منطقة الشرق الأوسط، وعندهم وعندهم! أنا عندما أقول هذا الكلام لأمة ضعيفة لا تملك رغيف الخبز، فإنها سوف تصاب بالإحباط، فهذا الكلام يقال لأناس ربوا تربية حقيقية، أكشف لهم فيه عدوهم بهذا الكلام حتى يأخذوا أهبة الاستعداد، لكن أن أقول هذا الكلام لضعاف لا يملكون رغيف الخبز، فتكون النتيجة أن يصابوا بإحباط شديد.

وأنا أرى أن الشباب هم الذين أفسدوا بين المشايخ؛ فإن المشايخ عادة لا يلتقي بعضهم مع بعض إلا لمأماً، والشباب لا يكفون عن الكلام.

والخلاصة: أن هذه الفتنة ليس عندي اطلاع كبير عليها؛ لأنني متجنب لها نسأل الله أن يقينا شرها.

حكم دخول الإسلاميين في البرلمانات

السؤال

ما رأيكم في دخول الإسلاميين في البرلمانات والمشاركة في الواقع السياسي؟

الجواب

هذه المسألة تختلف من بلد إلى بلد، فمثلاً: عندنا في مصر دخول البرلمان لا قيمة له، بل دخول البرلمان يعتبر مضيعة للوقت، فعندما دخل الإخوان المسلمون البرلمان، بعضهم دخل ضمن حزب العمل، وبعضهم دخل ضمن أي حزب من الأحزاب، ومعروف أن في النظام الديمقراطي أن الحكم للأغلبية، فالحزب الحاكم حريص -بطبيعة الحال- على أن يكون له أغلب الأصوات في البرلمانات، وأي

مشروع يذهب أدراج الرياح إذا لم يوافق عليه الأغلبية، فنقول: لو كان هناك تسعة وتسعون عالماً، وهناك مائة رجل جهال لا يفهمون أي شيء، فإن هؤلاء المائة يكسبون.

فلذلك هم لم يحققوا أي شيء تقريباً، بالإضافة إلى أنه ملزم في بدء الدخول أنه يقول: باسم الشعب، باسم الدستور، باسم الأمة، باسم كذا ألا أخالف وألا وألا وعندما سئل الشيخ ابن باز رحمه الله عن مسألة الدخول في البرلمان وقيل له: إننا نغير ونعمل، ولنا سلطان ولنا كذا قال: لا بأس بالدخول، ثم قيل له: ولكن سيقول: باسم الأمة، باسم الدستور قال: لا يجوز له أن يدخل؛ لأنه لا يجوز أن يشارك في مباح بارتكاب شرك وحرام.

فلذلك أنا أعتقد أن هذه المسألة تختلف من بلد إلى آخر.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

حكم القيام لاستقبال الضيوف

السؤال

ما حكم قيام الناس كلهم لاستقبال الضيوف؟

الجواب

الذي يستقبل الضيف في الغالب هو صاحب الدار، لكن لو قام بعض الناس للاستقبال أيضاً فلا بأس به إن شاء الله.

حقيقة غضب من لم يقيم له الناس

السؤال

ما هي حقيقة غضب من لم يقم له الناس؟

الجواب

الذي يغضب لأن فلاناً لم يقم له، لا يعلق المسألة بسفر أو أنه لم يرني منذ مدة؛ بل هو يحب أن يتمثل له الناس قياماً.

ثم إن طلحة بن عبيد الله لما قام له كعب، فقال كعب: لست أنساها لـ طلحة؛ لأنه أثر فيه، لكن الصحابة لم يرتكبوا شيئاً من المخالفات عندما لم يقوموا له، فإذا علمنا أن الرجل يغضب إذا لم يقم له الناس؛ فاعلم أن هذا من الكبر الكامن في النفوس.

توجيه حديث: (قوموا إلى سيدكم)

السؤال

هل يجوز الاستدلال بحديث: (قوموا إلى سيدكم) على القيام للآخرين؟ هذا الحديث له مناسبة: وهي أن سعد بن معاذ كان مجروحاً، وكان راكباً على الدابة، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: (قوموا إلى سيدكم فأنزلوه)، فكان القيام هنا لإنزاله وليس لاستقباله وتعظيمه، فلذلك لا حجة فيه.

حكم السلام مع المصافحة

السؤال

ما حكم إلقاء السلام ثم المصافحة بعد ذلك؟

الجواب

المصافحة لها فضيلة، لكن لو دخل وسلم السلام العام فإنه يجزئ، أما قول: السلام عليكم، مع كل مصافحة، فإن الذي يظهر هو إلقاء السلام على الكل ثم تتم المصافحة بعد ذلك.

كيفية تحريك الأصبع في التشهد

السؤال

كيف تحرك الأصبع في التشهد؟

الجواب

توضع الأصبع بحيث تكون شبيهة بـ (٥١) ثم تحرك، وليس في الحديث رفع وخفض، إنما في الحديث تحريك، فيتم التحريك مع عدم انفكاك الإصبع عن القبلة.

كيفية الصعود إلى الركعة الثالثة بعد التشهد الأوسط

السؤال

كيف يقوم من أراد الصعود إلى الركعة الثالثة؟

الجواب

بعض العلماء يرى أن الإنسان يعتمد على يديه إذا أراد أن يقوم، لكن خروجاً من الخلاف يقوم على راحة اليد؛ لأن هذه لا خلاف فيها بين العلماء.

أما بالنسبة لرفع اليدين هل يكون والمصلي جالس أو قائم؟ فهناك ثلاثة أوضاع لرفع اليدين: إما أن يرفع وهو قاعد، أو يرفع مع القيام، أو يرفع بعد القيام. فهو مخير في هذه الثلاثة الأوضاع.

وقت إدراك تكبيرة الإحرام

السؤال

متى يدرك المأموم تكبيرة الإحرام مع الإمام؟

الجواب

يدرك تكبيرة الإحرام إذا لم يبدأ الإمام في قراءة الفاتحة؛ لأنه إذا كبر تكبيرة الإحرام -وهي ركن- ثم بدأ يقرأ الفاتحة، فيكون قد انتقل من ركن إلى ركن آخر، فإذا جاء المأموم فكبر تكبيرة الإحرام والإمام يقرأ الفاتحة أو يقرأ السورة، فلا يقال: إنه أدرك تكبيرة الإحرام؛ لأنه لا يدرك تكبيرة الإحرام إلا من جاء والإمام لم ينتقل إلى وضع آخر، أما إذا انتقل إلى وضع آخر -ركن أو هيئة- فهذا لم يدرك تكبيرة الإحرام.

الخطوات العملية المعينة على التمسك بهدي سلف الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم

السؤال

ما هي الخطوات العملية التي ينبغي للمسلم أن يسلكها حتى يسير على نفس منهج أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام؟

الجواب

كان وكيع بن الجراح يقول: يا أهل الحديث! أدوا زكاة الحديث، اعملوا عن كل مائتي حديث بخمسة.

وقد كان الإمام أحمد رحمه الله إذا روى حديثاً عن النبي عليه الصلاة والسلام يعمل به، حتى إنه روى حديثاً أن النبي عليه الصلاة والسلام احتجم وأعطى الحجامة، فدعا الحجامة فحجمه وأعطاه أجره، ثم قال الإمام: ما كان بي من حاجة إلى الحجامة، لكن أردت أن أعمل بالحديث.

فمن سمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم فعله أن ينفذه حتى ولو كان بخلاف هواه، وهذه المسألة تحتاج إلى تدريب وممارسة.

وقد كان عبد الله بن وهب -الإمام المصري المعروف من تلاميذ الإمام مالك - يقول: (نذرت أنني كلما اغتبت إنساناً أصوم يوماً، فكنت أغتاب وأصوم، فلما أجهدي الصوم نذرت أنني كلما اغتبت إنساناً أتصدق بدرهم، فمن حبي للدراهم تركت الغيبة)، والأصل أن المسلم لا يتوسع في مسألة النذر؛ لأن الأشياء المستحبة أو المباحة تصير فرضاً بالنذر، فلو نذر الإنسان أن يصوم الإثنين والخميس، صار في حقه بمنزلة رمضان؛ لذلك لا يستحب للإنسان أن يكبل نفسه بالنذر، وليكن في سعة.

لكن أحياناً قد يكون الإنسان متفلاً، فهذا لا بأس أن يكبل نفسه بالنذر كنوع من الأدب، لكن لا يتوسع، فيقول مثلاً: نذرت لله أن أقرأ جزءاً من القرآن كل يوم، لكن يستحب له في النذر أن يستثني، فيقول: نذرت لله أن أقرأ جزءاً من القرآن كل يوم إلا إن عجزت، فإن عجز فلا يلزمه أن يكفر عن نذره.

فالإنسان كأسلوب من أساليب التربية ينذر أنه إذا سمع حديثاً نفذه بقدر استطاعته ولا يتجاوزَه، وإذا كان له أولاد فإنه يحاول أن يربيهم على هذا المنهج ويختبرهم.

أحد الإخوة أراد أن يعلم ابنه الصغير أن أمر النبي عليه الصلاة والسلام هو الأمر الأول، وأنه لا يجوز أن يقدم على أمره أحداً، فجلس معه ليلة، ثم قال له: إن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي يجب أن يطاع، وإذا أمرتكَ بأمر وأمر الرسول بأمر آخر، فيجب أن تخالفني وتطيع الرسول عليه الصلاة والسلام.

وعند ذلك طُرق الباب، فقال له أبوه: قل له أنني في الخارج.

فالولد لأنه صغير ولا يفقه هذه المسألة قال له: أبي ليس هنا.

فنهر الأب ولده وقال له: أليس هذا من الكذب؟ قال: نعم، من الكذب.

قال: ألم ينه الرسول عليه الصلاة والسلام عن الكذب؟ قال: نعم.

قال: إذا ما هو الواجب عليك في هذه المسألة: أن تخالفني كما اتفقنا أو تطيع أمري؟ قال: بل أخالفك.

والولد كانت هيبة أبيه عنده كبيرة، فعندما يقول له: قل كذا -كذباً- فكان يطيع أباه، فيكذب، فيقول له أبوه: أليس كذا أليس كذا؟ حتى ترسخ في ذهن الولد مع مرور الأيام أنه لا يجوز مخالفة الرسول عليه الصلاة والسلام.

فانظر كم أخذ الولد من الوقت حتى تربي على هذا الأمر! فزرع السلوك يحتاج إلى فترة من العمر، وهو كالرياضة تماماً.

فتنفيذ النصوص يحتاج إلى ممارسة وإلى سمع وطاعة.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتدينون بمخالفة الهوى؛ ففي غزوة تبوك تخلف أبو خيثمة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام، وأبو خيثمة هو الذي تصدق بصاع من تمر فلمزه المنافقون كان أبو خيثمة متزوجاً بامرأتين، فلما دخل بيته وجد كل امرأة قد رشت الماء وجهزت الأكل والماء البارد، فتذكر الرسول عليه

الصلاة والسلام، فقال: بخ بخ! أنا بين زوجتين حسناوين، وماء بارد، وظل ظليل، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الريح والشمس، والله لا أدخل على أي واحدة منكما، جهز لي الفرس، فجهز نفسه وانطلق إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

هذا الرجل عندما وجد نفسه في نعيم، وحبيبه رسول الله في الريح والشمس، لم يتحمل؛ لأنه شديد الحب للرسول عليه الصلاة والسلام، لذلك لم يدخل العريش ولم يشرب الماء، وانطلق خلف النبي عليه الصلاة والسلام.

إن المهمة في غاية الصعوبة؛ لأن المعين على الخير قليل جداً في هذا الزمان، وقد كان الصحابة رغم شدة ما كانوا يعانونه لكن كانوا جميعاً متكاتفين على شيء واحد، فنحن في زمان الغربة الثانية نعاني أشد مما عاناه أسلافنا في الغربة الأولى، فقد كانوا في الغربة الأولى عندهم من الإيمان ما يلوذون به في حال الكرب لقد كان بلال رضي الله عنه يلوذ بإيمانه إذا شذوا عليه في العذاب، لكن نحن الآن ليس عندنا من الإيمان ما عندهم، وعلينا من الضغط نحو ما كان عليهم، ونحن نقول هذا الكلام حتى نبين وعورة الطريق، فإن العبد إذا علم أن الطريق وعر استعد له، أما إذا كان يظن أن الطريق ممهد إلى آخره فاعترضته عقبة؛ فإنه قد يصاب بإحباط.

ولذلك فإن بعض المسلمين الذين ينتسبون إلى الالتزام أول ما يصاب بمصيبة يسقط مباشرة؛ لأنه لم يتوقع أنه سيصاب بهذه المصيبة؛ لكنه لو علم أن هذا الطريق كله عقبات، وأنه لا بد أن يُبتلى فابتلي، فيكون قد وطن نفسه لذلك، فإن المفاجأة تضعف عزم القلب، كما قال عليه الصلاة والسلام -كما في صحيح مسلم والحديث في البخاري بأخصر من لفظ مسلم -: (والله! الله أفرح بتوبة عبده العاصي من أحكم بأرض فلاة كان معه راحلته وعليها طعامه وشرابه، فظلت منه، فلما يئس استظل بظل شجرة ونام، فاستيقظ من نومه وإذا به يجد راحلته وعليها طعامه وشرابه، فقال: اللهم أنت عبي وأنا ربك).

قال عليه الصلاة والسلام: أخطأ من شدة الفرح).

ومما يدل على ذلك أيضاً: قوله عز وجل: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢ - ٣]، ولو افترضنا أن هناك إنساناً يأخذ

مرتّباً جيداً، فإن هذا المرتّب لا يُشعر الإنسان بسعادة؛ لأنه أول كل شهر يعرف أنه سيأخذ المرتّب الفلاني، لكن لو أنه ذهب ليأخذ المرتّب فقالوا له: ومع المرتّب نصف شهر مكافأة.

فستكون فرحته بالمكافأة أعظم من فرحته بمرتّب الشهر؛ لأنه لم يتوقعه، ولذلك يقول الله عز وجل: (وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)؛ لأن فرحة المؤمن بالرزق من حيث لا يحتسب أعظم من فرحته بالرزق الذي يتوقعه.

وكذلك على الجانب الآخر لو حصلت مشاجرة بين رجل وجاره فلطمه مثلاً، فإن هذا لا يؤثر فيه مثلما لو حدثت مشاجرة بين الرجل وابنه فلطمه ابنه، فإن هذه تكون أقسى بكثير جداً؛ لأنه لم يتوقعها.

فأي شيء لا يتوقعه الإنسان يفت عزم القلب، سواء كان بالخير أو كان بالشر، فلذلك الإنسان الذي يمشي على هذا الطريق يجب أن يتوقع البلاء حتى لا يُصدم.

نقول هذا الكلام تنبيهاً على أن الطريق مليء بالعقبات مع عدم وجود المساعد على الخير؛ بل هناك من يحاول إبعادك عن هذا الالتزام، فأنت تتوقع مثل هذه الغربة، وتعلم أنه لا معين لك على الخير؛ فتستعين بالله تبارك وتعالى في تنفيذ كل حديث يبلغك عن النبي عليه الصلاة والسلام، حتى تصبح بعد فترة -إن شاء الله- من المتمرسين على العمل.

حكم القيام لمن دخل مجلساً

السؤال

ما حكم القيام لمن دخل مجلساً؟

الجواب

لا يشرع قيام الجالسين للداخل إلا إذا قصد به الاستقبال، أما أن يقوم مجرد قيام فأكثر العلماء على تحريم ذلك وللإمام النووي رحمه الله رسالة في جواز القيام لأهل الفضل، وقد رد عليه كثير من العلماء فيها، فهو يرى جواز القيام لأهل الفضل من باب إنزال الناس منازلهم، لكن نحن عندنا أحاديث صريحة في نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن القيام، منها: حديث أنس في الصحيح قال: (ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا؛ لما يعلمون من كراهيته لذلك).

فلذلك نوصي إخواننا في الله أن يظلوا على حالهم، أي: لا يقوموا إلا إذا قصدوا الاستقبال، أما أن يكون قياماً مجرداً فهذا مما يُنهى عنه.

وقد جاء في تاريخ بغداد للخطيب في ترجمة الإمام الثقة علي بن الجعد: قال علي بن الجعد: دعا أمير المؤمنين المأمون تجار الذهب وناظرهم؛ لأنه كان يريد أن يشتري -يريد أن يرى الأرخص سعراً- قال: فخرج المأمون لقضاء حاجته ثم رجع، فقاموا جميعاً ولم أقم، فلما رأى المأمون ذلك غضب، وقال: أيها الشيخ! ما حملك على ألا تقوم كما قام أصحابك؟ قلت: أجلت أمير المؤمنين لحديث مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعنا من القيام.

قال: وما ذاك؟ فقلت: حدثني المبارك بن فضالة، عن الحسن البصري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من سره أن يتمثل الرجال له قياماً؛ فليتبوأ مقعده من النار)، قال: فأبطأ المأمون ساعة، ثم قال: ما ينبغي أن نشترى إلا من هذا الشيخ، قال: فاشترى مني في ذلك اليوم بثلاثين ألف دينار.

يقول الله عز وجل: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق: ٢ - ٣].

والبركة دائماً في تنفيذ كلام الرسول عليه الصلاة والسلام.

وهناك شبهة يذكرها البعض في هذا البحث، وهي في قوله عليه الصلاة والسلام -كما في حديث معاوية بن أبي سفيان عند أبي داود وغيره-: (من سره أن يتمثل له

الناس قياماً؛ فليتبوأ مقعده من النار) قالوا: قوله: (من سره) والسرور أمر قلبي، فكيف يتأتى تنفيذ هذا الحديث وهو متعلق بأمر قلبي؟ والجواب: أن الحكم إذا كان متعلقاً بأمر قلبي فلا بد أن توجد قرينة في الخارج حتى يعلق بها الحكم، والقرينة هنا هي: غضب الرجل إذا لم يقم له الناس، فإذا كان السرور أمراً قلبياً لا نستطيع معرفته، فنحن نعلق الحكم بغضب الرجل، وهذه قرينة ظاهرة يمكن أن يعلق الحكم بها.

إذاً: لو أن الرجل غضب إذا لم يُقم له؛ فهذا ممن ينطبق عليه قوله عليه الصلاة والسلام: (من سره أن يتمثل له الناس قياماً؛ فليتبوأ مقعده من النار)، وتكون القرينة الخارجية التي عُلّق بها الحكم هي الغضب الذي ظهر على وجه هذا الرجل؛ إذ أنه لو كان القيام والقعود عنده سواءً لما غضب أبداً، إذاً غضبه دليل على أنه ممن يُسر بذلك.

وكذلك سائر الأحاديث التي يكون فيها الحكم متعلقاً بأعمال القلب، ولا سبيل إلى معرفتها، فلا بد من البحث عن قرينة خارجية نعلق بها الحكم، ويكون لها ارتباط بعمل القلب.

لكن لو أن الناس قاموا لاستقباله، فهذا جائز؛ بدليل أن فاطمة رضي الله عنها دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم، فقام لاستقبالها وأجلسها في مكانه، وكذلك حديث زيد بن ثابت لما قدم على النبي عليه الصلاة والسلام فقام فاستقبله والتزمه - أي: اعتنقه -.

ومن المسائل التي ينبغي التنبيه عليها أيضاً: مسألة العناق، فإن العناق لا يكون إلا لمن أتى من سفر، أما إذا كنا من أهل الحضر، ونحن نلتقي ولو على فترات متباعدة، فإنه لا يشرع هذا العناق الذي يكون عادةً بين الإخوة؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام سئل -كما في سنن الترمذي-: (إذا قابل الرجل أخاه أيقبله؟ قال: لا).

أيلتزمه -يعني يعتنقه-؟ قال: لا.

أينحني له؟ قال: لا.

أيصافحه؟ قال: نعم).

فلا يشرع في هذا كله إلا المصافحة، أما العناق والالتزام فلا يكون إلا للقادم من سفر، كما جاء في حديث زيد بن ثابت الذي حسنه الإمام الترمذي: (أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما جاء زيد المدينة قام إليه واعتنقه)، وحديث جابر بن عبد الله الأنصاري الذي رواه الإمام أحمد وغيره، لما بلغه أن عبد الله بن أنيس عنده حديث لم يسمعه من النبي عليه الصلاة والسلام، فابتاع جابر بغيراً وسار عليه شهراً، حتى وصل إليه، فقال للغلام: قل له: جابر.

فقال عبد الله بن أنيس: ابن عبد الله؟! فقال له: نعم، قال: فخرج فاعتنقني -أو قال: فالتزمني- وقال: ما جاء بك؟ قلت: حديث بلغني عنك إلى آخر الحديث.

فهذا الصحابي الجليل عانق أخاه بعد القدوم من سفر، أما ما يحدث بين الإخوة من التقبيل -وبالذات قبلة الخد- فهذا أمر عجيب جداً! إنما التقبيل الذي ورد في الأحاديث هو التقبيل في الجبهة، أي: ما بين العينين، هذا هو الذي يشرع دون غيره.

الأسئلة

السؤال

هل درست عند الشيخ سابق؟

الجواب

كان الشيخ المطيعي شيخ سيد سابق، تتلمذنا على يديه لفترة من الفترات، وأخذنا قراءة ورش -لكن ليس كلها- على خاله، أستاذ قراءات، كان يدرسنا كتاب (هداية المريد).

السؤال: الجواب: والله لا أدري، لكن الشيخ سيد سابق أنت تعلم كتاب فقه السنة للشيخ سيد سابق كتبه وكان عمره خمسة وعشرون سنة، وهذا موافق نيل الأوطار، فالشيخ سيد سابق لم يكن له فيه ترجيح، كان شاباً صغيراً، وأحسن تلخيص نيل الأوطار، كما أحسن عرض الفروع.

صحبة المرتاب

السؤال

لي صديق كثر الكلام حوله، وأن له أفعالاً مريبة، وكثيراً ما يسألني الناس عنه فأخرج من الكلام عنه، فهل تنصحي بالبقاء معه، مع العلم أنني نصحته كثيراً فلم يرجع؟

الجواب

أما إذا نصحته كثيراً ولم يرجع، فأنصحك أن تتركه خشية على نفسك هذا أولاً.

ثانياً: إذا كان الناس قد أشاعوا عنه كلاماً وأفعالاً، فإذا تحققت من صدق ما يقوله الناس، فبالتالي لا يحل لك الكلام إلا إذا كان له مقتضى، كأن يكون إذا أخذ أموال الناس لا يردّها، واشتهر عنه المماطلة، فجاءك رجل فقال: يا فلان! فلان يريد أن أعطيه كذا، هل أعطيه؟ أقول له: لا، عندما أسكت هذه خيانة؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: (المستشار مؤتمن) فهذا الإنسان إذا كان له بعض ذنوب مثلاً بينه وبين الله، فالأصل ستر المسلم وعدم فضحه.

الغش في الامتحان في رمضان

السؤال

هل العطش في الامتحان في شهر رمضان يفطر الصوم؟

الجواب

البذاء والفحش والفسق لا يفسد الصيام من باب الإجزاء، فمن الممكن أن يحبط العمل، ويسقط الأجر، فيكون قد صام وليس له من الصيام إلا الجوع والعطش.

فإذا كان المقصود بالفساد الصحة والبطلان: فهذا لا.

أما إذا كان المقصود به القبول: فمسألة قبول الصيام من عدمه هذه محجوبة لا يعرفها أحد إلا الله تبارك وتعالى، أما الصحة والبطلان فلا.

فعل جميع المستحبات أو ترك جميعها

السؤال

رجل يمشي في الطريق فوجد غصن شوك على الأرض، فأراد أن يأخذه ويضعه على جانب الطريق؛ كي لا يدخل في رجل أحد من الناس، فقام شخص وقال له: أنت فعلت كل شيء، ولم يبق غير الزجاجة هذه فهل ينفع هذا الكلام؟

الجواب

لو جاز لنا أن نقرر هذا السؤال لأبطالنا الدين كله، إنما ينبغي على العبد أن يفعل ما يستطيعه.

هذا سؤال سخيف جداً وليس له أي وجاهة، ولا مقياس شرعي.

حكم إعفاء اللحية

السؤال

هل اللحية سنة؟

الجواب

اللحية فرض، من الذي قال: إن اللحية سنة، ومصطلح السنة لدى المتأخرين أنه إذا فعلها يثاب عليها وإذا لم يفعلها لم يعاقب لا، من قال هذا الكلام؟ لقد اتفق العلماء المجتهدون -الأئمة الأربعة وغيرهم وجماهير أصحابهم- على أن إعفاء اللحية فرض، وليس سنة مستحبة، فهذا أيضاً يعتبر اللحية من المستحبات، ويقول لك: أنت فعلت السنن كلها حتى مثلاً تعفي هذه السنة؟ لا، اللحية ليست سنة بالمعنى الاصطلاحي: أنك إذا فعلتها تثاب، وإذا لم تفعلها لا تعاقب لا.

استشارة في الزواج

السؤال

نويت أن أتزوج بامرأة تحفظ نصف القرآن، ورأت أمي وأختي هذه المرأة وشهدوا لها بطيبة القلب وقبول الشكل؛ ولكني مرةً أوافق ومرةً أرفض، متردد فما رأيكم؟

الجواب

لو كنت أنا لحزمت أمري، إذا كنت تريد رأيي في المسألة؛ لكن أنت المتردد، أنا رأيي أنك لا تتردد، أنت جئت لامرأة زكتهأ أمك وأختك، فماذا تريد؟ إذا كانت امرأة طيبة، ومن أسرة طيبة، ومن بيئة جيدة فماذا تريد بعد ذلك؟ يا أخي! احزم أمرك، وأنا أخشى أن تظل متردداً طوال حياتك؛ لأن هذه الخطوة لها مهابة، أن يذهب الشخص ليتزوج.

جاء شخص إلي بعد ما عقد، فقال: جاءت كوابيس مستمرة لمدة ستة أشهر، حتى ظن أن ثمة علاقة بين المرأة والكوابيس، حتى كاد أن يطلق، وهذا كله بعد ما حكى حكايته، واستقصيت الحكاية فعرفت أن هذا أمر لأول مرة يجربه، فهو خائف من الحياة الجديدة، ولا يدري هل يسعد أم لا، ومن أين سيؤكلها؟ هكذا يعني، فيقول - مثلاً: أنا أعطيتها يوم كذا ويوم كذا، طيب وأنا من أين سأؤكلها؟ ولو مرضت من أين أجيء بالمبلغ؟ من أين أدبره؟ يعني: أنه واضع كل المصائب أمامه.

فاحزم أمرك وتوكل على الله.

الزواج وطلب العلم

السؤال

هل الزواج من العوامل التي تعين على طلب العلم الشرعي؟

الجواب

نعم.

إذا أردت أن تستقر وتحفظ القرآن فتزوج؛ لأن دعوى الشخص أنه لا يتزوج إلا إذا حفظ القرآن، هذه دعوى عجيبة جداً.

ثمة شخص جاءني منذ اثنتي عشرة سنة تقريباً وأنا في القاهرة، فقال لي: أن فلاناً حذره أن يتزوج إلا إذا أكمل حفظ القرآن، قال: وأنا أشعر أنني محتاج للزواج، قلت له: تزوج وسيعينك ذلك على حفظ القرآن، فحفظ القرآن في ستة أشهر بعد ما تزوج، فاستراح واستقر، فيلقى الله عز وجل بزوجة طيبة.

الرجل يحصن فرجه، فالزواج من أعظم المرغبات على طلب العلم، فادعُ الله عز وجل أن يرزقك بزوجة بشرط أن تعينك على طلب العلم.

وبعض الإخوان يقول لك: أنا أريد طالبة علم، فأنا أقول له: لو تركتك تطلب العلم فالحمد لله، ليس أنها تكون طالبة علم، لا.

أنت عندما تذهب لتتزوج، تزوج امرأة فيها خصلة واحدة فقط ودع ما دون ذلك، وهي تسمع وتطيع فقط، لو كفر زوجها كفرت معه، تسمع وتطيع فقط لا غير؛ لأنك مهما كلفتها به من المعروف ستستجيب؛ لكن أن تتزوج امرأة مثلاً ليس عندها صفة السمع والطاعة، وعندها علم؛ فهذه ستسود الدنيا تماماً، يعني: في كل شيء ستقف لك مثل العقدة في الزور، كل ما ذكرت لها حكماً، قالت لك: ما دليلك؟ أنا رأيت شخصاً منذ شهر تقريباً مختصماً مع امرأته، وأبوه جاء إليه ليعمل معروفاً والسبب أن هذا طالب علم جديد المهم بعد ما أرجعوها إليه، في هذه الليلة قعدت تمزح معه وتطُطُط عليه، فقال لها: معكِ دليل؟ على أن تُطُطُطي علي، انظر! سدَّ نَفْسَهَا، ماذا تعني عبارة معكِ دليل على هذه الطبوبة؟ هو ليس معه دليل أصلاً على أن يرد أو يرفض أو ما شابه.

وأشياء عجيبة جداً، فتجد مثلاً- أختاً وطالبة علم وعقلها صغير جداً جداً، وكل شيء تريد دليلاً عليه، وتعكر أيضاً على زوجها بهذا الكلام، تريد دليلاً على المسألة الفلانية.

فأحياناً قد يكون طلب العلم بالنسبة للمرأة نقمة عليها؛ لأنه واسع جداً، وهي لا تستطيع أن تتكيف مع العلم ولا التعامل مع الأدلة.

فأنت إذا أردت أن تتزوج فتزوج من بيئة صالحة، وخذ هذا الخلق فقط في المرأة، وإذا كنت طالب علم ستكون مثلك طالبة علم، وإذا كنت عابداً ستكون مثلك من العباد، وهكذا.

معنى الشهادتين

السؤال

ما معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟

الجواب

هذا يحتاج إلى محاضرة خاصة؛ لأن المعنى باختصار شديد: لا معبود بحق سوى الله، يعني: لا شريك له في العبادة، والنبي صلى الله عليه وسلم لا شريك له في الاتباع.

فالشهادتان فعلاً تحتاج في شرحهما إلى عدة محاضرات؛ لأن عصب الدعوة الإسلامية يكون في تحقيق هذه الكلمة تحقيقاً عملياً، وكيف حققها المسلمون الأوائل! وكيف انحرف عنها المسلمون المتأخرون! حيث إننا نجد أن فهم بعض المشركين لكلمة "لا إله إلا الله" كان أفضل من فهم جماهير المسلمين الآن لكلمة "لا إله إلا الله" ولذلك قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم القتال الشنيع العنيف لأجل ألا يقولوها، كان يقول لهم: (قولوا (لا إله إلا الله) أضمن لكم بها الجنة)، فأبوا أن يقولوها، فالمسألة إذن ليست مسألة قول، هم يعلمون أنهم إن قالوا: (لا إله إلا الله) خلعوا الأنداد وخلعوا السلطان، وانثزع منهم كل شيء من زينة الحياة الدنيا بمجرد أن يقولوا: (لا إله إلا الله)، {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ} [الأنعام: ٥٧] يعني: لم يعد هناك سلطان ولا هيلمان ولا هيمنة، فلذلك قاتلوا دون الاعتراف بها أشد القتال، وكان يمكن أن يقولوها ويتخلصوا

من جميع الحروب التي قاتلوا فيها النبي وأصحابه، لكن المشركين كانوا يفهمون معنى "لا إله إلا الله" أكثر من كثير من المسلمين الآن.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يبسر لنا محاضرات أخرى إن شاء الله؛ لكي نستتم الكلام فيما يتعلق بتحقيق "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

حكم توجه المرضى النفسانيين إلى الأطباء النفسانيين

السؤال

ما قولكم في توجه المرضى النفسانيين إلى الأطباء النفسانيين؟

الجواب

بالنسبة لتوجه المرضى النفسانيين إلى الأطباء النفسانيين فنقول: إن معظم أطباء النفس يحتاجون إلى طبيب نفسي؛ لأنهم أيضاً مرضى، يذهب إليه الشاب يقول: أنا متعب.

- فيقول له: أحببت قبل هذا؟ - يقول له: لا، أبداً، ما لي أي تجربة.

- يقول له: حاول تجرب.

أسمعت موسيقى؟ - لا.

- حاول تسمع موسيقى، لاسيما الموسيقى الكلاسيكية -مثلاً- من الساعة الثانية عشرة إلى الساعة الواحدة.

هؤلاء الناس يحتاجون إلى طبيب يعالجهم؛ لأنهم مرضى فعلاً.

لذلك ننصح أي مريض مرضاً نفسياً إن كان لا بد ذاهباً فليذهب إلى طبيب نفساني تقي، يأخذ بيده إلى الله تبارك وتعالى؛ لأن الله عز وجل هو الذي سلبه النعمة، وهو الذي يرجعها إليه وحده تبارك وتعالى لا إله غيره، فأنت تذهب وتلتمس لعبدٍ مثلك، يمكن أن يكون هو مريض نفسياً، أنا أعرف أطباء مرضى نفسيين.

يا أيها الرجل المعلم غيره هلاً لنفسك كان ذا التعليمُ تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى كيما يصح به وأنت سقيمُ ابدأ بنفسك فانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيمٌ فهناك يُسمع ما تقول ويقتدى بالقول منك وينفع التعليمُ لا تنه عن خُلُق وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمٌ هؤلاء الذين يعانون من أمراض نفسية علاجهم -وهذا علاج مجرب- الصحبة الصالحة، يلغي كل هذه المعارف من حياته، ويعطيه الجرأة أن يقاطعهم ويخاصمهم لا، لا يستأمنهم على قلبه، وعليه بمصاحبة الأتقياء.

صاحبك من إذا ذكرتَ الله أعانك، وإن نسيته ذكرك.

هذا هو صاحبك، فالمشكلة من جذرها هو البُعد عن الله عز وجل بأي صورة كانت، ولو نظرت إلى أي رجل في حياته ذنب عظيم فهو الذي جعله ينطوي هذا الانطواء.

فالعلاج: أن يرجع وأن يصحح هذه الصحبة.

ثم يقول لصاحبه: أنا مريض، أنا مكتئب، أنا أحسست -مثلاً- أن الله لن يغفر لي؛ لأنني فعلت كذا وكذا وكذا، فيتلو عليه من آي الذكر الحكيم ما هو شفاء لما في صدره، ومن حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما يرغبه في الآخرة، ويجعله يجزم أن الله تبارك وتعالى بحسن ظنه سيتجاوز له عن ذنبه، هنا يأتي العلاج وشفاء الصدر.

أما أن يطرق باب الطبيب النفساني الذي يحتاج هو نفسه إلى طبيب نفساني، فهذا كالمستجير من الرمضاء بالنار.

أتفر من الذي يرحمك إلى الذي لا يرحمك؟ هذا غير معقول! هذا دجال، ويريد أن يستحوذ أيضاً على ماله.

ثم إن هذا الدجال الذي تستعين به -مثلاً- يستعين بالجن.

بعضهم يقول: جني صالح.

فأقول له: وما أدراك أنه صالح؟ أتأخذ دعوى الصلاح من فم الجني نفسه؟ الساحر أكفر رجل في الأرض، ويقول لك: أنا أعبد إنسان في الأرض، وكل ضال في الأرض يظن أنه على هدىً مستقيم.

فالمعروف أن الجني لا يريد للإنسان خيراً، ومعروف أنه ليس لك عليه سلطان؛ بل العكس: قد يكون له عليك من السلطان ما ليس لك عليه، ومصدق ذلك قوله عز وجل: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ} [الأعراف: ٢٧] هل هناك شخص يجعله الجني مستقيماً؟ طبعاً لا، هل سنصنع مثل ما صنع المفتي، الذي ذهب ليأخذ الفتوى من محافظ البنك المركزي فقال له: - أنت تتعامل بالربا؟ فقال له: أبداً يا سيدي، نحن نتعامل بالربا! فقال: يكفي يا جماعة، هذا الرجل يقول أنه لا يتعامل بالربا.

فهذا يقول للجني: أنت مؤمن؟ - يقول له: نعم، أنا مؤمن.

- إذاً أنا أتعامل مع جني مؤمن.

طيب فما أدراك أيضاً أنه مؤمن؟ يقول: بدليل أن الجني غير المؤمن يتكلم كلاماً سافلاً.

نحن أيضاً يمكن أن نقول هذا الكلام، وكما يقول الله عز وجل على لسان الجن: {كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا} [الجن: ١١]، فيهم الشيعوي، والكافر، والنصراني، والمنافق كالإنس تماماً، فهذا الرجل عندما يقول: أنا مؤمن، ما أدراك أنه مؤمن؟ واعلموا أن هؤلاء الذين يتعاملون مع الجن لا يمكن أن يسخروا الجن إلا بعد أن يكفروا؛ لأن الجني لا يمكن أن يخدم أحداً من الإنس إلا إن طلب منه: ألا يصلي، وأن يضع المصحف في دورة المياه، وأن يعمل عملاً نجساً فيأتي بأوراق المصحف فيضعها في دورات المياه، ويقول: إن فعلت ذلك أنا تحت أمرك، أعمل كل شيء يخطر

ببالك، وهناك كثيرون جداً ممن كتب الله تبارك وتعالى عليهم الشقاء، يكون الجنى تحت أمره، ولا يكاد يقول له قولاً إلا وجده كما قال، كأنه يعلم الغيب.

فهذا الجنى هو الذى أعطى هذا الرجل هذه المعلومة، كما ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام -كما فى الصحيحين- فيما معنى الحديث: (إن الكهان يقذفون بالكلمة، فنجد فيها حقاً وباطلاً، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ليسوا بشيء، إن الجنى يأتى بالكلمة من الحق فيلقىها على أفواه الكهان فيخلطونها بمائة كذبة).

فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام كان الجنى يصعد إلى علو السماء ويسترق السمع، ويعرف الأخبار التى فى السماء الدنيا، فينزل يلقىها على أفواه الكهان، يقول: سيكون كذا ويفعل كذا، فتتنزل الأقدار على نحو ما التقط الجنى، فلما بعث النبى عليه الصلاة والسلام جعل الله تبارك وتعالى على السماء حراسة مشددة، قال تعالى: {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَائِبٌ} [الصافات: ١٠] أى واحد من الجن يسترق السمع ويضع أذنه على بابنا ويستمع؛ نرسل عليه شهاباً ثاقباً يقتله، فماذا يفعل الجن؟ يركبون على بعضهم، إلى أن يصلوا إلى باب السماء، فيأخذ الكلمة ويطير، ثم يذهب إلى الكاهن قبل صلاة الفجر، يقول: قل لفلان: ابق فى مكان كذا وكذا، ولا تمش من طريق كذا؛ لأن ثمة شيء سيقع، وسيقع كذا فى بلاد كذا.

يخرج إلى الناس فى الصبح وفعلاً يجد هذا كما قال الكاهن تماماً، فيظنون أنه يعلم الغيب، وهذا لا يعد غيباً؛ لأن الغيب المطلق إنما يستأثر به الله تبارك وتعالى، فإذا قضى الله عز وجل أن فلاناً سيموت، فيُخبر ملك الموت أن فلاناً سيموت فى وقت كذا، فملك الموت مع الملائكة الموكلين بقبض الأرواح يأخذون هذا الأمر ويبدءون بتنفيذ الأمر الإلهى فى هذا الإنسان.

إذاً: طالما علم بالخبر ملك أو أكثر لم يعد غيباً، فالغيب غيبان: - غيبٌ مطلق لا يعلمه أحدٌ إلا الله.

- وغيب نسبي: يعلمه بعض الخلق دون بعض.

فهو غيب بالنسبة لنا، وليس غيباً بالنسبة للملائكة، فيأتي هذا الجني فيلقي بهذا الشيء الذي لم يعد غيباً مطلقاً على أفواه الكهنة فيُحدِّث تناقضاً، فيمكن يقول لك: أنت مكتئب لأن فلان الفلاني مات.

- فتقول له: نعم.

- وقد صارت عندك حمى لمدة خمسة عشر يوماً.

- نعم.

فتجد أن أخباره صحيحة؛ لأن الجني زوده بها.

فما زال بك حتى يستحوذ عليك وعلى مشاعرك، فتتصور أنك إن ابتعدت عنه خطوة فلن تعالج.

وأنه فعلاً أتى بالمرض من قراره كما يقولون.

فالإنسان يتشبث به، ويتصور أن الشفاء بيده، فلا يجوز الذهاب إلى هؤلاء العرافين؛ لأنهم دجالون؛ لا يملكون ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، والذي يملك هذا كله هو الله تبارك وتعالى.

حكم لبس الثوب الأحمر

السؤال

ما حكم لبس الثوب الأحمر؟

الجواب

بالنسبة للباس الثوب الأحمر، فلو أن إنساناً يلبس جلابية حمراء -أحمر بحت- لا يخالطها لون آخر، فهذا أقل درجاته الكراهة، للحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (رأى علي النبي صلى الله عليه وسلم بُرداً أحمر، فعلمتُ الكراهة في وجهه، فذهبتُ إلى أهلي، فجردته واقفاً ورميت به في التنور، ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عن القميص الأحمر، فقلت: تيممت به التنور فسجرتَه -يعني: أحرقتَه- قال: لم لم تلبسها بعض أهلك؟! فإنه لا بأس للنساء).

إذاً: الثياب الحمراء البحتة مكروهة بالنسبة للرجال.

فإن قلتَ: فما قولك في الحديث الصحيح الذي قال فيه أحد الصحابة: (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز وعليه حلة حمراء، فكان أجمل الناس)؟ فيقال: لعل الغالب عليه كان اللون الأحمر، ولا زال الناس يحكمون بالغالب.

الرسول صلى الله عليه وسلم عندما رأى الثوب الأحمر على عبد الله بن عمرو يقول عبد الله: فعلمت الكراهة في وجهه، فلا يتصور في وصفه عليه الصلاة والسلام أن يكره الشيء ثم يفعلُه، فلا بد من هذا التأويل: أن هذا الثوب لم يكن ثوباً أحمر بحتاً، وإنما كانت تخالطه بعض الألوان الأخرى، فلم يكن كالذي كرهه النبي صلى الله عليه وسلم.

حكم تأخير الأذان بعد طلوع الفجر الصادق بنحو نصف ساعة

السؤال

بالنسبة للفجر الصادق، لو قلت لرجل: إن الفجر الصادق هو قبل الأذان الذي يؤذن في الجمهورية عموماً بنحو ثلاثين دقيقة أو خمس وعشرين دقيقة، فهل هناك إثم علي؟

الجواب

أنت لا جناح عليك، لأنك لا تؤخره، ولا نستطيع الحكم ببطلان صلاته إلا إذا أقمنا عليه الحجة؛ لأنه قد تكلم في ذلك علماء وهم أعلم منك وأنت لست بعالم، أنا أتركها لشيخ الأزهر أو للمفتي.

أما إن علم الحق مثلاً، وأقيمت عليه الحجة بحيث لم يبق له دليل أو لم يبق له أي علة يمكن أن يعتل بها؛ فحينئذ قد يترجح الحكم ببطلان صلاته؛ لأنه خالف الحجة بغير دليل.

حكم اقتناء الصور

السؤال

هل أباح أبو حنيفة التصوير؟ وما حكم اقتناء الصور؟

الجواب

أنا لا أدري، ولا يحضرني النص عن الإمام أبي حنيفة أنه أباح الصور، وبالنسبة لاقتناء الصور، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون، الذين يضاهون خلق الله عز وجل، يقال لهم: أحيوا ما خلقتكم).

فذهب العلماء إلى أن الصور المذكورة في الحديث قسمان: - قسم لم يختلف العلماء في تحريمه وهو النحت، والمقصود بها التماثيل المجسمة التي يقول العلماء فيها: ليس لها ظل.

- لكن استثنى العلماء المحرمون للتصوير ما كان لضرورة كصورة البطاقة الشخصية، أو صورة الجواز، أو صورة البحث عن مجرمين، أو، أو إلى آخره، فكل الأشياء التي تدخل في نطاق الضرورة أباحوها تحت القاعدة المشهورة: (الضرورات تبيح المحظورات).

تفسير قوله تعالى: (لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ) [الغاشية: ٧]

السؤال

ما هو تفسير قوله تعالى: {لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ} [الغاشية: ٧]؟

الجواب

{ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ } [الغاشية: ٧] أي: أنه يأكل فلا يشبع، ويشرب فلا يرتوي، فيظل دائماً يقول: أنا جوعان، أنا عطشان، أي: يأكل الزقوم باستمرار ويشرب ماء الحميم باستمرار، وهذا أدعى لعذابه، أي أن هذا لا يسمنه ولا يغني عنه جوعه، فتظل حاجته دائماً إلى الطعام والشراب.

أما بالنسبة لأهل الجنة -نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من أهلها وإخواننا المسلمين جميعاً- فإن جُسُوم أهل الجنة تختلف عن جُسُوم أهل الدنيا، فهذا الجسد يفنى بعد موت الإنسان وتظل الروح فقط؛ لأن الله تبارك وتعالى يوم قضى علينا أن ننزل في هذه الدنيا قال للروح: اركبي هذا البدن، فالبدن مركوب فقط لكي تمضي بك الحياة الدنيا، {لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك: ٢]، وبعد أن يموت الإنسان ما عاد له أي حاجة من هذا الجسد، فهذه الروح ستذهب إلى الجسد الخاص بها إن كان في الجنة أو في النار.

ولذلك جاء في الحديث الصحيح: (أهل الجنة على طول آدم ستين ذراعاً) فكل أهل الجنة ستون ذراعاً، وعلى خلق آدم، جميعاً كنفس واحدة.

فهذا الجسد -الذي هو كجسد آدم- يناسب الخلود، لذلك لا يمرض، ولا يهرم، ولا يشيخ، ولا تصيبه العلل، وهذا يُفهم من قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: (يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيؤتى بالموت على هيئة كبش

فَيُذَبِّحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ).

فهذه الأبدان مركبة بشكل خاص بحيث تناسب الخلود، ولذلك في الحديث الصحيح قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ضرس الكافر في النار مثل جبل أحد) إذا كان ضرسه فقط كجبل أحد، فما بالك برأسه ويديه ورجليه وكتفيه؟! فكل الموجودين في النار لهم أبدان تناسب النار، وكل الذين يدخلون الجنة -ونسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهلها- لهم أجسام تناسب هذا الخلود.

إذاً: لا نقيس ما نجده في حياتنا الدنيا الآن من الهرم والتعب وغير ذلك من الأشياء على الحياة الآخروية؛ لأن لها مقاييس تختلف تماماً عن مقاييس أهل الدنيا والله أعلم.

حكم وضع اليدين على الصدر بعد القيام من الركوع

السؤال

هل ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضع يده على صدره بعد القيام من الركوع على أساس أنه يعد من القيام؟

الجواب

مسألة القبض بعد القيام من الركوع مسألة اجتهادية.

فالذين أفتوا باستحباب وضع اليمنى على اليسرى على الصدر بعد القيام من الركوع إنما أخذوه من عموم بعض النصوص الشرعية التي وردت في وصف صفة صلاته صلى الله عليه وسلم، كما في حديث وائل بن حجر وغيره: (أن النبي عليه الصلاة والسلام إذا كان في القيام وضع اليمنى على اليسرى) فقالوا: القيام لفظ عام

يشمل كل القيام، يشمل القيام الأول والقيام الثاني، فمن فرق بين القيامين فعليه بالدليل، وإلا فنحن متمسكون بهذا العموم.

هذا فحوى ما أجاب به الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز عالم السعودية المجلد - رحمه الله تعالى- وعليه تقريباً معظم البغداديين من العلماء الأفاضل الذين يرون جواز بل استحباب الضم بعد القيام من الركوع.

أجاب المانعون وفي مقدمتهم الشيخ العلامة ناصر الدين الألباني رحمه الله عليه وأسكنه فسيح جناته بأن هذا العموم لم يكن عليه عمل السلف الصالح، وجاء بالقاعدة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه العظيم الذي نوصي كل مسلم باقتنائه والاطلاع عليه، وتدبره سطوراً سطوراً لأهميته في هذا العصر، وهو كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم".

ذكر في هذا الكتاب هذه القاعدة التي تقول: (إن العمل بأي جزئية من الدليل العام لم يكن عليه عمل السلف الصالح سبيل إلى الابتداع في الدين).

فأقول: ليس كلُّ عموم يُعمل به، وإن كان السلف الصالح أعرض عنه، فهذا من أعظم القدح فيه.

فضرب مثلاً- وقال: لا شك أنه لو دخل رجل إلى المسجد فوجد رجلاً يصلي تحية المسجد، وآخر يصلي تحية المسجد، وآخر يصلي تحية المسجد، وجد عشرة - مثلاً- يصلون، قال: لماذا تصلون فرادى؟! لماذا لا نصلي هذه الشعيرة جماعة؟! وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يد الله مع الجماعة)، وقال صلى الله عليه وسلم: (صلاة الجماعة تعدل صلاة الفرد بسبع وعشرين)، فلم يقل: فرضاً ولا نفلاً، وإنما قال: (صلاة الجماعة)، فلماذا نصلي فرادى؟! فقاموا جميعاً وصلوا تحية المسجد جماعة، فهل هؤلاء مبتدعون أم لا؟ مبتدعون بلا شك مع أن الأدلة العامة تعضد فعلهم، وهم لم يخرجوا عن الشرع، بل أتوا بأدلة عامة تقضي باستحباب صلاة الجماعة مطلقاً، وتحية المسجد صلاة، فهي داخلة! قال: الجواب معروف: أن هذا لم يكن عليه عمل السلف الصالح، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، ولو كان العمل ينهض به هذا العموم لبادر السلف الصالح إلى فعل هذا.

والذين نقلوا لنا أدق الحركات والجزئيات في صفة الصلاة، فنقلوا لنا حركة الإصبع، ونقلوا لنا أن أصابع القدم تكون متجهة في حالة السجود إلى القبلة، ونقلوا لنا أن الراكع يجب أن يكون ظهره متساوياً، بحيث لو وضعت قطرة ماء على الظهر لا تتحرك، ونقلوا لنا كيفية القبض بالكف على الركبة.

أفيغفلون هذا القبض الذي هو ظاهر جداً، على اعتبار أنه لو كان ثابتاً عن النبي صلى الله عليه وسلم بحيث لا يوجد نص خاص في المسألة يقول: إن الضم في القيام الأول دون القيام الثاني، ويُترك هذا للعموم؟ هذا غير ممكن! ثم هناك مسألة أخرى وهي قوية جداً، وهي: أن هيئات الصلاة لا يصلح فيها الاجتهاد ولا الاستنباط، إنما هي توقيفية، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (صلوا كما رأيتموني أصلي)، فلا يجوز أن تستنبط هيئة بفهمك من النص، بل لا بد لكل هيئة من دليل قاطع.

فقالوا: اجتهاد مشايخنا من علماء الحجاز اجتهاد في فهم النصوص الشرعية، وهيئات الصلاة توقيفية تحتاج إلى أدلة خاصة تقوم بها.

فلذلك المسألة فيها -كما قلت- خفض ورفع.

لكن ماذا لو أنه لم يفعله؟ مثلاً: إن كنت أنا أنكر عدم مشروعية القبض، فهل هذا الإنكار يجعلني -مثلاً- لا أصلي خلف من يرى المشروعية، ولا أصافحه، ولا أسلم عليه لا، هو مقلد لأئمة مجتهدين علماء، وهؤلاء العلماء سواء أصابوا أم أخطئوا، فهذا بالنسبة إليك بمنزلة العامي مع المجتهد، فهؤلاء من تبعهم لا جناح عليه كما يقول الإمام الشافعي: قول المجتهد بالنسبة للعامي كالدليل بالنسبة للمجتهد.

انظروا إلى الكلام الجميل! أي: كما أنه لا يجوز للمجتهد أن يخالف الدليل، فلا يجوز للعامي أن يخالف قول المجتهد لماذا؟ لأن العامي سيخالف قول المجتهد بوجهين: إما بعلم الدليل المخالف، فلا يكون -كما قلنا- عامياً، وإما أن يكون أقل منه في العلم فلا يحل له أن يخالف قول العالم، وإلا كان متبعاً لهواه.

ولذلك العلماء يقولون: مذهب العامي مذهب مفتيه، أي رجل عامي من المسلمين أفتاه عالم بفتوى لا يجوز له أن يخالفها؛ بدعوى أن هناك عالم آخر أفتى بفتوى

مضادة؛ لأننا سنقول له: اثبت لي أن القول الذي ذهبت إليه أرجح من القول الذي صرفته؟ ولن يستطيع بمستطيع حتى يلج الجمل في سم الخياط لماذا؟ لأنه من العوام، فَقَدْ فَقَدَ مَلَكَةَ التَّمْيِيزِ والترجيح، فكيف له أن ينتقل من قول هذا المجتهد إلى قول مجتهد آخر إلا بداعي الهوى؟! فذلك مثل هذه المسائل يكفيننا فيها اختلافًا، وإن خاصمت أخاك لأجل مسألة فرعية بحيث أنك تهجره؛ فاعلم أن صرح الأخوة هش جداً بينك وبينه، ولو كان هذا الصرح قوياً لا يمكن أن يزول لا بهذه المسألة ولا بعشرين مسألة مثلها.

فمثل هذه المسائل نحن نبتعد عنها بمثل هذا النقاش.

والله أعلم.

غربة الشاب الملتزم وسط مجتمعه

السؤال

إننا -وخاصة من يلتزم منا حديثاً- نكون بين أهلينا وأسرنا العوام كأئنا غرباء، وكذلك في الجامعة نتعرض للاضطهاد المستمر، فنريد توجيه كلمة إلى كل أصحاب هذه الغربة؟

الجواب

أنا أذكر هذا السائل بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء).

و (طوبى) شجرة في الجنة، يقول النبي عليه الصلاة والسلام في وصفها: (يمشي الجواد المضمر المسرع في ظلها مائة عام لا يقطعها، قال أبو هريرة رضي الله عنه: فافرقوا إن شئتم: {وَطَلَّ مَمْدُودٌ} [الواقعة: ٣٠])، فالجواد المضمر يجري

في ظلها مائة عام كأعوامنا لا يقطع هذا الظل، فهذه الشجرة للغرباء، وإذا عدت بذاكرتك إلى الغرباء الأولين، وجدت أن ما أنت فيه لعب بالنسبة لما كانوا فيه، وتجد أن البلاء إنما اشتد عليك؛ لأنك ليس عندك من الإيمان ما كان عندهم، فالمصيبة أننا إنما أوتينا من ضعف الإيمان، لا من قوة البلاء.

لا أحد يصبر على الإطلاق على الذي كان فيه الصحابة إلا إذا كان عنده مثل إيمانهم، والنبى عليه الصلاة والسلام لما قال: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً) فوصف الغربة شرف، مثل ما حصل عندما ظهرت اللحية منذ حوالى عشرين سنة كان مظهر الملتحي يعد غريباً، فكان المستهزون إذا أرادوا الاستهزاء به يقولون له: يا سني!! بمعنى أنها سبة، فكان أحياناً بعض الملتحين يحسون بنوع من الإهانة، وربما جرى أحدهم وراء المستهزئ به وضربه ودخل في عراك معه؛ لأنه قال له: يا سني! مع أنه لم يسبه أصلاً، ولو كان العلم منتشرأ آنذاك لعرف أنه بهذا كأنه يقول له: يا ابن الأصول.

تلك شكاة ظاهرٌ عنك عارُها وفي قصة عبد الله بن الزبير لما أراد الحجاج أن تعبيره؛ كأن يقول: ابن ذات النطاقين، بمعنى أنه يشتمه ويعيره بـ ذات النطاقين أمه أسماء بنت أبي بكر لما شقت نطاقها شطرين، وقد كانت حينها حاملاً! لله درك يا أسماء، ومن لنا بمثلها من بين مليون شخص من أشباه الرجال الآن.

انظر إلى الجد والاجتهاد! امرأة حامل في الشهر الأخير تصعد الجبل تحمل الطعام على كتفها، تربطه بنصف نطاقها وتربط بطنها بالنصف الآخر، وتأخذ المتاع وتصعد إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وإلى أبيها! وما حملها هذا إلا الفداء والتضحية والحب لهذا الدين؟! فلا بد لك من أن تعمل شيئاً لهذا الدين، فنحن عندما نفتخر بنسائنا من الصحابيات والتابعيات، ما ذاك إلا لأن الواحدة منهن تساوي أمة من أشباه الرجال، فما بالك بالرجال الذين فضلهم الله عز وجل على النساء.

فيأتي يُعَيِّرُها وَيَعْيِيها ويقول في عبد الله بن الزبير له عنها: ابن ذات النطاقين.

تلك شكاة ظاهرٌ عنك عارُها أي: دعها أنت يا ابن الزبير - فلا تكن أنت المُعَيَّر، فهو شَرَفٌ، وأيُّ شَرَفٍ! فأنت حين تتصف بالغريب اسم الغريب، فالرسول عليه

الصلاة والسلام قال لك: (بدأ الإسلام غريباً)، ومعروف أن البداية كانت مشرفة، ثلّة من المتقين شرفوا جبين الزمان من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة، صدقوا الله عز وجل، لم تكن بينهم أحقاد، ولم تكن بينهم الخلافات التافهة الموجودة الآن بين أفضل الإخوة مع بعضهم بكل أسف، فتجد الرجل فاضلاً وعالماً وداعيةً، وبينه وبين غيره من الأحقاد ما يعجز عن وصفه اللسان.

فالصحابة جردوا العزم لله عز وجل، وكانت البداية لهذا الدين بتضحيتهم وإخلاصهم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

وصلّى الله وسلم وبارك على نبيينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

الجمع بين الأحاديث الواردة في استحلال دم المسلم

السؤال

كيفية الجمع بين حديث: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث) ومع غيره من الأحاديث التي في بعضها التصريح بقتل غير هؤلاء؟

الجواب

إن هذا الحديث: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: زناً بعد إحصان، وكفر بعد إيمان، والمفارق لدينه التارك للجماعة) فهذه هي الثلاث الكبار؛ مثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما يقول: (الكبائر سبع) فهل في هذا الحديث حصرٌ للكبائر؟ ليس فيه حصر للكبائر؛ لكن هذه الكبائر التي لها علاماتها البارزة، مع أن أي رجل حلال الدم يمكن أن تضع ذنبه تحت واحد من هؤلاء الثلاث، يعني: هذا الحديث، ليس فيه: أنه لا يحل دم امرئ مسلم إلا بهؤلاء الثلاث مع وجود أسباب

أخرى! يعني: مثلاً لما تقرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)، هل المسألة محصورة في هؤلاء السبعة؟! وكما في صحيح مسلم من حديث أبي اليسر: (من أنظر معسراً) وانظر إلى جمال الحديث وإلى اسم الراوي الذي رواه (من أنظر معسراً كان في ظل العرش يوم القيامة، أو أظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله) فهذا شخص ثامن.

فالأصل في الأحاديث أننا نجمع بعضها إلى بعض، ولا نضرب بعضها ببعض.

والله أعلم.

حكم حفظ القرآن عند أهل البدع

السؤال

هل يجوز أن أحفظ القرآن على رجل صوفي علماً بأن هذا الرجل من حفظة القرآن، والعارفين بأحكامه، وما الحكم لو حفظت منه بعض الشيء؟

الجواب

يمكن أن نصوغه بصورة مختلفة، والسؤال هو: هل يجوز أخذ العلم على يد المبتدع أياً كانت بدعته؟ علماء الحديث لما ردوا رواية المبتدع الغالي في البدعة، ردوها لأن هذا المبتدع لم ينفرد بأصل ليس عند أهل السنة، لذلك ردوا عليه حديثه، فلو أن مبتدعاً لم ينفرد بعلم تخصص فيه دون غيره من أهل السنة، فلا يجوز أخذ العلم عنه، إنما متى يرخص في أخذ العلم على يد مبتدع؟ إذا كان متفرداً بهذا العلم، وكان المتلقي عالماً ببدعته، وهذا شرط، أما إذا كان لا يعرف شيئاً عن بدعته؛ فهذا لا يحل له أن يتعلم عليه؛ لاحتمال أن يلقيه البدعة.

أحد أئمة الحديث لقبه الجرجاني، كان الجرجاني رحمه الله -وهو من مشايخ النسائي - كان ناصبياً، إذا وقع بمتشيع لا يبقى ولا يذر، فالنواصب الذين يبغضون علي بن أبي طالب، والشيعة: الذين غلوا في علي رضي الله عنه، فـ الجرجاني كان ناصبياً، والناصبي ضد الشيعي تماماً، فبمجرد أن يمر به راوٍ متشيع يقول: زائع عن القصد، مائل عن الجادة، هالك، زائع، وهكذا كل هذه عباراته في الشيعة.

قال: (ومنهم) يعني: من المبتدعة (من تفرد بسنة لا تُعلم إلا عندهم، فمصلحة حفظ السنة مقدمة على مصلحة العلم) لماذا العلماء قديماً لم يأخذوا العلم من المبتدعة؟ لأنه كان هناك ألف واحد أفضل منهم وعندهم نفس العلم الذي عندهم.

فيقول السائل: إن هذا الرجل مجوّد لأحكام القرآن، ورجل ضليع، فنحن نقول: الحمد لله يوجد في أهل السنة من هو أضلع منه.

فلذلك لا تأخذ العلم على مبتدع إلا إذا كان المبتدع متفرداً بهذا العلم، ثم أنت على علم كامل ببديعته، حتى لا يلبس عليك.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم

التكفير حكم مخرج من الملة فلا بد من ضبط الأحكام الشرعية وعدم التعجل

السؤال

ما تقول في شخص كان ملتزماً ومطيعاً لله ومؤمناً، وفجأة انقلب حاله وأصبح مشركاً؟

الجواب

أنا لا أدري هذا السؤال من التوقف أو من التكفير أو من ماذا؟ لأنه يقول: (أصبح مشركاً) لماذا، ماذا فعل؟ السؤال هنا مجمل، ونحن نحتاج أن نعرف ما هو مظهر الشرك الذي أظهره هذا الرجل الذي كان ملتزماً مؤمناً، أنا أخشى أن يكون فيه تخطيط في الأحكام الإيمانية، إنما كاتب السؤال يقول: إنه يتخبط في ظلمات الشرك والضلال، فماذا يفعل هذا الشخص إذا أراد أن يعود إلى الإيمان؟ الجواب: الكفر هو الخروج من الإيمان إلى الكفر، والحل أن يرجع إلى الله.

إذا كان السؤال ماذا يفعل؟ نقول: يرجع إلى الله عز وجل مسلماً كما كان أولاً، لكن في الحقيقة: أنا مرتاب من هذا السؤال وأشعر أن شيئاً من الشدة، كأنه مثلاً اشتغل في التجارة، فيقول له صاحبه: إنه عبد المال من دون الله، فيعتبر أن هذا مشرك، وهكذا، إذا كانت المسألة كذلك، فينبغي أن يعدّل السؤال ويكتب بصورة أفضل من هذا؟

حكم جهاد الدفع والفرق بينه وبين جهاد الطلب

السؤال

أود أن أعرف ما الذي يجب على كل عربي في حالة قيام حرب مع إسرائيل حتى لا نصاب بالفرع حيالهم؟

الجواب

أحتاج هذا السؤال إلى جواب؟ رجل داهمك، أليس هناك شيء اسمه جهاد الدفع؟ إذا عجزت عن جهاد الطلب أليس هناك شيء اسمه جهاد الدفع، فجهاد الطلب: أن تخرج من بيتك وتذهب إلى الكفرة في بلادهم، وتقول لهم شيئاً من اثنين: إما أن تدفعوا الجزية وأنتم صاغرون، وإما تتركونا ننشر الإسلام، وإذا منعونا من الدخول نحاربهم، فهذا هو جهاد الطلب وهناك شيء اسمه جهاد الدفع: وهو أنك تكون جالساً

في بيتك فتجد واحداً دخل عليك، فإذا دخل عليك أو هاجمك، هل هناك شخص يمكن أن يتوقف ويقول: هل يجوز لي أن أدفع هذا اليهودي أم لا؟

صحة حديث: (الساكت عن الحق شيطان أخرس)

السؤال

يقول: الساكت عن الحق شيطان أخرس.

هل هذا حديث صحيح أم لا؟

الجواب

نقول: لا، هذا ليس بصحيح.

حكم العمل في محلات الحلاقة

السؤال

ما حكم الكسب في محلات الحلاقة؟

الجواب

حلاقة اللحية حرام، فلذلك لا يجوز للحلاق أن يتكسب من مهنة حلاقة اللحية، وقد أجمع العلماء على حرمة شيئين: حلق اللحية وحلاقة القزع التي فيها تشبه بالكفار، والله نحن في زمن العجائب! فحلق اللحية حرام، لقول النبي صلى الله عليه

وسلم (خالفوا المشركين، وفروا اللحى، وأحفوا الشوارب) وقال: (خالفوا اليهود والنصارى)،

حكم استخدام وسائل منع الحمل

السؤال

هل وسائل منع الحمل ومنها الحبوب، حلال أم حرام، مع العلم أن الاستخدام بنية التنظيم لا بنية المنع؟

الجواب

كل وسيلة تؤدي إلى العزل، فهي جائزة ما لم يثبت ضررها، فمثلاً: حبوب منع الحمل، قال الأطباء فيها: إن هذه الحبوب لها آثار وخيمة على المرأة، أنها تشوه الأجنة، وتسبب سرطان عنق الرحم، ولها مشاكل وأضرار كثيرة تؤثر على المرأة التي تتعاطاها.

فشأن وسائل منع الحمل شأن العزل، إذا كانت الوسيلة ليس فيها ضرر فهي جائزة، والله أعلم.

من كان عنده حق للناس لا بد من إيصاله بأي طريقة

السؤال

أنا كنت أشتغل في متجر، ثم أخذت منه مالاً من غير علم صاحب المحل، فماذا أفعل؟

الجواب

لا بد من إرجاع المال إلى صاحب المتجر، وليس بالضرورة أن ترجع المال إلى صاحب المحل وتقول له: أنا اختلست هذا المال، لكن يمكن أنك تضع هذا المال في ظرف، وشخص يوصل هذا المال لصاحب المتجر، ويقول له: إن هناك رجلاً قال: إنه استدان منك ديناً، وبلغني أن أعطيك هذا الدين، فيكون الدين وصل إلى الرجل من غير أن تفصح نفسك.

والله أعلم.

كتاب عمر أمة الإسلام

السؤال

جاءتني أسئلة عن كتاب (عمر أمة الإسلام)، وأن هذا الكتاب عمل ضجة ونحو ذلك، ويظنون أن مؤلفه أتى بالأدلة على ذلك؟

الجواب

الحقيقة الكتاب تناولته منذ يومين فقط، ونظرت فيه نظرة عجلية، ولذلك لا أستطيع الحكم عليه إلا بعد أن أقرأه، لكن أقول كلاماً عاماً: هذا الكتاب من سلبياته أنه يوهم الدعاة كأنه يقول لهم: كفوا عن دعوتكم فلا فائدة من ذلك، لماذا ترجعون الناس إلى الله وما بقي إلا سبعون أو عشرون سنة وانتهت الدنيا، ولا يوجد حديث صحيح مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والآثار فيها كلام كثير، وقد سبق السيوطي مؤلف الكتاب إلى مثل هذا الكلام، ومرت الأيام وقال برأي السيوطي، وكان هو يحدث الناس كم سنة على قيام القيامة ومضت الألف عام، وهذا شيء من الغيب،

فنحن نرجو من المسلمين أن ينظروا إلى قضاياهم العظيمة، ولعلي أستطيع إن شاء الله أن أجيب عما ورد في هذا الكتاب، إن كان فيه حق أحققناه، وإن كان فيه من خطأ صوبناه بما عندنا من العلم، والله أعلم.

حكم العقد على المرأة الحامل

السؤال

شاب زنا بفتاة وسافر، فعلم الأهل أنها حامل، فقام والد الشاب بالعقد على هذه الفتاة حتى يرجع ولده، وبعد رجوع الولد طلقها الأب وتزوجها الابن؟

الجواب

هذا لا يجوز، سبحان الله! هذا يعني أنهم في جاهلية جهلاء، أولاً: لا يجوز العقد على الحامل، ولا الدخول بها حتى تضع حملها، حتى لو كان من زنا فمن المشاكل الحادثة الآن ولد يزني بفتاة وتحمل منه، فيزوجونهم لبعضهم، لماذا؟! يقول ربنا سبحانه وتعالى: {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق: ٤]، فأولات الأحمال مطلقاً، ليس أولات الأحمال من حلال فقط، فالكلام مطلق، ولذلك لا يحل هذا العقد أبداً، ولا يحل طبعاً الدخول بها، وهذه الصورة جائزة جداً، شاب زنى بفتاة وسافر فعلم الأهل أنها حامل فقام والد الشاب الزاني بالعقد عليها، فلما رجع الولد طلقها الأب وتزوجها الابن كأننا في جاهلية جهلاء، كله لا يجوز.

خطأ طالب العلم في الاعتماد على كتب الفروع وإعراضه عن كتب الأصول

السؤال

يعمد بعض طلاب العلم إلى دراسة كتب الفروع والإكثار منها، دون إرفاقه ذلك بدراسة الأصول، فهل ينتفع طالب العلم من هذا المنهج؟

الجواب

(من حرم الأصول حرم الوصول) لماذا الإنسان يتأرجح ما بين الأقوال المختلفة؟ لأنه ليس عنده أصل ثابت يرجع إليه، والرجل إذا حفظ كل كتب الفروع، مثلاً: حفظ المغني لـ ابن قدامة، حفظ المجموع للنووي، حفظ المحلى لـ ابن حزم حفظ كل هذه الكتب، فلن يصير فقيهاً ولا يستطيع أن يثبت في تقرير الحق؛ لأنك لو كنت درست الأصول تستطيع أن تهدم له الحكم الذي وصل إليه من كتب الفروع، وسيكتشف أنه في النهاية ما هو إلا مقلد، رجل حفظ شيئاً فقال له ولم يتحققه، المشكلة أننا أهملنا الأصول.

لا بد في العلم من أصليين مهمين جداً: علم الحديث وعلم أصول الفقه، فعلم الحديث يثبت لك الدليل، وعلم أصول الفقه يثبت لك الحجة، الفهم عن الدليل؛ لأنك إذا تضلعت في علم واحد فقط كنت كالطائر بجناح واحد فقط، فلو كنت محدثاً صرفاً فلن تتمكن من الأصول.

ومع ذلك فليس من العيب الاقتصار على باب من أبواب العلم، إنما العيب أن تتخطى إلى ما لا تتقن، لكن لو وقفت على ما تحسن فلن تعاب، كن محدثاً ولا تتكلم في الفقه، كان الدارقطني رحمه الله محدثاً صرفاً، وليس له كتاب فقهي، لكنه في الحديث إمام يوضع في جبين المحدثين، أملى كتاب العلل من حفظه، وكتاب علل الحديث للدارقطني يعد معجزة باهرة! قال الذهبي: لو كان هذا الإمام أملى هذا الكتاب من حفظه فلا أعلم له في الدنيا نظيراً.

وأنا قبل خمسة عشر عاماً لما ذهبت أنقل من كتاب العلل من دار الكتب المصرية كان أول حديث هو حديث (شيبتي هود وأخواتها) هذا الحديث أنا نسخت فيه حوالي خمس عشرة ورقة كلها في الاختلافات بين الرواة، والله! كان دماغي يلف

وأنا أنقل الطرق التي يذكرها الإمام على البديهة، وأنا ناقل فقط، فهي ليست في ذهني، والذي طالع علل الدارقطني يعلم أن الإمام أعظم مما وصفت، ومع ذلك لم يُذكر في باب الفقهاء انتهى.

(آفة المرء أن يتكلم فيما لا يحسن)، فمثلاً جاءت امرأة إلى محدث صرف فقالت له: كان عندي دجاجة وسقطت في بئر ماء فغرقت وماتت، فما حال الماء يعني: أنتوضأ به-؟ قال: ويحك! لم تغط البئر؟ أهذا هو الموضوع؟! قضاء الله نفذ، أنا أريد حكماً على الحالة الواقعة، قال لها: لم تغط البئر؟ لأنه ليس عنده جواب على هذه المسألة الفقهية.

لكن الإنسان إذا ضم لعلم الحديث علم أصول الفقه فقد جمع بين الخيرين.

أحياناً يكون المرء فقيهاً، لكنه ضعيف في علم الحديث، وإنما عنده مشاركة، مثلاً يقول: صححه ابن حجر صححه الذهبي، فهو رجل ينقل ومهتم بنقل تصحيح علماء الحديث للحديث، فحين يأتي مبتدع ماهر فيقول له: إن دليلك الذي تتكلم عنه ضعيف فسقط الحكم بسقوط الدليل فيقول له: كيف؟ هذا صححه ابن حجر؟! يقول له: دعنا من باب التقليد، فأنت حينما تقرر الحق تصير مجتهداً، أثبت صحة الحديث، فأنا بإمكانني أن أقول لك: فلان ضعفه، ولن نصل، كما أنني أقرر الحق بدليله هنا وهناك، فقرر أو أثبت لي أنه صحيح.

فيعجز، ولا يستطيع إلا أن ينقل أنه صحيح عن فلان أو علان، حينئذ لو كان ورعاً يتوقف، ويقول: طالما أن المسألة هكذا فدعني أبحث.

فالمبتدع بإمكانه أن ينقض الحكم كله لأنه قد ضيع الدليل، فإذا ضاع دليل الحكم لا يثبت الحكم، إذ لا يتصور فناء الأصل مع وجود الفرع، لكن لو أنه متضلع يستطيع أن يفعل في المبتدعة ما لا تفعله الجيوش الجرارة، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية.

فإن شيخ الإسلام ابن تيمية فعل في المبتدعة ما لم تفعله الجيوش الجرارة في الكفار، والإمام الذهبي كان محدثاً من شعر رأسه لأخمص قدمه، وبالرغم من ذلك

فقد كان رحمه الله يقول: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث؛ من سعة حفظه، وكنت تتعجب من حفظه وسرده للأسانيد وتخريجه من الكتب، مع أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين نصنفه في كتب الطبقات نصنفه في طائفة الفقهاء، ليس في طائفة المحدثين، كان أن الخطيب البغدادي ترجم لـ أحمد بن حنبل فصنفه في طائفة المحدثين، وقد ترجم للشافعي فجعله في طائفة الفقهاء، فغضب عليه الشافعية والحنابلة، لأنه لما قال في الشافعي تاج الفقهاء، قالوا: لم تذكره في الحديث فسلبته الحسن كله، ولما جاء يترجم لـ أحمد قال: سيد المحدثين، قالوا: لم تذكره بالفقه، فأبي معنى للحديث بغير فقه؟! لا، الإمام الشافعي كان محدثاً كبيراً، والإمام أحمد كان فقيهاً كبيراً، لكن غلب على هذا الفقه فاشتهر به، وغلب على هذا الحديث فاشتهر به.

فالعالم كلما كان متضلعاً -بالذات بعلم الأصول- يستطيع أن يمضي في الأدلة مضي السهم، لذلك نحن نقول لإخواننا المتأرجحين بين التيارات الموجودة أو الفتاوى الموجودة: لن تعدوا أن تكون رجلاً من اثنين: إما أن تكون طالب علم جيداً، فإذا عرفت الطريق فاسلك طريق الأصول والدراسة، وإما أن لا يكون لك وقت وليس عندك صبر ولا جلد، ولا تطمع حتى أن تدرس الأصول، فحينئذ انظر إلى العالم أو إلى طالب العلم الجيد الذي تعتقد أنه الأدين والأعلم والأورع فالزم فتواه، لكن إذا جعلت دينك عرضة للخصومات أكثر التناقل، إذا كنت رجلاً من العوام ما الذي يحملك على أن تنتقل بين الأقوال؟ لماذا تعطي أذنك لكل ناعق؟ إذا عرفت أن هذا هو الحق فالزمه، واصحب من تعتقد أنه الأعلم والأدين والأورع، فليس هناك سبيل إلا هذا.

عدم جواز القدح في الأئمة الأعلام في المسائل العلمية الخلافية

السؤال

حين ذكرت ابن حزم فإنك لم تترحم عليه، فما السبب؟

الجواب

يقول: إنني لم أترحم على ابن حزم فأقول: ابن حزم رحمه الله وابن الجوزي رحمه الله رغم أنف أصحاب التكفير؛ لأن هناك من يقول: لا يجوز الترحم على ابن حجر العسقلاني، ولا يجوز الترحم على ابن حزم، ولا يجوز الترحم على ابن الجوزي، ولا يجوز الترحم على كل من له بدعة في العقيدة.

أنا أحيل على الجزء رقم عشرين من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يقول: لا يجوز التبديع في المسائل العلمية إذا كان لها وجه.

فيقول: لا يجوز تضليل الذي يقول: إن الله تبارك وتعالى لا يرى في الآخرة، لاسيما إذا كان متأولاً كـ مجاهد بن جبر الذي يقول بأن الله لا يرى في الآخرة، اعتماداً على قوله تبارك وتعالى: {لَنْ تَرَانِي} [الأعراف: ١٤٣].

فلو أن رجلاً أخطأ متأولاً، فإنه لا يخرج بذلك من جملة المسلمين، فإذا كان لم يخرج من جملة المسلمين فأى معنى لأن تقول: (لا يرحمه الله)، وكذا من قال: إن الاستواء معناه الاستيلاء (لا يرحمه الله).

! هلا تأدب هذا القائل مثلاً تأدب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وهما يكسران أصنام الجهمية، وهما من أفضل وأقوى الذين ردوا على هؤلاء الجهمية، ما سمعنا (لا يرحمه الله) أو (يذهب إلى سقر)، أو هذه الأشياء منهم، بل هذا مسلم أخطأ، لا نقره على خطئه ونرجو له المغفرة.

فأنا إذا كنت لم أقل (ابن حزم رحمه الله) فلا أقصد ترك الترحم عليه، بل أقول: ابن حزم رحمه الله وابن الجوزي رحمه الله، ونسأل الله أن يغفر لنا ولهم.

مفهوم العزلة والحصار للتفرغ لطلب العلم

السؤال

هل المقصود بالعزلة والحصار وعدم الاختلاط بالناس من أجل التفرغ لطلب العلم؟ وهل يلزم طالب العلم عدم الوعظ حتى يكون متمكناً في أبواب العلم؟

الجواب

ليس معنى كلامي أن يعيش المرء أخرس، المتأمل في جملة الكلام يرى أن بعضه يكمل بعضاً، لما قلت: إن طالب العلم ينبغي أن يضرب على نفسه حصاراً ذكرت من الأمثلة أنه يضيع الليلة في الجدل، هذا هو الحصار الذي أقصده، لكن رجل يرى شيئاً من المنكرات وبإمكانه أن ينكر فلا يقال له: انتظر حتى تتضلع من العلوم ولا تتكر لا، لأن المسألة واضحة، رجل لسانه طلق وبإمكانه أن يقول كلمة يذكر بها غافلاً، فهذا يجب عليه أن لا يتأخر؛ لأن هذه ليست فتوى ولا يترتب عليها شيء.

نحن في باب الفتوى نقول: لا؛ الإنسان لابد أن يتضلع من العلم، على الأقل في المسألة التي يفتي بها؛ لأن العلم يتجزأ، فإذا تصدى لموضوع ما يتقنه، فله أن يتكلم فيه، لكن ليس له أن يتكلم مطلق التكلم إلا إذا تضلع بالعلم جملة، فلا يفهم من كلامي أنني أقول: إنه لا يحل لأحد أن يتكلم ولا يعظ ولا ينكر ولا هذه الأشياء لا، أرجو أن يكون هذا واضحاً، أعني خذ كلامي جملة واحدة، فلربما صاحب السؤال كتبه قبل أن أتم كلامي.

ضرورة حضور طالب العلم حلقات العلم وعدم الاكتفاء بالقراءة المنفردة لكتب العلم

السؤال

كثير من الإخوة يريدون أن يطلبوا العلم، وفي سبيل ذلك فإنهم يعتزلون الناس ويتفرغون لقراءة الكتب، حتى إنهم يمتنعون عن نصح الجاهل وإرشاده إلى ما يجب

عليه من أمور دينه بحجة أنهم لم يتعلموا بعد، ومن جانب آخر يسأل بعض الشباب عن كيفية البدء في طلب العلم، وكيف يبدأ في دروس الفقه والحديث والعقيدة، إلى غير ذلك، فالسائل يريد أن يضع قدمه على أول الطريق في طلب العلم أرشدنا جزاك الله خيراً؟

الجواب

قلت سابقاً: إن هذه الحلقات لأبد منها، ولكن لا تجد أحداً قط حصلَ قدرًا كبيراً من العلم اعتمد فقط على مثل هذه الحلقات، بل لا بد من البحث الشخصي، ولابد من التعب، فإن التدريس في الحلقات يفتح لك الباب، فتتوفر لك الفرصة لتصحيح ما تقرأ، أما أن يأتي الرجل ليسمع فقط لا غير، لا يقرأ ولا يجهد نفسه ولا يلخص هذا لا يمكن أن يحصل على علم كثير، فهذه الحلقات هي المفتاح لاسيما في هذا العصر.

سمعت شخصاً يقول: الشيخ بخمسة ريلات، فأقول له: ماذا تعني بقولك: الشيخ بخمسة ريلات؟ فيقول: أي شيخ ممكن يكون عندك في بيتك بخمسة ريلات -يعني الشريط- وترجعه كما تريد، وتأخذ آخر، وتسمع كما تريد، وقد لا تستطيع أن تستوضح مسألة من الشيخ في الجلسة لكن في الشريط ممكن تسمع الدرس أكثر من مرة، فالشريط هذا كأنه نصف شيخ.

طبعاً في مسألة الملازمة والأدب الشريط لا يعلم؛ لأن الشريط شأنه شأن الكتاب، فلزوم حلقات أهل العلم يستفيد الإنسان بها الأدب الذي هو زين العلم، فهناك بعض المشايخ شرحوا كتباً كبيرة، بإمكان الإنسان أن يأتي بالكتاب ويسمع الشريط، هذا إذا تعذر عليه أن يوافق شيخاً على عقيدته، أو يجد شيخاً متضلعاً بالكتاب والسنة، فهذه الحلقات لأبد منها.

ولأن العزلة وهذا شيء أنا جربته وبلوته- غير محمود، ومسألة الانكباب على الكتاب وعدم الذهاب حتى لإخوانك من طلاب العلم، فتكلمهم وتناظرهم، وتأخذ ما عندهم من الفوائد، فطالب العلم الذي يعتمد إلى هذا السلوك يخسر كثيراً جداً.

بعض إخواننا يقول: كثيراً ما قرأت ونسيت، فكيف أحفظ؟ فلماذا نسي؟ لأنه وهو يقرأ ليس له هدف، فلو أن الكلام الذي سيقروء يريد أن ينفع به بعد ذلك لن ينساه، إنما إذا قرأ لمجرد القراءة قد يفهم، لكن إذا ترك القراءة ثلاثة أيام ينسى الذي قرأه، فمعظم الذين ينسون ما يقرءون ليس لهم هدف تعليمي، وما المانع يا أخي! أن تطمع في فضل الله عز وجل، وأن تدعو الله عز وجل أن يجعلك للمتقين إماماً؟! فما عرفنا أحداً من العلماء كان يظن أنه سيصل في نهاية حياته إلى مرتبة الإمامة، فلم تحتقر نفسك؟ فالإمام أحمد أو الإمام يحيى بن معين أو الإمام البخاري لم يرد عن أحد منهم أنه كان يظن أنه سيصل إلى هذه المرتبة، ولذلك تجد في تراجم هؤلاء العلماء أن تاريخ ميلادهم قد يكون مجهولاً، لكن تاريخ وفاتهم معلوم عندنا بالساعة والثانية، ويرجع ذلك إلى أن الواحد منهم يوم ولد ولد كآلاف المواليد، لا أحد يعرف يومها هل سيكون نجيباً؟ هل سيكون إماماً؟ هل سيكون صالحاً؟ هل سيكون فاسقاً؟ لا أحد يعرف، لذلك لم يهتم أحد بتدوين تاريخ ميلاده، حتى صار إماماً فعرف تاريخ وفاته، فكل واحد لما وصل للإمامة في آخر حياته ما كان يظن قط أنه سيصل.

لذلك لا تحتقر نفسك، وسل الله تبارك وتعالى أن يجعلك للمتقين إماماً، أول ما تجعل هذا الهدف أمامك كل علم ستستفيد منه، ولن تقرأ شيئاً في باب من أبواب العلم إلا وتستفيد منه، فكن غواصاً في المعاني، فالغوص في المعاني يحتاج إلى تهيئة سابقة.

الإمام الشافعي رحمه الله قال: حديث ذي اليمين فيه سبعون باباً من العلم.

وحديث ذي اليمين هو الذي جاء فيه قوله للرسول صلى الله عليه وسلم: (أقصر الصلاة أم نسيت؟ قال: لم تقصر ولم أنس).

ثم التفت إلى الناس، قالوا: صدق ذو اليمين؟ قالوا: نعم، فصلى ركعتين وسجد للسهو) فهذان السطران كتب فيهما الحافظ صلاح الدين العلائي مجلداً ضخماً، اسمه "نظم الفرائد لما في حديث ذي اليمين من الفوائد" استخرج منه جملة من العلوم والفوائد، فكيف يحصل الإنسان هذا؟ يمكنه ذلك بالغوص في المعاني، وحضور دروس المشايخ، الاختلاط بإخوانه من طلاب العلم.

كان الزهري رحمه الله أول ما يسمع من سعيد بن المسيب أو من أبي سلمة بن عبد الرحمن أو غيره من المشايخ يأتي الدار في الليل فيوقظ جاريته، ويجلسها، ثم يقول: حدثني سعيد بن المسيب قال: حدثني أبو هريرة ويسوق الأحاديث، فتقول: يا سيدي! ما لي وما لسعيد؟! فيقول لها: آفة العلم النسيان وحياته المذاكرة، وأخشى أن أنسى.

أيقظها من أجل أن يسمعها الأحاديث؛ لأنه يخشى أن ينسى إذا لم يجد من يذاكره، لذلك تجد المنغلق على نفسه أكثر الناس نسياناً لماذا؟ بسبب عدم وجود من يذاكرهم.

حكم لبس النقاب

السؤال

هل النقاب فرض أم سنة مؤكدة، وإذا كان فرضاً فنرجو أن تذكر بعض الأدلة؟ ولماذا اختلف العلماء فيه مع أن الفرض لا يختلف فيه؟ وإذا كان سنة مؤكدة فهل علي إثم إذا ارتديته ثم خلعته؟

الجواب

بالنسبة للنقاب للعلماء فيه قولان: القول الأول: باستحباب النقاب، وهذا القول معناه: جواز كشف الوجه.

والقول الآخر: بوجوب ستر الوجه، وهذا معناه: وجوب النقاب.

وأنا لا أريد أن أقف طويلاً على هذين القولين، لكن أقف على ما هو أهم، وهو ما ورد في سؤال السائل: إذا كان فرضاً لماذا اختلفوا فيه؟ فنقول: إن الأدلة إما أن تأتي

بالأمر المباشر المجرد، ولا يكون هناك صارف، فهذا لا خلاف بين جماهير العلماء على أنه يفيد الوجوب.

والخطاب من فوق إلى تحت: فيه الأمر الذي يفيد الحتم والإلزام.

والخطاب: من تحت إلى فوق: طبيعته التوسل.

والخطاب من الند إلى الند: مطلق الطلب.

مثلاً: إذا قال الرئيس لأحد مرءوسيه: لا تخرج من هذا الباب وأخرج من ذاك، أو قال له: أخرج من هنا.

فهذا فعل أمر، فإذا خالف المرءوس وقال: أنا فهمت من كلامك أن أخرج من أي باب أحب.

إذاً: ضيع الأمر.

ولو قلت لابنك: ذاكر! فقال لك: (ذاكر) هذه أنا أفهمها ذاكر أو العب أنت حر إذاً: ضيع الأمر.

فطبيعة الأمر من فوق إلى تحت أنه يفيد الحتم والإلزام؛ لأنه فوق، وهناك هيمنة وسلطة.

وطبيعة الأمر من تحت إلى فوق تفيد التوسل، فأنت مثلاً إذا دعوت الله عز وجل فقلت: (رب اغفر لي).

(اغفر) فعل أمر، هل أنت تأمره أن يغفر لك أم تتوسل إليه؟! هذا توسل، فلما تقول: (رب اغفر لي، رب ارزقني، رب اجبرني، رب عافني) كل هذه أفعال أمر لكنها تفيد التوسل.

وإذا كان لك نظير وند فطلبت منه شيئاً؛ فيكون هذا على سبيل الطلب، كما قال علي بن أبي طالب في الأقسام الثلاثة هذه: (أحسن إلى من شئت تكن أميره، واستغن عن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره).

إذاً أحسن إلى من شئت، ويد المحسن هي العليا.

إذاً: طبيعة الأوامر من الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم تقتضي الإلزام، وأنه لا خيار لك في ترك الفعل، هذا النوع الأول من الأوامر.

والعلماء متفقون على أن هذا النوع يفيد الوجوب ولا خيار لك، لكن إذا جاءك أمر من فوق ألا تفعل، وجاءك أمر من فوق افعل، فثبت الأمران من فوق، يقول العلماء: إن هذا يدل على جواز الفعل أو الترك، فالرسول عليه الصلاة والسلام مثلاً قال لـ عمر: (يا عمر! لا تبلى قائماً) إذاً: هذا يدل على النهي عن البول قائماً، ورغم ذلك رآه حذيفة بن اليمان يبول قائماً، فكيف ينهى عن الشيء ويفعل عكسه؟! العلماء قالوا: الفعل هذا يدل على أن النهي لا يفيد التحريم، إنما ينزل تحت- يفيد الكراهة، إذاً: الجواز لا ينافي الكراهة، إذاً: فعل النبي صلى الله عليه وسلم يدل على الجواز إذا أمن العبد الرذاذ -رذاذ البول- واستدبر الريح واحتاط لنفسه، ولا تبلى قائماً إذا كان المكان صلباً أو الريح تأتي عليه فيخشى أن يأتي عليه الرذاذ إذاً: كل حديث له ظروف وملابسات.

فنحن نقول في مسألة النقاب: وآية الأحزاب ظاهرة في مسألة النقاب: أن المرأة يجب عليها أن تغطي وجهها، لكن وردت أحاديث أخرى فيها ما يدل على أن المرأة كانت كاشفة لوجهها.

فالعلماء الذين قالوا باستحباب تغطية الوجه يعني: بجواز كشف الوجه واستحباب النقاب- ما قالوها تشهياً من عندهم، إنما صرفوا الوجوب عندهم بدليل، مثل حديث جابر بن عبد الله لما قال: (جاء النبي صلى الله عليه وسلم في يوم العيد وقال: يا معشر النساء! تصدقن؛ فإني رأيتكن أكثر أهل النار).

فقامت امرأة سفعاء الخدين وقالت: لم يا رسول الله؟ إلى آخر الحديث، فقوله: (سفعاء الخدين) يدل على أن خدها كان مكشوفاً، وإلا ما عرف جابر أهي شوهاء أم حسناء.

وكذلك حديث أن الفضل بن العباس كان خلف النبي صلى الله عليه وسلم، وجاءت امرأة عند المنحر تسأله، وكان المرأة وضيئة وكان الفضل كذلك، فجعل الفضل ينظر إليها وتتنظر إليه، فيلوي النبي صلى الله عليه وسلم عنق الفضل، فيرجع فينظر، فيلوي عنقه، فيرجع فينظر، فيلوي عنقه، فقال العباس: يا رسول الله! لويت عنق ابن عمك.

قال: (رأيت شاباً وشابة، فلم آمن الشيطان عليهما) إلى آخر هذه الأحاديث.

فالخلاف في هذه المسألة خلاف معتبر، لكن طائفة من العلماء الذين قالوا باستحباب النقاب قالوا: إذا كان الزمان زمن فتنة فيجب عليهما أن تستر وجهها.

إذاً: نحن -نسأل الله عز وجل العافية- في زمان كله فتن، ونتجاوز مثل هذا الأمر ونقول للمرأة: إذا كان هذا يدنيك من الله عز وجل شبراً واحداً فلا ينبغي للمرأة العاقلة أن تقصر فيه، رب حسنة واحدة يحتاج إليها العبد، ويقرع سنه ندماً أنه ما تبسم في وجه أخيه لكان حصل على الحسنة هذه، أو كان أفضى من دلوه في دلو أخيه كان حصل على هذه الحسنة، فنحن في سباق إلى الله تبارك وتعالى، والعاقل هو الذي لا يركن إلى قولهم: مستحب؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يبتدرون الأمر.

والله أعلم.

حكم وضح الخطوط في المساجد لتسوية الصفوف

س

السؤال

ذكرتم في شريط بعنوان (الأخذ بالأسباب) أن وجود الخط في المساجد لتسوية الصفوف من البدع؟

الجواب

نعم.

أنا قلت هذا، وما أدري هل الأخ السائل سمع الشريط بإتقان، أنا بسطت الحجة في هذا الشريط، والحجة باختصار: أن هناك قاعدة عند العلماء تقول: (إذا كان للشيء مقتضى على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفعله فلا يجوز لنا فعله، أما إذا كان الشيء ليس له مقتضى على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وليس هناك نهي خاص به، وفيه مصلحة للمسلمين؛ فيجوز لنا فعله).

القاعدة مبهمة -طبعاً- ومغلقة بهذا السرد، لكن أنا أوضحها بمثالين: وضع الخيط لماذا وضعناه؟ لتسوية الصف.

حسناً تسوية الصف هذه مهمة من؟ مهمة الإمام، ما شددنا الخط على الأرض إلا بعد أن أهمل الإمام مهمته، تجده يقول: استووا.

وقفاه للمصلين، والسنة: أنه لا يقيم الصلاة إلا إذا مر على الصفوف، ويرسل أحداً يكمل، حتى إذا قال له: استوت الصفوف؛ يصلي.

وهذا الحكم ورد في صحيح البخاري في حديث عمرو بن ميمون الأودي وهو يروي قصة مقتل عمر بن الخطاب، وهذا الحديث تجدونه في الجزء السابع من فتح الباري في مناقب عمر بن الخطاب، قال: (وحتى قال عمر: (استووا، وأرسل من يسوي الصف، حتى إذا قالوا له: استوى الصف، كبر، فما هو إلا إن قرأ حتى قال: طعنني الكلب، أو قال كلمة نحوها) فهذا تلقاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الرسول عليه الصلاة والسلام.

فالإمام هو الذي ينبغي أن يساوي الصف، فلما أهمل الإمام مهمته، ولم يقيم بما أوجبه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تسوية الصف وغير ذلك؛ بدأنا نفكر في ضبط الصف بأن نشد خطأ على الأرض.

حسناً: أليس كان بمقدرة الرسول عليه الصلاة والسلام أن يشد حبلأ أو يخط خطأ على الأرض؟ كان بمقدرته أن يفعل ذلك.

حسناً: هل كان مقتضى الخط موجوداً؟ نعم.

وهو تسوية الصف؛ لأن شد الخط للتسوية، فالتسوية هي مقتضى شد الخط أو شد الخيط، إذأ: كان له مقتضى، وكان مقدوراً له أن يفعله ومع ذلك لم يفعله، فدل ذلك على أنه لا يجوز لنا أن نفعله، إذ لو كان جائزاً لفعله من قبلنا.

أما إذا كان لم يكن للشيء مقتضى على عهد النبي عليه الصلاة والسلام، ولم يكن هناك نهى خاص عنه، ولنا فيه مصلحة، فهذا جائز لنا فعله، مثل: إشارة المرور، فإشارة المرور هذه كان لها مقتضى على عهد النبي صلى الله عليه وسلم؟ لا؛ لأنه لم يكن هناك سيارات، ولم يكن هناك طرق معبدة ولا مرصوفة، إذأ: فإشارة المرور لم يكن لها مقتضى، فهل ورد تحريم أو نهى عنها؟ لا.

لم يرد نهى عنها.

فهل تسبب لنا مصلحة؟ نعم.

إذأ: يجوز فعلها، وهذا هو الفرق بين البدع وبين المصالح المرسله والله أعلم.

حكم مرتكب المعصية المصر عليها

السؤال

بعض أهل العلم يقولون بكفر فاعل المعصية المصر عليها، وأن التوبة شرط
لكي يعود مسلماً من جديد؟

الجواب

أما الرجل المصر على المعصية، وهو يعلم أنها معصية فهذا مستحل، وهذا
كفره ظاهر، كأن يقول: الربا أنا أعلم أنه حرام لكنني سأكله، والزنا حرام لكنني
سأفعله هذا واضح الاستحلال فيه، فلا شك في كفر مثل هذا الرجل.

أما مسألة المعصية غير المصر عليها فلا يكفر بها بطبيعة الحال، وهو مسلم
حتى وإن عصى، فكلما يرجع للإسلام من جديد إذا كان قيد الكلام بالاستحلال فهذا
لا شك فيه، رجل استحل المعصية وهو يعلم أنها معصية وفعلها واستحلها هذا يكفر
ويخرج من الملة؛ حتى يرجع إلى الإسلام ولا بد أن يتوب ويغتسل وينطق
بالشهادتين، ويرجع إلى الإسلام من جديد والله أعلم.

نقد كتاب: العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي

السؤال

ما رأيكم في كتاب "العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي"؟

الجواب

هذا الكتاب يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة.

والحقيقة يؤسفني كثيراً أن الكاتب لم يكن أميناً في النقل، أحياناً يأتي بعبارات
يقتصها من سياق الكلام، ولا تؤدي المعنى الذي لو وضعه في السياق لتغير المعنى.

وهو ليس من الكتب الموثقة التي يرفع المرء لها رأياً والله أعلم.

والمسألة فيها اجتهاد، وتحتاج إلى يقرأ الإنسان الكتاب ويتمهل.

حكم تقديم الهداية بمناسبة مرور سنة من العمر

السؤال

هل يجوز تقديم الهدايا بمناسبة مرور سنة من العمر بدون أي احتفالات؟

الجواب

طيب، أنا سأقول لكاتب هذا السؤال: رجل دنا من أجله سنة يبكي أم يفرح؟! إنا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم يدنينا من الأجل كل يوم يمر أنت تقترب من أجلك، فينبغي أن تحزن وتحذر، سأل الفضيل بن عياض رجلاً، قال: كم مضى من عمرك؟ قال: مضى ستون عاماً.

قال له: أنت منذ ستين سنة وأنت سائرٌ إلى الله.

فانتعش الرجل وقال: إنا لله! وما العمل؟! لأنه ما عنده خبر أنه راحل إلى الله عز وجل، قال: وما العمل؟ قال: أحسن فيما بقي يغفر الله لك ما قد مضى، لأن الأعمال بالخواتيم.

فالرجل عندما تمر عليه سنة ينبغي أن يحاسب نفسه: ماذا فعلتُ لله تبارك وتعالى؟ هل أنا فعلاً أعددت لهذا الموت؟ سيجد النتيجة بكل أسف! - أنه غافل، فهذا ينبغي له أن يبكي، لا أن يحتفل، وبأي شيء يحتفل؟! المفروض أن يبكي ندماً على ما فرط من عمره.

وأنا أقول لك: اعمل لله ومت حيث شئت، كن عاملاً لله عز وجل وانتظر الموت.

نسأل الله عز وجل أن يحسن خاتمتنا وإياكم أجمعين.

الأصل في المسلم الإسلام ما لم يأت بنقض

السؤال

رجل يرى أن يتوقف في الحكم على رجل يصلي بالكفر أو بالإسلام مع أنه يصلي تنفلاً نرجو أن توضحوا هذه المسألة؟

الجواب

الأصل في الناس الإسلام، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة) ولقول الله عز وجل: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا} [الأعراف: ١٧٢] ولقول الله تعالى في الحديث القدسي: (إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين).

فالأصل في الناس الإسلام، فلا يجوز أن ينقل رجل عن هذا الأصل إلا بناقل، والناقل: أي كفر ناقض للتوحيد ينقل، وهذا الناقل عن التوحيد قد يكون صريحاً جداً وقد يحتاج إلى تأويل، فإذا وجدت رجلاً لا أعرفه، جاء فدخل المسجد فصلى، فهذا لا يجوز ألبة أن تتوقف في الحكم له بالإسلام، إذا كان الأصل هو الإسلام، ثم أتى بما يدل على أنه مسلم، فكيف تتوقف في الحكم له بالإسلام؟! بل لو رأيت أنه يفعل أفعال الكفر فلا تكفره حتى تعلم لماذا فعل، كأن تكون رأيت رجلاً يسجد لصنم، الفعل كفر بلا شك، والسجود لغير الله كفر، لكن ليس بلازم أن يكفر الفاعل؛ لاحتمال أن يكون جاهلاً بالقضية، ولا سيما إذا كنا في زمان ليس فيه علماء السنة، الجهل رأيت ترفرف خفاقة في كل مكان، فمظنة وجود العلم صحيح فحينئذ نسأل، هناك بعض الناس يقول: هل هذه القضية تحتاج إلى بيان؟ أقول لك: نعم، لأن هناك ما هو أطم من ذلك.

رجل عمره ستون سنة، وهو يصلي منذ خمسين سنة، لكنه يعتقد أن الاستنجاء لا يكون إلا من الغائط أما إذا تبول فليس ضرورياً أن يستنجي! فكان يبول ولا يستنجي، ويدخل يتوضأ ويصلي، أظن أن هذه المسألة من الذي يتردى فيها؟ إنك لتتألم أن ترى المفارقات العجيبة في بيئة الجهل وفي زمان الجهل.

قد يسجد رجل لرجل، ويرى أن هذا من باب الإكرام، جاهل! بعض علماء السوء من أصحاب الطرق الصوفية، قالوا: إن هذا لا إشكال فيه، أن يقبل الأرض، ولذلك يقولون: (قف أدبا قف أدبا وقبل الأرض إن الشكر قد وجباً)! هم يقولون هكذا، إذا زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم، من الذي يقول هذا الكلام؟! من الذي سن للمسلم أن يذهب فيقبل الأرض عند الرسول عليه الصلاة والسلام؟! هذا شخص قد نظمها شعراً، ونظر أن هذا من الأدب، وهم يقولون: هذا من المريدين الجهلة، الذين لا يعرفون أبجديات التوحيد، فشخص من هؤلاء يعتقد أن هذا هو دين الله عز وجل، وأن العلماء الربانيين هم العلماء له، فهو ما فعل ذلك لا كفراً ولا رضاً بالكفر، لكن يظنه بنظرة الجاهل أن هذا هو الحق.

فنحن عندما نرى رجلاً يفعل هذا، نقول له: أنت ما حملك على أن فعلت ذلك؟ يقول: أنا فعلته أدباً واحتراماً.

قل له: يا أخي! لا تفعل، لأن السجود لا يكون إلا لله.

لكن إذا قال لي: أنا أعبدك، أجعلك إلهاً.

نقول: هذا كفر، وأنت كافر فاخرج من هذا!.

الرسول عليه الصلاة والسلام لما جاء معاذ بن جبل من الشام، ووجد الناس يسجدون لأساقفتهم، قال: ماذا تعملون في الرجال؟ قالوا: نوقرهم ونحترمهم، قال: هؤلاء أهل النار تحترمونهم، والرسول صلى الله عليه وسلم لا نحترمه، فهو أولى أن نحترمه، فجاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فأول ما رآه خر ساجداً! قال: (ما هذا يا معاذ؟) قال: يا رسول الله! إن أهل الكتاب يسجدون لأساقفتهم، فأنت أولى أن أسجد

لك، قال: يا معاذ! إن السجود لا يكون إلا لله، ولو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها).

فانظر الرسول عليه الصلاة والسلام عندما يرى مثل هذا الفعل -وهو فعل كفري بلا شك- فيستفسر منه لماذا فعلت؟ إذا: الرجل إذا لم يأت بناقض للإسلام، بل أتى بما يعضد إسلامه -والأصل أنه مسلم- فلا بد أنك تتوقف في الحكم عليه، هذه هي بوابة التكفير، وخالف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

حكم لبس القميص والبنطلون

السؤال

هل لبس القميص والبنطال حرام؟ إن كان حراماً فأت لي بالدليل؟

الجواب

بالنسبة للباس البنطلون الشيخ الألباني رحمه الله يقول: إن لبسه حرام؛ لأنه ليس من أزياء المسلمين، إنما جاءنا من الكافرين، أضف إلى ذلك أن البنطال يجسم العورة، ولذلك أفتوا -حتى الذين يقولون بعدم حرمة البنطال- بكراهة الصلاة في هذا البنطلون لهذه العلة: أنه يجسم العورة.

الشيخ ابن باز بلغني عنه أنه قال: إن هذا جائز لماذا؟ لأن هذا مما عمت به البلوى في ديار المسلمين، فهذا جائز لكن تكره الصلاة به للعلة السابقة.

فأنت إذا اضطررت إلى لبس البنطال لتذهب الجامعة أو إلى العمل -ولا يسمحون لك إلا بذلك- فلا جناح عليك أن تذهب به، لكن إذا رجعت إلى بيتك فاخلعه والباس قميصاً، فالعلماء الذين يقولون: (الضرورة تبيح المحظورات)، يضيفون قاعدة فقهية أيضاً إلى جنب هذه، فيقولون: (الضرورة تقدر بقدرها).

يعني: الضرورة تبيح المحظورات ليست على إطلاقها، رجل عطشان سيموت من العطش وبينه وبين الماء كيلو متر مثلاً، فأمامه خمر، فالعلماء يقولون: لا يجوز له أن يشرب الخمر كله ويملاً بطنه ولكن يشرب من الخمر بقدر ما يوصله إلى الماء، وكذلك إذا أكل الحرام يأكل بقدر ما يوصله إلى الطعام الحلال؛ لأن الضرورات تبيح المحظورات ليس على إطلاقها، إنما تقدر هذه القاعدة بقدر الضرورة وحجمها وزمانها والله أعلم.

معنى قوله سبحانه: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}

السؤال

ما معنى قول الله عز وجل: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان: ٤٩]؟

الجواب

إذا قرأ سياق الآيات يعرف مباشرة أن هذه إهانة: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان: ٤٩] أي: يا من كنت تدعي العزة والكرامة -وكانت لك في الدنيا- ذق، فهل لك من عزة أو كرامة الآن؟! والعلماء يقولون: إن هذا أحد أدلة التعريض والغمز، نحن نعلم أن الترخيم يدل على اللطف، عندما أقول لك مثلاً: أسامة، فأناديك: يا أسيم، وعائشة، كان النبي صلى الله عليه وسلم يناديها: يا عائش.

الترخيم: هو حذف جزء من الكلمة، والمقصود به التلطف، لكن لو وجد في السياق إهانة فنحن نقول: إنه ليس على سبيل الكرامة بدليل السياق، يعني: قول الله عز وجل في الحديث القدسي الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يسأل رجل يوم القيامة، فيقول الله عز وجل له: أي فل! ألم أدرك ترأس وتربع، وأزوجك النساء وأكسبك الخيل؟ فأين شكرك؟ قال: أي رب! نسيت، فقال: فاليوم أنساك).

فقول الله عز وجل: (أي فل) اختصار لـ (فلان) وهو ترخيم، فالسياق هو الذي يوضح المعنى، إذا كان المقصود به إكرام أو المقصود به إهانة.

وهذا مثل نضربه في هذا البحث: كان هناك شخص ذكي جداً بعث لأهله علبة كبريت أيام اختراع الكبريت، وقال لهم: هذا اختراع حديث وجميل، بدلاً من أن تضربوا حجرين ببعض لتخرج شرارة لأجل أن تشعلوا بها فلا تستدركونها، هذا عود كبريت وبأقل احتكاك ينتج حرارة لا بأس بها، فالناس التفوا حول علبة الكبريت وظلوا يشعلون أعواد الكبريت عوداً عوداً، فلم يشتعل شيء، فأبلغوه أنه لم يشتعل أيّاً من هذه الأعواد، فاستغرب وقال: كيف يحدث هذا، أنا جربتها عوداً عوداً!! (إذاً: هذا ذكي جداً) فهل أنا قصدت ذكي جداً أو قصدت غبي جداً؟ فالذي عرفني أنه غبي جداً القصة التي أوردتها، فإذاً: هذا اسمه: (باب التعريض والغمز).

أنت عندما تسمع كلمة ظاهرها الكرامة وتتنظر إلى سياقها، تعرف إذا كان السياق يخدم ظاهر الألفاظ أو كان العكس، والله أعلم.

حكم تنظيم النسل

السؤال

ما حكم اتخاذ وسيلة لتنظيم النسل بعد السنتين؟

الجواب

هذا جائز؛ لأن هذا قائم مقام العزل، والعزل جائز بلا شك.

حكم إزالة الشعر من وجه المرأة

السؤال

إزالة الشعر من لحية المرأة وشاربها هل يدخل في النمص المنهي عنه؟

الجواب

المسألة فيها ثلاثة مذاهب، وأرجح أقوال العلماء هو: أنه يجوز للمرأة أن تأخذ شعر وجهها إذا كان لها لحية أو كان لها ما يشبه ذلك، وخص أكثر العلماء النهي بما في الحاجبين وما بينهما، أما إزالة الشعر سائر جسمها ووجهها فهذا على رأي أكثر العلماء جائز، والله أعلم.

حكم مس الجنب والحائض والنفساء للمصحف

السؤال

ما حكم مس المصحف من الجنب أو الحائض والنفساء؟

الجواب

الذي عليه جماهير العلماء منع مس هؤلاء للمصحف، لكن يجوز للجنب والحائض والنفساء أن يقرءوا القرآن وأن يجري على ألسنتهم، هذا لا شيء فيه لكن بدون مس.

نصيحة للنساء اللاتي منعن من النقاب في المدارس والجامعات

السؤال

ورد أكثر من سؤال عن النقاب وأن المنتقبات منعن دخول المدارس والجامعات، وما هي النصيحة التي ننصحها للمنتقبات في مثل هذا؟

الجواب

نحن نقول للأخوات المنتقبات: أنتن على ثغر من ثغور الإسلام، والحرب دائرة على كل الجبهات، حتى النساء دخلت أيضاً في المعارك، فلا ينبغي للمرأة المسلمة أن تخذل إخوانها من المسلمين لاسيما إذا كان الأمر منوطاً بها.

نحن نقول للفتاة المسلمة: لا تتردد على الإطلاق في ترك الجامعة إذا خيرت بين نقابها وترك الجامعة، لا تتردد على الإطلاق في ترك الوظيفة إذا خيرت بين الوظيفة والنقاب، وكذلك المدارس، ولا تتردد البنت على الإطلاق لماذا؟ لأن النقاب ليس مجرد ستر الوجه، النقاب أصبح علامة، فنحن نناشد الأخوات بالله تبارك وتعالى أن لا يشمتن بنا الأعداء، وليقبلن هذا التحدي.

وآخر الأسئلة التي عرضت علي هذا الأسبوع أن رجلاً وامرأته ضربوا ابنتهم المنتقبة حتى سببوا لها آلاماً شديدة ولياً في الذراع، وقالوا لها تهديداً: لن تذهبي إلى الجامعة.

فقلت: أنا أَرْضَى ألا أذهب إلى الجامعة.

فلما قالت هذا الكلام انهالوا عليها ضرباً أيضاً لماذا؟ لأنها أصبحت في السنة الثالثة في الجامعة أو السنة الثانية، وهي مصرة على ألا تخلع نقابها! نحن نقول للآباء: لماذا تفعلون ذلك؟! لهم حجة واهية، وهي: أنه لا تلبس النقاب حتى تتزوج لماذا؟ لأنها إذا انتقبت فلن يتقدم لها خطاب.

والحقيقة أن النقاب أسرع وسيلة للزواج الآن، الذي يريد أن يزوج ابنته مثلاً وما أتى إليه أحد ينقّبها؛ لأن الخمار لم يعد علامة الالتزام الآن، تجد المرأة المختمرة

يتقدم لها الإنسان المدخن، والإنسان الذي لا يصلي؛ لأن الخمار لم يعد علامة الالتزام، إنما الذي يذهب إلى المنتقبة صنف واحد فقط.

أنا لا أتصور في عقلي ولا أتصوره أيضاً في عقولكم أن يذهب رجل لا يصلي ويتزوج منتقبة، إذًا: المرأة المنتقبة تحفظ نفسها وتختار زوجها من خلال النقاب، لأن الذي سيتقدم لها إنسان يتقي الله تبارك وتعالى، إنسان وجهته معروفة، وهي بذلك تحصن نفسها، لأن النقاب وسيلة لتحسين النفس، وهذه نصيحة للمرأة.

أما هؤلاء الآباء الذين يجبرون بناتهم على خلع النقاب لأجل هذه العلة فنقول لهم: إن الزمان استدار، وأضرب لكم مثلاً: شخص ترك الوظيفة وذهب ليعمل في عمل استثماري، قال: إن مرتبه وصل إلى ألف وسبعمائة جنيه، في حين أن الوظيفة كان راتبه فيها ستة وسبعين جنيهًا، فترك الوظيفة بلا تردد -وهذه الواقعة أعلمها- فبكت أمه وقالت: يا ابني! هل يوجد أحد يترك مرتب الحكومة؟! يعني: أنت لو أنك الآن وأحببت أن تسافر، فهؤلاء الناس لن ينفعوك، لأن هذه القصة وهذا الكلام كان في الستينيات، يجد أن العملات تتغير، صح النوم! والدنيا تغيرت، المعاش والكلام هذا الذي فات لم يصبح له قيمة على الإطلاق أبدًا، يعني: هو سيأخذ من راتب شهرين أو ثلاثة أشهر رواتب سنتين في الحكومة، تجد بعض الناس يفكر بهذه العقلية، ولا زالوا أيضاً يفكرون بالنسبة للبنات بالعقلية القديمة، أنه على الدرجة الخامسة أو السادسة أو السابعة، ومعروف أن كل هذه الدرجات لا قيمة لها، كانت في الماضي درجات أما الآن فهي دركات.

فلذلك نحن نقول: إذا كنتم تطمعون في الدنيا فهاهي، الدنيا لهم وللمنتقبات أيضاً، إذًا: لا داع لهذا الضغط، المرأة العفيفة التي استترت وحجبت نفسها رغبة إلى الله ورسوله لا ينبغي للأب أن يكون حجر عثرة.

فأنا أقول للآباء: لو أنك في الآخرة من الصالحين، وأنت ستدخل الجنة مباشرة، ربما تدخل النار بسبب ابنتك، لأنها أمانة في عنقك، أليست الزوجة أمانة في عنقك، أليس الأولاد في عنقك؟ فمن عجب رجل أن يصير رجل على دخول النار، وأن يعرض نفسه للمساءلة، فالاعتناء بالبنات يرفع عنك المساءلة، ويخفف عنك الحساب، فهي ابنة بارة بك ينبغي أن تقدرها.

لا زلنا نقول: حربنا مع العلمانيين حرب ضروس، والحمد لله رب العالمين كسبنا كل الجوانب، ما خسرنا ولا جولة حتى الآن، وهذا الكم الهائل الذي نراه في المحاضرات ليس جهد الدعاة، جهد الدعاة لا يمكن أن يسفر عن هذا العدد أبداً، إنما هو الله عز وجل، هو الذي يرد الناس إلى دينهم رداً جميلاً، وإلا فالدعاة جردهم أضعف مائة مرة من أن يكونوا هم السبب في رجوع كل هذه الجماهير.

فالحمد لله! الانتصارات على كل الجبهات وعلى كل المحاور، لكن من طبيعة العلماني أنه يهضم انتصارك، ويبين أنك لم تعمل شيئاً، وأنت دائماً في تقهقر، ويصطنع انتصارات موهومة على جبهات أخرى، مثل عام (٦٧م)، يقول لك: وأسقطنا العدو مائة طائرة، وهم قد أخذوا العلكة المحترمة على الأرض! فلا يحتاجون أن يطيروا ولا يعملوا شيئاً لماذا؟ يقول لك: هذا لابد منه لرفع الروح المعنوية.

بيانات الحرب كلها كاذبة، المصائب والكوارث والزلازل والبراكين والسيول إلخ، كل الإحصائيات كاذبة وليس صحيحاً؛ لأنه لا يمكن أن يتطوع بذكر الرقم الحقيقي للمصائب، يقول لك: (النجاح له ألف أب، والفشل يتيم لماذا؟ لأنه لا أحد يتبناه ويقول: هذا لي، أبداً، لكن النجاح له ألف أب، كل إنسان يقول: أنا الذي صنعتها، فذلك المصائب، كلها لا والد لها، يتيمة.

فهم يصطنعون الانتصارات على جبهات موهومة، فيقوم أهل الحرب الذين ليسوا متحققين من المسألة أول ما تقع هذه الانتصارات الموهومة التي يذيعونها، وهم يملكون الإعلام مقروءاً ومسموعاً ومكتوباً، وعندهم القدرة على نشر كل الانتصارات على كل المحاور، قد يظنون أن هذا يفت في عضد أهل الحق، ويظنون أنهم خسروا جولات كثيرة.

نقول لهم: لا، لو تقاتل بقوتك أنا أقول لك: أنت ستهزم، نحن متأكدون من النصر؛ لأننا نحارب إلى جنب الله عز وجل، هذا يجعلنا متأكدين (١٠٠%) أننا منصورون، قد لا نرى النصر بأعيننا، وهذا ليس مطلوباً منا أن نرى النصر في حياتنا، إنما المطلوب أن تسلم الراية خفاقة لا تسقط، هذا هو المطلوب منك فقط،

طريق الدعوة طويل جداً، وهلك في أمم في طريق الدعوة إلى الله، ولا زال في الطريق بقية إلى الله عز وجل، والكل مات.

فالمطلوب أن تسلم الراية بأمان كما عظمتها من أول وهلة، لا تكن خائناً وتنفر، لكن اعط الراية إلى الذي يأتي بعدك.

فنحن نقول للأخوات المنتقبات: هي فتنة، ومن نصر الله عز وجل ورسوله في زمان الغربية ليس كمن نصره إذا جاء نصر الله والفتح.

حكم من علق اليمين بالحرام على زوجته إن دخلت منزله

السؤال

ما حكم من أقسم على زوجته أثناء مشكلة في منزل العائلة، أنها لو دخلت المنزل تكون محرمة عليه، ولكنه مع الضغط عليه من أقاربه وأقاربها دخلت المنزل مرة ثانية، وكان يريد أن ينفصل هو وهي عن الزواج فما حكم هذا؟

الجواب

صاحب القصة لا بد أن يسأل عن هذا السؤال؛ لأنه عندما أقول: أنت محرمة عليّ، فهذا كلامٌ يفتقر إلى نية، فنحن لا ندري أقصد الظهار أم قصد الطلاق، فالظهار حكمه معروف، والطلاق حكمه معروف.

وهذه من الألفاظ التي تحتاج إلى الاستفصال من المتكلم فيها ماذا قصد؟ وماذا عنى؟ إذا كان قصد الظهار فحكم الظهار معروف، أما إذا كان قصد الطلاق فيقع الطلاق بمجرد دخول المرأة إلى البيت.

حكم تعري الزوجين عند المباشرة

السؤال

ما رأيكم في تعري الزوجين عند المباشرة؟

الجواب

هذا جائز، وقد ورد في النهي عن ذلك أحاديث موضوعية: (لا يتجرد أحدكم مع زوجته تجرد العير -أو تجرد العيرين- فإن الله يمقت على ذلك) وهذا حديث مكذوب.

وأقول هذا جائز لما جاء في الصحيحين أن عائشة رضي الله عنها وهو في الصحيحين أن عائشة قالت: (كنت أغتسل مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن جنبان نختلف أيدينا في الإناء أقول له: دع لي، دع لي) والمعروف أن الرجل والمرأة لا يغتسلان بالملابس ونحو ذلك، وحديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (احفظ عورتك إلا من زوجك أو ما ملكت يمينك) فهذا جائز لا شك فيه.

المسافة الموجبة للقصر

السؤال

ما هي المسافة التي توجب القصر؟

الجواب

القول المشهور عند العلماء هو ما زاد عن (٨٠ كم)، ومسافة القصر تحتاج إلى دليل، لأن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أدخل مسألة القصر في العرف، وقال: ما كان في العرف سافراً فإنه يقصر، فلا بد من ضبط العرف، ما هو العرف الذي تخصص به الأدلة الشرعية.

لا تبحث الأحكام والحدود إلا ببينة

السؤال

ما هي شروط اتهام أي شخص بالسرقة أو خلافه؟ هل لا بد من وجود البينة أم لا؟ وهل هذه البينة تكون بورق أم بشهادة أشخاص؟ وما رأيكم في من يتهم الناس بغير بينة، وإنا لله وإنا إليه راجعون؟

الجواب

لا يجوز لأحد أن يتهم أحداً إلا ببينة: (البينة على المدعي واليمين على من أنكر) وهذه قاعدة فقهية متفق عليها بين العلماء، فكل التهم لا تكون إلا ببينة، والدعوى ما لم يقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء إذا: الدعوة إذا لم تقم عليها البينة يكون صاحبها دعياً لا يقبل قوله، لا عند القاضي ولا عند أي واحد ممن دونه أو ممن كان في منزلة القاضي أو كان في مكانه، وهذا شيء متفق عليه بين المسلمين، ولا نعلم أن قاضٍ من القضاة أنزل حكماً برجل إلا بعد أن يقيم الرجل المدعي البينة عليه.

حكم الموسيقى

السؤال

ما حكم الموسيقى؟

الجواب

الموسيقى حرام كلها حتى الدُّف، إلا في ما يتعلق بالضرب عليه للجواري في الأفراح؛ لأن الدفَّ من المعازف، والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول كما في الحديث الذي رواه البخاري معلقاً، ورواه البيهقي وغيره موصولاً: (ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحلُّون الحرَّ -الذي هو الفرج، بمعنى الزنا-، والحرير، والخمر، والمعازف).

فالمعازف معطوفة على بقية المحرمات، وكلمة (يستحلُّون): إشارة إلى أنها كانت حراماً، فاستحلوها، وجعلوها حلالاً.

ولهذا الحديث وغيره من الأحاديث الصحيحة اتفق العلماء على تحريم الغناء.

وشيخنا أبو عبد الرحمن الألباني حفظه الله له كتاب لطيف نُشر هذا العام اسمه: تحريم آلات الطرب.

هذا الكتاب كتبه قبل قرابة أربعين سنة، وكان رداً على مقال نُشر في جريدة بعض الأحزاب الإسلامية آنذاك، وكتب فيه نفس المقال، وأنا لما قرأت المقال تعجبت؛ لأنني كنتُ كتبتُ كتاباً ضليعاً للكتاب، في الرد على الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، اسمه شمس اللآلي في الرد على الشيخ محمد الغزالي، وأنا أتكلم على مسألة الغناء، فقلت: إنه ثمة بعض أناس يقولون: نريد المسلم في كل مناحي الحياة، حتى إذا قامت دولة الإسلام تجد المسلمين في كل مجال! يا أخي! حتى تأتي دولة الإسلام نكون غير موجودين أصلاً؛ لأننا سنكون قد انتهينا.

فلو دخل أحدنا في السياحة والفنادق على أمل أن يأتي الإسلام ويحكم، فهل سيعيش إلى ذلك الوقت؟ فإذا: يا إخوة! هو كان يريد من هذا الكلام -حسب زعمه- تخصصاً ملتزماً.

فهم عندهم هكذا، يقولون: نريد الطبيب المسلم، والمهندس المسلم، والمزارع المسلم، والفلاح المسلم، والنجار المسلم.

ونحن نقول: من قال: إننا لا نريد هؤلاء؟ نحن أيضاً نقول: نريد الطبيب المسلم، والمهندس المسلم، ونريد المسلم المتخصص في كل شيء، ولكن بالضوابط الشرعية.

فأنا قلت: ولربما قال: والموسيقي المسلم، والطبَّال المسلم، والزَّمَّار المسلم.

فبعض الناس لامني، وقال: إن كلمة الموسيقي المسلم، والطبال المسلم، فيها استفزاز وتجاوز.

فلما وقفتُ على كتاب شيخنا الألباني حفظه الله ووجدتُ المقال الذي ألف الشيخ ناصر لأجله هذا الكتاب، عرفت أنني من أصحاب الجرح مع أنني لستُ بدكتور، لكنني أفتي من غير أن تكون معي شهادة.

هذا المقال ماذا يقول؟ يقول نص المقال في هذه المجلة: إننا نحتاج المسلم في كل شيء، الغرب لديهم معزوفة هادئة تسمى السيمفونية، ونحن ليس عندنا، مع أن الأمة مليئة بالعابرة، لِمَ لَمْ يعمل لنا شخصٌ موسيقى إسلامية هادئة؟ فأنا -في الحقيقة- استغربت وضحكت! أنا أريد أن أعرف كيف تكون موسيقى إسلامية؟! أليكون الوتر مقلوباً إلى اليمين مثلاً؟! أو مثلاً يعزف بلسانه مثلاً أو يعزف برعوس أنامله؟! في الموسيقى الغربية يكون المغني يتنطط -كما في موسيقى الجاز وغيرها- مثل الجربان، ونحن نغني بوقار فنرگب لحيّة، ونلبس الطاقية، ونعدل الطربوش، ونعزف؟! أنا أريد أن أعرف هذا الكلام؟ ما معنى موسيقى إسلامية؟! وأيضاً صاحب المقال في المجلة زعلان! لأن المسلمين ليس فيهم حتى الآن عبقرى واحد يقف أمام بيتهوفن، ويعمل شيئاً يشرفنا ويطيّل رقابنا عند الغرب! انظر المسألة كيف وصلت إلى هذا الحد! هذه الأمة لن تنتصر أبداً، إذا كانت همها الموسيقى والأغاني، والمشكلة أن الشباب يحتجون بعلمائها، فعندما يسمع عالماً كبيراً يُشار إليه بالبنان يظل نحواً من خمسين عاماً يحل الأغاني -ونحن لا ننكر أن الله فتح قلوباً به وفتح آذاناً صمّاً بكلامه- ولكن لِمَ يقول هذا الكلام؟! فكل الذين يسمعون الأغاني يسمعون

الحقيقة: أنا لا أعلم أحداً من العلماء الذين تدور عليهم الفتوى قال: إن الغناء حلال، أو إن الموسيقى حلال، بل إن الموسيقى كلها حرام، ومنها الدُّفُّ إلا في المناسبات للنساء.

أما الذين ينشدون في الأعراس ويقولون: إنهم فرقة إسلامية ويضربون الدف، وتجدهم كلهم قد لبسوا ملابس موحدة.

ذهبت مرة لأصلي في المسجد التابع للمعهد الديني الأزهري، وللمرة الأولى أرى دُفوفاً وفرقة على الباب، فاستغربت جداً، وقلت: ما هذا؟ فقلت: هذه فرقة، جاءت للإنشاد.

قلت: ما هذا الكلام؟ قيل: هذه فرقة إسلامية.

ماذا تعني (إسلامية)؟ قيل: لأننا نعمل بديلاً للفرق صاحبة (الكابريهات) وما شابهها.

فهذه أيضاً هي نفس فكرة الموسيقى الإسلامية الهادئة الهادفة.

ألا فليعلم هؤلاء جميعاً أن هذا لا يجوز ولا يحل، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والذي يُستغل كلامه على حلق اللحية، ويقال: شيخ الإسلام أفتى بجواز حلق اللحية لضرورة التخفي في دار الحرب.

أقول: لهم: خذوا كلام شيخ الإسلام كله، ولا تأخذوا كلام شيخ الإسلام في موضع، وتتركوه في موضع آخر، بل خذوه كله.

سئل شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى، عن حكم ضرب الدف للرجال، فقال هذه العبارة: لا يفعله إلا الفساق.

وقد نقل عن مالك والشافعي التشديد على هؤلاء، وأنه لا يحل للرجل أن يضرب بالدف.

إذاً: فضرب الدف لا يجوز للرجال، إنما يجوز للنساء في المناسبات.

فلعل بعض الناس يقول: كلمة (المناسبات) واسعة، فماذا تعني بها؟ أعني بها: الأفراح مثلاً، وما جرى مجرى الفرح، لما ثبت أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: (يا رسول الله! إنني نذرتُ إن أرجعكَ الله سالماً أن أضرب على رأسك بالدُّفّ، فقال لها: أوفي بنذرك).

فلا شك أن رجوعه سالماً صلى الله عليه وآله وسلم أجل من العيد، بالإضافة إلى جواز ضرب الدف للنساء فقط، فهو شيءٌ مباحٌ في حقها، وقد نذرتَه، وفي يوم عيد وهو رجوعه -عليه الصلاة والسلام- سالماً، فقال لها صلى الله عليه وسلم: (أوفي بنذرك).

والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

والحمد لله رب العالمين.

الأصول العشرة في التربية

السؤال

نرجو من الشيخ إعادة ذكر الأصول العشرة في التربية.

الجواب

بعضُ الإخوة يريد أن أتلو مرةً أخرى الأصول العشرة حتى يتمكن من كتابتها! الأصل الأول: (من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل).

الأصل الثاني: (دَغ ما يسبق إلى القلوب إنكارُه، وإن كان عندك اعتذارُه).

الأصل الثالث: (ترك الاعتراض على الأكابر محمود، وكثرة المراء يورث الصدود).

الأصل الرابع: (مَن لم يصبر على جفاء أستاذه؛ تجرَّع الخسران بتصدُّع ملاذه)
الأصل الخامس: (تنكَّب في الخصومة حظَّ نفسك، واقهرْ هواكَ بإنصافِ خصمِكَ).

الأصل السادس: (مَن لم يخلع عنه رداء الكبر؛ ظلَّ جاهلاً من مهدد إلى القبر).

الأصل السابع: (وطالب العلم بلا وقار كمتبغ في الماء جذوة نار).

الأصل الثامن: (حسنُ العهد من الإيمان، والوفاءُ والودُّ له ركنان).

الأصل التاسع: (مَن لزم التواضع والانكسار؛ فُتِحَ له بذاك وطار كلُّ مطار).

الأصل العاشر: (ليس حمل أثقل من البر، مَن برَّك فقد أوثقتك، ومن جفاك فقد أطلقك).

حكم الترضي والترحم على العلماء

السؤال

هل يجوز أن نقول عن العلماء إذا ذكرناهم: رضي الله عنهم، أو نقول: رحمهم الله؟

الجواب

أما قول: رضي الله عنهم فجائز؛ لكن هناك اصطلاح معمول به عند العلماء حيث جعلوا الصلاة على الأنبياء، والترضي على الصحابة، والترحم على سائر العلماء، بدءاً من التابعين إلى عصرنا.

وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (لا يُصَلَّى -أو قال: لا يُسَلَّم- إلا على نبي).

لماذا؟ لأن من شعار بعض أهل البدع الصلاة أو التسليم على غير الأنبياء، مثل: الشيعة.

فالشريعة إذا ذكروا علياً وسائر أهل البيت يقولون: علي عليه السلام، ولا يسلمون على نساء النبي صلى الله عليه وسلم، والآية التي في الأحزاب نزلت فيهن، ومع ذلك لا يسلمون عليهن، بل يفسرون قول الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} [البقرة: ٦٧] فيقولون: إنها عائشة.

وبُغضُهم هو لسائر نساء النبي عليه الصلاة والسلام فيما عدا مَنْ روت أحاديث في فضائل آل البيت مثل أم سلمة، ويقولون: إن جميع الصحابة ماثوا على النفاق ما عدا البعض.

فشعار أهل البدع كالشيعة أنهم يخصون السلام على أهل البيت: علي بن أبي طالب وفاطمة وأولادهما: الحسن والحسين، فلذلك صح عن ابن عباس أنه قال: (لا يُصَلَّى إلا على نبي، أو لا يُسَلَّم إلا على نبي).

إذاً: المسألة مسألة اصطلاحية، فيجوز أن تقول: محمدٌ عزَّ وجلَّ من باب أنه عزيزٌ وجليل، ومع هذا فسائر العلماء لا يذكرون هذه الصيغة إلا مع الله تبارك وتعالى.

كذلك إذا قلت: أبو بكر صلى الله عليه، فهذا سائغ؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- صلى على بعض أصحابه، كما في الحديث الصحيح: (أنه دخل يزور جابر بن عبد الله الأنصاري، فجلس عنده -وكان جابر قد أمر زوجته أن لا تطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً- فقبل أن يخرج النبي عليه الصلاة والسلام تبعته امرأة جابر وقالت: يا رسول الله! صلِّ عليَّ وعلى زوجي، فقال: صلى الله عليك وعلى زوجك).

فالصلاة هنا بمعنى: الدعاء والرحمة.

وكذلك في الحديث الصحيح: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم صل على آل أبي أوفى).

ومع أن هذا سائغ فالعلماء يخصون الصلاة بالأنبياء دفعاً للإيهام، كذلك إذا قلت: (عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه فالجماهير قد تتصور أنه صحابي.

فلا مُشاحّة في الاصطلاح إذا قيل في العالم: رضي الله عنه، جاز ذلك.

والله أعلم.

حكم الأغاني

السؤال

لماذا الأغاني حرام؟

الجواب

الأغنية مرغبة من: مغنٍّ - أعني: صوتاً -.

وكلمات.

والحان.

فإذا كان المغني امرأة؛ فقد اتفق العلماء جميعاً على حرمة، لا سيما إذا كانت تواجه الجماهير، فالمسألة هنا تكون أعظم، وإذا أضيفت إليها المزامير فالمسألة أطم.

إنما الرجل إذا أنشد شيئاً من الشعر بصوتٍ جميل، جاز له ذلك بشرط ألا يكون في الشعر كلام منافي للعقائد أو للآداب أو للنصوص أو لغيرها؛ لأن الشعر حسنة حسن، وقبيحة قبيح.

يقول حسان بن ثابت: هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ
هجوتَ محمداً براً تقياً رسولَ الله شيمتهُ الوفاءُ أتَهجوهُ ولستَ له بكُفٍّ فشرُّكما
لخيركما الفداءُ فإن أبي ووالدهَ وعرضي لعرض محمدٍ منكم وقاءُ هذه أبيات جميلة،
فإن قام شخص -مثلاً- ودَّكرها، وحسَّن صوته بها فهذا جائز.

إذا: المسألة لها ثلاثة أركان: - المرأة لا يحل لها ذلك، لا بموسيقى، ولا بغير
موسيقى.

- يبقى الكلام حسنه حسن، وقيحه قبيح.

- فإذا انضافت الموسيقى إلى المغني؛ رجلاً كان أو امرأة، فإنه يحرم باتفاق
علماء المسلمين جميعاً، ولم يشذ عن علماء المسلمين المعتبرين أحدٌ ذكره إلا ابن
حزم، وإذا كان معه ابن طاهر -مثلاً-، وهذا الشذوذ قد رد عليه العلماء كلهم.

وتجد في هذا الباب شيئاً غريباً، وهو أن الذين يتكلمون عن الغناء اليوم،
يزعمون كذباً أن هذا هو مذهب الكافة من العلماء! والعلماء الأربعة وجماهير
أصحابهم على تحريم الغناء قاطبة، ولم يشذ إلا ابن حزم، والواحد يتعجب من ابن
حزم في هذه القضية مع شدته على المخالف في الفروع، إلا أنه متسامح جداً في هذا
الباب.

ولعل نشأة ابن حزم كانت قد أثرت عليه في ذلك، فابن حزم نشأ في الأندلس،
واللواتي ربين ابن حزم نساء كلهن، وأنا أستغرب كيف أن هذا الغضنفر خرج من
بين هذه الأيادي الناعمة، فأنا أتصور أن الذي تربيته النساء يخرج متساهلاً، يقال: هذا
تربية امرأة، ليس بتربية رجل.

فكيف خرج هذا الأسد والغضنفر والقسورة من بين أيدي النساء؟! إن كتابه ما
ألف مثله أحد، وألفاظه قوية جداً، حتى قيل: سيف الحجاج ولسان ابن حزم صديقان؛
لأن سيف الحجاج ما كان يفرق بين رقاب الناس، وكذلك هو لا يفرق بين دماء
المسلمين ودماء العلماء، إذا وجد عالماً خالف فمباشرة يرد.

فشَدَّ ابن حزم في هذا، وولع المتأخرون بفتوى ابن حزم تحت ضغط الجماهير، وضغط الواقع المخالف، حتى تجد العالم منهم يفتي بفتوى عجيبة الشكل، مثلاً أكبر رأس دينية عندنا سئل في ميلاد المغني الشهير العنديلبي، سئل سؤالاً: أهذا الرجل في الجنة أم في النار؟ فقال لهم: وهل أنا من لديه المفتاح؟ بالله عليكم أهذه إجابة؟! وآخر قيل له: أهو في الجنة أم في النار؟ فقال: طبعاً في النار.

لماذا؟ قال: لأنه مات مسيحياً.

فهذا رجل صريح، ويفتي على أصول، ولا خافَ وحدةً وطنية ولا غيرها.

أما هذا الجواب الذي أجاب به الأول: (وهل أنا من لديه المفتاح) فنعم.

صحيحٌ، نحن نعرف أن المفتاح ليس معك ولا مع غيرك؛ لكن كان ينبغي أن تأتي بفتوى واضحة، فصحيحٌ أنه لا يُفتي لمعين بجنة ولا نار؛ لكن نقول: إن هذا الذي فعله فسق، ونحن لا نحكم على الفاسقين أنهم في النار، ولا على العصاة أنهم في النار، لعل لهم حسنات ماحيات، أو لعل لهم أشياء لا نعرفها، أو يتغمدهم الله برحمته ابتداءً مثلاً، أو لعل الله عز وجل رزقه توبة بين يدي موته، فنحن لا نحكم لمعين بجنة ولا نار، إلا إذا كان عندنا نصٌّ من المعصوم، مثل: فلان في النار.

وهذا معنى قول العلماء: مَنْ لم يكفِّر الكافر فهو كافر، أي مَنْ لم يكفِّر مَنْ كفره الله ورسوله، بدليل قطعي لا يتطرق إليه الشك من جهة الثبوت فهو كافر؛ لأنه يردُّ على الله ورسوله، إنما أي واحد ليس عندنا دليل قطعي في تكفيره، لا يحل لنا أن نُقدِّم على تكفيره لوجود الاحتمال.

فصحيح أن المفتاح ليس معه؛ لكن يندد بما كان يفعل.

فيقول مثلاً: كان يغني بالحرام، ففي بعض كلماته: القَدَرُ الأحمقُ الخُطى سَحَقَتْ هامتي خُطاه أو أنه كان يحلف بعيني محبوبته أو بمخها، أو بعقلها، أو بأي شيء، وهذا كله شرك ولا يجوز، فضلاً عن الموسيقى والتأوهات والكلام الفارغ الذي كان يقوله، فهذا كله حرام؛ لأن هذا كله فتح لباب الفسق على مصراعيه.

فما كان ينبغي أن تمر هذه الفتوى بدون هذه الإدانة؛ لكنه خائف من (الدستور) و (روز اليوسف)؛ فهذه بعض كلاب مسعورة تنهش أي شخص، فإذا قال بكلام مثل هذا قالوا: هذا هو الإرهاب الذي يريد أن يلغي المتعة؛ لأن أعصاب الناس متعبة، والاقتصاد منهيار، والغلاء فاحش، فهم يريدون أن يسمعون كلمتين غنائيتين لينسوا واقعهم المر.

فيهجمون عليه.

إن عندنا طابوراً خامساً عمله أن يأكل في الخارج، ويتغوط عندنا.

وعندما أصدر شخص كتاباً عن الفنانات التائبات، وأراد أن يعمل إعلاناً مدفوع الأجر عن الكتاب في التلفاز، فقال: أنا أدفع المال، وأريد أن أعمل إعلاناً عن فنانات تائبات، فالعباقره رفضوا نشر الإعلان؛ قالوا: لأن معنى تائبات أن اللاتي لم يتبن يكن عاصيات، أي: أننا نحارب قطاع الفن ونهدم شغلنا بأيدينا، ولكن غير العنوان وسننشر لك الإعلان.

ينبغي للعالم ألا يهاب أحداً، فإذا تعلق قلب العالم بنصر العوام إياه، هُزم في أول جولة من أضعف عدو، لكن العالم يتعلق قلبه بالله فقط.

• لا يوجد عالم من المتأخرين أخذ شهرة الإمام أحمد حتى قيل: إذا رأيت الرجل يبغضُ أحمد، فعادِه على الإسلام، جعلوا أحمد رمز الإسلام، وما نال أحمد رحمه الله هذا إلا بعد الفتنة التي رفعت مناره.

فالإمام أحمد العدل الثقة الثبت الرضا، لما أُبتلي بمحنة خلق القرآن، وكان يحضر مجلسه مائة ألف محبرة، دخل أحمد وجلد، ماذا فعلت المحابر؟ هل نصره؟ هل فعلوا له شيئاً؟ ما فعلوا شيئاً، في حين أن كتب التاريخ تذكر أن المأمون سمع همهمة ودمدمة خارج قصره: أيها العرب! ماذا تريدون؟ قالوا: نريد لحمًا.

فأرسل إلى بلاد أخرى وأتى لهم باللحم.

إذاً: العوام يهتممون، ولا يخافون من الأمن المركزي، ولا شيئاً من هذا، لقد ذهبوا إلى أمام قصر الخليفة، وقالوا بصوت عالٍ: نريد أن نأكل لحماً.

فقال: أعطوهم لحماً.

فالعوام لا يتحركون إلا لهذا الهدف فقط.

فالعالم إذا مضى في طريقه وهو ينتظر من العامة أن ينتصروا له، أو يثأروا له، أو أن يخرجوا مظاهرات من أجله أو شيئاً من هذا؛ فهذا مغلوب قال تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ} [الأحزاب: ٣٩] هذا هو مذهب العالم.

فأنا لما أرد على هذه الفتوى أقول: أنا لا أحكم بجنة ولا نار؛ لأن مذهب أهل السنة كذا وكذا؛ لكن ما فعله هذا الرجل، كان فسقاً وفجوراً، وكان كذا وكذا، وهو ميت، لا أترك الفتوى مبتورة، هذا هو واجب العالم؛ لأن العالم ناصح، وتترك إسناد الفتوى بهذه الصورة خيانة لأمانة العلم والرسالة.

فالغناء اتفق العلماء على حرمة، ومن العجيب أن هناك ممن يُشار إليه بالبنان يكتب وهو يتكلم عن حل الغناء فيقول: لا أرى في الغناء بأساً، وأنا أحب أن أسمع أغنية: أخي جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدا وكذلك: وُلد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وتناء كلام جميل.

وفيروز كذلك لها أغانٍ جميلة أيضاً في آخر الليل، تُحب.

لاحظ الكلام! آخر الليل؟! عند قيام الركع السجود، وتجلي الله تبارك وتعالى للخلق، ونزوله للسماء الدنيا: (هل من تائب فأتوب عليه؟) وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن سئل عن أفضل الصلاة بعد الفريضة: (في ثلث الليل الآخر) في هذا الوقت أقعد أنا أسمع لـ فيروز؟! والذي يقولها رجلٌ يشار إليه بالبنان؟! رحمه الله، وسامحه، وتجاوز عنه.

ويحتجون به علينا، وَيَصُدُّرُ هذا الكلام في كتاب، وينشر ويُطبع في ثلاث عشرة صفحة.

ورجلٌ آخر ممن يشار إليه بالبنان يقول: لا زال العلماء الكبار يقولون بذلك، وقد قال حسن العطار شيخ الجامع الأزهر: مَنْ لم يصنع إلى حنين الأوتار فطبعه أجلف من طبع الحمار.

هذا هو الدليل الذي جاء به.

فأنزلوا كلام حسن العطار منزلة كلام المعصوم.

لا يعرفون ما معنى الدليل، لو تسأل أحدهم وتقول له: ما هي الأدلة في أصول الفقه؟ تجده لا يعرف شيئاً، وهذا يذكرني بالرجل الآخر الذي قيل له: يا مولانا قيل: إن الصلاة في المساجد التي فيها قبور حرام.

فقال: يكفي أنني أصلي في المسجد، فجعل فعله دليلاً، أي: بما أنه يصلي في الجامع الذي فيه القبور فكيف يكون حراماً وهو يصلي فيه؟! فهو لاء لا يعرفون معنى الأدلة، ولا يعرفون إقامة الفتوى بدليلها.

من أراد أن يتبع العلماء، ويستمع إلى الفتوى الصحيحة التي ما قال بها أحد إلا احتج به؛ فليتبع فتاوى الأئمة الأربعة الذين صرحوا بتحريم الغناء، بل إن بعض العلماء -وهذا يدل على أنه كان مشهوراً عندهم- مثل الإمام أبو بسطام شعبة بن الحجاج رحمه الله، الذي كان شامة في جبين المحدثين، رفع اسم البصرة إلى السماء، ترك الرواية عن أحد شيوخه الثقات واسمه: المنهال بن عمرو وكان من رجال البخاري؛ لأنه وهو مار بجانب الدار سمع صوت مزمارة أو عود ينبعث من دار المنهال، فترك الرواية عنه وأسقط بذلك روايته؛ لأنه بهذه الصورة صار فاسقاً.

وقال الشافعي رحمه الله: إذا اشترى رجلٌ جارية فوجدها تغني؛ ردّها بالعيب.

الإمام أحمد بن حنبل رد كلام شعبة، وقال: لعله كان يعزف على العود وهو لا يدري، أ

موقف الشيخ ابن باز من حكم الألباني على الأحاديث

السؤال

سمعنا من بعض طلبة العلم يقولون على لسان الشيخ عبد العزيز بن باز: إن الشيخ الألباني يقول: نتساهل مع بعض الرواة وكذلك التحسين والتصحيح والتضعيف في تحسين الحديث الضعيف، ويقولون: الشيخ ابن باز له تعقب على تحسينات الشيخ الألباني للحديث، فما رأيكم في هذا؟

الجواب

فنقول: من ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معاييه ونقول أيضاً: من الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط وأقول ثالثاً: إن الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، من أشد الناس تعظيماً وتوقيراً للشيخ الألباني، وحدثني بعض أكابر أصحاب الشيخ ابن باز أنه كان في مكة في مجلس يضم الشيخ ابن باز والشيخ الألباني، فأبى الشيخ عبد العزيز بن باز أن يدخل قبل دخول الشيخ الألباني وقدمه، وقال إنما ينبغي أن يقدم أهل الفضل.

ودخل الشيخ ابن باز مرة في بيت بعض الشاميين الذين لا يحبونه وينتقصونه في دروسه العلمية، فالشيخ ابن باز رحمه الله دخل على هذا الرجل، وأنا أعرفه، فالشيخ ابن باز كان يعلم أن صاحب هذا الدار يتكلم على الشيخ الألباني، فدارت مناقشات علمية في بعض الأحاديث، فالشيخ ابن باز قال: هل عندك كتاب إرواء الغليل، وهو كتاب للشيخ الألباني رحمه الله يقع في ثمانية مجلدات، خرج فيه أحاديث منار السبيل، وهو كتاب من مجلدين فقط في الفقه الحنبلي، فالشيخ الألباني خرج أحاديث وآثار هذا الكتاب وحكم عليها بالصحة والضعف أو ما يناسبها في ثمانية مجلدات، فالشيخ ابن باز قال لصاحب الدار: هل عندك إرواء الغليل؟ قال: نعم، قال: انت به، ماذا قال الشيخ الألباني في هذا الحديث؟ والحديث كان صححه الألباني.

فالشـيخ ابن باز حفظه الله فقيه، ومن أعف الناس لساناً، وأنا لا أعلم أحداً من العلماء الكبار في السعودية يعظم الألباني كتعظيم الشيخ ابن باز.

وأنا قدمت هذه المقدمة حتى أرد على من يقول: الشيخ ابن باز رد على الشيخ الألباني، ويبين أنهم يتناحرون فيما بينهم، والشيخ الألباني ليس معصوماً، وسئل الشيخ ابن باز -ولم أسمع هذا منه مباشرة إنما حدثت عنه- عن الشيخ الألباني فقال: لا أعلم أحداً تحت أديم السماء أعلم بالحديث من الألباني، وهذه شهادة حق، فأعلم الناس بالحديث في هذا الزمن هو الشيخ الألباني، على رغم أنف الحسود.

وليس معنى أنه أعلم الناس ألا يكون له زلة، أو لا يطالب بحكم من الأحكام، بل الشيخ الألباني لما طبعت كتبه الجديدة مثل السلسلة الصحيحة مثلاً رجع عن بعض أحكامه التي حققها منذ ثلاثين عاماً، مثل حديث صحيح رأى أنه ضعيف، وضعيف رأى أنه حسن، وضعيف رأى أنه موضوع إلى آخره، فتغيرت المراتب، وهو نفسه يقول: وحتى لا يظن أحد أن هذا خطأ مطبعي إذا وجدت شيئاً تغير حكمه، فلي أستاذ في السلف من العلماء الذين كانت تتغير أحكامهم، لا سيما الإمام أحمد بن حنبل، والشافعي له مذهبان: مذهب قديم ومذهب جديد، يُقال: قال الشافعي في القديم، وقال الشافعي في الجديد، وأحمد رحمه الله له أقوال في المسألة قد تصل إلى خمسة، ولم يقل واحد من المنتسبين لـ أحمد ولا غير المنتسبين: إن هذا تناقض من أحمد، بل يحملون قول أحمد على دلالة وقوله الآخر على دلالة أخرى، ويقولون: ربما هذا المتقدم وهذا المتأخر، ويلتمسون الأعذار للعلماء، فلم لا يلتمسون الأعذار لعلماء الحديث، والقول واحد والصورة واحدة.

والشيخ الألباني رحمه الله ليس معصوماً، نعم.

غلط في الأحاديث وكان الحق مع مخالفه، فبعض الناس خالفوه في أحاديث حسننها وكانت ضعيفة وكان الحق مع مخالفه، وكذلك صحح أحاديث والحق مع مخالفه في أنها مثلاً حسنة أو ضعيفة، ولكن حسنات الشيخ أكبر بكثير من سيئاته.

فانتقاد الشيخ ابن باز رحمه الله لبعض ما يكون من الشيخ الألباني ليس هجوماً من الشيخ ابن باز على الألباني، وثانياً النظراء يختلفون.

وفي سير أعلام النبلاء قال يونس بن عبد الأعلى رحمه الله وهو واحد من أصحاب الشافعي، قال: اختلفت مع الشافعي في مسألة فجاءني وطرق بابي، ثم أخذ بيدي وقال لي: ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة، قال الذهبي رحمه الله معلقاً على قول الشافعي: ما أضمن عقل هذا الإمام! فما زال النظراء يختلفون.

والشافعي رحمه الله تكلم على مالك، فلما جاء من العراق إلى مصر ومصر كانت مالكية، فبدأ الشافعي يتكلم وينتقد مالكا في بعض ما ذهب إليه من أحكام، فهاج عليه المالكية، ومنهم محمد بن عبد الله بن الحسن، وكان قرين الشافعي في الأخذ، وعظم على الشافعي أن يخالف مالكا، فلزم الشافعي بيته ولم يخرج، لأنهم عظموا عليه أن يخالف مالكا، فذكر أبياتاً بين فيها أن ما عليه من جناح إن خالف مالكا، لأن هذا لا يضر، وكذلك خالف الشافعي محمد بن الحسن الشيباني وقد تتلمذ له، ولا زال النظراء يختلفون، ولا زال التلاميذ يخالفون شيوخهم، فما بالك بأعلم رجلين في هذا العصر إذا خالف أحدهما الآخر في مسألة أو في تصحيح حديث، فالمسألة محتملة، لا سيما إذا دخلت في باب الاجتهاد، قد يكون الحكم على حديث داخلاً في باب الاجتهاد، فكلما رسخ السبب والمنطق العلمي كلما أصاب الرمية بتحقيق.

نسأل الله عز وجل ألا يجعل في قلوبنا غلاً لعلمائنا ولا للذين آمنوا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

تعليق الإيمان بمشيئة الله

السؤال

ما حكم أن يقول الرجل: أنا مؤمنٌ إن شاء الله؟

الجواب

يجوز على أرجح أقوال العلماء أن يقول الرجل: أنا مؤمنٌ إن شاء الله، وليس الاستثناء شكاً في الإيمان، خلافاً للمرجئة، وقد قال الله عز وجل عن الأمر المحقق: {لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ} [الفتح: ٢٧]، ولم يكن الاستثناء هنا شكاً في دخول المسجد الحرام، بل كان أمراً متحققاً، والله أعلم.

عدة الرجل

السؤال

يقول السائل: هل الرجل له عدة مثل المرأة؟

الجواب

نعم، الرجل له عدة؛ لكن عدة اعتبارية، ليس للرجل عدة كعدة المرأة، ولكن له عدة اعتبارية، بمعنى أنه يمنع من زواج بعض النساء إلى أن ينتهي الأجل، كأن يكون مثلاً متزوجاً بأربع نساء، وطلق امرأة في هذا اليوم، فإنه لا يحل أن يتزوج امرأة غيرها حتى تنقضي عدة المرأة الرابعة؛ لأن المرأة التي طلقت لا زالت على عصمته، فالرجل هنا يمنع من الزواج، فلو قلنا إنها عدة فإنها تكون عدة اعتبارية، وكذلك إذا تزوج الرجل بامرأة واحدة وطلقها، فلا يجوز له أن يتزوج أخت امرأته ولا خالتها ولا عمتها في العدة، إذاً: من قال في كتب بعض أهل العلم: إن الرجل له عدة: فهي عدة اعتبارية، بمعنى: أنه يمنع من أن يتزوج صنفاً من النساء لوجود علة، فإذا زالت هذه العلة فله أن يتزوج.

حكم الدروس الخصوصية

السؤال

سائل يقول: ما حكم الشرع في الدروس الخصوصية؟

الجواب

الدروس الخصوصية كثر عنها القيل والقال، والذي وضع القوانين ليس الفقهاء، والقانونيون هم الذين أفتوا بحرمة الدروس الخصوصية، إنما الحكم الشرعي أن الدروس الخصوصية جائزة ومالها حلال، ولا عصيان فيها، بشرط أن المدرس يتقي الله عز وجل، ويقوم بشرح الدرس في حصته كما ينبغي له أن يشرح، وإذا طلب منه التلميذ معلومة فلا يدخرها عنه، ولا يحتكرها، ولا يحجبها، وإذا طلب منه التلميذ أنه يعيد الدرس ثانية أو معلومة ثانية، فإذا وافق ذلك وقتاً في الحصة فينبغي عليه أن يفعل، فإذا فعل المدرس ذلك وجاءه الطالب بعد ذلك يقول: أريد أن تعطيني درساً، فالمسألة تدخل في باب التجارة.

فلو أتاني شخص ليستأجر وقتي الذي صار ملكي، أستريح فيه، وأعطيه لأولادي، وانتهى وقت العمل الرسمي، فجاء رجل يستأجر وقتي وجهدي مع أولادي؛ كيف لا أؤجره؟ فإن أنا أجرته وأخذت في مقابلة مالاً جاز بالاتفاق، ولم تكن إجارة مكروهة، فضلاً عن أن تكون محرمة، بل هي إجارة صحيحة لا إشكال فيها ولكن بالضابط الذي قلناه، والله أعلم.

حديث: (الوعاء يستخدم) موضوع

السؤال

يسأل سائل عن صحة حديث: (الوعاء يستخدم) الحديث

الجواب

روى هذا الحديث ابن مجدوح لا رضي الله عنه، وهذا حديث مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم.

نسبة كتاب الروح إلى ابن القيم

السؤال

يقول السائل: أشيع أن كتاب الروح مدسوس على شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله، فهل هذا صحيح؟

الجواب

لا، لكن بعض العلماء المتأخرين قالوا: إن ابن القيم صنف هذا الكتاب قبل أن يلقي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فبعدما لقي شيخ الإسلام ابن تيمية تنقحت كثير من أفكاره وآرائه، وعليك دائماً بالتأخر من كتب العلماء، حيث تعمل بمذهبه الأخير، والله أعلم.

حكم الحلف بغير الله

السؤال

ما حكم الحلف بغير الله؟

الجواب

بالنسبة للحلف بغير الله عز وجل، كأن يقول الإنسان: والنبي أو والولي أو غيرها، فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلف بالآباء ونهى عن الحلف بغير الله تبارك وتعالى، وفي الصحيح: (أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: وأبي وأبي، فقال: يا عمر! إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، قال عمر: فما قلتها ذاكراً ولا آثراً) أي حتى مجرد أن يحكي الحكاية، ولا ذاكراً لها استئنافاً من عند نفسي.

حكم الاعتماد على الأسباب فقط

السؤال

نحن في هذا الوقت في هذا العصر الحديث لابد أن نأخذ الأسباب التي توصلنا إلى طاعة الله سبحانه وتعالى وتوصلنا إلى ما نريد، الأسباب بيد الله وهو القادر على كل شيء، يقول للشيء: كن فيكون، ولكن هذا المجتمع الذي نعيشه الآن ليس عصر النبوة ولا عصر الخلفاء الراشدين، نحن في وقت الطائرة والسيارة والكمبيوتر، لابد أن نأخذ بها حتى نصل إلى تحقيق المجتمع الإسلامي الكامل، أما أننا نقعد نقول: نحن لدينا إيمان قاطع بقدرة الله سبحانه وتعالى ولا نبذل الأسباب فهذا خطأ.

الجواب

أيها الأخ الكريم: هذا الذي ذكرته هو الذي أنا قلته تماماً، لكن أنا مضطر الآن لأن أبين بعض الإشكالات التي حصلت من كثرة ضرب الأمثلة.

قال العلماء: (الالتفات إلى الأسباب قدح في التوحيد، وترك الأسباب بالكلية قدح في التشريع) فلو جاء رجل فقال: أنا لن أتزوج وأريد الولد، ماذا تقول في هذا الرجل؟ تقول: إنه أحمق، ولو قال رجل: أنا أريد أن أصل بالسيارة إلى المكان الفلاني بدون (بنزين) سوف نقول: أحمق، لو قال: لو شاء الله لأجراها بدون (بنزين)

نقول: نعم، الله على كل شيء قدير، لكن لابد أن تبذل السبب، بأن تضع (البنزين) في السيارة.

كذلك هناك رجل يريد أن يعيش بلا أكل، وقد قال ربنا سبحانه وتعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ} [المائدة: ٣]، ثم قال عز وجل: {فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة: ٣] قال سفيان الثوري: (إذا اضطر فلم يأكل الميتة فمات؛ دخل النار) لأنه أعان على نفسه، وقد أحل الله له الميتة لكي لا يموت، فلو شاء الله عز وجل لأقام العباد بدون أن يحل لهم ما حرمه، فإن ربنا سبحانه وتعالى قادر على إبدال أكلنا للميتة التي حرمها علينا، ويعطينا القوة والطاقة حتى نصل إلى الحلال، أليس ربنا على كل شيء قدير، لكن الله أباح لنا أن نأكل الميتة أخذاً بالأسباب، فمفهوم كلامي: أنه لا ينبغي لعبد أن يركن إلى الأسباب فيقول: إن الطب الحديث لازم يرفع العلة، هذا مرفوض، نقول: لا، الدواء قد يرفع العلة وقد لا يرفع العلة.

السائل: أنا أقول: إن للأسباب تأثيراً ولكني لا أعتقد أن الأسباب حتماً توصل إلى المقصود؟ الشيخ: هذا هو الكلام الصحيح.

معنى قول أهل العلم: (ونفي الأسباب أن تكون مؤثرة قدح في العلم)

السؤال

ما معنى قول أهل العلم: (ونفي الأسباب أن تكون مؤثرة قدح في العلم)؟

الجواب

نفي الأسباب أن تكون مؤثرة هذا نفي في العلم، فأى رجل يقول: إن السبب لا يؤثر، كلامه هذا فيه إزالة للوحي كله، بل الأسباب تؤثر؛ لأن الله عز وجل قال: {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: ٣٢] وباء السببية تكررت في القرآن كثيراً

كقوله تعالى: {فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} [النساء: ١٦٠] أي: بسبب أنهم ظلموا حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم وكقوله سبحانه: {فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ} [المائدة: ١٣] فالله عز وجل لعنهم؛ لأنهم كفروا، فهذا أيضاً سبب، فقولنا: إن الأسباب لا تأثير لها، كأننا ألغينا القضاء والقدر، وبالتالي ألغينا الوحي بطبيعة الحال، فنفي أن تكون الأسباب مؤثرة فيه رد على المعتزلة الذي يزعمون أن الأسباب لا تأثير لها؛ لأن عقيدة الجبر موجودة عندهم هي أن الإنسان مجبور على فعله ولا اختيار له.

مفهوم حديث: (الدعاء هو العبادة)

السؤال

هل حديث: (الدعاء هو العبادة) يفسر قوله تعالى: (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)؟

الجواب

نعم حديث: (الدعاء هو العبادة) ترجمة لقول الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠] أي: يستكبرون عن دعائي، فالدعاء هو: التضرع والانكسار بين يدي الله عز وجل وهذا هو حقيقة العبودية، معنى (عبد) يعني: مذلل، فلا يكون العبد عبداً إلا إذا كان ذليلاً، ولذلك قال العلماء وهم يتكلمون في مقامات التوبة قالوا: أيهما أفضل: التائب من المعصية أم الذي لم يرتكب معصية؟ فمع ترجيحهم أن الذي لم يرتكب معصية أصلاً هو أفضل، قالوا: ولكن الذي ارتكب معصية فتاب عنده عبودية ليست موجودة عند الذي لم يعص الله عز وجل وهي عبودية الذل والانكسار، فإن العبد إذا وضع ذنبه أمامه فلا يزال يخاف أن يرديه، وكلما زاد يقين العبد خاف من ذنبه، كما حدث للأنبياء في ساعة المحشر، يأتي الناس آدم فيقول: (نفسي نفسي)، إن الله أمرني أن لا أكل من

الشجرة فأكلت، فيذهبون إلى نوح فيقول: نفسي نفسي، إني كانت لي دعوة فدعوتها، فيذهبون إلى إبراهيم، فيذكر كذباته الثلاث، فيذهبون إلى موسى فيذكر وكزته للرجل الذي قتله، فيأتون إلى عيسى عليه السلام، فكلُّ يقول: نفسي نفسي، ولم يذكر ذنباً، حتى يأتون إلى النبي عليه الصلاة والسلام فيقول: أنا لها! أنا لها! كما في حديث الشفاعة الطويل.

فهاهم الأنبياء المقدمون على أقوامهم يذكرون ذنبهم، فكذلك إذا رسخ إيمان العبد عظم عنده الذنب العظيم، كما روى الترمذي وغيره وهو في البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (وإن الفاجر ليعمل الذنب العظيم، فيرى كأنه ذباب نزل على وجهه، فقال به هكذا، فطار) أما المؤمن فيعمل الذنب، فيرى أنه كجبل يكاد أن يسقط على رأسه، فيبين خوف المؤمن أما الكافر فيفعل الذنب العظيم جداً ويرى هذا الذنب كذبابة حطت على وجهه فقال هكذا فطار.

وجاء عن السلف قولهم: (رب طاعة أورثت عزاً واستكباراً، ورب معصية أورثت ذلاً وانكساراً)، فالإنسان قد يفعل الطاعة فيعجب بها ويظن أنه فعل شيئاً ذا بال، فلا يزال يظن هكذا حتى يريه الله تبارك وتعالى، ورب معصية يفعلها العبد ستأخذ بطريقه إلى الجنة، فكلما ذكر المعصية؛ جد واجتهد، خوفاً من الله تبارك وتعالى.

ولا يفهم من هذا أن المعصية أفضل من الطاعة، كما قال بعض المتصوفة لما جاء في كلمة السلف: (ورب معصية أورثت ذلاً وانكساراً) قالوا: وفي هذا دلالة على أن الذنب أحياناً يكون أفضل من الطاعة، وهذا تفكير مقلوب؛ لأنه لا يمكن أن يقول قائل: إن الذنب أفضل من الطاعة أبداً، لكن تأثير الذنب على العبد المؤمن يكون إيجابياً كما يقول العلماء في استثمار الصفات السلبية، فمثلاً هناك بعض الناس تجد عنده إحباطاً شديداً، لا يأكل ولا يشرب، وكل يوم يضعف جسمه، يقول: كلما تذكرت القبر وعذاب القبر والوحدة والغربة وإلى أين يصير، لا يستطيع أن يأكل ولا يشرب، وتجده لا يصلي ولا يذهب إلى المسجد، بل غالق على نفسه الغرفة، وإن هذا يدمر نفسه، والمفروض أن يكون استثمار الخوف استثماراً إيجابياً، كلما خاف جد واجتهد،

لا أن يقعد، فكذلك الذنب لأبد للعبد أن يستثمره، أنه يجعله رائداً بين يديه إلى الله تبارك وتعالى.

فالدعاء أصله الانكسار، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يغضب على ابن آدم إذا لم يسأله) الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب والله أعلم.

كيفية الجمع بين حديث: (لا عدوى ولا طيرة) وحديث: (فر من المجذوم فرارك من الأسد)

الجواب

حديث: (لا عدوى ولا طيرة) أشار فيه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك إلى من اتكل على الأسباب، وحديث: (فر من المجذوم فرارك من الأسد) فيه إشارة إلى من اعتمد عليها واتكأ عليها، فهذا ليس فيه نفي للعدوى إنما فيه إثبات لها؛ بدلالة تنمة الحديث لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا عدوى، فقال الرجل: يا رسول الله! إنه يكون عندي الجمل الأجرب فيعدي السليم، كيف لا عدوى؟ فقال عليه الصلاة والسلام له: فمن أعدى الأول؟) أول جمل أجرب على وجه الأرض من أعداه؟ فيريد أن ينبه بهذا إلى أن الله عز وجل هو الذي قدر العدوى وقد تأثيرها، وأنه لا عدوى تنتقل بذاتها؛ بدليل أن الجمل الأول الذي أصابه الجرب لم يجرب بسبب عدوى وإنما قدره الله عليه، وهكذا ما بعده.

حقيقة المدرسة العقلانية ونقد أحد ممثليها

السؤال

السائل يقول: الغزالي يمثل المدرسة العقلانية، ما أصل هذا النهج المنحرف؟ وكيف انحدروا ووقعوا فيه؟ كما لاحظنا أن كثيراً من الشباب السذج لا يعرفون خطر هذا الانحراف.

الجواب

الشيخ محمد الغزالي خطه من قديم تقريباً واحد، فالذي يتابع كتابات الشيخ الغزالي من أوائل ما بدأ يصنف، يرى أن كتابه الأخير ليس مفاجأة، إنما المفاجأة فيه أنه جمع كل الأوبد والطامات في هذا الكتاب، أما هذه فمتفرقة في كتبه كلها، فتقديم عقله على حديث النبي عليه الصلاة والسلام، وعدم اكترائه بعقول غيره هذه هي مصيبة هذا الرجل، كأنما هو الوحيد الذي يفكر ويتدبر ويفهم، تعجبت جداً! عندما أورد حديث موسى وملك الموت الذي رواه البخاري ومسلم، واعترض عليه اعتراضاً متهافتاً للغاية! فيقول: إن بعض الطلبة من الجزائر قال لي: هذا الحديث هل هو صحيح؟ فقلت له متبرماً: وما يعنيك؟ قال: أردت أن أسأل عن صحته.

قال: فأجبتته وأنا ضائق الصدر: الحديث مروي عن أبي هريرة.

ما علاقة روايته عن أبي هريرة بالصحة؟ هو لم يقل لك: من الصحابي الذي رواه؟ إنما يقول لك: ما صحته؟ مع كون هذا الرجل يعلم أن هذا الحديث في الصحيحين، لكنه لم يصرح بأن الحديث في الصحيحين؛ لأن تصحيحه أو اعتراضه على حديث في الصحيحين دعوى فجأة من مثله، لذلك هو يتبرم ويحوم ويدور ويتحاشى أن يقول: إن الحديث في الصحيحين.

يقول: فلما رجعت إلى هذا الحديث في بعض مصادره -ونقل من شرح الإمام النووي كلاماً للمازري والخطابي وغيرهما- قال: ودافعوا عن هذا الحديث، ودفاعهم كله دفاع تافه خفيف الوزن لا يساغ، قال: ثم رجعت أتأمل وأتدبر فوجدت أن الحديث فيه نكارة، إذ كيف يكره الصالحون الموت؟! بل كيف يكره نبي بل رسول بل من

أولي العزم من الرسل الموت؟! وهل الملائكة تصاب بالأعراض وأنه فقاً عينه؟! قال: ورفضت الحديث.

رفض الحديث بهذا التفكير الذي لا يعجز عنه أسخف الناس تفكيراً من الذين لا يتمتعون بعقل راجح يقولون مثل هذا القول، كيف وهذا الرجل داعية من عشرات السنين؟! ويقول: فرجعت أفكر وأتدبر، معنى ذلك أنه فكر ملياً في الأمر، لكن (تمخض الجبل فولد فأراً)، بعد كل هذا التدبر والتفكر ما وصل إلا إلى هذه النتيجة السقيمة، ما وسعه شروح العلماء السابقين، هلا عندما يردها يردها بعلم وحلم بدلاً من أن يصف أولئك العلماء ك ابن خزيمة والحافظ والنووي والمازري والخطابي وابن القيم وابن تيمية، وكل هؤلاء الذين مروا على هذا الحديث وغيره وفسروه تفسيراً مستقيماً، هل هؤلاء جميعاً دفاعهم تافه خفيف الوزن لا يساق؟! فهذا عجيب! لو قرأ مثلاً في فتح الباري وكلف خاطره لعلم أن في مسند الإمام أحمد رواية لهذا الحديث بسند صحيح أن ملك الموت كان يأتي الأنبياء على صورة رجل، فحينئذ سؤاله: وهل الملائكة تصاب بالأعراض؟ سؤال لا قيمة له؛ لأن الذي أصيب هو الجسم العارض، يقول: وهل الصالحون يكرهون الموت؟ يعني يقول له: أجب ربك، فيفقاً عينه ويفر من لقاء الله! هذا منكر.

نقول: رجل دخل على موسى عليه السلام، ما يعرف من أين دخل؟ والباب غير مفتوح والنافذة غير مفتوحة، وهو جالس في داره إذا به يجد رجلاً يقول له: أجب ربك.

وكان ملك الموت قد نزل -كما يظهر من الحديث- في هذه المرة بصورة تختلف عن الصورة التي كان ينزل بها على موسى، وكان هذا من باب الامتحان له.

إذاً الخلاصة أن موسى عليه السلام رأى رجلاً غريباً في الدار، من أين دخل؟ لا يدري، فعاقبه المعاقبة الشرعية -كما يقول ابن خزيمة - وفقاً عينه، لأن الناظر في دار بغير إذن صاحبها تفقاً عينه، لقوله عليه الصلاة والسلام عندما رأى رجلاً ينظر قال: (لو أدركتك لفقأت بها عينك ولا دية لك إنما جعل الاستئذان من أجل البصر، فإذا دخل البصر فلا إذن).

فلو جاءك رجل لا تعرفه وأنت في الدار وقال لك: أجب أمير المؤمنين.

هل تجيب أمير المؤمنين، أو كما عهدت من أمير المؤمنين أنه إذا أراك أرسل لك حاجباً من عنده، وعلمت أنه لا يرسل آحاد الناس، إذ لا سبيل لآحاد الناس أن يصل إلى أمير المؤمنين؟ فقال لك: أجب أمير المؤمنين حالاً، أتعجب له؟ فهذا رجل قال لموسى عليه السلام -ولا يعرفه-: أجب ربك؛ ففقاً عينه.

ولذلك لما صعد ملك الموت وقال لله تبارك وتعالى: (إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد عليه عينه وقال له: انزل لعبدي فقل له: ضع يدك على متن ثور فلك بكل شعرة مستها يداك سنة).

فلما نزل ملك الموت نزل هذه المرة بصورته المعروفة، لذلك موسى لم يفقاً عينه، ولو كان الرجل غريباً أيضاً لا يعرفه موسى لفقاً عينه في المرة الثانية، أما أنه لم يفقاً عينه هذه المرة؛ لأنه نزل بصورته التي يعرفها موسى عليه السلام، حينئذ فطن موسى أن هذا كان امتحاناً له، فقال: (إن ربك يقول لك: ضع يدك على متن ثور، فلك بكل شعرة مستها يداك سنة) فعلم أن الأولى كانت اختباراً له، لذلك قال: (أي رب: ثم ماذا؟ قال: الموت).

قال: فالآن)، فواضح جداً أن موسى عليه السلام له مبرر أن يفعل ذلك.

لكن في عجز الحديث أن موسى لم يكره الموت بل رحب به، قال: (فالآن) فهل في هذا الحديث أن موسى كره الموت؟ ثم هل الصالحون فعلاً يكرهون الموت أم لا؟ هذا الرجل يقول: إن الصالحين لا يكرهون الموت؛ لأنهم يرحبون بلقاء الله، وكذلك كل الذين لا يعتمدون على الحديث يزلون، يعتمد على عقله فقط، والله در سفيان الثوري رحمه الله حيث قال: الحديث درج والرأي مرج، فإذا كنت على الدرج فاحذر أن تزل قدمك فتندق عنقك، وإذا كنت في المرج فسر حيث شئت.

يقول: إذا كنت تتبع عقلك ورأيك وهواك فالمسافة كبيرة جداً أمامك، تنتقل من رأي إلى رأي لأنه لا ضابط لك، فالرأي والذي يتبع الرأي مرج من المروج الواسعة

والفسيحة، أما الحديث فهو درج سلم، فإذا كنت على السلم احذر أن تزل قدمك فتندق فتقع على أم رأسك.

يريد أن يقول: إن من يحتج بالأحاديث النبوية يجب عليه أن يحذر؛ لأنه مقيد بالنص، بخلاف الذي يعتمد على عقله إن سار يمينا ويسرة ما يضره، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (الدنيا سجن المؤمن)، سجن المؤمن؛ لأنه مقيد بأوامر ونواه: افعل لا تفعل كأنه مسجون، ليست هناك رغبة مطلقة لأي إنسان، كل رغباته محدودة ومقيدة، إنما الأشياء المطلقة لا يجدها المسلم إلا في الجنة، فالدنيا سجن المؤمن؛ لأنه مقيد بالأوامر والنواهي؛ لأنه يمشي على درج.

فهذا الرجل لأنه لا يعني بالأحاديث النبوية ولا ينظر فيها، ويعتمد على عقله وفهمه، بغض النظر عن أفهام الناس وعقولهم، وفيهم ألاف مؤلفة عقل أقل واحد منهم يزن عقل عشرات مثله؛ فكان هذا سبباً في زلله، لكنه لو نظر في الأحاديث النبوية لما أقدم على هذه الدعوى، وأن الصالحين يحبون الموت.

ونرد هذه الدعوى بحديثين: الحديث الأول: ما رواه البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تبارك وتعالى: (من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)، وفي آخر الحديث (وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي بقبض روح عبدي المؤمن يكره إساءته وأكره مسأته) فهذا نص في أن العبد المؤمن يكره الموت، فمن أين له أن يقول: إن الصالحين يحبون الموت؟ الحديث الآخر: حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه).

قالت عائشة: يا رسول الله! كلنا يكره الموت) هنا الشاهد، ولو كان الصالحون يحبون الموت لقال لها: لا يا عائشة، هناك من يحب الموت.

أما وأنه أقرها على هذا القول -ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة- دل على أن إقراره عليه الصلاة والسلام لهذه الجملة في أن الصالحين يكرهون الموت.

ومن مثل عائشة رضي الله عنها في الصلاح؟! (قالت: كلنا يكره الموت).

قال: ليس كذلك، إن العبد المؤمن إذا كان في إدبار من الدنيا وإقبال على الآخرة رأى مقعده من الجنة؛ فتعجل أن يخرج من هذا الضيق إلى هذه الجنة؛ فأحب لقاء الله فأحب لقاء الله لقاءه، وإن العبد الفاجر إذا كان في إدبار من الدنيا وإقبال على الآخرة، ورأى العذاب الذي ينتظره، والنعيم الذي كان فيه قبل ذلك -بالقياس إلى هذا العذاب- كره أن تخرج روحه؛ كره لقاء الله فكره لقاءه) واللقاء هنا معناه الموت، للحديث الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (واعلموا أنكم لن تلاقوا ربكم حتى تموتوا) فدل أن اللقاء هنا ليس هو وقوف العبد بينه وبين ربه ليس بينهما ترجمان لا، اللقاء في هذا الحديث معناه: الموت، كما هو مفسر في هذا الحديث.

فهل في هذا الحديث ما يذكر أن يستنكر؟! وهل الرجل الذي تدبر وأمعن ونظر، ثم عبس وبسر، هل في نظره هذا أي فكرة عميقة أو أي أطروحة تستحق الاحترام؟! الجواب: لا، اعترض -كما قلنا- اعتراضاً لا يعجز عنه أقل الناس تفكيراً.

المدرسة العقلية معروفة، وهي المدرسة التي لا تكثر بعلم الأثر، ثم هم يحابون كتاب العصر وأولئك العلمانيين، حتى إن الشيخ الغزالي نفسه مشترك مع بعض النصارى في إصدار مجلة اسمها: (كل الناس) عندنا في مصر، وفيها صور خليعة لنساء، وفيها لاعبي الكرة، وفيها كل شيء، فهذا يشترك مع أولئك؛ حتى لا يقال: متزمت.

فهذا الرجل من خلال كتاباته -وإن كان يقول: أنا أعتز بالإسلام، لكن يبدو أنه لا يعتز به، بل إنه يشعر بعقدة نقص إذا نسب نفسه للإسلام عند أهل الغرب، لذلك يتحاشى تماماً أن يخالف الحديث فكر أهل الغرب، ويظهر ذلك جداً في الأصل السقيم الذي يعتمده، وهو الترخص، وأخذ شواذ الفتيا من

حكم تحريك الإصبع في التشهد للصلاة

السؤال

هذا سائل يسأل عن تحريك الإصبع في التشهد، هل هو شاذ أو ليس بشاذ؟ لأن هناك كتاباً جديداً اسمه (البشارة بنفي التحريك وثبوت الإشارة) قال فيه: (إن الصواب أن المصلي إذا تشهد أنه يشير بإصبعه إلى القبلة ولا يحركها) ذكر أحاديث وآثاراً في ذلك.

والشيخ الألباني رحمه الله ذكر في كتابه (الصلاة) وفي غيره من الكتب -تمام المنة فيما أظن- أن تحريك الإصبع هو الراجح، فيقول: إن الذين صرحوا بالإشارة يقولون: إن التحريك شاذ، فهل دعوى الشذوذ صحيحة؟

الجواب

اعتقاد الشيء فرع عن تصوره، نعرف أولاً الشاذ كقاعدة، ثم نفرع على هذه القاعدة.

التعريف المختار للحديث الشاذ هو ما عرفه الإمام الشافعي رحمه الله قال: (ليس الشاذ من الروايات أن يروي الراوي ما لم يروه غيره، بل الشاذ: أن يخالف الراوي غيره) إذاً لابد في الشذوذ من ثبوت المخالفة.

أي أنواع المخالفة التي يعنيها الإمام الشافعي؟ هي المخالفة التي يتعذر معها الجمع، فإذا أمكن الجمع بين الأدلة زال الخلاف وقلنا: لا يكون ذلك من الشاذ.

إذاً: لا يكفي الفصل في الحديث الشاذ الاقتصار على أصول الحديث فقط، بل لابد من دراسة مبحث التعارض والترجيح على الأقل في أصول الفقه، ولا يتم التوفيق بين الروايات إلا إذا أتقنا مبحث التعارض والترجيح.

نأتي على تحريك الإصبع أهو شاذ أم لا؟ الإمام الشافعي قال: (ليس الشاذ من الروايات أن يروي الراوي ما لم يروه غيره) قد تروي شيئاً لا يرويه غيرك ولا يكون شاذاً، تكون تلك زيادة ثقة، زيادة حفظ منك، فنأتي لنرى هذه المسألة الحديث الذي ورد في هذه المسألة في السنن حديث وائل بن حجر يرويه زائدة بن قدامة، عن

عاصم بن كليب، عن أبيه عن وائل بن حجر: فذكر صفة صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: (وكان ينصب يده يحركها).

قالوا: إن جمعاً من أصحاب عاصم بن كليب ذكروا هذا الحديث ولم يذكروا ما ذكره زائدة، وهم اثنا عشر راوياً -تقريباً- من الثقات اجتمعوا في الرواية عن عاصم بن كليب عن أبيه عن وائل بن حجر فقالوا: (يشير بإصبعه) وزائدة بن قدامة وحده قال: (يحرك) فقالوا: هذا شذوذ.

نقول: لا، لابد من ثبوت المخالفة حتى نسمي الحديث شاذاً، فهل هناك مخالفة بين الحديثين أم لا؟ الجواب: لا مخالفة؛ لأن الإشارة تجامع التحريك غالباً، كأن يقال لك مثلاً: أين محمد؟ فتقول: هو ذاك، فأنت لم تحرك ولم تقل له: هو ذاك فقط، وإنما قلت: هو ذاك وأشرت، ولكن الإشارة تجامع التحريك غالباً، إذ لا تفهم الإشارة غالباً إلا بتحريك وإلا كانت الإشارة عارية، لا تستطيع أن تفهم ماذا يريد هذا الإنسان، فإذا كانت الإشارة تجامع التحريك غالباً فما هو المانع أن يحفظ زائدة بن قدامة صفة فهم حفظوا الإشارة وهو زاد التحريك.

إذاً: زائدة بن قدامة -لاسيما وهو ثقة ثبت صاحب سنة، ليس عليه مظنة أبداً، قال ابن حبان: (كان من الثقات المتقنين، كان يعيد السماع ثلاث مرات) فإذا سمع حديثاً لا يسمعه مرة واحدة إنما يسمعه ثلاث مرات -إذا جاز أن تقول: هذه زيادة شاذة فأرني من الذي تقبل زيادته إن ردت زيادة زائدة؟! ومثال هذا ما رواه الشيخان وغيرهما من حديث حماد بن زيد عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (دعا النبي صلى الله عليه وسلم بإناء رحراح -أرجو أن ينتبه الإخوة لكلمة (رحراح) - فوضع يده على فم الإناء، وقال: توضعوا باسم الله) إلى آخر الحديث المشهور.

روى هذا الحديث جماعة من الثقات نحو ستة: عن حماد بن زيد، عن ثابت بن أسلم البناني، عن أنس بن مالك فقالوا: (بإناء رحراح)، وخالفهم أحمد بن عبدة الضبي في هذه الكلمة، فروى هذا الحديث عن حماد بن زيد، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: (دعا النبي صلى الله عليه وسلم بإناء زجاج) إذا الجماعة قالوا: (بإناء رحراح) وأحمد بن عبدة قال: (بإناء زجاج).

ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح قال: (حكم جماعة من الحذاق بأن أحمد بن عبدة صحفها) انقلب عليه: (رحراح) قلبها (زجاج).

ابن خزيمة الذي روى رواية أحمد بن عبدة ما تبني هذا، بل بنى فقه الباب على هذا الحرف، فقال رحمه الله: (باب إباحة الوضوء بأنية الزجاج، والرد على المتصوفة الذين يزعمون أن هذا إسراف، إذ الخزف أبقي وأصلب).

أي: افرض أن هذا الإناء وقع منك وانكسر، ستشتري غيره، بينما لو كان حديداً سواء وقع أو لم يقع لا ينكسر، إنما هذا إسراف لأنه معرض للكسر، فالإمام ابن خزيمة رد عليهم بهذا الحرف، ثم روى الحديث ثم قال بعد ذكر الحديث: ورواه جماعة عن حماد بن زيد فقالوا: (رحراح) مكان (زجاج) ثم قال -وهذا هو الفقه، وابن خزيمة رحمه الله كان من الأئمة القلائل الجامعين بين الفقه والحديث؛ ولذلك كانوا يسمونه بإمام الأئمة-: و (الرحراح) هو الواسع من أنية الزجاج لا العميق منه.

فوفق بين الروایتين، فهو إناء رحراح من زجاج، ف أحمد بن عبدة ذكر جنسه وهم ذكروا صفته، فأين التعارض بين الروایتين؟! ومعلوم من أصول العلماء: أن حمل قول العالم أو روايته على ما لا يخالف الدليل أولى من رده، فإذا كان الجمع لائقاً فهو الواجب، ولا يلجأ إلى الترجيح إلا إذا تعذر الجمع فيه.

كذلك مسألة الإشارة والتحريك، هو ذكر صفة الإشارة وهي التحريك، وهذه زيادة منه فلا بد أن تقبل.

فالذين يقولون: إن رواية زائدة بن قدامة شاذة لم يصيبوا؛ لأنه لم تتحقق المخالفة، بل الجمع ممكن، والحقيقة هناك مدرسة موجودة تتبنى مثل هذا، وأحدثت شراً مستطيراً في الكتب، فلا يرون رجلاً خالف رجلين إلا حكموا على الرجل بالشذوذ مباشرة! وهذا ليس من تصرف العلماء الجهابذة.

ومبحث (الشاذ) من أدق المباحث في علم الحديث وأعرقها، لذلك قلما تعرض عالم بتصنيف للتفريق ما بين الشذوذ وما بين زيادة الثقة لماذا؟ لأنه ليس له قاعدة،

إنما تعتمد على إتقان العالم للأصول، ثم كثرة ممارسته التي سماها علماء الحديث بالذوق.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا وإياكم ما ينفعنا، ونسأل الله عز وجل أن يتجاوز بها عنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

السنة في رفع اليدين في الصلاة

السؤال

نجد من الإخوة في الصلاة من يرفع يديه في كل ركعة، ومنهم من يرفعها في التكبيرة الأولى والثالثة فقط، فأيهما أرجح؟ وهل من يفعل هذا وهذا يكون قد أخطأ؟

الجواب

هذه من المسائل التي يسوغ فيها الخلاف، مثل رفع اليدين في تكبيرات الجنازة، وتكبيرات العيدين، كل هذا مما يسوغ الخلاف فيه، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، لكن المسألة كشيء أرجح وأفضل أن يرفع في تكبيرة الإحرام، ثم يرفع إذا أراد أن يركع، ثم يرفع إذا قام من الركوع، ثم يرفع عند القيام من التشهد الأوسط.

أفضل كتب الزهد

السؤال

ما هو أفضل كتاب في الزهد؟

الجواب

كتب الزهد المسندة عموماً من أفضل الكتب، فكلام السلف كله بركة ونور، هناك كتاب الزهد لـ هناد، والزهد لـ وكيع، والزهد للإمام أحمد رحمه الله، والزهد لـ ابن المبارك، خذ هذه الكتب وتجاوز السند إن لم تكن لك همّة في الأسانيد، واقرأ فستقف على أقوال هؤلاء العلماء في الزهد تنفعك إن شاء الله، ومن أفضل الكتب وأمتعها كتاب سير أعلام النبلاء للحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله، فهذا الكتاب من أنفس الكتب فقد جمع فيه سير العلماء، وفرق فيه يما هو موجود في كتب الزهد في تراجم العلماء كل بما يخصه.

حكم التمذهب وطلب العلم على مذهب معين

السؤال

هل يجوز لطالب العلم المبتدئ أن يتمذهب بمذهب معين من المذاهب الأربعة حيث تعرض له كثير من مسائل الخلاف، ولا يدري ما هو القول الراجح؟ نرجو الإفادة.

الجواب

أما بالنسبة للتمذهب كوسيلة لتنظيم الدراسة فهذا جائز، وأنا سألت الشيخ الألباني رحمه الله؛ لأنهم نقلوا عنه أنه يهدم المذاهب الأربعة، والشيخ مظلوم وبريء من هذا القول، فسألته هذا السؤال بعينه: هل يجوز لطالب العلم أن يتمذهب من باب تنظيم الدراسة؟ لأنه لو درس الفقه على الراجح لن يصل إلى شيء، ويربى الطالب على صغار العلم وليس على كبارهم؛ لأنه إذا دخل في وسط العلماء الذين يرجحون ويرد بعضهم على بعض وليس عنده إدراك ولا تمييز فلن يحصل طائلاً من هذا

الخلاف، لذلك هو يبدأ بالمتفق عليه، كأن يدرس -مثلاً- المتون من كتب أحد المذاهب كتنظيم للدراسة.

وهناك شرط: ألا يجعل المذهب ديناً لا يتجاوزه، حتى وإن ظهر الدليل على خلاف المذهب؛ لأن أهل العلم جميعاً ينهاون عن ذلك.

فقلت للشيخ حفظه الله: بأي المذاهب تنصح؟ قال: بالمذهب الشافعي ثم المذهب الحنبلي.

قال: هذان أفضل المذاهب الأربعة من حيث تفضيل إلى السنة، المذهب الشافعي لثرائه ولكثرة الكتب والعلماء، والمذهب الحنبلي لضبطه على الدليل.

وبكل أسف هناك بعض المدارس الموجودة ترد المذاهب الأربعة جملة، وتحرم التقليد حتى على العامي الذي لا يدري شيئاً، وهذا غلوا جداً، ويقولون: لأن التقليد لا يجوز في دين الله.

ولا يجوز للعالم أن يقلد.

ولا يتصور أن عالماً يفتي في كل مسألة ببحث واستقراء واستفاضة فالأمر لا يتسع إلى مثل هذا، وقد وجدنا أكابر العلماء يذكرون فتاوى غيرهم، كالإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد وإسحاق والثوري والأوزاعي وهؤلاء كان أحدهم، يسأل عن فتوى فيقول: كان سعيد بن المسيب يقول كذا، وكان الزهري يقول كذا.

فمسألة أنه لا بد للإنسان أن يتحرى الحق، ويبحث المسألة، وينظر إلى أدلة المخالفين، ثم يمشي في مسألة التعارض والترجيح، وفي الآخر يرجح قولاً من الأقوال! ما أظن أن أحداً من العلماء يوجبه على كل إنسان، إنما كل إنسان بحسبه، وقد أسقط الله تبارك وتعالى الحرج عن هذه الأمة: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} [البقرة: ٢٨٦] {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦] فهل يتصور أن آتي على رجل فلاح وأقول له: تعال نناقش التعارض والترجيح بين الأدلة، فإذا تعارض دليلاً نترك كذا وندع كذا إلخ! هذا نوع من التعجيز، فالذي يقول: إن التقليد لا يجوز حتى على مثل هذا الرجل غال جداً، والذي يقول: لا يجوز تجاوز المذهب

حتى وإن ظهر الدليل أيضاً هذا غلو شديد، نسأل الله تبارك وتعالى أن يهدي الأمة إلى الصراط المستقيم.

القيام من السجود على اليدين لا الركبتين

السؤال

القيام من السجود على اليدين أم على الركبتين؟

الجواب

هذا مبني على المسألة السالفة، فإذا قلنا في النزول إنما يكون باليدين يكون آخر شيء يمس الأرض منك في حالة القيام اليدين، أي: النزول يكون باليدين والقيام يكون أيضاً على اليد.

حكم وضع اليدين على الصدر بعد القيام من الركوع

السؤال

ما حكم وضع اليدين على الصدر بعد القيام من الركوع؟

الجواب

لا نريد أن نخوض في هذه المسألة، ولكن كما قال الإمام أحمد رحمه الله: (إن شاء فعل وإن شاء ترك) وعلمائنا في الحجاز -جزاهم الله خيراً- الذين يفتون في هذه المسألة قالوا: إنه لا يلزم التشديد فيها ولا ينبغي الإنكار فيها، وإن كان الأقوى من

جهة الدليل عدم وضع اليدين على الصدر، ولكن إذا وضعهما إنسان فلا ينكر عليه هذا الإنكار الشديد، والله أعلم.

حكم البيع بالتقسيط

السؤال

ما حكم بيع السلعة مؤجلاً بالتقسيط؟

الجواب

الذي عليه أكثر أهل العلم: جواز البيع المقسط، وهناك خلاف بين العلماء المانعين من جهة التخصيص والذين يرونه ربا، وبين الذين يجيزونه، والخلاف بينهم في فهم معنى نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيعتين في بيعة.

القسم الأول: الذي يرى أنه ربا، وكان منهم سماك بن حرب راوي الحديث، ومنهم الإمام النسائي صاحب السنن فقد بوب على نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيعتين في بيعة، قال: وهو أن يقول: أبيعك هذه نقداً بكذا ونسيئة بكذا.

فقالوا: إنه مجرد عرض سعرين للسلعة الواحدة يعتبر بيعتان في بيعة، لكن نحن لو نظرنا إلى لفظ البيع وهل تم بيعه بمجرد عرض السعر أم لا بد من قبول وإيجاب ولا بد من الخيار والافتراق وهذه الأشياء المعروفة، ولأنه في النهاية لا تتم إلا بيعة واحدة: إما بالنقد وإما بالتقسيط.

والعلماء حملوا النهي عن بيعتين في بيعة كأن يبيع البائع السلعة بعشرة جنيهاً، ويتم البيع على أساس أنه يعطيه كل شهر مبلغاً من المال، فيأتي صاحب السلعة (البائع) فيقول للمشتري: تبيعني السلعة بثمانية جنيهاً نقداً فيقول له: خذ.

فباعها له مرة أخرى (بثمانية) لكن نقداً، فهذا يسمى بيعتان للسلعة الواحدة، وهذا هو الذي عليه أكثر العلماء، ولذلك يجيزون بيع التقسيط، والله أعلم.

المحدثون هم الفقهاء لا العكس

السؤال

كثيراً ما يقول الإخوة أن الشيخ الألباني -رحمه الله- محدث وليس بفقيه؟

الجواب

الذي قال هذه الكلمة إذا كان بمستوى الشيخ يستطيع أن يحكم عليه فله ذلك، ولكن لا أظن أن يكون قائل هذه الكلمة عادة في مستوى الشيخ، بل لا أبالغ إذا قلت: إنه لا يساوي قلامة ظفر الشيخ.

هذه دعوة قديمة التصقت بأهل الحديث من قوم يبغضونهم، فكيف يتصور في الذي يحمل الأدلة أنه لا يفقهها؟ أيفقهها الذي ليس عنده من الدليل شيء؟ ولذلك كانوا يشنعون على أهل الحديث، يقول بعض العلماء: دخلت الكوفة فإذا قاض لهم -أي: لأهل الرأي- يقول في حلقة: مساكين أهل الحديث لا يدرون الفقه.

قال: وكانت بي علة فحبوت إليه، وقلت له: اختلف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الجراحات: فأى شيء قال علي؟ وأى شيء قال ابن مسعود؟ وأى شيء قال زيد بن ثابت؟ فسكت، فقلت: اختلف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في كذا وكذا فأى شيء قال أبو بكر؟ وأى شيء قال عمر؟ وأى شيء قال أبو عبيدة؟ فسكت، فقلت له: أنا أخف أصحاب الحديث، سألتك عن مسألة لم تحسنها، فكيف ترميني بما لا تحسنه؟ وكانوا دائماً يصفون أهل الحديث بذلك، ولذلك لما جاء الإمام الشافعي رحمه الله وقد جمع بين الفقه والحديث ناظر أهل العراق وأوقفهم، حتى سماه أهل مكة: ناصر الحديث، وهو شامة في جبين المحدثين، ولذلك إذا عد فقهاء المحدثين يذكر

الشافعي رحمه الله في مقدمتهم لماذا؟ لأنه أوقف دعوى أهل الرأي أن أصحاب الحديث لا يفقهون، حتى إن الشافعي كان لا يعجبه كثير مما يقول أهل العراق، لكن أدبه حمله على ألا يناظر شيخه محمد بن حسن الشيباني، مع جزم العلماء بأن الشافعي أعلم من محمد بن حسن الشيباني، كيف لا وهو معدود من المجتهدين على الإطلاق، ومحمد بن حسن الشيباني معلوم أنه من شيوخ الناس ومن مجتهدي المذهب فكان مع رسوخه في العلم وتواضعه يترك هؤلاء حتى يقوم الشيخ ويبتدئ يناظر كل أهل المجلس، فلا يستطيعون معه جواباً لماذا؟ لأن عنده أحاديث، وعنده: قال حدثنا أخبرنا.

فلما ضجوا منه ولا يجدون له جواباً، وكان حظهم من علم الحديث قليلاً شكوا ذلك إلى محمد بن الحسن وقالوا: إنك إذا قمت من المجلس ناظرنا الشافعي فما نستطيع معه جواباً، فقال له محمد بن الحسن: (إنه بلغني أنك تناظر أصحابي تناظرني؟ فقال له: إني أجلك عن المناظرة.

قال: لا بد.

فتناظر معه في مسألة المياه، فلما تناظر معه طويلاً في مسألة المياه -وهذه المناظرة ملحقة بكتاب الأم- قال: إنكم لتقولون في الماء قولاً لعله لو قيل لعاقل: (تخاطأ) فقال بقولكم في الماء لكان قد أحسن التخاطؤ.

ولما جاء إسحاق بن راهويه رحمه الله فكأنه استقل الشافعي، فرسم لمحدثه بالفارسية أن هذا الشافعي ليس بقوي، وكان الشافعي يعرف الفارسية، فعلم أنه يحط عليه، فكان الشافعي متكئاً فجلس وقال له: تناظر؟ فقال له إسحاق: ما جئت إلا لذلك، فتناظروا في المسألة المعروفة في (بيع وشراء بيوت مكة) فظهر عليه الشافعي ظهوراً بليغاً.

فمسألة رمي المحدثين بقلة الفقه هذه مسألة قديمة، ما من سوء أن يكون هناك من المحدثين من لم يهتم إلا بفقه الرواية، وهذا كثير، فمن الناس من ينتسبون إلى أهل الطرائق وليسوا منهم، يعني: كثير من الناس يقول: أنا محدث.

وتجده لا يعرف شيئاً عن علم الحديث، فهل يجرح أهل الحديث به؟ لا، الشيخ ناصر الدين رحمه الله رجل أحيا الله تبارك وتعالى به السنة، وأحيا به فقه الحديث، وهو يخالف في مسائل كما يُخالف العلماء، له مسائل تفرد بها كما تفرد غيره، فلا يعني ذلك أنهم يطعنون عليه في هذه المسائل التي خالف فيها أنه ليس بفقهاء، فما من إنسان إلا وقد خولف.

الشيخ حفظه الله لا يعرف قدره إلا من جالسه ورآه، هذا الرجل لو رأيته لقلت: سقط من القرون الثلاثة الأولى، على محياه نضرة السنة، كما قال عليه الصلاة والسلام: (نضر الله امرءاً سمع مقالتي فادأها كما سمعها) وأشهد والله العظيم كأن نضرة الحديث على وجهه، رجل إذا اعتقد شيئاً لا يحابي فيه، حتى وإن أدى ذلك إلى ضرره، فحسبه أنه رجل طريد ليست هناك دولة في الدنيا تتبناه، مع الفضل الذي أجراه الله تبارك وتعالى على يديه، وما من رجل ينسب إلى الحديث والسنة في هذا العصر -لا أقول: هذا مبالغة في مدح الشيخ حفظه الله تعالى، وإلا فهو مستغن عن مدح أمثالي- إلا وللشيخ عليه منة وفضل، وكتبه يشهد بها القاضي والداني.

وقد سئل سماحة الشيخ العلامة شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله تبارك وتعالى، قيل له: (أقلت ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من الشيخ الألباني؟ قال: ما قلت ذلك، لكنني أوافق عليه) وكان الشيخ رحمه الله في مجلس عند رجل ممن يعادون الشيخ الألباني، فسأل هذا الرجل الشيخ ابن باز رحمه الله، قال له: ما تقول في حديث كذا وكذا أصحيح؟ قال: عندك كتاب إرواء الغليل؟ الشيخ كان يعلم أن هذا الرجل ممن يعاند الألباني، قال له: عندك إرواء الغليل؟ فقال له: نعم.

قال: هات الجزء الفلاني، فصعد الرجل إلى مكتبته وأتى بالجزء وفتحه وقال: اقرأ علينا ما كتب الشيخ.

المهم قرأ الرجل وفي الأخير قال: يا شيخ! ما تفعل بهذا الألباني؟ فقال: إن مصنفات الألباني لا يستغني عنها عالم ولا طالب علم.

وهذه حقيقة، قد رأينا الذين يكرهونه عيلاً عليه، ويسرقون عمله؛ ولكنهم كاللص الماكر.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرحمه رحمة الأبرار، وأن يهدي هؤلاء إلى معرفة قدر العلماء.

النزول إلى السجود في الصلاة يكون باليدين

السؤال

أشكلت علينا أمور في الصلاة فأجبنا يرحمكم الله.

الأمر الأول: ما هيئة النزول إلى الأرض للسجود؟

الجواب

بالنسبة لمسألة النزول إلى الأرض أهي باليدين أم على الركبتين؟ الصحيح في هذا الباب بما لا يدع مجالاً للشك: أن النزول إنما يكون على اليد وليس على الركبة؛ يدل على ذلك الأثر والعقل: أما بالنسبة للأثر: فحديث أبي هريرة رضي الله عنه - وهو صحيح لا علة فيه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير، وليضع يديه قبل ركبتيه) هذا لفظ قاطع في المسألة وفي غاية الوضوح، وأعظم ما أعل به هذا الحديث بقول الإمام البخاري رحمه الله في محمد بن عبد الله بن الحسن - أحد رواة الحديث؛ لأن هذا الحديث رواه الترمذي وغيره من طريق محمد بن عبد الله بن الحسن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه- فقال الإمام البخاري: (ومحمد بن عبد الله بن الحسن ما أدري أسمع من أبي الزناد أم لا) هذا ما أعل به.

فالإمام البخاري رحمه الله نفى معرفته ولم ينف معرفة غيره، وهناك فرق بين أن يقول: لم يسمع، وبين أن يقول: لا أدري أسمع أم لا.

ولو جننا فنظرنا في ترجمة محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بـ النفس الزكية، لوجدنا أنه مدني كان يعيش في المدينة، وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان عالم المدينة الأشهر في زمانه، وكان له حلقة مشهورة جداً في المسجد النبوي، فعاصر محمد بن عبد الله بن الحسن أبا الزناد خمسة وأربعين سنة في المدينة أفما التقيا ولو مرة، وهذا مدني وهذا مدني؟! محمد بن عبد الله بن الحسن يعاصره خمسة وأربعين سنة ولا يحضر مجالس أبي الزناد! فالمعاصرة محققة يقيناً.

ثم إنه لم يتهمه أحد قط بالتدليس، فإذا أمانا من تدليسه فعننته محمولة على الاتصال، ثم المعاصرة يقيناً موجودة -كما قلت- فيقينا لا هناك سبيل إلى القول: لا أدري أسمع أم لا.

وهو على شرط مسلم صحيح، وهذا غاية ما علل به.

أما حديث شريك بن عبد الله النخعي فقد جاء -وهو من حديث وائل بن حجر وأبي هريرة وغيرهم- من طريق يزيد بن هارون عن شريك بن عبد الله النخعي، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن وائل بن حجر قال: (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم إذا هوى إلى السجود انحط، فكان أول ما وصل إلى الأرض منه ركبتاه) قال الدارقطني رحمه الله بعد ما روى هذا الحديث: (تفرد به شريك، وليس بالقوي فيما يتفرد به) وهذا كلام من الدارقطني له وزنه: أنه لم يتابع أحد شريك بن عبد الله النخعي وهو سيء الحفظ، فمعلوم أن سيء الحفظ إذا تفرد لا يقبل منه فكيف إذا خالف؟ فهو أولى وأحرى أن يرد إليه.

وقال بعض الناس: إن رواية شريك بن عبد الله النخعي نعم ترد، لكن إذا روى عنه يزيد بن هارون فروايته صحيحة؛ لأن شريكاً ما ساء حفظه إلا بعد ما ولي القضاء في الكوفة، ويزيد بن هارون سمع منه قبل ذلك، وقد نص أهل العلم كـ ابن حبان وغيره أن رواية يزيد بن هارون عن شريك النخعي سالمة من الخل.

ولكن يجاب عن هذا بما رواه الخطيب البغدادي عن يزيد بن هارون في الكفاية قال: (دخلت الكوفة فما رأيت بها أحداً إلا يدلس غير شريك وهشيم بن بشير) فدل على أن يزيد بن هارون دخل الكوفة وأخذ عن شريك بن عبد الله في الكوفة أيضاً.

إذاً: فله روايتان: رواية قبل الاختلاط ورواية بعده، فمذهب أهل العلم فيمن حاله هكذا أن يتوقف عن قبول خبره جملة حتى يميز أكانت روايته عنه قبل الاختلاط أم بعده.

أضف إلى ذلك أنه صح عن ابن عمر -وقد علقه البخاري بصيغة الجزم في صحيحه-: (أنه كان يضع يديه قبل ركبتيه).

وقد روى الحاكم في مستدركه هذا عن ابن عمر ونسبه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقال الحاكم: (وقد قال به جماعة من الصحابة والتابعين، والقلب إليه أميل).

فهذه هي الآثار، وكل حديث فيه الابتداء بالركبتين فهو إما منكر وإما ضعيف جداً، وأحسنها حديث شريك، وقد قلنا: إنه ضعيف ومعارض لحديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأما من جهة العقل: فالبعير أول شيء يصل إلى الأرض منه ركبتاه؛ إذ أن يداه موضوعتان يمشي عليهما، وذكر أهل المعاجم -معاجم اللغة- أن المقدمان من نوات الأربع يدان، والمؤخران الرجلان.

فلما علم بعض الذين يتولون القول بتقديم الركبة ذلك قالوا: إن ركبة البعير ليست في يده! وهذا كلام لا يعرفه أهل اللغة، وقد ذكر أهل المعاجم جميعاً في مادة (ركب) قالوا: (وركبة كل ذي أربع في يديه، وعرقوباه في رجليه)، واستدلوا على ذلك بثلاثة أحاديث: الحديث الأول: وهو صريح جداً في الدلالة على المطلوب -وهو في البخاري وأحمد- عندما طارد سراقه بن مالك النبي عليه الصلاة والسلام، قال سراقه بن مالك: (فدعا عليّ النبي صلى الله عليه وسلم فساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين) فدل على أن الركبة في اليد.

الحديث الثاني: حديث أنس في الصحيحين عندما صلى النبي عليه الصلاة والسلام الظهر ثم قال: (سلوني سلوني! حتى قال عبد الله بن حذافة: من أبي؟ قال: أبوك حذافة).

ورجل قال: أين أبي؟ قال: أبي وأبوك في النار، فضج الناس حتى أكثروا، قال: فجثا عمر على ركبتيه) وفي الرواية الأخرى: (فبرك عمر على ركبتيه) وبوب عليه الإمام البخاري بقوله: (باب البروك على الركب)، فدل هذا على أن البروك لا يكون إلا على الركبة.

الحديث الثالث: رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت خواتيم البقرة: {وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ} [البقرة: ٢٨٤] قال: (جاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فبركوا على الركب، وقالوا: يا رسول الله! جاءت التي لا نستطيع) إلى آخر الحديث، فدل على أن البروك إنما يكون على الركبة، والركبة في كلام أهل اللغة لذوات الأربع إنما هي في اليد.

إذاً: ما هو أول شيء يصل من البعير إلى الأرض؟ أول شيء ركبتاه وهما في يديه، فإذا كان أول شيء يصل إلى الأرض من البعير ركبتاه فلا يكون أول شيء يصل من المصلي إلى الأرض ركبتاه، وهذا بدهي جداً، والمسألة طويلة، وأرجو أن يكون النزاع قد فصل.

معنى (جواب الحكيم) في عبارات الفقهاء

إن الحمد لله تعالى، نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد.

وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد.

السؤال

قرأت في بعض الكتب عن (جواب الحكيم) فما معنى هذه العبارة؟

الجواب

معنى (جواب الحكيم) أن يزيد المفتي في جوابه على سؤال السائل زيادة لا تتم الفائدة من الجواب إلا بها، مثال ذلك: قال صلى الله عليه وسلم -وقد سألته امرأة، كما في صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما-: (أنها حملت صبياً صغيراً ورفعته، وقالت: ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر)، فجواب السؤال تم بقوله صلى الله عليه وسلم: (نعم).

وما سألت المرأة: هل لها أجر أم لا، إنما زادها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الزيادة؛ لأن الإنسان لا يعمل إلا إذا أجر، هكذا خلق الله عز وجل الإنسان، لذلك خلق له الجنة والنار كترغيب وترهيب، على خلاف ما ينسبونه إلى بعض الصوفية كرابعة العدوية وغيرها، التي كانت تقول: لو كنت أعبدك خوفاً من نارك فأحرقني بنارك، ولو كنت أعبدك طمعاً في جنتك فأحرمني من جنتك، وإن كنت أعبدك ابتغاء وجهك فلا تحرمني من وجهك! ويقولون: إن الذين يعبدون الله عز وجل طمعاً في الجنة وخوفاً من النار إنما يعبدونه عبادة التجار، ويقولون: إن عبادتهم مدخولة؛ لأنهم يقولون: إن الذي يعبد الله طمعاً في الجنة وخوفاً من النار لم يخلص في عمله.

وهذا قول مخالف للآيات القرآنية، ومخالف لأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، قال الله تبارك وتعالى: {فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران: ١٨٥] فذكر ربنا عز وجل أن الذي يدخل الجنة قد فاز.

ولا يتصور أن يعبد الرجل ربه بغير أجر وجزاء (جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم -كما في سنن أبي داود- وقال له: إني أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، ولا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال عليه الصلاة والسلام: حولها ندندن).

أي: حول سؤال الله الجنة والاستعاذة به من النار ندندن.

فالإنسان إذا لم يعمل لحافز ففترت همته، ولذلك فأنت ترى في الدنيا القطاع العام نظامه فاشل، والقطاع الخاص نظامه ناجح، لأن القطاع الخاص يربط الأجر بالإنتاج، لكن القطاع العام مثل الدواوين، هذا الرجل له مرتب سواء عمل أو لم يعمل سيأخذ مرتبه.

القطاع الخاص يقول صاحبه مثلاً: القطعة بدرهم، فحينها يقول: وأنا لماذا أجلس فارغاً؟ أستكثر من القطع لأجل أن أستكثر من الدراهم هذا كله بسبب الحافز.

والصحابي الذي قال للنبي عليه الصلاة والسلام في غزوة بدر: (مالي عند ربي إن قتلت في سبيله؟ قال: لك الجنة).

فكان يأكل تمرات، فرمى بالتمرات، وقال: إنها لحياة طويلة حتى أكل هذه التمرات، فقاتل حتى قتل).

فتصور الحوار الآتي: هل كان هذا الرجل يبادر فيلقي بالتمرات ويدخل في غمرات القتال؟ لا.

وفي أيام قتال ابن الزبير مع عبد الملك بن مروان، جاء رجل إلى ابن الزبير وقال له: أقاتل معك -وأنا فارس مشهور- فكم تعطيني إذا أبليت بلاءً في القتال يعني؟ قال: أعطيك كذا وكذا.

فقال: أعطني المال؟ قال: حتى نرجع، نقاتل ونرجع.

فتولى عنه الرجل وهو يقول: أراك تأخذ روعي ديناً وتعطيني دراهمك نسيئة.

أي: ما يضمن لي أن أرجع، فالرجل لأنه لم يعطه ابن الزبير ترك القتال معه،
فكذلك الإنسان.

فالنبي عليه الصلاة والسلام لما قالت المرأة: (ألهذا حج؟ قال: نعم.

-ثم حفزها لما يعرفه من طبيعة الإنسان أنه إذا عمل أجر- قال: ولك أجر).

لأن الإنسان قد يقول: هذا صبي صغير، وأنا أؤخر الحج حتى يبلغ وتكتب له
الحجة، فكان هذا من النبي صلى الله عليه وسلم حافزاً للمرأة، وللرجال الذين
يسمعون هذا الحكم حتى يأخذوا أولادهم إلى الحج.

ومنه أيضاً ما رواه أصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء
أعراب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله! إنا نركب البحر، ونحمل
القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال عليه الصلاة
والسلام: هو الطهور ماؤه، الحل ميتته) مع أنهم لم يسألوا عن حل الميتة، إنما سألوا
عن طهورية ماء البحر أهو طاهر؟ فكان يكفي الشطر الأول في الجواب: (هو
الطهور ماؤه) لكن زادهم الرسول عليه الصلاة والسلام حكماً لم يسألوا عنه، وهذا
من تمام شفقتة عليه الصلاة والسلام بهؤلاء السائلين.

فإذا كان هؤلاء الأعراب استشكلوا طهورية ماء البحر، فلأن يستشكلوا ميتة
البحر أولى، إذا كان استشكلوا الشيء المشهور المعروف، فلأن يستشكلوا ما هو
أغمض منه أولى، وهؤلاء أعراب يركبون البحر، فقد يغيب الرجل خمسة عشر يوماً
في البحر وينفذ زاده، وقد يضطر إلى أكل السمك أو أكل حيتان البحر، وليس عنده
أي معلومة هل ميتة البحر حلال أم حرام؛ فأشفق عليهم فأفتاهم.

ولو قال شخص: لم يكونوا صيادين.

فنقول: لا؛ لأنه ورد في بعض طرق الحديث أنهم كانوا يصطادون اللؤلؤ، ولو
كانوا يصطادون السمك لكان هذا ظاهراً جداً بالنسبة لهم.

لكنهم كانوا يصطادون اللؤلؤ، فربما نفذ زاد هؤلاء فظنوا أن ميتة البحر تدخل في عموم الميتة في القرآن، فلا يأكلون، قال الله تبارك وتعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ} [المائدة: ٣] و (الميتة): اسم جنس محلى بالألف واللام، يفيد العموم، أي: حرمت عليكم كل أنواع الميتة.

وقد يقول شخص: السمك والجراد معروف للناس جميعاً أنه مستثنى من الميتة؟ نقول: لا، هذا معروف لنا، لكن بالنسبة لهؤلاء الأعراب لم يكن معروفاً، فأنت إذا عرفت أن أحد كبار الصحابة المجتهدين لم يكن يعرف هذا الحكم سهل عليك أن تعرف أن هؤلاء الأعراب لا يعرفون الحكم.

فهذا الصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وقد روى خبره هذا البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: أرسلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة، وأمر علينا أبا عبيدة بن الجراح، وأعطاهم جراباً فيه تمر، فكان يعطينا الحفنة من التمر فنأكلها.

فلما كاد التمر أن ينفد كان يعطينا ثمرة تمره، فكنا نمصها كما يمص الصبي، ونشرب عليها الماء، فلما نفذ التمر أكلنا ورق الشجر -يضرّبونه بالعصي ثم يطحنونه، ثم يأكلونه، فسمي هذا الجيش جيش الخبط، الذي هو نسبة إلى ورق الشجر الناشف- فظّلوا يأكلون ورق الشجر شهراً حتى قرحت أشداقهم.

قال: ثم قذف البحر لنا دابة عظيمة يقال لها العنبر -دابة عظيمة: حوت من حيتان البحر، لكنه عظيم الخلق- قال: وجلس ثلاثة عشر رجلاً منا في وقب عينه -مكان العين هذه مكث فيه ثلاثة عشر واحداً من الصحابة- قال: وكنا نأخذ الدهن من عينه بالقلال.

فأول ما رمى البحر هذا العنبر على الشاطئ قال أبو عبيدة: ميتة! لا تأكلوه -لم يكن عند أبي عبيدة خبر أن ميتة البحر مستثناة من عموم الميتة في كتاب الله عز وجل-.

ثم قال لنفسه: نحن جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي سبيل الله، ونحن مضطرون، فكلوه -إذا أبو عبيدة أيضاً لما أكل لم يخالف النص القرآني: {فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة: ٣]، فحمل هذا الأمر على الضرورة، وأكلوا- وأخذوا من لحمه وشائق -أي: وضعوا عليها ملحاً وقددوها-.

فلما رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك قال: (هذا رزق رزقكموه الله عز وجل، فهل معكم منه شيء؟).

فإذا كان أبو عبيدة بن الجراح وهو من هو في العلم حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وقع طاعون عمواس وأراد أن يخرج قبل أن يعرف الحكم، فقال له أبو عبيدة: أتقر من قدر الله يا أبا حفص؟ قال: يا أبا عبيدة! لو غيرك قالها -يعني: كان أدبه، لكن أبا عبيدة كانت له مكانة عند عمر وكان جليل القدر والعلم، وكأنما يقول: أفتلك في علمه يقول مثل هذا الكلام؟ - نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله.

فإذا كان هذا الحكم يخفى على مثل أبي عبيدة بن الجراح فله أن يخفى على مجموعة من الأعراب أولى وأولى، والرسول عليه الصلاة والسلام علم استشكل هؤلاء عن ماء البحر، فأعطاهم هذا الحكم الزائد الذي لم يسألوا عنه؛ رحمة بهم.

ومن هذا الباب أيضاً: قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، لما ذهب يبحث عن راهب يفتيه: هل له توبة؟ فدل على راهب فأتى إليه، فقال: هل لي من توبة؟ قال: لا؟ فقتله فأتى به المائة، ثم أذن الله له بالتوبة، فسأل عن أعلم أهل الأرض.

فدلوه على راهب عالم، فقال له: إني قتلت مائة نفس، ألي توبة؟ قال: نعم، ومن يحجب عنك باب التوبة؟ اخرج إلى أرض كذا وكذا، فإن فيها قوماً يعملون الصالحات.

قال: (ألي توبة؟ قال: نعم) وهنا تم الجواب.

كل الزيادة القادمة هذه من تمام (جواب الحكيم) لا تتم الفائدة، ولا ينتفع هذا الرجل إلا بتمام الفتوى.

(ألي توبة؟ قال: نعم.

-الزيادة- (ومن يحجب عنك باب التوبة؟ اخرج إلى أرض كذا وكذا فإن فيها قوم يعملون الصالحات).

أول زيادة: فيها أمانة العا

حكم إطلاق اللحية في الشرع

السؤال

أنا شاب التزمت قريباً، وأطلقت لحيتي، وطال جدال بيني وبين والدي وإخوتي، فهم يقولون: اللحية لا ضرورة لها الآن، وأهم شيء القلب، ويقولون لي: ليست اللحية واجبة، وليس عندي من المعلومات الشيء الكثير لمناقشتهم، فأرجو أن تفصل هذا الأمر؛ لأنه مهم جداً بالنسبة لي حتى أقنعهم؟

الجواب

الحقيقية أن الذي يزعجني قول بعض الناس للذي يطلق لحيته، مثلاً: هل صنعت كل شيء من الواجبات فما بقي إلا اللحية؟! فيهونون عليه هذا الحكم.

إذا نظرنا إلى الدين بهذه الصورة فلن يفعل أحد قط شيئاً من الخير، فمثلاً: سرت في الشارع ووجدت زجاجة مكسورة يمكن أن تجرح إنساناً ما، فأخذتها ووضعناها بجانب الطريق، فيأتيني رجل يقول لي: هل فعلت كل شيء إلا حمل الزجاجة من على الأرض؟ هل يستقيم هذا الكلام؟! وهل العبادات بعضها مترتب على بعض بحيث إذا لم تفعل هذه لا يحل لك أن تفعل الأخرى؟! بل الرسول عليه الصلاة والسلام يقول -كما في الصحيحين -: (إن امرأة بغياً من بني إسرائيل -بغياً: أي:

تتاجر بعرضها- رأت غصن شوك من على الأرض فحملته فنحته جانباً، فشكر الله لها؛ فغفر لها).

أنت لا تدري ما يقبل من عملك؛ لذلك لا تكف عن فعل الخير أبداً، الزجاجة التي تحملها عن الأرض لعل الله عز وجل يكفر عنك ذنوبك كلها بهذه الزجاجة، فهذه الزجاجة قد تكون عند الله عز وجل أفضل من قيامك وصيامك، وأنت لا تدري، وهذا ليس تهويناً للصيام والقيام، هل أنت تتصور أنه ورد لك في النصوص -إذا لم تكن تعلم هذا النص- أن غصن شوك يسقط ذنب امرأة تاجرت بعرضها، وزنت وغصن شوك يسقط كل هذه الجرائم من على أكتافها؟! أنت لا علم عندك علم بالذي يتقبل من أعمالك، أحياناً قد تعمل عملاً وتتصور أنه أجل عمل عملته ولا تؤجر عليه، وتعمل عملاً آخر وليس عندك اهتمام كبير به فالله عز وجل يغفر لك به.

اللحية ليست كما يظن كثير من الناس أنها مستحبة، بل هي واجبة، والفرص والواجب عند جماهير العلماء واحد.

لماذا هو فرض؟ نقول: إن الأوامر ثلاثة أقسام: الواجب، والمستحب، والمباح.

والمباح: يعتبر أمراً من جهة الصيغة -وهناك خلاف بين العلماء هل المباح أمر أم لا- كأن أتكلم على جهة الصيغة الآن، فالأوامر إما أن تكون من الأعلى للأسفل، أو من الأسفل للأعلى، أو من النظر للنظر.

فالأوامر من الأعلى للأسفل تفيد الإلزام، ومن الأسفل للأعلى تفيد التوسل والرجاء، والنظر للنظر تفيد الطلب، فإذا قال الله عز وجل لنا: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١].

(تب): فعل أمر من أعلى، أي: لا خيار لك في الترك، لا بد أن تفعل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اتق الله حيث ما كنت) فعل أمر، يبقى هذا يفيد الإلزام.

مثال الأمر من أسفل للأعلى: أنت تقول: رَبِّ اغْفِرْ لِي (اغفر): فعل أمر، لكن هل أنت تأمره؟ لا، أنت تتوسل إليه.

والأمر من النظير للنظير: أقران أُنْدَاد فأحدهم يقول للآخر: افعل كذا هذا على سبيل الطلب وليس على سبيل الإلزام.

هذه حقيقة الأمر! فالعلماء يقولون: الأمر المجرد عن القرائن يفيد الوجوب إلا أن تأتي قرينة تصرفه عن الوجوب، والرسول عليه الصلاة والسلام قال: (اعفوا للحي) (ارخوا للحي) (وفروا للحي) وفي لفظ آخر: (ارجوا للحي).

أما (اعفوا) فهو من تمام الترك، تترك اللحية حتى تكثر، كما قال الله عز وجل: {ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا} [الأعراف: ٩٥]، (حتى عفوا): أي كثروا.

و (ارجوا للحي): من قول الله عز وجل: {وَأَخْرُؤْنَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ} [التوبة: ١٠٦]، أي: متروكون، أي: أتركوها.

و (فروا للحي): من التوفير.

فكل هذه الأوامر معناها: تمام الترك.

القرينة التي تصرف هذه الأوامر مثل أن يأتي رجل قد حلق لحيته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيرحب به النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه، وهذه قرينة تدل على أن الأمر لا يفيد الوجوب؛ لأنه لو كان واجباً لكان النبي صلى الله عليه وسلم أنكر عليه، وقال له: لماذا حلقت لحيتك، فإن اللحية فرض؟ أما إذا لم ينكر عليه وهو لا يقر على الباطل، إذًا: هذا يدل على أن اللحية ليست واجبة، وإنما هي مستحبة، إذا فعلتها تثاب عليها وإذا لم تفعلها لا تعاقب.

فهل ثبت أن أحداً من الصحابة حلق لحيته فسكت النبي صلى الله عليه وسلم عنه؟
الجواب: لا، أبداً.

هل ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم حلق لحيته؟ لا.

لم يثبت شيء من هذا إطلاقاً.

والعلماء يقولون: يبقى الأمر على حالته الأولى، وهو أنه يفيد الوجوب.

فالنبي عليه الصلاة والسلام عندما يقول: (اعفوا اللحى وقصوا الشارب، وخالفوا اليهود والنصارى) ولكن هنا شبهة سمعتها من أستاذ في قسم الحديث، عندما كانوا يستقدمونه في ندوة عن الرأي التي كان يرد فيها على الشباب، فقال: بل لو قلت: إن خلق اللحية هو السنة لما أبعدت.

لماذا يا فلان؟ قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (خالفوا اليهود والنصارى) والقساوسة والحاخامات ملتحنون مربون لحاهم، فالمفروض أنا حتى أخالف هؤلاء أخلق لحيتي.

فهل هذا الكلام صحيح؟ لا؛ لأن لفظ اليهود والنصارى اسم جنس محلى بالألف واللام يشمل جميع اليهود والنصارى، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل: وخالفوا القساوسة والحاخامات، إنما قال: (خالفوا اليهود والنصارى).

فالنصارى الموجودون أكثر من مليار مثلاً، واليهود الموجودون افترض أن عددهم خمسة عشر مليون يهودي على وجه الأرض.

كم واحد ملتج في النصارى؟ لا تكاد تجد نصرانياً يعفي لحيته إلا القسيسون الكبار، فأنت لو وجدت قساً شاباً أعفى لحيته اعرف أن هذا متعصب لدينه جداً، لأن اللحية غير معروفة في القسيسين أنفسهم إلا في كبار السن.

ولو سلمنا أن كل القسيسين أعفوا لحاهم كم تكون نسبتهم إلى العدد الكلي؟ لا يشكلون أية نسبة مئوية مذكورة، يبقى هل لا يزال النصارى يحلقون لحاهم أم لا؟ الجواب: نعم لازالوا.

لازال اليهود يحلقون لحاهم أم لا؟ نعم لازالوا؛ لأن هذا اسم جنس يشمل كل يهودي على وجه الأرض، ويشمل كل نصراني على وجه الأرض.

ولو سلمنا أن كل النصارى على وجه الأرض أعفوا لحاهم، وكذلك كل اليهود أعفوا لحاهم، فما موقفنا؟ هل نحلق لحانا مخالفة لهم عندما أجمعوا جميعاً على إعفاء اللحية؟ الجواب: لا، لأن إعفاء اللحية من سنن الفطرة، التي هي القدر المشترك في

كل دين لا يتغير: {فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [الروم: ٣٠]، فالفطرة هي جملة من الأوامر الثابتة التي لا تتغير من شريعة إلى شريعة، ولا من قول إلى قول.

فهم إذا تركوا لحاهم فلم يحلقوها فقد سلمت فطرتهم في هذه الجزئية، ونحن أيضاً مأمورون أن لا نحلق لحانا لماذا؟ لأنها من سنن الفطرة كما في صحيح مسلم رحمه الله.

إذاً: على أي محور لا يحل لمسلم أن يحلق لحيته، أضف إلى ذلك أن اللحية هي شعار المسلم الظاهر، فأنت عندما تمشي في الشارع هل تستطيع أن تميز بين المسلم وغير المسلم؟ لا تستطيع، اختلطت الأزياء والأشكال، حتى ذاب المسلم في وسط الكافر.

فهذا كمال أتاتورك ألغى الخلافة الإسلامية في تركيا، ومن جملة ما فرضه على الناس (القبعة) وهي خاصة بالإنجليز وشعارهم، فأول ما فرض القبعة قام علماء الدين جميعاً وقالوا: لا يجوز، فبدءوا يقبضون عليهم ويحاكمونهم ويعدمونهم، فكان ممن أعدم في هذه الآونة رجل عالم، أصدروا عليه حكم الإعدام، لكن قالوا: لكي نبين أننا أناس ديمقراطيون، فسنرتب له محاكمة هزلية وندينه، ثم نقرأ عليه حكم الإعدام، لأننا لو أعدمناه مباشرة سيبقى بطلاً، فنحن لكي نفوت عليه البطولة ولا يبقى رمزاً ندينه أولاً ثم بعد ذلك نعدمه.

جاء القاضي وقال له: عجباً لكم يا علماء الدين! ما أتفهمكم! هذه العمامة التي تلبسها إذا جعلتها على رأسك قلت: مشروعة، وإذا استبدلتها (برنيطة) قلت: غير مشروعة، ما هو الفرق بينهما وهذا قماش وهذا قماش؟ قال العالم: أيها القاضي! إنك تحكم علي وخلفك علم تركيا، فهل تستطيع أن تستبدله بعلم إنجلترا وهذا قماش وهذا قماش؟ فبهت، لكنه نفذ عليه حكم الإعدام أيضاً.

عندما يلبس الشخص (القبعة) القضية أن هذا شعار لا ينبغي أن يرتديه المسلم، فعندما يجد الشخص أولاداً يلبسون ملابس رياضية عليها علم أمريكا، وأحياناً عليه علم إسرائيل، نجمة داود على صدر الولد، فالولد هو يرفع شعاراً لعدوه على صدره

يحملة، وهو لا يدري بل هو غافل! فاختلطت أزياء المسلمين بالكافرين، تمشي في الشارع لا تستطيع أن تقول: هذا مسلم وهذا كافر أبداً، لكن إذا رأيت رجلاً أعفى لحيته ويمشي في الشارع أنت تقول: هذا مسلم.

الحية إعلان للهوية، أضف إلى ذلك أن غياب الحية أضاع علينا أحكاماً أخرى مرتبطة بالحية، قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: (والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم).

فإذا علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم نهانا، فقال: (لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام) والحديث الأول يقول: إن إفشاء السلام مستلزم لوجود المحبة المستلزمة للإيمان، قال: (أفشوا السلام بينكم) فكيف أفشي السلام وأنا لا أستطيع أن أميز المسلم من غير المسلم؟ وأنا منهي أن ألقى السلام على الكافر -اليهود والنصارى-؟ فهذه الطريقة أنا لا أستطيع أن ألقى السلام، فضاع علينا شيء عظيم.

كذلك المسلم له حقوق على المسلم لا يأخذها الكافر، فمثلاً: تسميت العاطس، ففي سنن أبي داود أن اليهود كانوا يتعاطسون عند النبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم

تعريف بأبي حمزة السكري

السؤال

وقفت في بعض الأسانيد على راو اسمه أبو حمزة السكري، فمن هو؟

الجواب

أبو حمزة السكري هو أحد الرواة من طبقة سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج، وهو من الرواة عن الأعمش رحمه الله، وهو راو ثقة، وإنما قيل له: السكري لحلاوة كلامه، كان كلامه كالسكر.

فمن ضمن كلام أبي حمزة رحمة الله عليه، ونحن أمة مليئة بالعظماء، فهذا أبو حمزة لا يعرفه أحد، كثير من الناس لا يعرفون أبا حمزة السكري، وقلامة ظفر أبي حمزة بكل العظماء الذين يلمعونهم في الغرب لنا، في علم الاجتماع، وعلم الفلسفة، وعلم النفس، يريدون أن يقنعونا أن هؤلاء الناس عظماء.

هؤلاء العظماء الذين يلمعونهم في الغرب عندما تأتي تبحث عن سيرتهم تجد الذي كان شاذاً جنسياً، والذي كان يلاط به ويلوط، والذي يريد أن يرفعه لأجل أن يجعل له قيمة، نحن أمة كلها عظماء، عندنا ألوف مؤلفة من العظماء.

فهذا أبو حمزة السكري كان يقول: (ما مرض جار لي قط إلا قومت نفقته في مرضه، وتصدقت بها أن عافاني الله مما ابتلاه به) أي: إذا مرض جاره، وذهب للطبيب فأعطاه أدوية بقيمة أربعة آلاف درهم أو خمسة آلاف درهم تصدق بهذا القدر.

انظر العظمة! كان ممكن إذا مرض أن ينفق هذه العشرة آلاف درهم على المرض، طيب! ما رأيك أنه قد لا يؤجر على العشرة آلاف درهم لماذا؟ لأن التداوي ليس بواجب، بل هو مباح، فلو أن رجلاً مرض فأبى أن يتداوى، لا أثم عليه، وليس واجباً.

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما مرض قالوا: (نأتيك بطبيب؟ قال: الطبيب نظر إلي، فقال: إني فعال لما أريد) فترك التداوي جائز.

فأنت إذا أنفقت على رفع العلة تنفق على شيء جائز، فلا يكون التداوي واجباً إلا إذا انضاف شيء آخر كأن يكون مرضك يؤثر في القيام بواجب معين، فحينئذ قد يرتقي التداوي إلى درجة الوجوب، ليس لذاته ولكن لغيره.

فيفقوم هو يتصدق، فالصدقة هذه مقبولة، فيها شكر الله عز وجل مع أن فيه هذا المرض.

وذات مرة أراد جار أبي حمزة أن يبيع داره، فجاءه المشتري، فقال له: بكم تباع هذه الدار؟ قال: أبيعها بألفين لثمن الدار، وبألفين لجوار أبي حمزة.

فبلغ ذلك أبا حمزة فأرسل إليه أربعة آلاف درهم، وقال له: لا تبع الدار.

انظر علماءنا! كان كلامهم جميلاً، عندما تقرأ ترجمة أبي حمزة السكري تستمتع، وهذا رجل غير معروف، فكيف بعلمائنا العظام الكبار الذين هم مشهورون بيننا؟ تجد سيرتهم أطيب وأطيب؛ لأن الكل كان يحرص على نقل سيرتهم، فمثلاً: الرواة الذين لا تعرفهم الجماهير الحسن بن صالح بن حي، وله أخ كان اسمه علي بن صالح بن حي، وكلاهما ثقة، وعلي هو أوثق الرجلين، والاثنان توأم، فهذا علي لم يكن يمشي أمام أخيه أبداً، ولا يتقدمه، ولا يجلس قبله، فسئل: فقال: هو أكبر مني، أتى الدنيا قبلي.

انظر إلى الاحترام! هو جاء إلى الدنيا قبله بدقيقة واحدة، فما كان يمشي أمامه، ولا يجلس قبله، وهو الذي كان يخدمه، وكان علي بن صالح والحسن هؤلاء لهم أم، فكانوا يقسمون الليل أثلاثاً: الحسن يقوم الثلث الأول، وعلي يقوم الثلث الثاني، وأهمهم يقوم الثلث الآخر، ماتت أمهم فقسما الليل بينهم، ثم مات الحسن فقام علي بالليل كله.

وكان لهم جارية -وهذا الخبر رواه العجلي في كتاب الثقات في ترجمة الحسن بن صالح - ثم باعوها، فاشتراها رجل، وفي الليلة التي اشتراها الرجل فيها قامت قبل الفجر وجعلت تقول: يا أهل الدار! الصلاة الصلاة! فقالوا لها: أذن للفجر؟ قالت لهم: لا تصلون إلا الفجر.

قالوا: نعم.

قالت لهم: لا تقومون الليل؟ قالوا: لا.

فلما أصبح الصباح ذهبت إلى الحسن، وقالت: ردني إليك، فإنك بعثتي لقوم سوء لا يقومون الليل.

نعم، حُق لها أن تكون عابدة، زاهدة، قوامة لليل؛ لأن البيت كله بيت عبادة، لا يعرف الكسل.

نحن لا نعرف شيئاً عن الحسن بن صالح بن حي ولا عن أمه، لذلك أنا أحض على قراءة سير الأسلاف، اقرأ سير العلماء يرق قلبك وتجد الأسوة الطيبة في الاقتداء، لاسيما في زمان الغربة الذي كل شيء فيه يقول لك: هلم إلى النار! والله در أبي سليمان الخطابي لما كان يقول: وليس غربة الإنسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكل وإنني غريب بين (بست) وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي ليست غربة الإنسان في شقة النوى، أن تترك بلدك وتذهب إلى أي بلد آخر أبداً، لكن غربة الإنسان في عدم الشكل، أن لا يكون لك نظير، الإنسان يعيش في وسط أهله وإخوانه وهو غريب، لا يجد له إلفاً ولا نظيراً، يتجرع الغربة وحده.

أنت بحاجة إلى أن تقرأ سير هؤلاء الأسلاف ليصبروك، وليطول نفسك على السير في هجير الحياة والله أعلم.

حكم نتف الإبط وحلق العانة أثناء الصيام وحلق العانة

السؤال

هل يجوز نتف الشعر أثناء الصيام؟ وهل حلق العانة يكون بإزالة الشعر تماماً أم يكفي قصه؟ وهل هو واجب أم مستحب؟

الجواب

أما نتف الشعر فلا يضر بالصيام، يجوز للصائم أن يزيل شعره، كأن ينتف الإبط مثلاً.

وأما العانة فالرسول عليه الصلاة والسلام أمر بنتف الإبط وحلق العانة، ولم يقل: ونتف العانة.

وسئل أبو سليمان الخطابي عن عادة النساء في نتف العانة فنهى عن ذلك، وقال: (إن هذا يخالف النص، ثم إنه يرخي الفرج ويؤذيه) إنما السنة في العانة الحلق، والحلق لا يعني الإزالة، ولا النتف، فالسنة في العانة الحلق، والنتف يكون للإبط.

ومعلوم عند جماعة العلماء أن حلق العانة، ونتف الإبط للاستحباب والله أعلم.

حكم زكاة الحلي

السؤال

عندي ذهب أستخدمة كحلي، ولكن لا أرتديه كثيراً، وأزكي عنه، فهل أعتبر ممن يكتزون الذهب والفضة، وهل قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الذهب الذي يستخدم كحلي: إنه سوار من نار؟

الجواب

أما إذا كان المرء يزكي عن هذا الذهب فلا جناح عليه، إذا زكى عن ذهبه فقد زال عنه شره، ولا يكون كنزاً، إنما الكنز المذموم: أن يكتز الذهب والفضة ولا ينفقها في سبيل الله، ومعلوم أنه لا يجب في مال المرء المسلم إلا الزكاة، فإذا زكى عنه فلا جناح عليه.

وأما بالنسبة للنبي عليه الصلاة والسلام هل قال للذي يستخدم الذهب والفضة أنه يرتدي سواراً من نار؟ فهذا الحديث صحيح، لكن حمله العلماء على المرأة التي تتفاخر به، أو على المرأة التي لا تخرج زكاته.

وبهذا القدر كفاية، والحمد لله رب العالمين، والله أعلم.

معنى تنبيه المحدثين على إرسال الراوي

إن الحمد لله تعالى، نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

السؤال

الراوي إذا ذكر في ترجمته أنه يرسل أو يرسل كثيراً، ما معنى ذلك؟

الجواب

المحدثون ينيهون على الإرسال، ويقصدون به عادة الإرسال الخفي، لأن هناك بعض الناس لا يفرقون بين التدليس وبين الإرسال الخفي فيخلطون بينهما؛ فلذلك إذا

كان الراوي ممن يرسل فلا يجوز إطلاق التدليس عليه، وعلى سبيل المثال قتادة، كان يرسل كثيراً، ويدلس أحياناً، يقولون في ترجمته: (يرسل) صيانة له من الوصف بالتدليس؛ لأن بينهما فرقاً، فالمدلس لا بد أن يصرح بالتحديث كي يقبل منه، أما إذا عنعن فعند إذ تجرى عليه قواعد عنعنة المدلس، بخلاف المرسل.

حكم تعليق التمام

السؤال

بعض الناس يعلقون التمام وفيها ألفاظ غير معروفة وأسماء جن؟

الجواب

النبي عليه الصلاة والسلام قال: (لا بأس بالرقية ما لم تكن شركاً) فمن الشرك أن يستعين الإنسان بالجن، فبعضهم يكتب تمام وكلمات معينة يستعين فيها بالجن، لكن الإنسان إذا رقى إنما تجوز له الرقية بفاتحة الكتاب أو شيء من القرآن، أو بدعاء معروف لا يكون فيه شيء من الشرك، لقوله عليه الصلاة والسلام: (لا بأس بالرقية ما لم تكن شركاً) ففيه جواز الرقية بشرط ألا يكون فيها شرك، ولا يشترط في الرقية أن تكون بالمأثور المعروف، بل بأي دعاء؛ بشرط ألا يكون فيها شرك، لأن الشرك مضاد للتوحيد.

والذي يرقى لا بد أن يكون رجلاً مخلصاً؛ لأن كما قيل: كان عمر بن الخطاب يرقى بالفاتحة، فاستدعوا رجلاً يرقى، فقال: هذه الفاتحة وليس عمر، يعني: كل إنسان يمكنه أن يرقى بالفاتحة ويحصل المقصود، لكن تجد أن الله سبحانه وتعالى يجعل الشفاء على يدي شخص ولا يجعله على يد الآخر، وهذا يختلف من شخص لآخر باختلاف الإخلاص والخشية.

فضائل معاوية رضي الله عنه

السؤال

يقولون: إن معاوية بن أبي سفيان لم يصح في فضله دليل مخصوص، فهل هذا صحيح؟

الجواب

نعم، صحيح، لم يصح في فضل معاوية بن أبي سفيان عند أكثر المحدثين شيء خاص به، لكن استظهر الإمام البخاري وغيره لـ معاوية فضل الصحبة، وإن فاته الفضل الخاص، فقد ورد في صحيح مسلم من حديث ابن عباس: (أن النبي عليه الصلاة والسلام أمره أن يستدعي له معاوية ليكتب شيئاً من الوحي أو نحو ذلك، فوافاه وهو يأكل، فقال: بعدما أكل).

فأرسل لـ معاوية مرة بعد مرة وهو يقول: حتى آكل، فقال عليه الصلاة والسلام: لا أشبع الله بطنه) فقال الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ: لعل هذه منقبة لـ معاوية؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال لـ أم سليم: (أوما تدرين ما اشترطت على ربي؟ قلت: اللهم إنما أنا بشر فأَي المسلمين سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة وأجراً) فإذا: ثبت لـ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في هذا الأمر ما ثبت بدلالة الحديث.

وقد أطبق جميع أهل السنة على فضله ومدحه، وقد ولي الخلافة عشرين سنة ما اشتكى منه أحد، وكان حليماً، وله مناقب كثيرة شهد له بها الصحابة أنفسهم.

تكفير الحاكم ونتائج الخروج عليه

السؤال

قضية تكفير الحاكم أصبحت منتشرة وخاصة عند الشباب المبتدئين أو قليلي العلم، فما توجيهاتكم نحو هذا الأمر؟

الجواب

المسألة فيها تفصيل نظري أكثر من العملي وهي من المسائل المهمة، لكن المسلم المعاصر لا يستطيع أن يفعل شيئاً، نفترض أنه يوجد حاكم مستبد وظالم في بلدة من البلدان، ما عسى المسلم المعاصر أن يفعل؟ قد يأخذ حكم المسألة نظرياً فقط كالذين يكفرون الحكام، ثم ماذا بعد ذلك؟ لا يعمل شيئاً، فلذلك البحث في هذه المسائل سيكون بحثاً نظرياً أكثر منه عملياً.

وأنا أعتقد أن كل الناس يعرفون الآن أن الحكام ما بين كافر وفاسق، لا تكاد تجد رجلاً يمكن أن ينجو من واحدة منهما: إما كافر، وإما فاسق.

فإذا كان كافراً أو فاسقاً ما هي النتيجة؟ هل سيخرج عليهم؟ إذا كان هذا الرجل كافراً فلا بيعة له في أعناقنا -مع أنك ترى أنه لا بيعة في الأصل- فما يبقى إلا مسألة وجوب الخروج عليه.

فهذا الوجوب يسقط بعدم الاستطاعة، فمسألة الخروج على الحاكم هذه مسألة صعبة جداً، يقول ابن كثير: كل الولايات التي وقعت في هذه الأمة بسبب محاولة الخروج على الحكام، سواء كانوا ظالمين أو مظلومين، فالخروج على الحكام هو أصل البلاء الذي أصاب الأمة من لدن عثمان بن عفان عندما خرجوا عليه رضي الله عنه حتى هذه الساعة.

فإذا كان الإنسان لا يستطيع الخروج على الحاكم، فإن الواجب يسقط بعدم الاستطاعة، والمهم في المسألة أن مؤدى الباحث في النهاية أنه لا يستطيع أحد أن يخرج على أي حاكم في الظروف الحالية؛ لأنه ما عندهم ما يستطيعون أن يخرجوا به، فلذلك الكلام ليس له كبير جدوى.

مداخلة: ما حكم التحاكم إلى هذا الحاكم الطاغوت؟ الشيخ: كفرنا بالطاغوت على اختلاف أشكاله، وليس المقصود بالحاكم نفسه هو الطاغوت لا، كل ما يتحاكم إليه من دون الله تبارك وتعالى فهو طاغوت، وأنت لابد أن تعلم أن هذه المسألة طويلة جداً، وذيلها طويل، والحقيقة أحياناً يكون فتح هذه المسائل على سبيل الإجمال فيه خلل كبير، لأن أغلب الخلل يأتي بسبب إجمال القول في هذه المسائل، فعندما يسمع أي إنسان قولاً مجملاً يحتمل أكثر من وجهة فمممكن أن يوجهه على ما يريد؛ فلذلك فهذه المسائل أظن أن الإجمال فيها لا ينبغي، وأن الأولى والأصوب القول المفصل، ويوضع للبحث محاور وعناوين، وكل عنوان يتكلم فيه بإسهاب، ويرد على المعارضات والشبهات الواردة على هذا الباب.

وهذه المسألة جديرة بتصنيف كتاب يستوعب الكلام عليها من كتب أهل العلم، ويجب على الشبهات جواباً وافياً، وإن كانت هذه الردود منثورة في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ولكنها تحتاج إلى من يجمعها.

تقديم اليدين حال الهوي إلى السجود

السؤال

ما هي السنة في الهوي إلى السجود: على اليدين أم على الركبتين؟

الجواب

الصواب أن النزول على اليدين، وحديث النزول على الركبتين ضعيف، قال الدارقطني رحمه الله: (تفرد به شريك بن عبد الله النخعي، وليس بقوي فيما تفرد به).

والصواب: النزول على اليدين لحديث أبي هريرة في الصحيح الذي قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام: (لا يبرك أحدكم كما يبرك البعير، وليضع يديه قبل

ركبتيه) فهذا نص واضح جداً وصريح، وما أعلَّ به ليس بعلة في الحقيقة، وسنده جيد يحتج به.

بالإضافة إلى أنه عضد بأثر ابن عمر الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه معلقاً وهو صحيح عن ابن عمر أيضاً: أنه كان ينزل بيديه قبل ركبتيه وقال الأوزاعي: أدركت الناس ينزلون بأيديهم قبل ركبهم.

وإذا نظرنا إلى العلة وهي أن النبي عليه الصلاة والسلام نهى المسلم أن يتشبه بالبعير، علمنا يقيناً أن النزول بالركبة هو التشبه بالبعير دون النزول باليدين، بعض الناس يقول: إن البعير ينزل بيديه، كل ذي أربع، يده الأماميتان ورجلاه الخلفيتان، فيقول صاحبنا: إن أول ما ينزل البعير على الأرض ينزل بيديه اللتين هما الأماميتان، فالمفروض أن المسلم ينزل بركبتيه ولا ينزل بيديه؛ لأنه لو نزل بيديه يكون قد تشبه بالبعير، وهذا الكلام عجيب أن يقوله عربي! لأن البعير ركبته في يديه، هو أصلاً لا يمشي على رجليه مثلنا حتى يكون أول ما يُنزل يديه لا، بل هو يمشي على يديه ورجليه أصلاً، فعندما تقول أنت: إنه يضع يديه أولاً.

هما موضعتان في الأرض دائماً على أصل خلقته، ويمشي بهما على الأرض، لكن أول شيء يصل من البعير إلى الأرض حال البروك ركبته، فيبقى أن مناط المسألة الركبة وليست اليد لاختلاف خلقة الإنسان عن البعير.

فإذا كان أول شيء يصل إلى الأرض من البعير ركبته فلا ينبغي أن يكون أول ما يصل من المسلم إلى الأرض -حال الهوي إلى السجود- ركبته أيضاً، والمسألة تنحل بهذا، وأما قول ابن القيم رحمه الله: وركبتا البعير ليستا بيديه، فهذا كلام لا يعقل ولا يعرفه أهل اللغة، افتح كل كتب المعاجم العربية تجد في مادة (ركب) أنه يقول: وكل ذي أربع ركبته في يديه وعرقوباه في رجليه، وهم متفقون على ذلك.

ومما يدل على ذلك أيضاً الحديث الذي رواه البخاري وأحمد: لما طارد سراقه بن مالك النبي عليه الصلاة والسلام وأبا بكر الصديق لما خرجا من الغار قال سراقه بن مالك: (فدعا عليّ النبي صلى الله عليه وسلم؛ فساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين).

هذا نص من صحابي أيضاً أن الركبة إنما تكون في اليد، فإذا كانت الركبة في يد البعير، وأنه إذا أراد أن ينزل نزل عليها، فلا ينبغي للمسلم أن يكون أول ما يصل إلى الأرض منه ركبتاه.

فلذلك الصواب في المسألة: هو النزول باليدين وليس الركبتين، والمسألة فيها كلام طويل.

رواية من ساء حفظه وكتابه صحيح

السؤال

كيف يميز بين رواية الراوي الذي صحت كتابته وساء حفظه؟

الجواب

بالنسبة للراوي الذي صحت كتبه وساء حفظه، فإذا روى حديثاً يكون هناك قرائن تدل على أنه روى هذا من حفظه أو من كتابه، ويكون مذكوراً في ترجمته، وأحياناً قد يخص بعض الرواة، فيقال: إذا روى فلان عن هذا الراوي فإنما يكون من كتابه، فإذا كان الراوي مختلفاً تماماً، فيقال: إن هذا سمع منه قبل الاختلاط أو بعده.

أما إذا لم نجد أي إشارة إلى أنه روى هذا الحديث من حفظه أو رواه من كتابه فالأصل التوقف حتى نجد له متابعاً، فإذا وجدنا له متابعاً جيداً روى نفس ما روى، يدل على أنه حفظه، ويرتفع الوهم؛ لأن الوهم أقرب من الواحد وأبعد عن الاثنين، كعبد الله بن نافع كان صحيح الكتاب، ولكنه كان إذا حدث من حفظه وهم.

رواية يزيد بن هارون عن شريك بن عبد الله

السائل: هل تقبل رواية يزيد بن هارون عن شريك بن عبد الله؟

الجواب

نعم إذا كان قبل توليه القضاء.

السائل: فتكون روايته عن شريك قبل القضاء أجود؟ الشيخ: هذا يكون أجود، يعني: لعلك تريد أن تشير إلى رواية يزيد بن هارون عن شريك في ما يتعلق بحديث الركبتين.

لكن حديث الركبتين هذا لم يروه إلا يزيد بن هارون، وقد نص ابن حبان وغيره أن يزيد سمع من شريك قبل أن يسوء حفظه، لكن ذكر الخطيب البغدادي في كتاب الكفاية: أنه إنما ساء حفظه لما ولي القضاء في الكوفة، فهو في الكوفة سيء الحفظ، وقد نسلك رواية يزيد بن هارون عن شريك لولا ما رواه الخطيب في الكفاية عن يزيد بن هارون قال: دخلت الكوفة فرأيت كل أهلها يدلسون غير شريك وهشيم، فهذا يدل على أن يزيد بن هارون دخل الكوفة وأخذ من شريك بن عبد الله النخعي في وقت سوء حفظه.

فحينئذ يلزمنا أن نعلم إذا كان يزيد أخذ هذا الحديث عن شريك قبل أن يدخل الكوفة أم لا، فنحن نتوقف في روايته مثل حماد بن سلمة سمع من عطاء بن السائب قبل الاختلاط وبعد الاختلاط، فصار المحققون يتوقفون في حديث حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب؛ لأنهم لا يدرون أهذا مما تحمله حماد عن عطاء قبل الاختلاط أم بعد الاختلاط، فإذا ثبت أن يزيد بن هارون دخل الكوفة، وأخذ عن شريك بن عبد الله النخعي يبقى أنه لا يتأتى القول: إن يزيد ممن سمع قبل الاختلاط فقط، بل سمع قبل وبعد، فحينئذ نتوقف في روايته ولا نعطيها حكم الثبوت إلا إذا علمنا أنه رواها عنه قبل سوء حفظه، وروايته عنه قبل سوء حفظه عند توليه القضاء أجود.

أنا أقول: (أجود) لأنه ثبت أن شريك بن عبد الله النخعي له أوهام وأحاديث خالف فيها الثقات المتقنين، برغم أنها كانت رواية الذين سمعوا منه قبل الاختلاط، فكأن حفظه لم يكن بذاك حتى قبل الاختلاط.

مداخلة: هل من الممكن أن نقول: إنه حسن الحديث قبل اختلاطه؟ الشيخ: نعم.

مداخلة: فرواية من روى عنه قبل اختلاطه تعد صحيحة؟ الشيخ: نعم، صحيحة.

مداخلة: وهل يشمل هذا الحكم بعض تلاميذه؟ الشيخ: من ثبت أنه سمع قبله فقط.

مداخلة: هل سمع منه وكيع قبل اختلاطه؟ الشيخ: نعم، ويبقى أن رواية وكيع عن شريك أقوى.

مداخلة: وهل تقبل روايته قبل الاختلاط مطلقاً حتى حال التفرد؟ الشيخ: نعم، ولذلك فقد قلت: يضعفونه مطلقاً لأنه كان كثيراً ما يروي أحاديث رواها عنه أناس قبل الاختلاط، وكان يقع فيها مخالفات للثقافات للأثبات، مثل ابن لهيعة، فإن بعض العلماء كـ ابن حبان يقول: إنه قبل أن يختلط كان عنده لا مبالاة في الرواية أصلاً، لكن لما اختلط ساء حفظه جداً، يعني: أن حفظه كان قبل الاختلاط بنسبة (٧٠%)، فلما احترقت كتبه كان نسبة حفظه (٥٠%) أو (٤٠%)، وهذا الوضع من تصرفات العلماء بالنسبة لرواية شريك، وانظر رواية الدارقطني رغم أن أحاديث النزول بالركبة من رواية يزيد بن هارون وتفرّد بها عن شريك إلا أن الدارقطني لم يعبأ بهذا القيد الذي ذكره، قال: وشريك بن عبد الله النخعي ليس بقوي فيما تفرّد به، وقد تفرّد بهذا الحديث، فلم يلتفت إلى رواية يزيد وأنه سمع قبل أو بعد.

اشتراط القرشية في ولي الأمر

السؤال

هل يشترط في ولي الأمر أن يكون قرشياً؟!

الجواب

أغلب أهل العلم يشترطونها، لكن على التسليم بهذا الشرط: إذا اختلطت الأنساب ولا يعلم أن هناك قرشياً فليتول أفضلهم وأعلمهم وأقواهم ورعاً ودينياً، واستدلوا على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: (اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبداً حبشياً) أي: ليس قرشياً، لكن أغلب أهل العلم على اشتراط أن يكون الأئمة من قریش، وذلك إذا عُلِمَ.

أما أن يبني دعوته على قوله: أنا رأيت رؤيا وتحققت إذا قابلت هذا الرجل فاسأله عن صفة النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأن كثيراً من الناس يقول لك: أنا رأيت الرسول في المنام، لكن عندما تقول له: صف لي الرسول عليه الصلاة والسلام: لا يستطيع أن يصفه.

كان ابن مسعود رضي الله عنه إذا جاء شخص إليه وقال له: أنا رأيت النبي عليه الصلاة والسلام، يقول: صفه لي.

فإن لم يوفق في وصف النبي عليه الصلاة والسلام كما رآه الصحابة يقول له: لم تر شيئاً.

مداخلة: هل يسبق ظهور المهدي أمارات وعلامات وأشراط؟ الشيخ: نعم، وآخر الزمان لابد من علامات وأشراط تأتي قبل المهدي وقد أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم.

خروج الحسين رضي الله عنه على يزيد

السؤال

ما حكم خروج الحسين رضي الله عنه على يزيد؟

الجواب

{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ } [البقرة: ١٣٤].

مداخلة: هناك خلاف في يزيد؟! الشيخ: إي نعم، مختلف فيه، ومنهم من وصل به الحال إلى تفسيقه، ولا شك أنه لم يكن كأبيه ولا يقاربه، وكان جائراً، لكننا نكف اللسان عنه؛ لأنه لا يترتب عليه كبير شيء إلا مجرد السب.

خروج بعض الصحابة والعلماء على الحكام

السؤال

إجماع الصحابة -أو حتى بعضهم- على الخروج على الحاكم الجائر هل يعد ناسخاً للأحاديث الآمرة بالصبر على الولاة الظلمة؟

الجواب

أحاديث الصبر على الولاة الظالمين ليست بمنسوخة بطبيعة الحال؛ لأنه لا ينسخ حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا الحديث نفسه، ولا يمكن أن يفتي أحد على خلاف الحديث -ولا يصلح- حتى وإن كان صحابياً، ثم هل هذا إجماع؟ لا، ليس عمل واحد أو اثنين أو ثلاثة من الصحابة يسمى إجماعاً؛ لأن أهل المدينة إذا أجمعوا على شيء وقد خالفهم أهل البصرة والكوفة والحجاز ومكة ومصر فلا يسمى هذا إجماعاً، والحسين رضي الله عنه خطأه ابن عباس وابن عمر، وخرج وراءه في الطريق، وحاول أنه يثنيه عن الخروج، وابن الأشعث لما حاول أنه يخرج خطأه العلماء بالخروج، ولـ ابن كثير كلام ممتاز في البداية والنهاية في فتنة ابن الأشعث مع الحجاج، وقال: إن كل شر أصاب هذه الأمة بسبب الخروج؛ وإنه يجب عليهم أن يصبروا؛ لأن هذه الأحاديث محكمة، وليس هناك إجماع أصلاً.

مداخلة: وهل خروج بعض الصحابة والتابعين يعتبر دليلاً شرعياً؟ الشيخ: لو قلنا: إن هذا دليل فلن يصل إلى أن يكون دليلاً شرعياً، إذا قلنا: فعله الصحابي أو قد

ثبت عنه، فمثلاً أبو هريرة رضي الله عنه لما رآه أبو رافع وغيره وهو يتوضأ في الميضاة وحده فكان يوصل الماء إلى كتفه، وهم كانوا ينظرون إليه ويستغربون، فقال: هل أنتم هنا؟! لو علمت مكانكم ما توضأت هذا الوضوء، إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ وضوءه) هذا تفسير من دلالة النص، وكذلك ابن عمر عندما كان يروي أحاديث كثيرة في الوضوء كان يرفع أشفار عينيه ويغسل أشفار عينيه -أي: جفونه- من الداخل حتى عمي، وقال مالك: كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر -ويشير إلى قبره عليه الصلاة والسلام- فمن الممكن أن يجتهد الصحابي، ومن الممكن أن يخطئ في اجتهاده، لكن أحاديث الصبر على الولاة -وهي كثيرة- ولا تنتسخ بالإجماع أبداً؛ لأنه ليس هناك إجماع أصلاً، والإجماع لا ينسخ حديثاً صحيحاً فضلاً عن حديث مشهور، فتبقى الأحاديث على دلالتها كما هي.

مداخلة: الخروج على الحاكم هل تراعى فيه المصالح والمفاسد؟ الشيخ: مسألة تقدير المصالح والمفاسد لا بد من اعتبارها، ولا بد أن نعرف: هل صح ذلك عن الصحابة أم لا؟ وما هي الملابسات التي جعلتهم يقولون بذلك؟ المسألة لا تفهم هكذا، فقد كانوا من أحوط الناس، ومن أشدهم حرصاً على وحدة المسلمين، مهما كان من هذا الظالم الجائر، وصلاة ابن عمر خلف الحجاج معروفة، وصلاة الصحابة خلف ولاة الجور معروفة، كان يصلي هذا وهذا وهذا، ويقول: أنا عنهم غير راض، وإذا أذن للصلاة في أي مكان يصلي خلفهم.

ونحن لم نجرب في الخروج إلا كل شر، فالمسألة ترتبط -تبعاً لذلك- بالمصالح والمفاسد، والنبي عليه الصلاة والسلام أمر بعدم الخروج حفاظاً على المسلمين من الفتن التي عصفت بالأمة وصارت نتائجها تفوق الحصر بل تفوق الخيال!!

عدم مشروعية وضع اليد اليمنى على اليسرى بعد القيام من الركوع

السؤال

هل يعد من باب الاجتهاد وضع اليد اليمنى على اليسرى بعد الركوع في الصلاة؟!

الجواب

الصحيح عدم الوضع، إذ أن هذه هيئة، والهيئة لا بد لها من دليل خاص، ولا يدخل الاجتهاد في الهيئة، وواضح أن ما أخذ عن طريق العموم يعد اجتهاداً، والإنسان إذا تدبر وتأمل النقل عن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يرى أنهم ما تركوا شيئاً إلا نقلوه حتى ثني أصابع القدمين، والتفريح في أثناء القبض على الركبة، وضم الأصابع أثناء تكبيرة الإحرام، وأثناء السجود على الأرض، ينقلون هذا بهذه الدقة، ثم لا يهتم أحد منهم قط أنه كان إذا قال: (سمع الله لمن حمده) قبض اليمنى على اليسرى؟! هذه هيئة، ومعروف أن الهيئات لا اجتهاد فيها، لا تؤخذ بدلالة العموم كما تؤخذ بقية الأحكام الشرعية، فلذلك يبقى هذا الإثبات مفتقراً إلى دليل خاص.

مداخلة: ما هو الدليل على العموم؟ الشيخ: العموم في أنه كان يضع اليمنى على اليسرى في القيام، فهذا عموم يشمل القيامين معاً، فأخذت هذه الهيئة بدلالة الاجتهاد بالدليل العام، وهذه هيئة، والهيئة لا يدخلها الاجتهاد كبقية الأحكام الشرعية، فلا بد لهذه الهيئة من نص مثل أية هيئة في الصلاة، إذ كل هيئة لها نص إلا هذه، ما أخذت إلا بطريق العموم.

وأيضاً هذه الهيئة -مع أنها مشهورة- غير مذكورة في كتب الفقه، ولا يدندن عليها ولا يعول عليها، إنما ذكرها بعض العلماء.

مداخلة: على هذا هل يعد وضع اليمنى على اليسرى بعد الركوع بدعة؟! الشيخ: لا، الأمر أهون من ذلك، يعني: افترض أنني من العوام، وأئمتي الذين أتلقى عنهم الفتوى هم شيوخنا في الحجاز، فلا ينبغي التشديد ولا النكير في هذه المسائل ولا الظن بها أنها بدعة.

أخذ ما زاد عن القبضة من اللحية

السؤال

هل يجب أخذ ما زاد من اللحية عن القبضه؟

الجواب

لا، الحقيقة أن فتوى وجوب الأخذ من اللحية مما يجب تركه من فتاوى الشيخ رحمه الله؛ لأن الشيخ كان قبل ذلك يفتي بجواز الأخذ، وهذا مستقيم مع الآثار والأحاديث، لكن الإفتاء بوجوب الأخذ من اللحية، وجعل إسبال اللحية كإسبال الإزار هذا بعيد جداً، فكان ينبغي على الشيخ رحمه الله أن لا يتبنى فتوى إلا إن كان له فيها سلف، وهذه الفتيا بالوجوب ليس له فيها سلف يقيناً، إنما الاختصار على القول بأن ابن عمر كان يأخذ وهذا فعل لا قول.

وأيضاً لو افترضنا أن ابن عمر قال: خذوا من اللحية هل قول الصحابي يفيد الوجوب؟ لا يفيد الوجوب، فإذا قلنا: إن ابن عمر جاءت عنه روايات مطلقة بالأخذ بغير حج أو عمرة، ورواية البخاري مقيدة بالأخذ في الحج والعمرة، فالصواب في هذه المسألة حمل المطلق على المقيد، فيبقى الرواية المقيدة في البخاري هي المقدمة على غيرها مطلقاً، فيبقى القول بجواز الأخذ في الحج والعمرة.

لكن -في الحقيقة- القول بوجوب الأخذ وتأييم الذي لا يأخذ من اللحية هذه الفتوى لا أعلم أحداً قد أفتى بها، فسبحان الله! كل إنسان يؤخذ من قوله ويترك.

مداخلة: هل صح ذلك عن أحد من الصحابة غير ابن عمر؟ الشيخ: ليس هناك شيء يصح عن الصحابة بالأخذ من اللحية إلا عن ابن عمر، وأبي هريرة رضي الله عنه، وأما عن أبي الدرداء وغيره فالأسانيد كلها ضعيفة، وكان هناك أثر ذكرته للشيخ قديماً -ولكن قبل أن يقول في هذه المسألة بجواز الأخذ فقط- وهو أن علي بن أبي طالب كان له لحية سابغة تصل إلى سرتة، ولم أكن أعلم تخريجه آنذاك حتى

وقفت في التمهيد لابن عبد البر أنه صح عن علي بن أبي طالب أنه كانت له لحية سابعة تملأ ما بين المنكبين، وكان يخضبها.

فهذا فعل علي بن أبي طالب، وهو صحابي من الأربعة الخلفاء، ولحيته تصل إلى سرتة وتملاً ما بين المنكبين، ويتعارض مع ما فعل ابن عمر، فإما أن نقدم واحداً منها، وإما أن نسقط الاستدلال بهما معاً، ولا نقول بذلك، ولا شك في تقديم علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند التنازع، بالإضافة إلى أن النظر إلى السنة العملية لفهم سنة النبي عليه الصلاة والسلام يكون إذا اشتهرت وأجمع عليها الصحابة أو أفتى بها أكثرهم، لكن نحن ما عندنا إلا ابن عمر والروايات مختلفة عنه، وكما قلنا: الرواية المطلقة تحمل على المقيدة، إذا كان في حج أو عمرة، أما الروايات الأخرى التي تقول: إنه كان يأخذ بإطلاق، فنحن نحملها على معنى الرواية المقيدة اتباعاً للأصول.

إذاً: عندنا قيدان: قيد زمني في الحج والعمرة، وقيد موضوعي أنه يأخذ ما زاد عن القبضة؛ لكن الأمر لا يتجاوز أبداً حدود الجواز، ولا أعلم قائلًا بجواز الأخذ من اللحية من العلماء فضلاً عن الوجوب؛ لأن وجوب الأخذ من اللحية فيه تأثيم للذي يترك لحيته.

وهذا الحديث والفتوى كان من سلبياتها أن الذين يريدون حلق اللحي - المتضجرين من اللحية- صارت لحاهم أقل من حبة الأرز! لماذا؟ بدعوى أن الأخذ من اللحية واجب، وصاروا يتهكمون على الملتحي ويقولون: يؤخذ من عمل المرء بقدر ما تطول لحيته، ويتكلمون كلاماً طويلاً بناء على فتوى الشيخ.

وأنا -وهذا مبلغ علمي- أرى أن هذه الفتوى شاذة، وأنه لم يقل بها أحد قط قبل الشيخ -أي: القول بالوجوب- هذه الحقيقة، ومن مذهب الشيخ رحمه الله تعالى أنه لا يتبنى حكماً إلا إذا كان مسبوقاً إليه، فمن الذي قال من العلماء بأن تطويل اللحية فيما يزيد عن القبضة لا يجوز؟ مداخله: ذكر ذلك في فتح الباري؟ الشيخ: لا، الفتح ذكر فيه الأخذ، ولم يذكر وجوب الأخذ.

وتأثيم من لم يأخذ لا أعلم أحداً من العلماء قال به بهذه الصورة، نعم بعضهم قد يكرهه، لكن هل الكراهية تقتضي التحريم؟ مداخلة: هل إعفاء اللحية وعدم حلقها عادة؟ الشيخ: هذه ليست عادة.

وكونها من سنن الفطرة مما يدل على وجوبها، إذاً: سنن الفطرة دالة على الوجوب لوحدها، فإذا كانت الفطرة هذه لا تتغير من نبي إلى نبي، بل يفطر كل العباد عليها، فمتى كانت عادة إذا كانت من سنن الفطرة أصلاً كالاختتان وغيره؟! فإذا كانت هي من سنن الفطرة، والأصل في سنن الفطرة الوجوب وليس الإباحة، وجاء النبي عليه الصلاة والسلام فحضر على إحيائها بأحاديث متكاثرة؛ إذاً: الأصل فيها أنها عبادة، نسأل الله أن يغفر لنا وللشيخ.

الوضوء لقراءة القرآن

السؤال

ما حكم الوضوء لقراءة القرآن؟

الجواب

أكثر العلماء على استحبابه، إلا إذا كان الإنسان يحفظ أو يدرس أو نحو ذلك، فمن العلماء من رخص بالترك للمشقة، والشوكاني وغيره من العلماء قالوا بإباحة قراءة المصحف على غير وضوء، معتمدين على أن الضمير في قوله تبارك وتعالى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} [الواقعة: ٧٧ - ٧٩] يعود على أقرب متعلق وهو الكتاب المكنون، وليس على القرآن الكريم، أي: لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون، فيقول الشوكاني: ليس هناك دليل أصلاً على منع قراءة المصحف بدون وضوء، وحديث: (لا يمس القرآن إلا طاهر) قال: إن لفظ (طاهر) لفظ مشترك، وحقيقة اللفظ المشترك أنه لا يصل إلى معنى من معانيه إلا

بدليل مستقل، فيطلق على المسلم، ويطلق على الماء الطاهر، ويطلق على الماء المطهر إلخ، ثم قال: إنَّ جعل المقصود به هنا الطهارة من الحدث لابد له من دليل آخر حتى يعين هذا المعنى الذي أراده، وله كلام معروف.

مداخلة: فلو أن شخصاً تبني قول الجمهور؟ الشيخ: إذا تبنييت قول الشاطبي - رحمه الله- في الموافقات: عليك بسنن الجمهور في الخلاف، إلا أن يكون لديك بحث خاص وأقمت الحجج على أن هذا هو الصواب، وأنت خالفت الجمهور فلك ذلك إن كنت أهلاً له هذا من حيث الإجمال.

مداخلة: إذاً: فنبقى على قول الجمهور حتى يبحث أحدنا بدقة في المسألة؟ الشيخ: كما قلت، وكما تكلمنا الآن وقلنا: عليك بسنن الجمهور.

الصلاة جماعة خارج المسجد

السؤال

ما حكم الجماعة في غير المسجد؟

الجواب

جماعة؛ لأنه لا يشترط أن تكون الجماعة في المسجد.

ولا يأتئون؛ لأن المقصود إقامة الجماعة، في أي مكان، وليس المسجد شرطاً لإقامة الجماعة، بمعنى: لا تقام الجماعة إلا في المسجد لا، المقصود إقامة الجماعة في أي مكان.

معنى حديث: (من سن في الإسلام سنة حسنة)

السؤال

ما معنى (من سن في الإسلام سنة حسنة ومن سن سنة سيئة)؟

الجواب

(من سن سنة سيئة) مثلاً: في بلد من البلدان أراد رجل أن يسن سنة الجاهلية الأولى بالنسبة للشارق، فقال: الشريف إذا سرق سنتركه، والوضيع إذا سرق سنقطع يده، وأعاد هذه المسألة كرة أخرى في هذا البلد، ومات ومضى الناس على هذا الذي سنه.

والمقصود بالسن في قوله: (من سن سنة سيئة) (السنة) بالمعنى الاصطلاحي: ما ينسب إلى النبي عليه الصلاة والسلام لا ما ينسب إلى الناس، ولذلك قال (من سن في الإسلام).

إذاً: كل رجل يأتي فيقطع يد الوضيع ويترك الشريف عليه إثم كل رجل يفعل ذلك من بعده، وكذلك لو جاء رجل -مثلاً- فوجد الناس يحلقون لحاهم، والنساء يمشين سافرات، فجاء فأحيا فيهم سنة اللحية، وأحيا فيهم سنة النقاب، فهذا ينسب النقاب إليه وينسب اللحية إليه، وإن لم يكن جاء بذلك من عنده؛ لأنه هو الذي أحياها فنسبت إليه، كما قال عليه الصلاة والسلام: (ما من نفس تقتل إلا وكان على ابن آدم الأول كفل منها) لأنه أول من سن القتل.

حكم الكلام أثناء قضاء الحاجة

السؤال

ما حكم الكلام أثناء قضاء الحاجة؟!

الجواب

يجوز الكلام أثناء قضاء الحاجة، وعادة الإنسان أنه لا يتكلم إلا إذا كان محتاجاً، ولا يوجد شخص بكامل قواه العقلية يدخل الخلاء ولا يحلو له الكلام إلا وهو يقضي الحاجة.

مداخلة: ألا يدخل في ذلك النهي عن الكلام على الغائط؟! الشيخ: ربما؛ لأن كلمة (على الغائط) إما أن تكون في وقت قضاء الحاجة، وإما إذا انتهى المرء من قضاء الحاجة ووقف، فهذا أحد المعنيين، لكن يحمل على ذلك بقرائن أخرى لا شك.

وهنا مسألة: التسمية للوضوء داخل الخلاء إذا سمي الله تبارك وتعالى في قلبه فقد تم المراد، يعني: ليس ضرورياً أن يجهر بها، ويرفع صوته.

حكم صيام يوم السبت

السؤال

هل صحيح أنه لا يجوز صيام يوم السبت إلا أن يكون فرضاً؟!

الجواب

هذا صحيح؛ لأن الحديث صحيح، والذي يتبنى صحة الحديث لا يسعه إلا أن يقول بما قال الشيخ في مسألة صيام السبت، والذين يرون عدم النهي عن صيام السبت يضعفون الحديث أصلاً، لكن لو قلنا للذين لا يقولون بتحريم صيام السبت إلا في الفرض: هبوا أن الحديث صحيح من باب الجدل؛ لا يدعه إلا أن يفتي بالفتوى:

أنه لا يجوز صيام السبت، لكنهم أصلاً يقولون بجواز صيام السبت؛ لأن الحديث ضعيف لديهم.

مداخلة: هل هذا على سبيل أفراد السبت؟! الشيخ: لا يوجد لفظ: (أفراد) في الحديث، بل الحديث يقول: (لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم).

مداخلة: وهل هذا مثل أفراد الجمعة؟ الشيخ: لا، الجمعة فيها نص (نهى عن أفراد الجمعة).

مداخلة: ألا يعارض حديث النهي عن صيام السبت حديث آخر؟! الجواب: لا تعارض؛ لأن حديث النهي مقدم عند التعارض، إذ لو كان عندنا حديثان: حديث يمنع وحديث يبيح، ولم نستطع الجمع يقدم دليل المنع؛ لأن الأصل في العبادات المنع، ومتى كان الجمع ممكناً فذاك، ولو كان الحديث هكذا: (لا تصوموا يوم السبت) كان ممكناً أن نقول: لا تصوموا يوم السبت إلا أن يكون يوماً قبله، أو يوماً بعده، لكن لا يوجد أي وجه للجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث الأخرى التي تبيح صيام السبت؛ لأنه قال عليه الصلاة والسلام: (لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم) فصارت المسألة واضحة جداً؛ لأن لفظ الحديث يساوي: (لا تصوموا يوم العيد).

فصارت المسألة واضحة جداً، لأن: (لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم) مثله أيضاً: (لا تصوموا يوم العيد)، والعيد لا يصام عند المسلمين.

مداخلة: هل يمكن الجمع بين الحديثين؟ الشيخ: لا تستطيع أن تجمع أصلاً، يعني: كيف تجمع بين قوله: (لا تصوموا يوم العيد) وبين استحباب صيام الإثنين أو الخميس، إذا جاء العيد يوم الإثنين أو يوم الخميس هل يشرع للإنسان أن يصوم يوم العيد؟ لا يشرع له أن يصوم.

إذاً فقوله: (إلا فيما افترض عليكم) قيد صوم السبت بالفريضة، فالترجيح إذا تعارض الحديث المانع مع الحديث المبيح الآذن فإن المنع يقدم، لأن الأصل في العبادات المنع حتى يرد الدليل بالإباحة.

مداخلة: هل يصوم الحاج يوم عرفة إذا كان يوم الإثنين أو خميس؟ الشيخ: يترك صيام عرفة، لأن يوم عرفة ليس فرضاً بل هو مستحب، ولذلك لا يصوم الحاج يوم عرفة.

مداخلة: هل ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين صوم السبت والأحد؟ الشيخ: هذا صحيح، ولكن كل هذا حكمه حكم الصورة الأولى، كان أكثر صيامه عليه الصلاة والسلام السبت والأحد، ومن الممكن أن نقول: إن هذا كان في الأول، ثم قال عليه الصلاة والسلام: (لا تصوموا يوم السبت).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

شبه وردود

السؤال

كيف يرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنته إلى بيت رجل آخر، وهي لا تعلم أنها زوجته؟

الجواب

الحاصل يا أخي الكريم! أنها كانت ناهزت الحيض، فأنت عندما ترسل ابنتك إلى أخ لك في الله لتخبره أنك تريده أو نحو ذلك، كل هذا جائز لا شيء فيه، ولا أرى شبهة في المسألة.

أما مسألة إذا عقد الرجل على امرأته فهل يجوز له الدخول عليها؟ فمن العلماء من يقول: لا يجوز للعاقد أن يجمع المعقود عليها إلا بإذن وليها، وأنا أئبني هذا الرأي، والحجة في ذلك: سداً للذريعة، وهب أنه جامعها ثم طلقها، فإن هذه المرأة ستكون حاملاً، فيسوء ظن الناس في عرض الرجل وفي عرض المرأة، ولذلك شرع

الإشهار حتى يعلم كل الناس أن هذه المرأة تزوجت، ويوم أن تطلق ويطلبها رجل آخر يقال: هذه ثيب، لكن رجل جامعها وطلقها وهي معقود عليها، فيسوء الظن بها، أضف إلى ذلك أنه قد يعقد الرجل عليها ويعجز عن توفير السكن، وقد يظل سنة أو سنتين وهو يبحث عن السكن فتحمل المرأة، وقد حصل أن بعض النساء حملت في العقد وأسقطت لماذا؟ ليس عنده شقة.

فمنع العاقد أن يجامع المعقود عليها هو من باب سد الذريعة فقط وكفى.

مداخلة: أين الولي والشهود؟ الجواب: ليس في القصة أنه لا يوجد ولي، لا سيما وأن الحسن بن علي وعقيل بن أبي طالب كانا يعلمان بذلك.

لا تظنوا أن الصحابة تفوت عليهم هذه البدهيات التي خطرت لكم، تظن أنك فهمتها ولم تفت عليك وفانت على علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب.

المهم أننا في هذا العصر نعاني من الكافرين والمنافقين على السواء؛ الكافرون يكفرون بالله، والمنافقون يحسنون كفرهم وينقلونه إلينا باسم العلم، والجماهير عاجزة عن الرد، فكلما تكلم أحد قالوا: هل أنت متخصص، الكلام هذا لأهل التخصص.

ومثال ذلك: القضية الطارئة على الساحة الآن؛ وهي قضية الاستنساخ: وذلك عندما يقوم المنافقون بتمهيد الطريق لهذه القضية وتغطيتها، ويتهمون الله عز وجل، ويكتبون ذلك على صفحات الصحف، فيوهنون من عزم المؤمنين.

فالمؤمنون يتمنون لو يقوم بعض العلماء بالرد على هؤلاء ليشفوا صدور المؤمنين، ويردوا كيد الكائدين، حتى لا تقم لهم قائمة، وحتى لا يفكر أمثال هؤلاء أن يكتبوا يوماً ما على صفحات الصحف والمجلات، بالطعن في الدين أو مخالفة رسول رب العالمين فعندها ينهزمون ويرتدون على أعقابهم خائبين خاسئين، وإلا فكم هي القضايا التي ينشرونها بين الفينة والأخرى وآخرها ما سمعتم بقضية الاستنساخ التي نسأل الله تبارك وتعالى أن يخزي أعداء هذا الدين والمتربصين به ويجعل الدائرة عليهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين

ذكر القدح في الأشخاص يكون حسب المصلحة

السؤال

هل يجوز أن يسمى الرجل بما فيه من العيب والقدح؟

الجواب

تسمية الرجل والإخبار بما فيه كان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي المصلحة
فيما يقول، فأحياناً يقول: (ما بال أقوم) في موضع، ويصرح في موضع آخر، إذا كان
يستلزم النصيحة المحضة والتحذير لا مانع من التصريح، وقد صرح النبي صلى الله
عليه وسلم في الحديث الصحيح -والحديث في الصحيحين- لما جاءت فاطمة بنت
قيس تخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن معاوية بن أبي سفيان وأبي جهم أنهما
خطباها فقال: (أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن
عاتقه) فإذا كان هذا في شأن امرأة، ولم يخفي عنها النبي صلى الله عليه وسلم بما
يعلمه في معاوية بن أبي سفيان وفي أبي جهم، فمصلحة الأمة المسلمة لاسيما مع
كثرة الشر يستدعي أن يصرح الإنسان بالتحذير من هؤلاء الناس، لاسيما والفتنة
تأتينا من طريقهم، وهم يمكنون من الصحف الرسمية وغير الرسمية، ومن وسائل
الإعلام، فإذا علم المسلم أن هذا إنما يأتيه من ورائه دخن كان على حذر منه.

الحديث الضعيف لا يفيد العلم

السؤال

هل الحديث الضعيف يفيد العلم؟

الجواب

لا يفيد الحديث الضعيف بشيئاً من العلم، لا في فضائل الأعمال ولا في الأحكام الشرعية على المذهب الراجح.

مداخلة: ابن حجر ذكر شروطاً للحديث الضعيف في إفادته العلم؟ الجواب: أنت لو قرأت شرح الشروط الثلاثة التي ذكرها الحافظ ابن حجر في العمل بالحديث الضعيف تجد أنه ذهب في النهاية إلى منع العمل بالحديث الضعيف، وأنا أحيلك على مقدمة تمام المنة للشيخ ناصر فقد تكفل بشرح هذه الثلاثة الشروط.

حكم صيام النصف الأخير من شعبان

السؤال

هذا يسأل عن صيام نصف شعبان؟

الجواب

إذا كان الصيام بدأ من نصف شعبان، فهناك حديث: (إذا انتصف شعبان فلا تصوموا) مع حديث: (لا تقدموا رمضان بيوم ولا يومين).

فالجواب أولاً: إن حديث (إذا انتصف شعبان فلا تصوموا) طعن في صحته الإمام أحمد وغيره، وقال: هذا حديث منكر، وصححه بعض أهل العلم.

وعلى التسليم بصحته فنحن نقول ما قال العلماء: إن هذا يكون في حق من ليس له صيام الراتب، فاستأنف الصيام من نصف شعبان.

فالذي لم يتعود على صيام الراتب، إذا انتصف شعبان فلا يصم.

أما من كان له صيام راتب فهذا له الحق أن يصوم بعد نصف شعبان بشرط أن لا يصوم قبل رمضان بيوم أو يومين خشية أن يصوم يوم الشك.

إذاً: الجمع بين الحديثين أن مَنْ كان له صيام راتب فله أن يصوم؛ لكن قبل رمضان بيوم أو يومين يقطع الصيام، والذي لم يكن له صيام راتب فإنه لا يصوم بعد النصف من شعبان.

الإسراء والمعراج وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء إماماً

السؤال

هل التقى النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء في المسجد الأقصى، وصلى إماماً بهم قبل أن يُعْرَجَ به إلى السماوات العلى، وإن كان كذلك فلماذا كان يسأل عن كل نبي وعن اسمه عند دخوله إلى كل سماء، وكان الأنبياء يسألون عن اسمه أيضاً؟

الجواب

أما مسألة أن النبي عليه الصلاة والسلام صلى بهم: فهذا ثابت في الخبر.

وأما مسألة الصلاة بهم وكيف كانت الصلاة فلم يرد في الأحاديث، أو على حد علمي لا أعلم حديثاً من هذه الأحاديث كيف كانت صلاته صلى الله عليه وسلم بالأنبياء.

أما لماذا كان يسأل؟ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يسأل بنفسه، وإنما جبريل كان يخبره، ولم يكن ليتقدم بين يدي جبريل عليه السلام بشيء، فهذه أول رحلة له صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرف شيئاً، فكان يسكت حتى يعلمه جبريل عليه الصلاة والسلام، وهذا من أدبه صلى الله عليه وسلم، وليس معنى أنه عُرِفَ بهم أنه لا يعرفهم، أعني: أحياناً قد تعرف إنساناً ما ويأتي إنسانٌ فيقول لك: هذا فلان الفلاني، فتقول: نعم.

أعرفه، فليس معنى أن فلاناً عرّفك به أنك لا تعرفه، ولم يرد في الأحاديث أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن يعرفهم؛ لكن هذا داخل في أدبه صلى الله عليه وسلم.

والله أعلم.

فضل حفظ القرآن وحقيقته

السؤال

أريد أن أعرف فضل حفظ القرآن مع أن الصحابة معظمهم كان لا يحفظ القرآن، ومع العلم أنني حفظت جزءاً من القرآن؛ لكن الشيطان يسيطر عليّ حتى لا أحفظ، أريد أن أعرف فضل الحفظ؟

الجواب

أحاديث فضل الحفظ ليس فيها معنى الحفظ المجرد، بل فضل الحفظ مع العمل كما في الحديث: (يقال لقارئ القرآن يوم القيامة: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها) هذا الحديث لا يشمل من حفظ القرآن وأكل به، أو لعب به، أو اشترى به ثمناً قليلاً بداهة.

فكل الأحاديث في فضل الحفظ: إنما هي في الحفظ مع العمل، وليست في الحفظ المجرد، ولذلك تدرك فضل الصحابة بهذا البيان.

صحيح أنه لم يكن أغلبهم يحفظ القرآن؛ لكن كانوا يقفون عند حدود ما أنزل الله عز وجل، كما روى أبو عبد الرحمن السلمي، عن عثمان، وابن مسعود قالاً: كنا إذا حفظنا عشر آيات لم نتجاوزهن حتى نعمل بهن، فحفظنا العلم والعمل جميعاً.

إذاً: الصحابة كان كل شغلهم أنهم يتعبدون، ويحولون هذا القرآن إلى واقع عملي، إذا وردت: (اتقوا الله) فإنهم يقفون عند الآية ليحققوا التقوى.

إذاً: فضيلة الحفظ ليست في الحفظ المجرد العاري عن العمل، ولهذا صدق ابن عمر وصدق حذيفة لما قالاً: (لمقام أحدهم في الصف ساعة خير من عمل أحدكم في الدنيا كلها).

حكم قراءة كتب أهل البدع

السؤال

ما تقولون في كتاب: عرائس المجالس، للثعلبي؟

الجواب

كتاب: عرائس المجالس، لا يحل مطالعته، وكذلك كتاب: مكاشفة القلوب، للغزالي أبي حامد لا يحل مطالعته، وكذلك كتاب: إحياء علوم الدين، لا تطالعوه، لماذا؟ لأن فيه خبثاً كثيراً في باب السلوك والتصوف، وخروجاً عن الجادة، وعن مذهب السلف، وفي العقيدة أيضاً فيه خروج عن مذهب السلف، وهو في الفقه ليس له ميزة على بقية الكتب الأخرى، وكثير من العلماء حذروا من مطالعة كتاب: إحياء علوم الدين إلا للعالم بما فيه.

والحقيقة أن أبا حامد الغزالي نَدِمَ على كثير من هذه الأقوال التي أنفق عمره فيها، ومات وصحيح البخاري على صدره، وكان يقول: أنا قليل البضاعة في الحديث، يعني: أن بضاعته ضعيفة في الحديث.

وأظن لو أن الله عز وجل مد في عمره لرجع عن كثير مما قال، واعتقد ما يعتقده أهل السنة في مثل هذه المعاني المهمة.

حال حديث: من أحب أن ينظر إلى قصور الجنة

السؤال

ما صحة حديث: (من أحب أن ينظر إلى قصور الجنة، فلينظر إلى بيت المقدس، فإنه من قصور الجنة).

الجواب

هذا حديث ضعيف.

ضابط الاحتجاج بالمصالح المرسلة

السؤال

احتج بعض الناس بالمصالح المرسلة بالنسبة لوضع علامات في المسجد، ليسوي المصلون صفوفهم، فما رأيكم في هذا؟

الجواب

هذه الفتوى قلناها قبل ذلك مطولة، وذكرْتُ أدلتها؛ ولكن لا مانع أن أذكرها بشيء من الاختصار ما أعتقده في هذه الفتوى: وأن مد الخطوط على الأرض كما هو في كثير من المساجد لتسوية الصف، هو في اعتقادي بدعة.

المصالح المرسلة من شروط الاحتجاج بها: أن لا يرد نص في الكتاب أو في السنة للدلالة على الفعل، ويشترط أن يكون له مقتضى على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم بإمكانه أن يفعل.

فنحن نقول: لماذا نضع الخط على الأرض؟ الجواب: لنصف الصفوف.

السؤال: صف الصفوف مسئولية مَنْ؟ مسئولية الإمام.

فالإمام قبل أن يصلي ينبغي عليه أن يصف الصفوف، أو يرسل من يصف الصفوف له، مثلما كان النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكذلك كان يفعل عمر بن الخطاب كما في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه في مطعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فأرسل رجلاً فصف الصفوف حتى إذا لم يرَ خلاً كبير، فقال: الله أكبر، فما هو إلا ريثما أن قرأ حتى قال: طعنني الكلب أو قال كلمة نحو ذلك، ثم ساق حديث طعنه رضي الله عنه.

فصَفُ الصفوف مسئولية الإمام.

السؤال: هل كان بوسع النبي صلى الله عليه وسلم أن يشد خطاً على الأرض، أم أن هذا صعب بالنسبة له؟ سهلٌ بالنسبة له أن يشد خيطاً على الأرض.

هل هذا الخط كان له داع على عهد النبي صلى الله عليه وسلم؟ نعم.

كان له داع، وهو تسوية الصف.

لَمَّا كان له داع وكان باستطاعته أن يفعل ذلك ولم يفعل، دل ذلك على أنه لا يجوز لك أن تفعل، إذ لو كان مشروعاً لفعل.

إذاً! هذه البدعة كم لها من السنين؟ كم سنة عمرها؟ أقصى مدة: خمس عشرة سنة، يعني: أنها بدعة جديدة ليس لها أثر في كتب الفقهاء، ولم يفت بها أحد من الفقهاء المتبوعين، بل هي بدعة حديثة.

هذه البدعة كان من آثارها السيئة: أن الإمام يعطي قفاه للمصلين ويقول وقفاه لهم ووجهه إلى القبلة: استنوا برحمكم الله، فضيِّع واجبه الذي كان من المفروض أن يفعله، فهذه البدعة ما نجمت ولا ظهرت إلا بسبب تقصير الأئمة في القيام بواجبهم.

إنما لو صح أن نقول: هذه من المصالح المرسلة: إذا لم يكن لها مقتضى على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يرد نص بمنعها، ثم إن المصالح المرسلة تحقق لنا مصلحة، مثل: تغريم الصُّنَّاع، ومثل: إشارة المرور، كما هو معلوم أن الصُّنَّاع يغلب عليهم الإهمال، فتذهب لتعطيه سيارتك ليفكها، فيضيِّع عليك نصف السيارة، فتشتري قطع الغيار كلها من جديد.

فكان ينبغي أن يُعَرِّم الصانع هذا كله، وهذا مشروع، وحقق الشاطبي أنه مشروع، وأفتى به علي بن أبي طالب وغيره، واعتبر أن هذه من باب المصالح المرسلة، لما غلب على هؤلاء الصُّنَّاع من الإهمال.

فتضميئهم هذا يعتبر هو المراد في الشريعة، وحزمٌ ضد فوضى هؤلاء.

وكذلك مثل إشارة المرور، هل تمَّ نهي عنها؟ هل كان بإمكان الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن يعملها قبل هذا؟ لم يكن هناك مقتضى، وليس هناك نهي عنها، وهي تحقق مصلحة للمسلمين، فهذه تكون داخلة في باب المصالح المرسلة.

لكن الخط لا يدخل في هذا بسبيل، لاسيما أننا نشد الخط لعبادة؛ لأن تسوية الصف داخل في باب العبادة.

والله أعلم.

حكم إلقاء موعظة بين التراويح

السؤال

ما حكم من يقوم بإلقاء خطبة قصيرة لمدة خمس دقائق يومياً بعد أربع ركعات من التراويح؟

الجواب

أظن أن هذا جائز؛ لأن هذا تذكير، فالذي يقول مثلاً: إن هذا بدعة يلزمه أن يقول: إن المجلس الذي نجلسه الآن بدعة، ويلزمه أن يقول: إن كتابة الأسئلة في أوراق بدعة، ويلزمه أن يقول: إن اجتماع الطلبة على الشيخ الحويني لتدريس الحديث مرة، وتدريس الفقه مرة، هذا كله بدعة.

والأصل أن هذا كله من باب طلب العلم.

والله أعلم.

جواز تنوع صيغ التشهد في الصلاة

السؤال

ما هي الصورة الصحيحة للتشهد؟

الجواب

المعروف أن التشهد له أكثر من صيغة، وكل هذه الصيغ التي يقرأها المسلمون هي صيغٌ صحيحة، لكن ذكر العلماء: أن أصح صيغة هي التي في حديث ابن مسعود.

حكم التسوك في نهار رمضان بسواك له نكهة الليمون

السؤال

ما حكم التسوك في نهار رمضان بسواك له نكهة غير نكهته الأصلية؟

الجواب

تعني: طعم السواك؟ السائل: بعضُ الناس يضيف عليه نكهة الليمون! الشيخ: إذا أضاف مثلاً على السواك ليموناً أو نحو ذلك فلا بأس؛ لكن لا يخالط لعابه، لا سيما وأنه قد ينزل من السواك بعض فتات أشياء لها طعم.

والله أعلم.

حكم الذبح والتوسعة على الأهل في مواسم أهل البدع

السؤال

ابتليت بعائلةٍ شيعيةٍ، وأنا سلفي والله الحمد والمنة، ولكنني أعيش معهم في البيت ولا زلت طالباً في المدرسة، ولا أستطيع الاستقلال عنهم، وفي مواسمهم يجبرونني على تناول أكالاتهم وذبائحهم التي دُبحت لأجل هذه المواسم، فهل يجوز لي الاستمرار في الأكل أو الكف عن ذلك؟ وبماذا تتصحني من خلال معرفة الشيعة؟

الجواب

طالما أنهم لا يجبرونه على هذه البدعة التي يفعلونها فلا بأس من معاشرتهم.

وأما بالنسبة للأكلات التي يأكلونها في المواسم فهذه جائزة، حتى إنها موجودة في بيوت كثير من المسلمين، يعني مثلاً: ليلة النصف من شعبان يُذبح لها، ومثلاً في يوم السابع والعشرين من رجب يُذبح له، وهكذا في بقية المواسم، فهم لا يتعبدون الله عز وجل بهذا الأكل، إنما هو نوعٌ من التوسعة، ولا يدخل في نطاق البدع.

السائل: وإذا ذبحوا للحسن أو للحسين؟ الشيخ: لا.

إذا ذبحوا للحسن أو للحسين فهذا معروفٌ حكمه، هذا أصلاً أنا لم أنبه عليه؛ لكن إذا ذبحوا لمجرد أن موسماً معيناً حلَّ أو نحو ذلك، فهذا جائز أن يأكل المرء منه.

السائل: ولكنهم يذبحون للحسن والحسين في هذه المواسم! الشيخ: إذا كانوا يذبحون في هذه المواسم للحسن والحسين فهذا في حكم الميتة.

السائل: المولد النبوي يذبحون فيه! الشيخ: نعم.

يذبحون، فكل مولدٍ للنبي صلى الله عليه وسلم أيضاً يذبحون فيه ابتهاجاً ونحو ذلك.

هناك فرق -أيها الإخوة- ما بين شخص يذبح لأجل فلان، فهذا ميتة، لا يحل أكله، وبين رجل يبتهج بالمناسبة، فمن ضمن الابتهاج أنه يوسع على نفسه في الأكل والشرب، فهذا لا بأس به.

والله أعلم.

الفرق بين الترجمة للمبتدع والتحذير منه

السؤال

لقد ظهر قِبَلنا أناسٌ يتصدرون العلم ويقرءون القرآن، ولكنهم يقولون: يجب على أهل السنة إذا حذروا من صاحب بدعة وذكروه بما فيه، أن يذكروا ما له من

الحسنات ومن جميل الأخلاق حتى لا يظلموا هذا المبتدع وينصفوه، واستدلوا على ذلك بفعل الذهبي رحمه الله، فما قول أهل الحديث والتاريخ؟

الجواب

نقول أيها الإخوة الكرام: هناك فرق بين أن تترجم للمبتدع، أو أن تحذر منه.

إذا كنا في باب الترجمة فإننا نذكر ما له وما عليه، ونترجم ترجمة محضة.

لكن إذا أنا سُئِلْتُ عن رجلٍ في بدعته فأنا لا أذكر محاسنه، فمثلاً: إذا اقترض رجلٌ منك مالاً فأكله، ليس فيه إلا هذا العيب؛ لكنه مُصَلٌِّّ ورجلٌ صَوَّامٌ وقَوَّامٌ، ورجلٌ حسنُ الأخلاق، ويساعد الملهوف، ورجلٌ كريم؛ لكن الإشكال عنده أنه إذا اقترض منك مالاً فأنسه.

فإذا جاءني رجلٌ يقول لي: والله إن فلان الفلاني يريد قرضاً! فهل أقول له: هو ورعٌ زاهدٌ عابدٌ، وأذكر له هذه المسائل؟! هذا الكلام ليس له أي معنى ولا أي قيمة، إنما قال لي: هذا الرجل يريد أن يقترض مني مالاً أفأعطيه؟ فأقول له: إياك أن تعطيه! فهناك فرق بين الترجمة: أن نترجم لفلان من الناس فنذكر محاسنه ومساوئه كما هو عليه أهل السنة وأهل الحديث.

وعندما تقرأ للإمام أبي عبد الله الذهبي في كتاب: سير أعلام النبلاء مثلاً، تجد أن الذهبي في الترجمة يعطي الرجل حقه من الفضائل التي فيه، وإذا كانت هناك بدعة تبرأ وحذر منها.

والله أعلم.

وجوب التحذير من أهل البدع

السؤال

هل صحيح أن التكلم في أهل البدع يقسّي القلب؟

الجواب

لا.

التكلم في أهل البدع واجب؛ لكنه يحتاج إلى ذكاء، فهناك بعض الناس لا يراعون مصلحة الكلام في أهل البدع، وأئمة السنة مثل الإمام أحمد والإمام مالك وهؤلاء الثلاثة، كانوا يوجبون الكلام في أهل البدع، ويحذرون من أهل البدع.

ولكن المسألة أن واقع الإمام أحمد يختلف عن واقعنا.

فد شعبة بن الحجاج رحمه الله قال لـ يزيد الرقاشي: لو حدثت بهذه الأحاديث لأستعدين السلطان عليك.

سأذهب إلى السلطان وأقول له: إن تمّ رجلاً يروي حديثاً موضوعاً، فيسجنك.

فكان بدلاً من الإمام أحمد ألف أحمد، وبدلاً من مالك ألف مالك.

فالبيئة تختلف، فهناك في بعض الأماكن بيئة المبتدعة لهم فيها ظهور، ولهم صولة كبيرة، ولو وقف هذا الرجل السني في مقابل هؤلاء وجابههم قطعوا لسانه، وضيعوا حلقتهم، وأخذوا منه مسجده، فهل هذه حكمة أن يقف في مقابلهم، فيأخذون منه المسجد ويمنعونه من الكلام، ويحظرون عليه؟! هذا ليس من الحكمة، بل الصواب: أن يستمر هذا الرجل ويحاول بلطف وذكاء أن يطيل عمر دعوته، لا سيما إذا كان فرداً واحداً، وكان له تأثير وكان مباركاً.

وأنا أريد أن أقول شيئاً: الداعية الممارس يختلف عن قارئ الكتب.

قارئ الكتب هذا إنسان في وادٍ آخر؛ لكن الداعية الممارس رجلٌ لمَس الواقع وعرف كيف ينزل الإسلام على الواقع.

والمسألة كلها مربوطة بالمصلحة والمفسدة، وهذا النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه صارت له دولة في المدينة، وكان قادراً على الفعل قال لـ عائشة رضي الله عنها: (لولا أن قومك حديثو عهد بالكفر؛ لهدمت البيت وبنيت على قواعد إبراهيم) لكنه لما خشي أن يقول الناس: إن هدم البيت يخالف تعظيمه، ويقع هذا في روع آحاد الناس تركه على ما هو عليه، حتى جاء ابن الزبير فاستشار الناس في هدم الكعبة، فأشار عليه ابن عباس ألا يهدمها، قال: دع الناس ودع أحجاراً أسلموا عليها، فقال ابن الزبير: إنهم قَصُرَت بهم النفقة، وأنا أجد النفقة، وإنهم كانوا يخافون أن يفتتن الناس وقد حدث الأمان، فإني مستخير ربي ثلاثاً، واستخار الله عز وجل ثلاثاً وقرر هدم الكعبة.

فبدأ يهدم الكعبة، فقلع ثلاثة أحجار أو أربعة من فوق الكعبة، وإذا بالناس كلهم قد فزعوا وقالوا: ستتزل صاعقة الآن من السماء عليه، وجعلوا ينظرون والرجل يقلع الحجر ويرميه، فوجدوا أنه لم ينزل دمار ولم تنزل صاعقة، فقويت قلوب الناس على ذلك، وتتابعوا جميعاً على هدم الكعبة حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم فإذا هي أحجارٌ مثل سنام البعير.

فمسألة مراعاة المصلحة والمفسدة في التحذير من البدعة مهم، ليس هذا -أيها الإخوة- تهوين من شأن البدعة، بل يجب إنكار البدع؛ ولكن هذا الوجوب يختلف من مكان إلى مكان، ويختلف من رجلٍ إلى رجلٍ ونحو ذلك؛ لكن الكلام في أهل البدع واجب، بل سئل الإمام أحمد رحمه الله عز وجل عن رجلٍ يصلي ورجلٍ ينكر على أهل البدع أيهما أفضل؟ قال: الذي يصلي إنما يصلي لنفسه، والذي يجاهد أهل البدع، فإنما ينفع المسلمين.

حكم زيارة النساء للقبور

السؤال

ما حكم ذهاب المرأة لزيارة القبور؟ وهل يجوز للمرأة الذهاب إلى العزاء في بيت أختها المصابة؟ وقد ذكرت أن مالك بن أنس هو إمام أهل السنة والحديث، فهل هو مالك أم أحمد؟

الجواب

كلهم أئمة، ولذلك أنا أردفت هذا الكلام بقولي: هذا رأي عبد الرحمن بن مهدي، وإلا فـ سفيان الثوري إمام في الحديث والسنة، والأوزاعي إمام في الحديث والسنة، ومالك وأحمد والشافعي وإسحاق بن راهويه وكذلك سفيان بن عيينة كلهم أئمة، وهناك كثير من العلماء أئمة في الحديث والسنة؛ لكن هؤلاء أظهرهم.

أما بالنسبة لزيارة المرأة للقبور، فهو جائز إذا التزمت المرأة بالآداب الشرعية، وليس هناك دليل ينهض على منع المرأة من زيارة القبور.

فحديث: (لو بلغت معهم الكدى) هو حديث منكر، والحديث الآخر: (لعن الله زوارات القبور) يمكن توجيهه مع الأحاديث الأخرى، من قوله: (زوارات) أي: الكثيرات الزيارة.

وإلا فقد ثبتت الأدلة القاطعة بجواز أن تزور المرأة المقابر، منها هذا الحديث، (ماذا أقول يا رسول الله إذا مررت بالقبور؟)، وكذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)، وأصل الخطاب موضوع للرجال والنساء معاً، ولا يجوز التفريق إلا بدليل.

ومن جملة هذا الحديث (وكنتم نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي).

فربما قال إنسان: قد يكون الأمر بزيارة القبور بعد النهي عنها خاصاً بالرجال.

نقول له: لا؛ لأن ادخار لحوم الأضاحي للرجال والنساء معاً، وقد جاء الأمران في سياق واحد.

وأيضاً الحديث الذي في الصحيحين (أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على امرأة تبكي عند قبر جديد، فقال: يا أمة الله! اتقي الله واصبري) إلى آخر هذه الأحاديث، لكن إذا التزمت المرأة بالآداب الشرعية فلا بأس بالزيارة عند ذلك.

والله أعلم.

أما مسألة الاجتماع للعزاء -الاجتماع في أوائل المصاب- فأقول: لا يجتمعن في كل يوم لئلا يجددن المصاب، لكن المرأة تذهب إلى أختها لتعزيها في مصابها، فهذا من السنة.

نصيحة في عدم الوعظ بالأحاديث الموضوعة

السؤال

نرجو معرفة صحة حديث: (أن الرجل المشعر يكون فمه واسعاً، والمرأة المشعرة عكس ذلك).

الجواب

لا.

هذا ليس بحديث، هو من الأحاديث التي ابن الجوزي نفسه لا يعرفها! ابن الجوزي صاحب كتاب الموضوعات، ألف كتاباً جمع الموضوعات فيه، وهذا أحد الناس بعث لي حديثاً يقول عنه: ما درجة هذا الحديث (من أحبني فليذكرني عند أكل الفجل).

قلت: ما هذا البلاء عند هذا الرجل؟! هذا لم يشم رائحة الحديث ولو مرة في حياته، لا أعرف كيف هذا بعث لي هذا السؤال! وهل هذا الحديث فعلاً موجود أم أنه هو الذي ألفه لأن هذا حديث عجيب؟! ذات مرة كان هناك شخص يلقي درساً في المسجد، فيقول في كلام له: حتى إن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: (يا داخل ما بين البصلة وقشرتها ما نابك إلا صنتها) رجل من العوام كان في المسجد يعظ الناس والظاهر أن هذه كانت أول مرة يعظ في حياته -فاستمر يتكلم ويتكلم، حتى قال: إن الله يقول: (اسع يا عبدي وأنا أسعى معك) وهذا من الكلام الذي يرددونه.

ويمكن أن يجد الإنسان الحديث الموضوع موافقاً لمعان موجودة في الحديث الصحيح.

فمثلاً حديث: (من أخذ مالا من مهاوش أذهب الله في المهالك).

من مهاوش: من حرام، (أذهب الله في المهالك) أي أنه يضيع عليه، فهذا المعنى موجود في نصوص الكتاب والسنة، فإن الله عز وجل لا يبارك في الحرام أبداً، قد يكون كثيراً لكنه لا يغني صاحبه ولا يرد حاجته.

أما جماعة التبليغ فنحن ننصحهم نصيحة في الله عز وجل، أن يحتاطوا من الموضوعات، فإن أكثرهم يعيش على الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ومادة الوعظ والإرشاد عموماً.

يغلب عليها ذلك -فليس هذا خاصاً بإخواننا من جماعة التبليغ- بل إن، أكثر أحاديث الترغيب والترهيب فيها الأحاديث الضعيفة والموضوعة وعلى المسلم إذا قرأ حديثاً أن يكون لديه تمييز، فما ذكره السائل -مثلاً- لا يمكن أن يكون حديثاً.

كالحديث الآخر الذي هو: (لو علمتم ما في الجرجير لزرعتموه تحت السرير!!) لا تظنوا أن هذا غير موجود، بل هو موجود وينسبونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك حديث: (الهريسة تشد الظهر!) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات

وحديث (ربيع أمتي في العنب والبطيخ) والمشمش طبعاً؛ لأنه إذا كان ربيع الأمة في العنب فليس لها ربيع إذاً.

فيجب أن نتحرى نسبة الكلام للنبي عليه الصلاة والسلام؛ لأنه قال: (إن كذباً عليّ ليس ككذب علي أحد، من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)، قال ابن حبان رحمه الله في مقدمة كتاب "المجروحين": (إن الذي يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم -وهو لا يقصد ذلك- داخلٌ في جملة الكاذبين)، وأورد حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (من حدث عني حديثاً وهو يرى -أو: يرى- أنه كذب فهو أحد الكاذبين) أو (هو أحد الكاذبين).

وأنا أقول لكل مسلم نقول: اعرض جملة أحاديثك على من تثق بعلمه ومكانته في هذا العلم، كلما تقابلت عالماً فاسأله عنها أو عن بعضها الجزء المحفوظ عند أغلب الناس تجده إما ضعيفاً أو موضوعاً، أو ليس على وجهه الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم.

معاناة بعض النساء الملتزمات من آبائهن وأمهاتن ثم ممن يتقدم لخطبتهن

السؤال

فتاة تشكو محنتها مع أسرتها، فأبوها وأُمها يمنعانها من الخروج منتقبة، وهي ترفض ذلك، وقد تقدم لخطبتها شاب، لكنهم غير ملتزمين، ولم يتقدم لخطبتها إلى الآن شاب ملتزم.

الجواب

هذه الشكوى ليست جديدة، أنا سمعتها بأذني ووصلتني أيضاً في رسالة.

يا إخوة: نحن في جهاد وفي حرب! يجب أن ينحاز الغريب إلى إلفه، هي غريبة ترفع شعار الغربة وهو النقاب، وأنت غريب أيضاً ترفع شعار الغربة ومضطهد، ألا ينحاز الغريب إلى غريبه والإلف إلى إلفه في زمان الغربة؟! هنا الولاء.

ومن المشاكل التي أحزنتني جداً: أخت منتقبة عمرها ثلاث عشرة سنة مرتدية النقاب، وأهلها يجبرونها على خلع النقاب فتأبى، فحبسوها، منذ سبعة أشهر وما نزلت من البيت، وترضى وتقول: أنا أَرْضَى بذلك، كل الذين يأتون لخطبتها يشترطون أن تخلع نقابها.

لماذا تشترط ذلك؟! المختبرات يملأن الشارع، لماذا تأتي إلى امرأة غطت وجهها فتلزما بكشف وجهها؟! اذهب إلى أخرى تكشف وجهها! فالذي يشترط هذا لا يؤتمن عليه.

إن كان منذ البداية يقول لك: اخلي هذا النقاب، فلا يؤمن أن يقول: اخلي الحجاب.

يقول بعضهم: إن المتنقبة شكلها عدوانية بالنقاب، وما أعجبتني ويتكلم بهذا الكلام، وهذا لا يجوز.

هؤلاء الأخوات الفاضلات إذا لم يتقدم إليهن أحد، فمن يتقدم؟ هناك بعض النساء تفتتن، إذا رأت المسألة مسألة جمال تتزين وتخرج إلى الشارع، فتبدو جميلة لبعض الناظرين.

فأنتم -يا إخوان- لا بد أن تعرفوا حقيقة الوضع الذي تعيشون فيه، أنتم غرباء! إن الجمال -مهما كان- يزول بالعشرة، ما له قيمة، المرأة لو كانت أجمل امرأة في الدنيا فبرتابة العيشة يصير جمالها عادياً، قد تنبهر بها أول مرة وثاني مرة وثالث مرة ورابع مرة لكن في عاشر مرة لا، بدليل أن الطعام الذي تشتهييه وتحبه لو أكلت منه شهراً كاملاً تملّه وتكرهه؛ لأن هذه هي عادة الإنسان.

فأنا أرجو أن يظهر إخواننا الولاء لله عز وجل ورسوله، لا نترك الأخوات بهذه الصورة يا إخوة.

وبهذه المناسبة نحن ندعو للتعفف: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

الأخت الفاضلة تدخل السعادة على أخت أخرى تنشد السعادة وتبحث عنها، فما هو المانع -إذا كان زوجك عنده القدرة على أن ينفق، وعنده القدرة على الباءة- ما المانع أن تشركي في هذه السعادة أختاً أخرى؟! فالمهاجرين والأنصار لما دخلوا في الإسلام كان الرجل الأنصاري يتنازل عن أجمل نسائه لأخيه، وهذه كانت غريبة جداً في العرب، كانت عندهم غيرة عجيبة، ومع ذلك كان يأتي إليه ويقول: اختر أجملهن فأطلقها وتتزوجها.

فنحن نريد في هذا العصر أن نرجع مثل هذا الخلق.

نسأل الله عز وجل أن يرد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً.

مداخلة: وإذا كان عندهم مال فليزوجوا غيرهم! هذا اقتراح وجيه، فلو أن الرجل زوج بهذا المال رجلاً آخر فلا مانع، لكن لا بد أن نراعي محبة المرء لنفسه، فهناك بعض الناس ليست عنده القدرة ولا الشجاعة ولا الجرأة أن يخرج عشرة آلاف جنيه مثلاً، وصعب عليه بذلها ليزوج بها غيره، مع أنه يمكن أن ينفقها على ملذاته وشهواته.

فنحن الآن نتعامل مع واقع، فلا ينبغي أن تكون الفتوى في واد، وما هو كائن في واد آخر، المفروض أن تكون الفتوى متماشية مع الواقع.

رجل لا يستطيع أن يفعل هذا، فالحل الآخر أن يقوم هو مقام الرجل الآخر.

أن يعطى الإنسان رجلاً مالا لكي يتزوج، لا بأس بذلك، لكن إذا لم يستطع ذلك فليتزوج هو، فيكون قام مقام الرجل الآخر الذي تزوج.

وأيضاً نحن لدينا إحصائية خطيرة جداً: أن عدد النساء يكاد أن يصل إلى ضعف عدد الرجال، عدد المطلقات ثلاثمائة ألف امرأة مطلقة في مصر، مطلقات لهن أولاد وبعض المطلقات لا يجدن الأكل -والله لا يجدن الطعام- وبعض الأفراد يقول: إننا لا

نرغب في الزواج فأقول لهم: هناك من النساء من يقلن: فليتزوجني ولا يقسم لي، لكن يطعمني وأولادي.

عندما تصل مثل هذه الرسالة وتسمعها أخت مسلمة، كيف تصبر وتنام وهي هائلة أنها مسيطرة على هذا الرجل؟! فلم لا تشرك أختها المسلمة في هذه السعادة؟! لأنها يمكن أن تكون هي نفس المرأة التي تشتكي، يموت زوجها أو يطلقها، معها أولاد! أبوها فقير! وربما قال لها: أنا ما لي علاقة بأولادك، فتضطر المرأة إلى العمل، وتمتهن نفسها أو تتزوج ويستترها رجل.

فنحن نقول لأخواتنا المؤمنات: عليهن أن يرتقين بهذا الإيمان وهذا الخلق، قال الله عز وجل: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩].

معيار الاختيار للزوجة

السؤال

إني شابٌ مقبل على الزواج، وإني أرغب الزواج بامرأة تكون على خلق ودين وتكون جميلة، هذا ما أرغب به في الفتاة التي أرغب الزواج منها، ولكنني وجدت فتاة على خلق ودين، ولكنها متوسطة الجمال، فهل أتنازل عن أمر الجمال أم أبحث عن غيرها حتى لا أندم بعد ذلك؟ أرجو الجواب.

الجواب

تحضرني قصة لرجل كان قد أرسلها لجريدة الجمهورية من سنوات طويلة، يقول: كنت أعمل في بلدة من الدول العربية، وجئت فنزلت شارعاً أشتري شيئاً، فرأيت فتاةً بارعة الجمال سلب جمالها لبي، فمشيت وراءها حتى دخلت دارها، فما إن دخلت حتى طرقت الباب، فقلت: إني أريد أن أتزوج هذه الفتاة.

وقال: أنا مشيت في الشارع، ورأيتها هذه امرأتي التي أبحث عنها.

فالمهم: دخل واشترطوا عليه من المهر كذا وكذا، وفعلاً تزوجها.

كانت باعث مشكلته، يقول: إن هذه المرأة أنفق عليها كل مدخراته، ورغم أنه وحيد أمه إلا أنها من أول يوم تغسل ملابس أمه مع ملابسها.

الرسول عليه الصلاة والسلام قال: (تتكح المرأة لأربع: لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك).

هذا خبر، بمعنى أن الناس يراعون هذه المسائل الأربعة في نكاح النساء، فمنهم من ينكح المرأة لجمالها ومنهم من ينكحها لحسبها وأخرى لنسبها وأخرى لدينها فقال صلى الله عليه وسلم: (فاظفر بذات الدين تربت يداك).

وذاًت دين جميلة أفضل من ذات دين فقط، ذات دين جميلة وغنية أفضل من ذات دين جميلة فقط، وهكذا! الدين هو الأصل، وكلما كانت هناك خصلة أخرى تضمها إلى الدين، كان أفضل من الدين وحده، هذا لا شك فيه عند العلماء؛ لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فاظفر بذات الدين تربت يداك) (تربت يداك): هذا تعبير يحتمل المعنى بالصد، (تربت يداك): بمعنى افتقرت، ولكن السياق هو الذي يحدد المعنى.

وأم سليم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: (يا رسول الله! أتحتلم النساء؟ فقالت أم سلمة: فضحت النساء يا أم سليم، أو تحتلم المرأة؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تربت يمينك).

! فبم يشبهها ولدها) فأثبت احتلام المرأة، فقال العلماء: (تربت يمينك) افتقرت، وهي كلمة دعاء لا يقصد بها الدعاء بذاته، كقول النبي صلى الله عليه وسلم لا معاذ (تكلتك أمك) ما قصد الدعاء عليه أن يموت أو أن تتكله أمه، وإنما هي كلمة تجري على اللسان، وكقول النبي عليه الصلاة والسلام: (قتلوه قتلهم الله) وهذه الكلمة تجري على اللسان.

(تربت يمينك) أو (تربت يداك) بمعنى: افتقرت، وقد تأتي بمعنى النماء والبركة كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (فاظفر بذات الدين تربت يداك) فهي في هذا الحديث بمعنى: النماء والبركة، أي: فاطفر بذات الدين تعلقت يداك بالبركة ولا يمكن أن تكون (تربت يداك) بمعنى: افتقرت أبداً؛ بدليل كلمة (اظفر) ولا يمكن أن يقول له: اظفر بالفقر أبداً، وإنما اظفر بذات الدين.

فإذا لم تجد بُداً، ووجدت أن المرأة ذات الدين ليست جميلة، فأنا أنصحك أن تتزوجها.

واسمع هذه القصة: أرسل الإمام أحمد رجلاً يخطب له امرأة، فخطب امرأة ولها أخت، وهذه الأخت كانت عوراء، فجاء الإمام أحمد، وقد علم الرجل أن الإمام أحمد سيتزوج تلك المرأة، وكانت أختها العوراء تجلس بجانبها، فالإمام أحمد أشفق عليها، وقال له: لا أريد هذه، اخطب لي تلك العوراء، وخطب العوراء، وأنجب منها الإمام عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل راوي المسند، الإمام الكبير الثقة.

والرسول عليه الصلاة والسلام قال: (إذا رأى أحدكم المرأة تعجبه، فليأت أهله؛ فإن معها مثل الذي معها) هذه هي القضية، إذا قضى الرجل حاجته، استوى عنده أجمل النساء وأقبح النساء.

وهذه حقيقة أقولها، وأنا ما عرفت هذا الكلام إلا من شكاوي إخوة كانوا يقولون: إن الغالب على الأخوات الملتزمات عدم الجمال المبهر، فأقول: إنه الجمال نسبي، بمعنى أن المرأة القبيحة في بيتها إذا تزينت رأيت منها جمالاً.

أما الجمال الصارخ على حد قول من يقول: لم يره الشارع؛ فإن الله عز وجل يعطيك من المرأة العفيفة ما هو أفضل وأجمل وأرضى لنفسك منه.

فلا تترك ذات الدين لأجل الجمال، واعلم أن الجمال نسبي، وأن الرجل إذا قضى حاجته يستوي عنده أجمل امرأة مع أقبح امرأة، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا رأى أحدكم المرأة تعجبه فليأت أهله؛ فإن معها مثل الذي معها) البضع واحد، فلذلك أنا أنصح هذا الأخ ألا يقف كثيراً عند مثل هذا الشرط.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم بذات الدين.

من أحكام الهجر

السؤال

هناك أخوان شقيقان وهما من طلبة العلم، وبينهما شحناء بسبب المال، وقطيعة الرحم متسمة بينهما بحيث لا يرى أحدهما الآخر، ولا يزوره ولا يقابله ولا يسلم عليه، أي أن الأول يهجر الثاني، والثاني أيضاً يهجر الأول، وهما على هذا منذ عام ونصف.

أرجو أن تقدم نصيحة لهذين الأخوين.

الجواب

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام).

قال العلماء: لا يحل ذلك إذا كانت الخصومة للدنيا، أما إذا كانت للدين فيجوز أن تستمر ولو سنين، وقد هجر النبي صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وصاحبيه خمسين ليلة، فإذا كان الهجر من أجل الدين، كأن يكون الرجل مبتدعاً أو فاسقاً أو مرتكباً للمعاصي، فيجب عليك أن تعظه وأن تأخذ بيده، حتى إذا بان لك أنه لا يرجع إلا بالهجر، هجرته ولو امتد ذلك لأشهر، ولو امتد ذلك لسنوات.

لكن إذا كان الهجر بسبب المال -كما يقول الكاتب في هذه الورقة- فإن ذلك لا يجوز.

أخوك -أيها الأخ الكريم- أغلى من المال، ولو أنت فضلت المال على أخيك فأنت بعته برخص، النبي عليه الصلاة والسلام قال: (يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)، ويؤسفني أن يكونا من طلاب العلم، هذا ليس من خلق طالب العلم، إن النبي صلى الله عليه وسلم اقتص من نفسه، وقال: (من كان له مظلمة فليقتص).

أيها الأخ الكريم: كن خير الرجلين كما يقول صلى الله عليه وسلم: (يلتقيان، فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام).

أسأل الله عز وجل أن يقوي بينكما ما وهى من روابط الإيمان اللهم آمين.

الأحاديث الموضوعة وحرمة نشرها

السؤال

ما حال حديث إبليس طرق الباب على النبي صلى الله عليه وسلم:

الجواب

هذا حديث بكل أسف وجدته في أكثر من موضع، يسمونه حديث إبليس، ويقولون: روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجانبه عائشة رضي الله عنها، وإذا بالباب يقرع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتعلمون من بالباب؟ قالوا: الله أعلم).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: هو إبليس اللعين.

فقال: عمر بن الخطاب: ائذن لي بقتله يا رسول الله! قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يا عمر! هذا من المنظرين).

وهو موضوع مكذوبٌ على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن العجيب أن بعض الناس يتبرعون في نشر هذا الحديث! وهذا لا يجوز، فلا يحل لأحد أن يوظف ماله لنشر الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيها الناس! إن لكم معالم فانتوها إلى معالمكم؛ فأَي رجل يعرض عليه حديث مثل هذا الحديث ينبغي عليه أن يسأل أحد العلماء بالحديث: أهذا صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أم لا؟ لأن الترويج لهذا الكذب لا يحل والكذب على النبي عليه الصلاة والسلام من أعظم الجرائم، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (إن كذباً علي ليس ككذب على أحد، من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار).

وشبهةٌ بهذا الحديث -حديث إبليس- كتيب وجدته يوزع مجاناً على أبواب المساجد، وهو عبارة عن قصة مفتراة مكذوبة تهدم أركان الإسلام بدعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم قالها، وينسبونها للصحابي الذي لم يخلقه الله تبارك وتعالى يسمونه: عبد الله بن السلطان، هذا الشخص ما هي حكايته؟ قالوا: كان هذا الرجل فاجراً وزانياً وداعراً، يأكل الربا، ولم يكن يصلي مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يبغضه! هذا حيناً يأكل الربا وحيناً يزني والرسول لا يقيم عليه حداً فلم إذا يغضب منه؟! فالمهم لما مات جاء ابنه وقال: يا رسول الله! إن أبي مات، تعال وصل عليه.

فقال له: كيف أصلي عليه وقد كان يفعل ويفعل ويفعل؟! قالوا: وإذا بالأمين جبريل ينزل من السماء ويسد السبع الطباق إلخ، ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله يأمرك أن تصلي على عبد الله بن السلطان ما هذا الكلام؟! هو مأمور، ولا بد أن يفعل ما أمر به، صل عليه إذا يصلي، وقال: الأمر لله.

! امض وادفنه.

فحين أتى ليدفنه، وجد الحور العين يقفن بكئوس العصير والزنجبيل والكافور وغير ذلك، وكل واحدة تقول له: يا عبد الله خذ مني.

! يا عبد الله خذ مني.

! فالنبي صلى الله عليه وسلم اندهش ما هذا الذي يحصل؟! فانظر كيف يظهرونه بمظهر الجاهل الذي لا يعرف شيئاً، مندهش! لا يدري ما الذي يحصل! بعد ما دخل ورأى الحور العين، ذهب فطرق الباب على امرأته فالمرأة سمعوا صوتها وهي تقول: من الفاسق الذي يطرق الباب؟ قالوا لها: يا أمة الله! اتقي الله! إنه رسول الله.

فقالت: أهلاً برسول الله، وفتحت الباب له، تعظمه، فسألها النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل ماذا كان يعمل.

انظر كيف يصورون رسول الله! هل يعقل أن رسول الله يأتي بهذا الكلام؟! الذي يعلم الخلق كيف يتقربون إلى الله، يظهرونه بمظهر الجاهل الذي يسأل ولا يعرف ماذا يعمل هذا الرجل، وخصوصاً أن الرجل كان فاجراً داعراً زانياً أكل ربا! وتجد من المسلمين من ينشر هذا الغثاء، ويظن أنه حديث! قالت: يا رسول الله! هذا كان صفته كذا وكذا غير أنه -وهذا مربوط الفرس الذي كان يريد أن يصل إليه- كان إذا جاء أول يوم في رجب دعا بهذا الدعاء -وذكروا الدعاء في أربع صفحات- فهو يفعل كل تلك المنكرات، وحين يدخل رجب يدعو بهذه الأربع الصفحات وانتهى الأمر! وقالوا في هذه الرواية: إن الرسول صلى الله عليه وسلم بعدما سمع هذا الكلام قال: (من أراد أن يأخذ أجر نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد فليقرأ هذا الدعاء) انظر إلى هذا الكلام!! هل هناك مسلم في الدنيا عنده أبجديات الإسلام ينشر هذا الكلام؟! وهل هناك مسلم يعتقد أن هذا من دين الله، ويبتغي الأجر من الله عز وجل لأنه ينشر هذا الكلام؟! على لسان الرجل القاتل، والذي كان الناس يؤجرونه لكي يقتل القاتل، فهم يذكرون أن هناك امرأة قُتِلَ زوجها، فذهبت إليه وقالت له: أنا أريد منك أن تقتل فلاناً الفلاني، قال لها: وكم تدفعين لي؟ قالت له: أنا مسكينة وفقيرة، وليس لدي مال فرق قلبه وقال: سأقتله لوجه الله!! يعني: أنا لن آخذ مالا، أنا سأقتله لوجه الله، وأتقرب إلى الله عز وجل بقتله.

!.

لذلك يا جماعة إذا كان هذا الحديث معلقاً في المساجد فمزقوه، لا يجوز أن يبقى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم معلقاً في المساجد.

حكم رفع اليدين للدعاء يوم الجمعة للمؤمنين بعد الخطيب

السؤال

قلت: إنه لا يجوز للخطيب أن يرفع كلتا يديه في الدعاء، هل يجوز رفع اليدين لغير الخطيب؟

الجواب

نعم، ولكن ليس في خطبة الجمعة، فالإنسان إذا دعا الله تبارك وتعالى يجوز له أن يرفع يديه.

حكم دعاء القنوت في صلاة الفجر

السؤال

ما حكم دعاء القنوت في صلاة الفجر؟

الجواب

الذي نعتقده -وهو المذهب العلمي الراجح الآن- أن الدعاء في قنوت صلاة الفجر بدعة، والاستمرار عليه بدعة، وذهب الشافعية إلى سنيته لأدلة عندهم محتملة، ولكنها مرجوحة عند بقية أهل العلم، فقالوا باستحباب القنوت -باستمرار- في صلاة الفجر.

فنحن نقول رعاية لهذا الخلاف: إذا كنت إماماً فلا تقنت في صلاة الفجر، ولا ترفع يديك ولا تدع، لكن إذا كنت مأموماً، فرعاية لهذا الخلاف عليك أن ترجع إلى الأدلة العامة، كقول النبي عليه الصلاة والسلام: (إنما جعل الإمام ليؤتم به).

والعلماء يراعون الخلاف إذا كان الدليل محتملاً.

فمثلاً: امرأة تزوجت على مذهب أبي حنيفة بغير إذن الولي، الذي عليه جماهير العلماء غير الأحناف أن النكاح باطل؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل باطل).

والأحناف يضعفون هذا الحديث -وهو صحيح لا ريب فيه- ويأخذون في هذه المسألة بظواهر الآيات، لكن إذا جاءت امرأة فقالت: أنا تزوجت بغير إذن الولي، نقول: النكاح باطل.

فهل نقول عن: الأولاد: أولاد زنا؟ نحن نقول: ليسوا كذلك رعاية للخلاف الوارد في المسألة، وهذا بابٌ دقيق، وليس فيه تميع للأدلة كما قد يظن بعض الناس، ويحتاج توضيح ذلك إلى محاضرات، وأغلب الإشكال يأتي من الإجمال، لكن يكفيكم العنوان: أن رعاية الخلاف معتبرة عند العلماء، لاسيما إذا كان ظاهر الدليل فيه ترشيح وترجيح للقائل بالقول الآخر.

ولا نستطيع أن نقول: إن الأولاد أولاد زنا؛ إذا قلنا: أولاد زنا، فينبغي أن يحد الرجل والمرأة، ولا طائفة لهذه الناحية من العلم على الإطلاق، حتى من المخالفين للأحكام، والإمام النووي له كلام جميل في هذا.

حكم قطع الصلاة لإجابة نداء الوالدين

السؤال

هل كان على جريج العابد إجابة أمه عندما نادته؟ وهل يجب على الإنسان إذا ناداه والداه وكان يصلي النافلة أن يجيب؟

الجواب

الذي ذهب إليه أهل العلم -وهو الراجح أن الابن إذا كان يصلي النافلة وعلم أن الوالد يتضرر من الإبطاء في الإجابة، فعليه أن يقطع صلاته ويجيب، أما الفريضة فقالوا: لا يجيب، الابن أنه لو قال لوالده: كنت أصلي، لما توجع من ذلك، فينبغي له أن يستمر في صلاة النافلة.

إنما الأعمال بالنيات

السؤال

هل يجوز أن يقدم الإنسان على الدين رغبة في الحصول على غرض دنيوي، كأن يدخل رجل في الإسلام حتى يستطيع الزواج من امرأة مسلمة واشترطت عليه ذلك؟

الجواب

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى) فإذا تزاومت نيتان للعبد كان أسبقهما أولاهما، أي: يجوز التشريك في النية في بعض الأعمال، رجل أراد الحج والتجارة، يقال: إذا قصد التجارة أصلاً ثم قال: وبعد ذلك نحب، كان له من نيته ما انعقدت عليه، إذا كان ذاهباً للتجارة وقال: أريد أيضاً أحج، مثل بعض الناس الذين يذهبون إلى هناك لكي يقودوا الحجاج في مناسك الحج، يقول لك: نذهب لكي نجمع لنا بعض المال أولاً ثم إذا يسر الله فسنحج.

إذاً: النية هي مناط الأمر، فإذا تزوج رجل امرأة مسلمة لا يستطيع أن يتزوجها إلا بالإسلام كان له ما نوى.

فإن قال قائلٌ: فما تقول في قصة أبي طلحة حين خطب أم سليم، فقالت له أم سليم: يا أبا طلحة ما مثلك يرد، لكنك امرؤٌ كافر وأنا مسلمة، فإن تسلم فذلك مهري لا أسألك غيره.

فقال: وكيف لي بذلك؟ قالت: اذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، ف أبو طلحة إنما أسلم ليتزوج أم سليم وهذا هو السبب الظاهر، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى أبا طلحة قادمًا قال: (جاءكم أبو طلحة وغرة الإسلام في وجهه).

فقد أسلم وآمن، ثم ذهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام ليشهر إسلامه ويتزوج، فالنية الغالبة على أبي طلحة إنما هي الإسلام، إذًا: الراجح في المسألة هو أصدق النيتين وما انعقد عليه القلب.

الداعية إلى الله لا يتخلى عن دعوته مهما اشتدت الصعاب

السؤال

هل يستفاد من قصة الغلام ورجوعه إلى الملك أن ذلك موافق لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَقًا فَلَا تُلْوَهُمُ الْأَدْبَارَ} [الأنفال: ١٥].

الجواب

هذه الفائدة محتملة؛ لكن قد يكون التقدم مصيبة على المسلمين ويكون الرجوع والتقهر والانسحاب باباً من أبواب النصر (فَلَا تُلْوَهُمُ الْأَدْبَارَ) المقصود: ألا تفر الفرار الكامل فيمكن أن تناور، ترجع إلى الخلف خطوة وتتقدم خطوات، أو ترجع خطوات لتتقدم خطوة، هذا كله من تكتيك الحر كما يقال ومع ذلك: هذه فائدة محتملة - جزاك الله خيراً- أن الرجل الذي يدعو إلى الله تبارك وتعالى لا ينبغي له أن يولي الأدبار، بمعنى: ينكث ويترك دعوته ويتخلى عن أدائها.

والقصة فيها فوائد أكثر من ذلك، لكن الوقت ضيق.

ضعف حديث الاستياك بالأصابع

السؤال

هل ثبت استعمال الأصابع في الاستياك قبل الصلاة؟

الجواب

لم يثبت ذلك، وحديث الاستياك بالإصبع رواه البيهقي وغيره، وهو حديث ضعيف والله أعلم.

وبهذا القدر الكفاية، والحمد لله رب العالمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

نصيحة عامة لطلبة الجامعة والمدارس

السؤال

نريد من فضيلة الشيخ أن يوجه نصيحة لطلبة الجامعات والمدارس وهم على الأبواب؟

الجواب

إخواننا في الجامعة على وجه الخصوص أقول لهم: كونوا كما قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عندما سمع رجلاً يقول: (والله لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ما تركناه يمشي على الأرض) حذيفة سمع هذه الكلمة ما معنى هذا؟ معناه أن الصحابة قصرُوا في حق النبي عليه الصلاة والسلام وتركوه يمشي على الأرض!!.

فقال حذيفة له: (يا ابن أخي! أكنت تفعل ذلك؟)، ثم ذكر له موقفاً واحداً، ومن هذا الموقف أدلف إلى نصيحة طلبة وطالبات الجامعة.

قص عليه موقفاً واحداً.

لما كان يوم الأحزاب وكان الجو بارداً شديداً البرودة، حتى أن الصحابة كان الواحد منهم يحفر لنفسه حفرة ويدفن نفسه فيها من البرد، وتعرفون الصحابة وجلدهم، وكيف كانوا يتحملون الحرارة في مكة التي تغلي منها الرءوس، وكانت أمورهم وحياتهم على ما يرام ولا مشكلة، فتخيل هذا الصبور يحفر لنفسه حفرة لأنه لا يتحمل البرد! وهم في حفرهم في الرمل! فالنبي عليه الصلاة والسلام يريد أن يرسل عيناً على المشركين فقال: (من يأتيني بخبر القوم وهو معي في الجنة؟) أظن هذا حافزاً يجعلهم كلهم يخرجون من الحفر!.

ومع هذا لم يقم أحد من حفرته من شدة البرد، فكرر ثلاث مرات: (من يأتيني بخبر القوم وهو رفيقي في الجنة؟ -فكان حذيفة أحس أنه سيقول له: قم فأدخل نفسه في الحفرة أكثر، فقال: (فتقاصرت) -أي: أدخل نفسه في الحفرة أكثر- قال: فقال لي: (قم يا حذيفة)، قال: (ولم يكن من طاعة الله ولا طاعة رسوله بد)، قمتُ فقال لي: (انثني بخبر القوم ولا تدعهم علينا) -أي: لا تنفرهم أو تهيجهم علينا وإنما بهدوء- (ودعا لي؛ فكانني أمشي في حمام) -ذهب عنه البرد وما يجد من القُر كأنه يمشي في حمام- قال: (فذهبت إليهم فرأيتُ ناراً عظيمة) -أحدهم عاري الظهر ويصطلي بالنار، أي: يستدفئ- (فعلمتُ أنه أبو سفيان) -وهذه كانت أول مرة يرى فيها أبا سفيان - قال: (فأخذت السهم ووضعتَه في كبد القوس، وهممت أن أضربه فتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تدعهم علينا).

قال: (ورجعتُ فأخبرته خبر القوم فعاد لي القُر -أي: رجع البرد مرة أخرى بعد أن أدى المهمة، وانتهى مفعول دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما عليّ من القُر أعطاني عباءته فتدثرت بها، فنمت حتى الصباح، قال: فجاءني النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: (قم يا نومان).

هذا الحديث يدل على صدق الانتماء إلى الله سبحانه لن تنصر دينك إلا بصدق الانتماء إلى ربك، الجامعات فيها شيء في الدراسات العليا والماجستير والدكتوراه اسمه: الحياد العلمي، وهذا المفهوم في مصطلحنا: هو ترك الانتماء إلى السلف، أي: عندما تنظر في أي قضية؛ اعتبر نفسك مقطوعاً من شجرة، لا تنتمي ولا تستحضر دينك؛ لأنك إذا استحضرت دينك ستتحاز له، وإذا انحزت إلى دينك ينعدم عنك الحياد العلمي الذي نريد أن نربيه فيك.

الحياد العلمي هذا أتانا من الغرب، قال الدكتور طه حسين: ينبغي أن ننظر إلى القرآن على أنه كتاب أدبي، لا أنه من عند الله، ويتعرض للنقض وللقواعد النحوية؛ ولذلك العلماء طردوه، ومن جملة العلماء علماء الأزهر، فلما طردوه ذهب وأخذ الدكتوراه في اللغة العربية من باريس، لا من بلاد العرب أو من الأزهر، طردوه وكفروه بسبب كتاب (الشعر الجاهلي)، وعاد وقال: أنا تبت وأنبت، والأستاذ أنور الجندي نقل في بعض مقالاته أن الدكتور طه حسين سئل في آخر حياته: أما زلت معتقداً الكلام الذي في كتاب (الشعر الجاهلي)؟ قال: ما تركت منه حرفاً.

معتقد تماماً ما في الشعر الجاهلي الذي كفره العلماء بسببه.

فباسم الحياد العلمي يدخل المرء ناسياً أنه مسلم لماذا؟ يقول لك: لأن الحياد العلمي معناه عدم الانحياز، وإذا انحزت ضاع الحياد.

لا يستطيع رجلٌ ولو كان من عباد الحجر أن يترك انتماءه أبداً أنترك انتماءنا إلى الله ورسوله؟ يا إخوة: هناك قصة تناقلتها المجلات العلمية، أنا أقولها للشباب، لأن الشباب هم أمل الأمة، ورقة بن نوفل يقول فيها: (يا ليتني فيها جذعاً إذ يخرجك قومك)، تمنى أن يرجع شاباً ينصره، فلا ينصر الدين إلا الشباب، القصة هذه تناقلتها

المجلات العلمية وأنا لا أحتج بها، إنما أذكرها لأستنفر؛ فإن الأسد إذا قيل له: إن الكلب يفعل كذا وكذا يغتاظ أن يُضرب له المثل بالكلب.

فهذه قصة رجل مهندس، غيّر وجه العالم بعلمه، فشباب الجامعة يقول لك: تريد منا أن نغير الدنيا؟ نعم تغيرها، لماذا لا تغيرها؟ رجل واحد أقرض بعض البلاد العربية بخمسمائة مليار دولار، في حرب الخليج هذه الأموال لو وزعت على المسلمين لكان كل فرد من الأغنياء (مليونيراً)، وما كان هناك فقير على وجه الأرض من المسلمين رجل واحد عمل هكذا؟ نعم رجل واحد يفسد الدنيا، ورجل واحد يصلح العالم، لماذا تقتل المواهب فيك؟ هذا الرجل اسمه، بعد الحرب العالمية الثانية، بعد القنبلة الذرية التي نزلت في هيروشيما في اليابان، وحصل عليها حظر حتى الآن واليابان لا تستطيع تصنيع طائرة عسكرية ولا دبابة ولا مدفع، حتى الآن، أرايتم في عمركم طائرة حربية من تصنيع اليابان؟ هناك تفتيش كل ستة أشهر على كل مصانع اليابان وكذلك ألمانيا حتى يضمنوا أن هذه البلاد لا تنتج السلاح العسكري، ولكن أطلقوا أيديهم في الصناعات السلمية الثلاثات والغسلات والسيارات وما شابه ذلك، فأوفدت اليابان طلائع، منهم: هذا المهندس.

، الذي ذهب إلى ألمانيا ليأخذ الدكتوراه في علم المحركات، نزل ألمانيا حتى يعود بلقب دكتور، والقطعة التي يصفوها يعطي لها رقماً، ويرسمها على ورقة من أجل إذا جاء يركبها دون أن يرتبك، فك المحرك وركبه، قال: وشغلته فاشتغل قال: فكاد قلبي أن يتوقف من الفرح، أخذت المسألة منه ثلاثة أيام، قال: فذهبت إلى أستاذي في البعثة وقلت له: إني فعلت كذا وكذا فقال: حسناً، هذا محرك عطلان ابحت عن العطل الذي فيه: أخذ المحرك أيضاً بنفس الطريقة وفكه، اكتشف أن فيه عطلاً مثلاً سلك متآكل، أصلح السلك وشغلته فاشتغل، أخذت المسألة هذه منه عشرة أيام، قال: فذهبت إلى أستاذي وقلت له: إني وجدت سلكاً فيه كذا وكذا قال: حسناً ينبغي أن تلتحق بمصانع صهر النحاس والحديد والألمنيوم؛ لأنه لا يستقيم لك أن تأخذ قطعة غيارك من خارج بلادك، لازم تصنع قطع غيار بنفسك، قال: (فذهبت إلى أحد هذه المصانع، ولبست الزي الخاص بالعامل، قال: وكنت عاملاً تحت العامل -مع أنني من أسرة ساموراي- أنا رجل صاحب أصل ومن أسرة عريقة؛ لكنني كنت أعمل عاملاً تحت العامل وأطيعه، ثم قال: (وكل شيء يهون لأجل اليابان)، ينتمي إلى

تراب وطنه، (كل شيء يهون لأجل اليابان)، ظل في هذا المصنع ثماني سنين، نسي أنه ذاهب ليحضر الدكتوراه، لماذا؟ لأن هناك هم أكبر من ذلك، إن الرجل النكرة إذا انتمى إلى أمة عظيمة كان عزه من عز أمته، وإن الرجل العظيم إذا انتمى إلى أمة نكرة، وطئ بالنعال.

المرأة التي قالت: وامعتصماه! أيعرف أحد اسمها؟! والرجل الذي حمل الصرخة إلى المعتصم أيعرفه أحد؟ لا أحد يعرفه، لكن امرأة عراها اليهود وكشفوا عن سواتها رآها رجلٌ كان في أمةٍ عزيزةٍ عز بعزها، فحملته هذه النخوة والعزة أن يذهب إلى المعتصم ليقول له: حدث كذا وكذا اليهود عروا كثيراً من نساء المسلمين في بيوت الموضة والأزياء، وكُشِفَت سواة امرأةٍ واحدة فجرد المعتصم الجيش العرمم، ودخل وفتح عمورية بسبب امرأةٍ لا نعرف اسمها ولا نسبها، وربما المعتصم لم يسمع بهذه المرأة قط.

لماذا؟ لأنها كانت تنتمي إلى أمة عزيزة، أمة قوية.

الآن الأمريكي قد يجرح سهواً في أي مكان في العالم، فتقوم الدنيا على قدم وساق، ومائة مسلم أو أكثر يُقتلون في المسجد الأقصى وهم سجون ولا عزاء ولا نداء!!.

دماء المسلمين أرخص دماء في العالم، لا يستطيع مسلم أن يذبح بقرةً في الهند، وإلا قتلوه وأكلوه.

رجل يمني في بلد عربي -وكننت حاضراً هذه الواقعة- تجاوز الإشارة، فلحقت به شرطة الدورية وأحضره، فأخرج الجنسية اليمنية، فقال له: يمني وتكسر الإشارة أيضاً؟! أي أن اليمني أجرب، هذا معنى الكلام، فاليمني قام بخطف وثيقة الجنسية اليمنية هذه، وأخرج له الجنسية الأمريكية، لأنه عاش في أمريكا، فقال له: يمني وأمريكي!! إن هذا لشيء عجاب! قال أنت تستهزئ بي!! وظهر أن هناك هاتفاً في السيارة، طلب السفير الأمريكي، فيأتيه السفير ويعتذر قائد دورية الشرطة رغم أنه ليس أمريكي صرف، إنما هو عربي متجنس.

إذاً قوة أمتنا بقوة الأفراد، الانتماء إلى هذه الأمة هو المخرج.

الجامعات فيها كثير جداً من الشباب، وأنا ركزت على مثل هذا لأنه يُتوقع أن طالب الجامعة يحضر دراسات عليا، يحضر دكتوراه وماجستير، فيفاجأ بكلمة الحياد العلمي، فنكشف هذا المصطلح كشفاً صريحاً.

الحياد العلمي في الجامعات معناه: ترك الانتماء، فعليك بمذهب السلف، مذهب القرن الأول، مذهب الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، وهذا القيد هو الذي يميز المنهج الحق عن المناهج المبتدعة والله أعلم.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا، والحمد لله رب العالمين.

أحاديث موضوعية لا تصح نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم

السؤال

هل هذان الحديثان صحيحان: (من نظر إلى زوجته غفر الله له حتى يرجع) وحديث: (من نزل السوق واشترى الحلوى، وخص بها الإناث دون الذكور من الأطفال؛ اختصه الله برحمته)؟

الجواب

هل يقصد من هذا أنه لا يدخل الجنة إلا إذا أتى هذا الفعل الله المستعان! الحديث لا أصل له.

وحديث (من نزل السوق واشترى حلوى وخص بها الإناث دون الذكور من الأطفال إلا اختصه الله برحمته).

وأما الحديث الثاني: فلا يصح، والإنسان الممارس للحديث والذي عنده مطالعة دائمة للحديث، يرى أمارات الوضع ظاهرة، مثل الأحاديث التي في الفواكه مثلاً: (ربيع أمتي في العنب والبطيخ) فهذا حديث ذكره ابن الجوزي وغيره، وكذلك حديث: (المؤمن حلو يحب الحلاوة) ويظهر في هذا أن فيه ركاقة، وحديث: (لو علمتم ما في الجرجير لزرعتموه تحت السرير) هذه أيضاً أحاديث موجودة تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو لم يقلها.

وهنا أغرب حديث وأوجعه، وهو حديث غريب جداً، ذكره أهل الحديث الذين جمعوا الأحاديث الموضوعة وهو (إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى باذنجانة فأخذها وأكلها في لقمة - الباذنجانة في لقمة وهي كبيرة- ثم قال: الباذنجان شفاء من كل داء) فهذا كذب، فإنه ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في مدح المطعومات إلا الشيء القليل.

والحمد لله رب العالمين.

حديث في فضائل سورة (ق) و (قل هو الله أحد)

السؤال

ما مدى صحة هذا الحديث (من قرأ سورة (ق) و (قل هو الله أحد) خفف عليه من سكرات الموت)؟

الجواب

هذا الحديث لا أعلمه صحيحاً، وفضائل السور لم يصح منها إلا نزر يسير، فاحذر من تفسير الكشاف وتفسير أبي السعود ففيهما أحاديث منكرة جداً في فضائل السور، وبالذات تفسير أبي السعود وتفسير النسفي، فهذه فيها أحاديث كثيرة مكذوبة وضعها رجل يقال له: نوح بن أبي مريم، وكان صاحباً لـ أبي حنيفة، فكان يسهر

عامة ليله يضع الأحاديث ويكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ آية كذا فله كذا، ومن قرأ سورة كذا فله كذا، وهناك حديث مشهور بيننا جميعاً، وهو حديث ابن مسعود: (من قرأ سورة الواقعة صباح كل يوم أمن من الفاقة) هذا الحديث مكذوب على النبي عليه الصلاة والسلام، ولم يصح في فضائل السور شيئاً كبيراً.

فقل لـ نوح بن أبي مريم: لماذا وضعت هذه الأحاديث وكذبت على النبي عليه الصلاة والسلام؟ قال: إني رأيت الناس انشغلوا بفقهِ أبي حنيفة ومغازي ابن أبي إسحاق عن القرآن فوضعت هذه حسبة لله، يعني أنه عمل هذا لوجه الله، يكذب على النبي عليه الصلاة والسلام لوجه الله.

قال فيه ابن حبان وكان يسمى نوح الجامع؛ لأنه كان يجمع العلوم كلها عنده من فقه وسيرة وحفظ أحاديث وتفسير، قال ابن حبان في ترجمته: جمع كل شيء إلا الصدق -عنده كل الصفات إلا الصدق- لقد كان كذاباً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

حكم الاعتكاف في غير المساجد الثلاثة

السؤال

هناك من علمائنا الأفاضل من يرى أن الاعتكاف في المساجد الثلاثة فقط: في الحرم المكي، وبيت المقدس، والحرم النبوي، فما قولكم في الاعتكاف في المساجد الأخرى؟

الجواب

الحديث الذي يحتجون به هو: (لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة) هذا الحديث محل بالوقف على الصحيح، ثم لو لم يكن معاً بالوقف لوجب تأويله، بمعنى: لا

اعتكاف أفضل من المساجد الثلاثة، وعلى هذا مضى عمل جماهير المسلمين، والله أعلم.

حكم الإسبال والصلاة خلف المسبل

السؤال

ما حكم الإسبال؟ وما جزاء الإمام المسبل؟ وهل تقبل الصلاة خلفه؟

الجواب

أما الإسبال: فحرام؛ لا يجوز لأحد أن يجر إزاره دون الكعبيين؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أسفل الكعبيين من الإزار ففي النار) والذين توهّموا أن جر الإزار مذموم مع الكبر والخيلاء أخطئوا في ذلك لماذا؟ لأنهم خلطوا بين حديثين: الحديث الأول (ما أسفل الكعبيين من الإزار ففي النار) والحديث الآخر: (من جر إزاره من الخيلاء لم ينظر الله إليه) قالوا: إذا: لو جر إزاره بغير الخيلاء فهو جائز، أما إذا جره خيلاء فهذا هو الذي لا ينظر الله عز وجل إليه، نقول: لا.

هناك مسألتان.

المسألة الأولى: الجر بغير خيلاء، والمسألة الأخرى: الجر بخيلاء، وعلماء الأصول يقولون: إذا اختلف الحكم واتفق السبب لا يحمل المطلق على المقيد، فهؤلاء حملوا المطلق في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أسفل الكعبيين من الإزار ففي النار) حملوا هذا المطلق على معنى مقيد بقيد الخيلاء في الحديث الآخر، إذا: فمن جر إزاره خيلاء فهو المحاسب المعاقب عند هؤلاء.

فنقول: لا.

العلماء لهم قاعدة تقول: إذا اختلف الحكم واتفق السبب لا يحمل المطلق على المقيد، وقد ورد في سنن أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار، ومن جر إزاره من الخيلاء لم ينظر الله إليه) فذكرهما في سياق واحد، فالحكم مختلف والسبب واحد، فما السبب؟ السبب هو جر الإزار، وما هو الحكم؟ الحكم الأول: يدخل النار، الحكم الثاني: لا ينظر الله إليه، ولا شك أن إعراض الله عنه أعظم من دخوله النار، فهذه عقوبة مضاعفة.

وهم يحتجون -أيضاً- بواقعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا رسول الله! إن أحد شقي إزاري يسترخي وأنا أتعهده؟ قال: إنك لست ممن يفعل ذلك خيلاء) فقالوا: إذا العبد إذا لم يفعله خيلاء لا يتحقق في حقه الوعيد؛ اقتداءً بأبي بكر الصديق.

نقول: لا.

أبو بكر الصديق من عرف سيرته محال أن يظن أنه كان يجر إزاره بعد نهى النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما سمي الصديق لتصديقه النبي عليه الصلاة والسلام، فهل تتصورون مثل هذا المثال: أبو بكر الصديق يسمع نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن جر الإزار فيجر ثم يعتذر، إن هذا ظن من لا يعرف أبا بكر رضي الله عنه، ويدل على هذا قوله: (إن أحد شقي إزاري)، ومن المعلوم أن الإزار له شقان فيقول: (إن أحد شقي إزاري يسترخي) فهذا يدل على أن أحد شقيه مرفوع فوق الكعبين والشق الآخر هو الذي يسترخي، ومع ذلك يقول: (وأنا أتعهده) أي: بشده إلى أعلى.

إذاً: لماذا كان ذلك؟ روى ابن سعد رحمه الله من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: دخلت على أبي بكر الصديق فإذا هو رجل نحيف خفيف اللحم أبيض، فكان إزاره يسترخي من على حقوه.

ولو قال قائل: هذا الحكم خاص بأبي بكر لما أبعد، والدليل على ذلك أن الإمام أحمد رحمه الله روى في مسنده بسند صحيح على شرط البخاري ومسلم من حديث

ابن عمر قال: (رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي ثوب جديد يتقعقع-يعني: ثوب جديد يحدث أصواتاً وقرقعات مع الحركة- قال: من؟ قلت: أنا عبد الله، قال: إن كنت عبد الله فارفع إزارك، قال: فرفعت، قال: فزد، قال: فرفعت قال: زد، قال: فرفعت إلى نصف الساق، فقال عليه الصلاة والسلام: من جر إزاره من الخيلاء لم ينظر الله إليه).

وبعد مدة صغيرة جداً وهم في المجلس جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: (من جر إزاره من الخيلاء لم ينظر الله إليه، فقال أبو بكر: يا رسول الله! إن أحد شقي إزاري يسترخي وأنا أتعهده؟ قال: إنك لست ممن يفعل ذلك خيلاء) ففرق في الحكم بين ابن عمر وبين أبي بكر الصديق، فدل ذلك على أن الحكم خاص بـ أبي بكر.

إذاً: لو كان الحكم عاماً لعم الكل، وما خص به أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وهذا ظاهر من قوله: (إنك لست ممن يفعل ذلك خيلاء) فالإنسان يشتم منها رائحة الخصوصية.

أما الصلاة خلف المسبل فهي صحيحة، وأما الحديث الذي ورد في سنن أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا يقبل صلاة مسبل إزاره) فهذا حديث منكر له ثلاث علل، والله أعلم.

وقفة مع إخلاص العمل لله

السؤال

قلتم: إن الإخلاص يعرفه العبد من نفسه وفهم ذلك مطلقاً، فكيف يفهم في ضوء ذلك الحديث الوارد في قول الله جل وعلا: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون: ٦٠]؟

الجواب

لا تعارض بين أن يعرف المرء الإخلاص لنفسه وبين هذا الحديث، وهذا الحديث هو: (أن عائشة رضي الله عنها تلت هذه الآية: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون: ٦٠] فقالت عائشة: يا رسول الله! أهذا الزاني يزني والسارق يسرق؟ -يعني: يفعل الفعل وهو خائف؛ لأنه سيرجع إلى ربه فيحاسبه، أهو الذي يزني فيخشى أن يحاسبه ويسرق ويخشى أن يحاسبه- فقال: لا يا ابنة الصديق، هؤلاء أقوام جاءوا بركة وصلاة وصدقة، ويخشون ألا يتقبل منهم) ليس معنى معرفة الإخلاص أن يركن العبد إلى عمله ويظن أنه مقبول، هناك فرق بين قبول العمل وبين صحة العمل.

فلو أن رجلاً توضأ واستوفى وضوءه، واستقبل القبلة وأتى بأركان الصلاة، وأتى بشرائطها وواجباتها ومستحباتها، وبعد أن أنهى صلاته التفت إليك وقال: أنا مثاب على صلاتي؟ فلا تقل له: أنت مثاب، ولكن قل له: صلاتك صحيحة، أما مسألة الثواب فهذا لا يعرفه أحد، فعلى العبد المؤمن أن يهضم حظ نفسه، خشية أن يكون عنده رياء وهو يعمل، وليس في هذا معارضة؛ لأن الرجل يعرف أنه عمل هذا العمل بإخلاص، ليس فيه معارضة إنما هذا هو شأن المؤمن دائماً.

أعظم العبادة: أن تعبد الله بالخوف والرجاء، فلو عبد العباد ربهم بالخوف فقط لقتلوا، ولو عبدوه بالرجاء فقط لا غتروا وتجاوزوا، فأفضل العبادة ما اقترن فيها الخوف بالرجاء، لكن كيف تكون عبادتك أفضل عبادة؟ يكون ذلك حين يفعل العبد الفعل ثم يغلبه الخوف أن الله لا يقبله؛ لأنه لم يستجمع قلبه فيه، فما هو الحل؟ الحل أن يحسن عمله، الذي ظن أنه ناقص، فبعد أن يحسنه يغلبه الخوف أيضاً فيخشى ألا يتقبل عمله فيحسنه، فلا يزال هكذا في تحسين دائم حتى يلقي الله عز وجل وهو محسن لعمله، أما إذا ركن وفعل الفعل، وقال: أنا فعلت ما عليّ، فهذا أول الفساد.

هناك من الناس من يتصور أنه لو صلى وصام وحج وأخرج فضول ماله أنه قد فعل ما عليه، لا.

فقد كان يعزى إلى عمر بن الخطاب أنه يقول: (لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا- أي: القوس- ما بلغت الاستقامة) أي: الاستقامة التي أمر الله عز وجل بها، وهذه الاستقامة التي أمر الله عز وجل بها كامنة في قوله صلى الله عليه وسلم: (ما أمرتكم به من شيء فاتوا منه ما استطعتم) هذا يدلنا على أنه ليس هناك أي إنسان أبداً على وجه الأرض -حاشا الرسل- يستطيع أن يفعل كل ما أمر به.

والمقصود كل ما أمر به من باب المستحبات وليس الواجبات؛ لأن الواجب -كما عليه العلماء- هو: ما طلب فعله على سبيل الحتم والإلزام، ويعاقب تاركه، فبإمكان كل إنسان أن يفعل ما أمر به وجوباً، إنما قصد الحديث في المستحبات التي لا آخر لها، أما الواجب فإنه يفعله لزوماً إلا إذا عجز، فيسقط الواجب عنه بالعجز، فيبقى قول النبي عليه الصلاة والسلام: (ما استطعتم)، وهذا الحديث -أيضاً- مناسب وهو ترجمة لقول الله تبارك وتعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: ١٦].

الشيخ أبو إسحاق ورحلته في طلب العلم

السؤال

سائل يناشد بحرارة فيقول: أرجو أن تعرفنا شيئاً عن حياتك ونشأتك وطلبك للعلم؟

الجواب

والله إن أثقل شيء عليّ أن أتحدث عن نفسي، فليس في حياتي شيء يستحق الإشادة ولا الذكر، ولكن فيها ضرب من البلاء أيضاً، فلعلي لو ذكرت شيئاً أو طرفاً منه أن يتصبر إخواننا في الله تبارك وتعالى: تخرجت من كلية الألسن، جامعة عين شمس في القاهرة، وكنت أدرس اللغة الأسبانية واللغة الفرنسية، وتخرجت من

الجامعة مع مرتبة الشرف الأولى، وكنت -بحمد الله عز وجل- متفوقاً في السنوات الأربعة طيلة دراستي.

وبعد إنهاء الدراسة تعينت معيداً في الجامعة، ثم حدثت مشادة بيني وبين عميد الكلية ففصلني، وعُين الرجل الذي يليني مباشرة، ثم نشرت الإذاعة طلباً لمذيعين، فقدمت وكانت رغبتني ومرادي أن أكون مذيعاً في إذاعة القرآن الكريم، وكان قصدي هو نشر السنة وعمل برنامج خاص عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، تنبيهاً لجماهير المسلمين، وأيضاً: تنبيهاً للمذيعين الآخرين الذين يكثر من الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، وقد ضيعوا جهود أهل الحديث جميعاً لما يحتجون بالأحاديث المناكير، كأن أهل الحديث ما عملوا شيئاً مذكوراً، يقرءون الأحاديث الموضوعة والمنكرة ويحتجون بها؛ فخطر ببالي أن أدخل وأتقدم وإن كانوا هم يريدون مذيعين للغة الأسبانية في البرنامج الأوروبي، استشرت أحد مذيعي التلفزيون الكبار آنذاك، فقال لي: إنك لو دخلت قسم اللغة الأسبانية من السهل أن تغير إلى محطة القرآن الكريم، فهذا هو الذي أعراني، فدخلت وتقدمت مع أناس كثيرين كان جلهم من دفعتي في الكلية.

والحمد لله كنت الأول في الترتيب، وهذه الأولية كانت بلاءً لي وامتحاناً، فلقد كان لديهم عجز في البرنامج الأوروبي في قسم اللغة الأسبانية، فأصروا عليّ، وقالوا: أنت لا تغادر هذا القسم أبداً، فبدأت فكانت مهمتي أن أراجع الخطابات التي تأتي من الخارج لمن يرسلون الإذاعة، وكان هناك برامج امتحانات ومسابقات كانوا يلقونها على أصحاب هذه البلاد، واللغة الأسبانية هي ثاني لغة في العالم بعد الإنجليزية بالنسبة لتعداد السكان الناطقين بها، فقد كان في حدود سنة (١٩٧٦م) عدد الناطقين بالأسبانية في العالم ما يقارب أربع مائة مليون نسمة، وهي منطوق بها في أسبانيا وجزء من البرتغال وأمريكا الوسطى والمكسيك وأطراف كندا، كل هؤلاء يتكلمون باللغة الأسبانية.

بدأت أفرغ هذه الخطابات فرأيت طامات، وجدت أشياء ما تحملتها، فلما نزلت في الأستوديو لأسجل برنامجاً -وكانت أول مرة أسجل فيه برنامجاً- فإذا بالرجل

يؤشر لي بإشارات معينة من خلف لوح الزجاج، يريد مني أن أرفع الموسيقى، فأول ما سمعت الموسيقى وقف شعري ولم أرجع إلى الاستديو مرة أخرى، وقلت: لا.

أنا أظل في عملي الإداري، وحصلت مشادة كبيرة انتهت بأنني لم أستطع الاستمرار في الإذاعة فتركته.

كنت في هذه الآونة قد بدأت أدرس علوم الحديث وعلوم الفقه من أول سنة (١٩٧٥م)، ومن هذا الحين بدأت أعرف علوم الشريعة، وبدأت هذه العلوم تمتلك قلبي، فلم أستطع شيئاً في حياتي مثل هذه العلوم، ولعل الذي جعلني أترك الجامعة وأترك الإذاعة محبتي لهذه العلوم.

انكبت على هذه العلوم، لكن لا أخفيكم أن للناس فضلاً عظيماً علي وعلى تحصيلي؛ وذلك لأنني متخصص في علم الحديث تصحيحاً وتضعيفاً، وأنتم تعلمون أن علم الحديث هو علم الخاصة وليس علم العامة، أي: لا أستطيع أن آتي في محاضرة عامة أو في خطبة جمعة أتكلم عن شروط الحديث الصحيح، وأن العلماء قالوا: هذا منكر، وعلامة المنكر كذا، وهذا شاذ، وعلامة الشاذ كذا، لا أستطيع، لكن الناس هم الذين جعلوني هكذا، هم الذين جعلوني أقرأ في الفقه والتفسير والحديث وفي الملح والنوادر، فحاجتهم وأسألهم هي التي أجبرتني على ذلك، فيأتيني رجل مثلاً يقول: أنا طلقت امرأتي في الحيض فهل الطلاق يقع؟ فلا يكون عندي أي معلومات عن الطلاق في الحيض أيقع أم لا، فأرجع إلى كتب أهل العلم وأقرأ في الطلاق في الحيض، فأجد خلافاً لأهل العلم فلا أستطيع أن أفتي إلا إذا اعتقدت قولاً ومذهباً من المذهبين بدليله، فأبدأ في رحلة دراسة الأدلة والترجيح بين الأدلة حتى أنتهي إلى أن -مثلاً- الطلاق في الحيض يقع أو لا يقع، فلولا مثل هذه الفتاوى ما درس الإنسان شيئاً مذكوراً.

أما الجد والاجتهاد فالإمام البخاري رحمه الله عندما دخل بغداد انبهر الناس بحفظه، ورأوا رجلاً عجباً في حفظه، فتناقل أهل بغداد خبره -على عادة في تنقص الأكابر آنذاك- وقال بعضهم لبعض: إنه يأخذ دواء اسمه البلادر لتقوية الحفظ.

فسمع محمد بن أبي حاتم الوراق فقال ابن أبي حاتم الوراق للبخاري: إن أهل بغداد يقولون عنك: إنك تتناول دواءً للحفظ، فهل ذلك صحيح؟ فقال الإمام البخاري رحمه الله: لا أعرف شيئاً من ذلك ولكن هي نهمة الناظر -أي: نهمة الطالب - وجودة النظر.

فأي رجل يريد أن يحصل ويريد أن يحفظ عليه بهاتين الخصلتين: النهمة -أي: النهم الشديد والإقبال- ثم جودة النظر.

وهناك كثير من إخواننا يقرءون في العلم ويقولون: نحن ننسى ما نقرأ، ما هو السبب في ذلك؟ السبب في ذلك: أنه لا ينوي أن ينفع أحداً بعلمه، يقرأ فقط، لكن لو كان يقرأ وعليه مسئولية محاضرة فسيحفظ؛ لأنه لا يستطيع أن يأتي فيقف أمام الناس ويقعد على الكرسي صامتاً، لا بد أن يتكلم، وآفة العلم النسيان، وحياته المذاكرة، كما قال ابن شهاب الزهري رحمه الله.

ولقد ذكر المناوي في فيض القدير أن ابن شهاب الزهري كان يأتي من عند أبي سلمة بن عبد الرحمن ومن عند سعيد بن المسيب فيوقظ جاريته النائمة فيقول لها: حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة، حدثني سعيد عن عائشة، فالجارية تقول: يا سيدي! ما لي ولأبي سلمة، ما لي ولـ سعيد! فيقول لها: أنا أعرف أنه لا علاقة لك لا بسعيد ولا بأبي سلمة، إنما آفة العلم النسيان وحياته المذاكرة.

فأنت إذا أردت أن تنعش هذه المعلومات فعليك بإثارة ذهنك، فلو أنك أنت تقرأ - مثلاً- على أساس أنك تبلغ شيئاً من دين الله تبارك وتعالى وتستوفي النظر والكلام في المسألة، فلن تنس هذه المسألة إن شاء الله، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم.

حال حديث صلاة التسبيح

السؤال

ما تقولون في حديث صلاة التسبيح وما درجته؟

الجواب

هذا الحديث أنا متوقف فيه، أي: لا أحكم له بصحة ولا بضعف، وإن كان علماء الحديث قد تجاذبت عباراتهم فيه فمنهم من يصححه ومنهم من يقول: إنه حديث موضوع كذب على الرسول عليه الصلاة والسلام.

التيمم عند فقد الماء

السؤال

إذا كنت في الصحراء وليس لدي ماء لأتوضأ للصلاة، فوجدت بئراً فتوضأت منه، فلما انتهيت من الوضوء تبينت أن هذا البئر غير طاهر فهل أعيد وضوئي؟

الجواب

إذا فقدت الماء فعليك بالتيمم، والتيمم ضربة واحدة للوجه والكفين، ليس كما يتوهم كثير من الناس بناءً على رواية منكراً أخرجها أبو داود في سننه من رواية محمد بن ثابت العبدي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب ضربتين للوجه والكفين وتوضأ للآباط والمناكب) فهذه رواية منكراً، لكن الصحيح في هذا عند أهل العلم أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين، أي أن طريقة التيمم: أن تضرب على الأرض بيديك ثم تمسح وجهك وكفيك، وهذا هو التيمم، وقد اتفق العلماء على وجوب التيمم إذا عدم الإنسان الماء، والله أعلم.

البيئة أوحدها في ظهرها

السؤال

زوجة اتهمت أنها خانت زوجها مع أخيه أثناء غيابه، والذي اتهمتها بذلك أخت الزوج، وقام الزوج فطلقها هاتفياً منذ عام، ولم يتم الطلاق رسمياً، والزوج في حيرة لأنه علم بعد ذلك أنه لم تتم الفاحشة الكبرى، فما هو حكم الدين في هذا الطلاق؟

الجواب

أولاً: لا يجوز رمي امرأة بالزنا إلا إذا شهد عليها أربعة شهداء، ولا تكفي شهادة الأربعة أنهم رأوها مع رجل في لحاف، بل لابد أن يروا كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام في حديثه وهو يقول للرجل: (أرأيتك كما تضع الميل في المكحلة؟).

لابد أن يتحقق من ذلك، فلو جاء ثلاثة شهود، ورأوا الفاحشة بأعينهم، ولم يأتوا بالرباع جلدوا؛ صيانة للأعراض، فإما أن يأتوا بأربعة شهداء وإما أن يظهر الحمل، كما قال عمر بن الخطاب، أن يظهر الحمل والزوج غائب، فهذا دلالة على الفاحشة، أو الاعتراف، أما ما دون ذلك فلا يجوز أبداً أن ترمى امرأة بالفاحشة، حتى لو شهدت أخت الزوج ورأت الفاحشة وتحققت من ذلك بنفسها، فالحد الشرعي أن تجلد هي ثمانين جلدة أو تأتي بأربعة شهداء.

أما بالنسبة للطلاق: فلو قال لامرأته: أنت طالق؛ فقد وقع طلاقه، فإذا رجع في العدة كانت زوجة له، ولم يجب عليه مهر، ولم يجب عليه عقد جديد، أما إذا طلقها وظل على ذلك عاماً كاملاً فحينئذٍ يجوز له أن يراجعها بعقد جديد ومهر جديد.

أما نصيحتنا له فلا نستطيع أن نخلص له النصيح حتى نعلم الموضوع كله بأطرافه، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظ علينا أعراضنا.

حكم من نذر ولم يستطع الوفاء بالنذر

السؤال

لقد نذرت بناء مسجد لله تعالى إذا ما تحققت أمنية لي، والحمد لله وبفضله تحققت هذه الأمنية، ولكن ظروف مالي لا تسمح لي بذلك، فهل لو شاركت في بناء مسجد عن طريق التبرع بمبلغ من المال لإحدى الجمعيات أو الهيئات الإسلامية أكون قد وفيت بنذري، وما هي كفارة النذر، أفيدونا أفادكم الله؟

الجواب

إذا نذرت أن تبني مسجداً لله عز وجل فأوف بنذرك ولو كان مسجداً صغيراً كمفحص قطاة، لا يشترط أن يكون مسجداً كبيراً، فوفي بنذرك حتى لو كان مسجداً صغيراً، أما إذا عجزت حتى عن الوفاء بهذا المسجد الصغير فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كفارة النذر كفارة يمين) وكفارة اليمين: {إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ} [المائدة: ٨٩]، فإما أن تطعم عشرة مساكين أو تكسوهم أو تعتق رقبة، فإن لم تجد شيئاً من ذلك فصم ثلاثة أيام، وبالنسبة للصيام يجوز أن تصوم ثلاثة أيام متفرقات أو ثلاثة أيام متتالية، والله أعلم.

